المَثْنَوِيّ المَعْنَوِيّ

تأليف

جلال الدّين الرُّوميّ

ترجمة

د. علي عبَّاس زليخة

الكتاب الثَّالِث

نسخة رينولد نيكلسون

بسم الله الرّحمن الرَّحيم

الحِكَمُ جُنودُ اللهِ يُقَوّي بِها أرواحَ المُريدينَ، يُنَزِّهُ عِلْمَهُمْ عَنْ شائبَةِ الجَهْل، وَعَدْلَهُمْ عَنْ شائبَةِ الظُّلْم، وجُودَهُمْ عَنْ شائبَةِ الرِّياء، وحِلْمَهُمْ عَنْ شائبَةِ السَّفَه، ويُقَرِّبُ إلَيْهِمْ ما بَعُدَ عَنْهُمْ مِنْ فَهْمِ الآخِرَة، ويُيَسِّرُ لَهُمْ ما عَسُرَ عَلَيْهِمْ مِنَ الطَّاعَةِ والاِجْتِهاد، وهِيَ مِنْ بَيِّناتِ الأنبياءِ ودلائلِهِمْ تُخْبِرُ عَنْ أسرارِ اللهِ وسُلطانِهِ المَخْصوصِ بالعارِفينَ، وإدارَتِهِ الفَلَكَ النُّورانِيَّ الرَّحْمانِيَّ الدُّرِّيَّ الحاكِمَ على الفَلَكِ الدُّخانِيّ الكُرِّيّ، كما أنَّ العَقْلَ حاكِمٌ على الصُّوَرِ التُّرابيَةِ وحواسِّها الظَّاهِرَةِ والباطِنَة، فَدَوَرانُ ذلِكَ الفَلَكِ الرُّوحانِيّ حاكِمٌ على الفَلَكِ الدُّخانِيّ والشُّهُبِ الزَّاهِرَةِ والسُّرُجِ المُنيرَةِ والرِّياحِ المُنْشِئَةِ والأراضي المَدْحِيَّةِ والمِياهِ المُطَّرِدَةِ، نَفَعَ اللهُ بِها عِبادَهُ وزادَهُمْ فَهْماً، وإنَّما يَفْهَمُ كُلُّ قارِئٍ على قَدْرِ نُهْيَتِه، وَيَنْسِكُ النَّاسِكُ على قَدْرِ قُوَّةِ اجتِهادِه، ويُفتي المُفْتي مَبْلَغَ رأيِه، ويَتَصَدَّقُ المُتَصَدِّقُ بِقَدْرِ قُدْرَتِه، ويَجودُ الباذِلُ بِقَدْرِ مَوجودِه، ويقتَني المَجودُ عَلَيْهِ ما عَرَفَ مِنْ فَضْلِهِ، ولكِنَّ مُفْتَقِدَ الماءِ في المفازَةِ لا يُقَصِّرُ بِهِ عَنْ طَلَبِهِ مَعْرِفَتُهُ ما في البِحار، ويجِدُّ في طَلَبِ ماءِ هذهِ الحياةِ قَبْلَ أنْ يَقْطَعَهُ المَعاشُ بالاِشْتِغالِ عَنْهُ، وتَعُوقُهُ العِلَّةُ والحاجَةُ، وتحولُ الأغْراضُ بينَهُ وَبَيْنَ ما يَتَسَرَّعُ إلَيْه، وَلَنْ يُدْرِكَ العِلْمَ مُؤثِرُ هَوىً، ولا راكِنٌ إلى دَعَةٍ، ولا مُنْصَرِفٌ عَنْ طَلَبِه، ولا خائفٌ على نَفْسِه، ولا مُهْتَمٌّ لِمَعيشَةٍ إلَّا أنْ يعوذَ باللهِ، ويُؤثِرَ دينَهُ على دُنياه، ويَأخُذَ مِنْ كَنْزِ الحِكْمَةِ الأموالَ العَظيمَةَ الَّتي لا تكسِدُ ولا تُوَرِّثُ ميراثَ الأموال، والأنوارَ الجَليلَةَ والجَواهِرَ الكريمَةَ والضِّياعَ الثَّمينَةَ، شاكِراً لِفَضْلِهِ، مُعَظِّماً لِقَدْرِهِ، مُجَلِّلاً لِخَطَرِهِ، ويستَعيذُ باللهِ مِنْ خساسَةِ الحُظوظ، ومِنْ جَهْلٍ يستكثِرُ القليلَ مِمَّا يرى في نَفْسِه، ويستَقِلُّ الكثيرَ العَظيمَ مِنْ غَيْرِه، ويُعْجَبُ

بِنَفْسِهِ بِما لَمْ يَأذَنْ لَهُ الحَقُّ، وعلى العالِمِ الطَّالِبِ أنْ يَتَعَلَّمَ ما لَمْ يَعْلَمْ، وأنْ يُعَلِّمَ ما قَدْ عَلِمَ، ويَرْفَقَ بِذَوي الضَّعْفِ في الذِّهْنِ، ولا يَعْجَبَ مِنْ بلادَةِ أَهْلِ البلادَةِ، ولا يُعَنِّفَ على كَليلِ الفَهْمِ، كذلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُم، سُبحانَهُ وتعالى عَنْ أقاويلِ المُلْحِدين، وشِرْكِ المُشْرِكين، وَتَنْقيصِ النَّاقِصين، وتَشْبيهِ المُشَبِّهين، وسوءِ أوهامِ المُتَفَكِّرين، وكيفيَّاتِ المُتَوَهِّمين، ولَهُ الحَمْدُ والمَجْدُ على تَلفيقِ الكِتابِ المَثْنَويّ الإلٰهيّ الرَّبَّانِيّ، وهُوَ المَوَفِّقُ والمُفْضِلُ، ولهُ الطَّولُ والمَنُّ، لا سِيَّما على عِبادِهِ العارِفين، على رَغْمِ حِزْبٍ يُريدونَ أنْ يُطْفِئوا نُورَ اللهِ بِأفواهِهِم، واللهُ مُتِمُّ نُورِهِ ولو كَرِهَ الكافِرون، إنَّ نَحْنُ نَزَّلْنا الذِّكْرَ وإنَّا لَهُ لَحافِظون، فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَما سَمِعَهُ فإنَّما إثْمُهُ على الَّذينَ يُبَدِّلونَه، إنَّ اللهَ سَميعٌ عَليم.

بسم الله الرّحمن الرَّحيم

أيْ ضياءَ الحَقّ حُسامَ الدِّينِ اِحْمِلْ، الدَّفْتَرَ الثَّالِثَ هذا فقد صارَتِ السُّنَّةُ ثلاثاً؛

في الدَّفْتَرِ الثالِثِ اترُكِ الأعذار، وافْتَحْ لنا خِزانَةَ الأسرار؛

قُوَّتُكَ تُوْلَدُ مِنْ قُوَّةِ الحَقِ، لا مِنْ عُروقٍ تَنْبُضُ مِنَ الحرارة؛

سِراجُ الشَّمْسِ هذا الَّذي أضاءَ، لَمْ يكُنْ مِنْ فتيلٍ وقِطْنٍ وَزَيْت؛

سَقْفُ الفَلَكِ وهُوَ هكذا دائمٌ، مِنْ غَيْرِ ما طَنَبٍ وَعَمَدٍ قائمٌ؛

قُوَّةُ جِبْريلَ لَمْ تَكُنْ مِنَ المَطْبَخ، كانَتْ مِنْ رؤيَةِ خلَّاقِ الوجود؛

قُوَّةَ أبدالِ الحَقّ اعْرِفْ كذلِكَ، مِنَ الحَقِ لا مِنَ الطَّعامِ والطَّبَق؛

أجسامُهُمْ أيضاً مَخلوقَةٌ مِنَ النُّورِ، حتَّى صارَتْ سابِقَةَ الرُّوحِ والمَلَك؛

ما دُمْتَ مُتَّصِفاً بِأوصافِ الجَليل، أُعْبُرْ مِنْ نارِ الأعراضِ كالخَليل؛

فالنَّارُ أيضاً لَكَ البَرْدُ والسَّلام، أي مَنِ العَناصِرُ لِمِزاجِكَ غُلام؛

فكُلُّ مِزاجٍ أساسٌ لَهُ العَناصِرُ، ومِزاجُكَ أعلى مِنْ كُلِّ مَرْتَبَة؛

مِزاجُكَ مِنَ العالَمِ المُنْبِسِط، لِوَصْفِ الوَحْدَةِ الآنَ مُلْتَقِط؛

أي أسَفاً أنَّ عَرْصَةَ أفْهامِ الخَلْق، ضاقَتْ ولا يَمْلِكُ الخَلْقُ الحَلْق؛

أي ضياءَ الحَقّ بِحذاقَةِ رأيِك، حَلْواكَ تَهَبُ الحَلْقَ للصَّخْر؛

جَبَلُ الطُّورِ وَجَدَ الحَلْقَ في التَّجَلِّي، لِيَشْرَبَ الخَمْرَ ولَمْ يُعْرِضْ عَنِ الخَمْر؛

صارَ دَكَّاً مِنْهُ وانْشَقَّ الجَبَل، هَلْ رَأَيْتُمْ مِنْ جَبَلْ رَقْصَ الجَمَل

عَطاءُ اللُّقْمَةِ يَأتي مِنْ كُلِّ شَخْص، عَطاءُ الحَلْقِ شُغْلُ اللهِ فَحَسْب؛

وَهَبَ لِجِسْمِكَ ولِروحِكَ الحَلْقَ، لِكُلِّ عُضْوٍ عُضْوٍ مِنْكَ وَهَبَ الحَلْقَ؛

أعطاكَ لإجلالِكَ هذا المَقامَ، لِتَصيرَ خالياً مِنَ الزَّيْغِ والدَّغَل؛

كَيْ لا تَقولَ سِرَّ السُّلطانِ لِشَخْص، كَيْ لا تُريقَ هذا السُّكَّرَ أمامَ الذُّباب؛

الشَّخْصُ الَّذي شَرِبَتْ أُذُنُهُ أسرارَ الجَلال، لَهُ مِئَةُ لِسانٍ كالسَّوْسَنِ وَأَخْرَس؛
لُطْفُ اللهِ أعطى التُّرابَ الحَلْقَ، فَشَرِبَ الماءَ وَنَمَا مِئَةُ نَبات؛
ثُمَّ أعطى التُّرابِيَّ الفَمَ والشِّفاه، فَهُوَ لِأَكْلِ نَباتِ الأَرْضِ مُرْتَهَن؛
أَكَلَ الحَيوانُ نَباتَ الأَرْضِ فَسَمِنَ، صارَ الحَيوانُ لُقْمَةً للإنسانِ وَمَضى؛
وصارَ التُّرابُ مُجَدَّداً أَكَّالَ بَشَر، عِنْدَما فارَقَ الإنسانَ الرُّوحُ والبَصَر؛
رَأَيْتُ الذَّرَّاتِ مَفتوحَةً أفواهُها جُمْلَةً، ولو قُلْتُ ما تَأْكُلُ لَطالَ طَويلاً القَولُ؛
وَرَقَةٌ مِنْ إنعامِهِ مُورِقَةٌ لِلأوراقِ، لُطْفُهُ العامُّ حاضِنٌ للحَواضِن؛
هُوَ الَّذي أَعْطى الأرزاقَ لِلأرزاق، مِنْ دُونِ غِذاءٍ كَيْفَ يُوْلَدُ القَمْح؛
شَرْحُ هذا الحَديثِ بلا مُنْتَهى، قُلْتُ جُزْءاً فاعْرِفْ بَقِيَّةَ الأجزاء؛
جُمْلَةُ العالَمِ آكِلٌ وَمَأكول، والباقُونَ هُمْ مُقْبِلٌ وَمَقبول؛
هذا العالَمُ وَساكِنوهُ مُنْتَشِر، ذاكَ العالَمُ وَسالِكوهُ مُسْتَمِرّ؛
هذا العالَمُ وعاشِقوهُ مُنْقَطِع، أَهْلُ ذاكَ العالَمِ مُخَلَّدٌ مُجْتَمِع؛
الكَريمُ إذنْ هُوَ مَنْ أعطى النَّفْسَ، ماءَ الحَياةِ وَظَلَّ خالِداً إلى الأَبَد؛
الباقياتُ الصَّالِحاتُ جاءَتْ للكريم، نَجا مِنْ مِئَةِ آفَةٍ وَخَطَرٍ وَهَول؛
ولو كانوا أُلوفاً هُمْ شَخْصٌ لا أَكْثَرَ، حينَ لا تكونُ خيالاتُ التَّفكيرِ بالعَدَدِ؛
الآكِلُ والمَأكولُ لُهُ الحَلْقُ والنَّأي، الغالِبُ والمَغْلوبُ لَهُ العَقْلُ والرَّأي؛
هُوَ الَّذي أعطى الحَلْقَ لِعَصا العَدْل، فَأَكَلَتْ هذا الكَمَّ مِنْ العِصِيّ والحِبال؛
ولم تكُنْ بِها زيادَةٌ مِنْ جُمْلَةِ الأكل، فقد كانَتْ حَيَّةً بلا أَكْلٍ وَشَكْل؛
أعطى اليقينَ الحَلْقَ كالعَصا، لِيَأكُلَ اليقينُ كُلَّ خَيالٍ يُولَد؛
إذَنْ المعاني كالأعيانِ لها أَحْلاقٌ، اللهُ أيضاً رازِقُ المعاني الأحلاق؛
مِنَ القَمَرِ لِلسَّمَكِ ما مِنْ خَلْق، لَيْسَ لَهُ لِجَذْبِ المَتاعِ حَلْق؛
حَلْقُ الرُّوحِ مِنْ فِكْرِ البَدَنِ خالٍ، ذاكَ لِأَنَّ قُوتَها كائنٌ مِنَ الإجلال؛

شَرْطُ تَبديلِ المِزاجِ جاءَ فاعْلَمْ، مَوْتُ السَّيِّئينَ كانَ مِنْ مِزاجِ السُّوء؛
حينَ صارَ مِزاجُ الآدَمِيّ آكِلَ طِينٍ، صارَ شاحِباً وسَيِّئَ لَونٍ وسقيماً وواهِياً؛
وحينَ وَجَدَ مِزاجُهُ القَبيحُ التَّبديل، ذهَبَ القُبْحُ مِنْ وَجْهِهِ وأضاءَ كالشَّمْع؛
أينَ المُرَبِّيَةُ حاضِنُ الطِّفْلِ الرَّضيع، تَجْعَلُ عَنْ نِعْمَةٍ وَجْهَهُ السَّيِّئَ حَسَناً؛
إذا قَطَعَتْ عَلَيْه طريقَ ذلِكَ الثَّدْي، فَتَحَتْ لَهُ الطَّريقَ إلى مِئَةِ ثَدْي؛
ذاكَ أنَّ الثَّدْيَ كانَ لِذاكَ الضَّعيف، حِجابَ أَلْفِ نِعَمَةٍ ومائِدَةٍ وَرَغيف؛
فحياتُنا إذَنْ وَقْفٌ على الفِطام، اجْتَهِدْ قليلاً قَليلاً *تَمَّ الكلام*؛
الآدَمِيُّ كانَ جَنيناً وكانَ غِذاؤهُ الدَّمّ، يَأخُذُ الطَّهارَةَ مِنَ النَّجِسِ، كذلِكَ المُؤمِن؛
صارَ غِذاؤهُ اللَّبَنَ مِنْ فِطامِ الدَّم، وصارَ مِنْ فِطامِ اللَّبَنِ مُتناوِلَ اللُّقَمِ؛
ومِنْ فِطامِ اللُّقَمِ صارَ لُقْمانِيَّاً، طالِباً مِنَ الطَّعامِ صَيْداً خَفِيَّاً؛
لَو قالَ شَخْصٌ لجنينٍ في الرَّحِم، إنَّ في الخارِجِ عالَماً جِدُّ مُنْتَظِم؛
بِأرْضٍ جَميلَةٍ بِعَرْضٍ وطُولٍ، بِمِئاتِ النِّعْمِ بِها وكثيرٍ مِنَ الأُكُل؛
بِجِبالٍ وبِحارٍ وَصحارٍ، ببساتينَ وحدائقَ وَزُروعٍ؛
وَسَماءٍ عالِيَةٍ جِدَّاً مَملوءَةٍ ضياءً، وَشَمْسٍ وَقَمَرٍ مُنيرٍ ومِئَةِ سُها؛
بِحدائقَ وَعرائسَ وَمَحافِلَ طَرَبٍ، مِنْ الجَنوبِ وَمِنَ الشِّمالِ ومِنَ الدَّبور؛
عجائبُها تِلْكَ لا تَجيءُ تَحْتَ الصِّفَة، وأنتَ بالإمتِحانِ في هذِهِ البئرِ المُظْلِمَةِ؛
مُسَمَّرٌ في الضِّيقِ تَشْرَبُ الدَّمَ، بَيْنَ حَبْسٍ وأنجاسٍ وَعَناء؛
كانَ الجَنينُ بِحُكْمِ الحالِ مُنْكِراً، ومُعْرِضاً عَنْ هذِهِ الرِّسالَةِ وكافِراً؛
أنْ هذا مُحالٌ وخِداعٌ وَغُرور، ذلِكَ أنَّ وَهْمَ الأعْمى بلا تَصْوير؛
لَمَّا لَمْ يَرَ إدراكُهُ جِنْسَ شَيْءٍ، لَمْ يُلْقِ السَّمْعَ إدراكُهُ المُنْكِرُ المُلَوَّث؛
وكذا عامَّةُ خَلْقِ هذا العالَم، إذا حَدَّثَهُمُ الأبدالُ عَنْ ذلِكَ العالَم؛
أنْ هذا العالَمُ بِئْرٌ مُظْلِمَةٌ وضَيِّقَة، وأنَّ في الخارِجِ عالَماً بلا لَونٍ ورائحَة؛

لَنْ يَدْخُلَ أُذُنَ شَخْصٍ مِنْهُمْ شَيْءٌ، فالطَّمَعُ جاءَ حِجاباً غَليظاً وسَميكاً؛
لقد سَدَّ الطَّمَعُ الأُذُنَ عَنِ الاِسْتِماع، وَقَدْ أَغْلَقَ الغَرَضُ العَيْنَ عَنِ الاِطِّلاع؛
مِثْلَ ذاكَ الجَنينِ لَهُ طَمَعٌ بالدَّم، إذْ كانَ غِذاؤهُ في الأوطانِ الدُّون؛
حَجَبَهُ عَنْ حَديثِ هذا العالَمِ ، لا يَعْرِفُ طَعاماً يَأكُلُهُ غَيْرَ الدَّم؛

قِصَّةُ آكِلي وَلَدِ الفيلِ مِنَ الحِرْصِ وَتَرْكِ نَصيحَةِ النَّاصِح

أَسَمِعْتَ ذاكَ أنَّهُ في بلادِ الهِنْد، رأى عالِمٌ مَجْموعَةً مِنَ الأَصْدِقاء؛
جِياعاً عُراةً بلا مَتاعٍ ولا زادٍ، وَصَلوا مِنْ طَريقٍ طَويلٍ مِنَ السَّفَر؛
جاشَتْ مَحَبَّةُ العالِمِ عَلَيْهِمْ وَقالَ لَهُمْ، جَميلَ السَّلامِ وَتَفَتَّحَ كَرَوْضَةِ الوَرْد؛
قالَ أَعْلَمُ أنَّكُم مِنَ التَّجَوُّعِ والخلاء، اجْتَمَعَتْ لَكُم آلامٌ مِنَ الكربِ والبلاء؛
لكِنْ اللهَ اللهَ أيُّها الجَمْعُ الجَليل، لا يكُنْ طَعاماً لَكُمْ وَلَدُ الفِيل؛
الفِيْلُ مِنْ هذا الصَّوبِ حيثُ تَذْهَبونَ الآن، لا تَقتُلوا للفيلِ وَلَداً واسمَعوا؛
وَلَدُ الفيلِ كائنَةٌ في طَريقِكُمْ، وصَيْدُها مُحَبَّبٌ كثيراً إلى قُلوبِكُم؛
كُلُّها ضَعيفٌ وَلَطيفٌ وَسَمين، لكِنَّ أُمَّها إثْرَها طالِبٌ في الكمين؛
تَجْري خَلْفَ وَلَدِها مِئاتِ الفَراسِخِ، مِنَ الطَّريقِ وَهِيَ في الحَنينِ والآه؛
يَخْرُجُ الدُّخانُ والنَّارُ مِنْ خرطومِها، الحَذَرَ مِنْ ذلِكَ الوَلَدِ الصَّغيرِ مَرْحومِها؛
الأولياءُ أطفالُ الحَقِّ أيْ وَلَد، لَهُ بِهِمْ في الحُضورِ والغَيْبَةِ خَبَر؛
لا تَظُنَّ الغَيْبَةَ مِنْ نُقْصانِها، لَقَدْ قَتَلَتْ عَداوَةً مِنْ أجْلِ عَزيزِها؛
قالَ هؤلاءِ الأولياءُ شبيهُ الأطفالِ، في الغُرْبَةِ انَفَرَدوا عَنِ الحُكّامِ والأعْمال؛
كُلُّهُم لأجْلِ الاِمْتِحانِ ضعيفٌ ويَتيم، وكُلُّهُمْ في السِّرِّ لي خَليلٌ وَنَديم؛
ظَهيرُهُم كانَ العِصَمَ مِنّي، كَأَنَّهُمُ الأجزاءُ مِنّي؛
فانْتَبِهْ وانْتَبِهْ لِلابِسي خِرْقَتي، هُمْ مِئاتُ ألوفِ الألوفِ وَبَدَنٌ واحِد؛

وإلَّا متى عَمِلَ بِعُودِ خَشَبِ الفَنَّ، مُوسَويٌّ قَلَبَ فِرْعَونَ رَأساً على عَقِب؛
وإلَّا متى أغْرَقَ الشَّرْقَ والغَرْبَ، نُوحُ مِنْ لَعْنَةٍ مِنْهُ واحِدَة؛
أما قَلَعَ دُعاءٌ مِنْ لوطَ العَظيمِ، جُمْلَةَ مُدُنِ هؤلاءِ المَحْرومين؛
غَدَتْ مُدُنُهُمْ مِثْلَ فِرْدَوْسِهِم، دِجْلَةَ ماءٍ أسْوَدَ اذْهَبْ وَعايِنِ الآثار؛
هذِهِ الآثارُ جِهَةَ الشَّامِ وهذا الخَبَر، أنْظُرْهُ في الطَّريقِ إلى القُدْسِ في المَمَرّ؛
مِئاتُ ألوفِ الأنبياءِ عابِدي الحَقّ، كانَتْ مِنْهُمْ لِكُلِّ قَرْنٍ مُجازاة؛
لَوْ قُلْتُ وَصارَ زائداً هذا البيان، الكَبِدُ ما تكونُ والجَبالُ تَصيرُ دَماً؛
دَماً تَصيرُ الجِبالُ ثُمَّ تَصيرُ جَمَداً، أنتَ لا تَرى نَزيفَ الدَّمِ عَمىً وَرَدَّاً؛
عَجَباً مِنْ أعْمىً مَديدِ نَظَرٍ حادِّ بَصَرٍ، لكِنَّهُ لا يرى مِنَ البَعيرِ غَيْرَ الصُّوف؛
رأى الإنسانُ شَعْرَةً شَعْرَةً مِنْ زِيادَةِ الحِرْص، فقامَ كالدُّبِّ بالرَّقْصِ بلا قَصْد؛
أُرْقُصْ هُناكَ حَيْثُ كَسَرْتَ النَّفْس، اِرْفَعِ القِطْنَ عَنْ جُرْحِ الشَّهْوَة؛
على رَأْسِ المَيْدانِ يرقُصونَ وَيَجولونَ، الرِّجالُ في دِماءِ أنْفُسِهِم يَرْقُصونَ؛
لَمَّا تَحَرَّروا مِنْ أيْديهِمْ صَفَّقوا، لَمَّا خَرَجوا مِنْ نَقْصِ أنْفُسِهِمْ رَقَصوا؛
داخِلَهُمْ مُطْرِبونَ يَقْرَعونَ الدُّفوف، بِحارُهُمْ المُضْطَرِبَةُ تَرمي الزَّبَد؛
أنْتَ لا تَرى تَصْفيقَ الأوراقِ بالكَفّ، تَجِبُ لِذاكَ أُذُنُ القَلْبِ لا أُذُنُ هذا البَدَن؛
سُدَّ أُذُنَ الرَّأْسِ عَنِ الهَزْلِ والكَذِب، لِكَيْ تَرى مُضيئاً بَلَدَ الحَبيب؛
تَجْذُبُ السِّرَّ في الحَديثِ أُذُنُ مُحَمَّدٍ، حَتَّى قالَ الحَقُّ في النَّبِيِّ هُوَ أُذُن؛
هذا النَّبِيُّ كُلُّهُ أُذُنٌ وَعَيْنٌ، مُرْضِعٌ بَشوشٌ لَنا وَنَحْنُ صَبِيّ؛
هذا الحَديثُ لا نِهايَةَ لَهُ فَعُدْ راجِعاً، إلى أَهْلِ الفِيْلِ وَعُدْ إلى البِدايَة؛

بَقِيَّةُ قِصَّةِ المُتَعَرِّضينَ لِوَلَدِ الفيل

الفيلُ يَشُمُّ كُلَّ فَمٍ، يَدورُ حَولَ مَعِدَةِ كُلِّ بَشَر؛
كَي يَجِدَ شُواءَ وَلَدِ نَفْسِه، لِيُظْهِرَ انتِقامَ وَقُوَّةَ نَفْسِه؛
أَكَلْتَ لُحُومَ عِبادِ الحَقّ، قُمْتَ بالغِيْبَةِ لَهُمْ فَنِلْتَ الجَزاء؛
مُطْلِقُ عَبيرِ أفواهِكُمُ الخالِق، ما وَجَدَ الرِّيْحَ غَيرَ مَنْ هُوَ صادِق؛
وَيْلٌ لِظَالِمِ يشْتَمُّ رائِحَتَهُ، داخِلَ القَبْرِ مُنْكَرٌ وَنكير؛
عَنْ ذَيْنِكَ العَظيمَيْنِ لا إخْفاءَ للفَم، ولا إمكانَ لِتَطْييبِ الفَمِ بِدواءِ الفَم؛
ولا غِطاءَ للوَجْهِ مِنَ الماءِ والزَّيْت، ولا طَريقَ للحِيْلَةِ مِنَ العَقْلِ والوَعْي؛
كَمْ ضَرَبَتْ مَقْمَعَتُهُمْ كُلَّ مِهْذارٍ، مِنْ ضَرَباتٍ على الرُّؤوسِ والأدبار؛
مِنْ مَقْمَعَةِ عِزرائيلَ انْظُرِ الأثَرْ، إنْ لَمْ تَرَ الخَشَبَ والحَديدَ في الصُّوَر؛
يَظْهَرُ بالصُّورَةِ مِنْ حينٍ لِحين، ويكونُ لِذاكَ المَريضِ بِهِ مِنْ ذاكَ إدراك؛
وبقولُ ذلِكَ المَريضُ يا أصحابي، ما هُوَ هذا السَّيْفُ مِنْ فَوْقِ رَأسي؛
ونقولُ إنَّنا لا نَراهُ هذا خَيال، أيُّ خَيالٍ هذا، هذا ارتِحال؛
أيُّ خَيالٍ هذا وهذا الفَلَكُ المَنكوس، صارَ خَيالاً الآنَ مِنْ خَوفِ هذا؛
المَقامِعُ والسُّيوفُ صارَتْ مَحْسوسَةً، عِنْدَ المَريضِ وَرَأسُهُ مَنْكوسَةً؛
إنَّهُ رأى أنَّ ذاكَ مِنْ أجْلِهِ هُوَ، وعَيْنُ العَدُوِّ عَنْ ذاكَ مُغْلَقَةٌ وَعَيْنُ الصَّديق؛
حِرْصُ الدُّنيا ذَهَبَ وصارَتْ عَينُهُ حادَّةً، صارَتْ عَيْنُهُ مُبصِرَةً وسالَتْ دَماً؛
صارَتْ عَيْنُهُ تِلْكَ طائراً بِلا وَقْتٍ، نتيجَةً لِكِبْرِهِ وَنَتيجَةً لِغَضَبِه؛
صارَ قَطْعُ الرَّأسِ لِذلِكَ الطَّائرِ واجِباً، لأنَّهُ قامَ بالعَزْفِ في غَيْرِ وَقْت؛
وكُلَّ لَحْظَةٍ نَزْعٌ لِجُزْءِ روحِه، تَأَمَّلْ في نَزْعِ روحِ إيمانِك؛
عُمْرُكَ مِثْلَ هَمْيانٍ مِنَ الذَّهَب، واعْتَبِرِ الأيَّامَ واللَّياليَ الدَّنانير؛

وأنتَ تَعُدُ وَتُعْطي الذَّهَبَ بلا وُقوف، إلى أنْ يصيرَ خالياً ويكونَ الخُسوف؛
لَوْ قُمْتَ بالأَخْذِ مِنْ جَبَلٍ وَلَمْ تُعَوِّضْ، تداعى الجَبَلُ مِنْ ذلِكَ العَطاءِ؛
إذَنْ ضَعْ في مَحَلِّ كُلِّ نَفَسٍ عِوَضاً، لِتَجِدَ مِنْ *وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ* غَرَضاً؛
لا تَسْعَ في إتمامِ الأعمالِ كثيراً، لا تَسْعَ إلّا بِعَمَلٍ يكونُ في الدِّيْن؛
عاقِبَتُكَ ذَهَبَتْ ومُرادُكَ غَيْرُ تَمام، وأعْمالُكَ بَتْراءُ وَخُبْزُكَ خام؛
وتِلْكَ العِمارَةُ للقَبْرِ واللَّحْد، لَيْسَتْ بالخَشَبِ والحِجارِ ولا باللَّبْد؛
بَلْ عَلَيْكَ أنْ تَعْمَلَ قَبْراً في الصَّفاء، تَدْفُنُ أنانَتَكَ في أنانَتِه؛
صِرْتَ تُرابَهُ وَمَدْفونَ غَمِّه، إلى أنْ وَجَدَ نَفَسُكَ الإمدادَ مِنْ نَفَسِه؛
البُيوتُ كالقُبورِ والقِبابُ والشُّرُفات، تِلْكَ جُمْلَةً لَمْ تَكُنْ بِذاتِ مَعنى؛
أُنْظُرِ الآنَ إلى حَيٍّ لابِسِ الأطْلَس، وليسَ هُناكَ مِنْ أطلَسٍ يُعينُ الإدراك؛
روحُهُ تِلْكَ في عَذابٍ مُنْكَرٍ، عَقْرَبُ الغَمّ في قَلْبِهِ المَغْموم؛
على ظاهِرِهِ مِنَ الخارِجِ نَقْشٌ وَرَسْمٌ، وفي فِكْرِهِ مِنَ الدَّاخِلِ عَجْزٌ بِعَجْز؛
وترى واحِداً في ذلِكَ الثَّوبِ الخَلَق، بِفِكْرٍ كأنَّهُ النَّباتُ وَحَديثٍ كأنَّهُ السُّكَّر؛

عَوْدَةٌ إلى حِكايَةِ الفيل

قالَ النَّاصِحُ اسْمَعوا نَصيحَتي هذِهِ، كي لا تَصيرَ قُلوبُكُمْ مُمْتَحَنَةً وأرواحُكُم؛
كونوا قانِعينَ بالنَّباتِ والأوراق، لا تَجْروا لِصَيْدِ وَلَدِ الفِيل؛
وَضَعْتُ عَنْ كاهِلي قَرْضَ النُّصْح، متى كانَتْ غَيْرَ سعادَةٍ خاتِمَةُ النُّصْح؛
أنا لِتَبليغِ الرِّسالَةِ أتيت، لِكَيْ أُحَرِّرَكُمْ مِنَ النَّدَم؛
حَذارِ أنْ يَقْطَعَ الطَّمَعُ طَريقَكُمْ، طَمَعُ الزَّادِ يَقْتَلِعُكُمْ مِنْ جُذورِكُم؛
قالَ هذا ورجا لَهُمُ الخَيْرَ وَمَضى،قُحْطُهُمْ في الطَّريقِ صارَ جَسيماً وجوعُهُم؛
فَجْأَةً رَأوا إلى جِهَةٍ جادَّةٍ، وَلَدَ فيلٍ سَميناً حَديثَ الوِلادَة؛

حَمَلوا عَلَيْهِ مِثْلَ الذِّئابِ السَّكْرى، أكَلوهُ كُلَّهُ وَغَسلوا الأيدي؛
واحِدٌ مِنَ الرِّفاقِ لَمْ يَأكُلْ وقامَ بالنُّصْح، فَقَدْ كانَ تَذَكَّرَ حديثَ ذلِكَ الفَقير؛
ذاكَ الحَديثُ مَنَعَهُ مِنْ أكْلِ الشُّواء، العَقْلُ القَديمُ يَهَبُكَ بَخْتاً جَديداً؛
ثُمَّ وَقَعَ أولئكَ جَميعاً نائمين، وَظَلَّ ذاكَ الجائعُ كالرَّاعي في القَطيع؛
رأى فيلاً مَهولاً مُقْبِلاً، جاءَ نَحْوَ الحارِسِ أوّلاً مُسْرِعاً؛
شَمَّ فَمَ ذاكَ الحارِسِ ثلاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ يَجِدْ مِنْهُ أيَّةَ رائحَةٍ تسوء؛
دارَ حَولَهُ بِضْعَ دَوراتٍ وَمَضى، ولَمْ يُؤذِهِ الفِيْلُ الضَّخْمُ الكَبيرُ ذاك؛
ثُمَّ راحَ يَشُمُّ شَفَةَ كُلِّ نائمٍ، وَتَجيءُ رائحَةٌ مِنْ ذلِكَ الرَّجُلِ النَّائمِ؛
إذْ كانَ أكَلَ مِنْ شواءِ وَلَدِ الفيل، فَقَتَلَهُ الفيلُ مُسْرِعاً وَمَزَّقَه؛
مَزَّقَ تِلْكَ الجَماعَةَ واحِداً واحِداً، في الحالِ ولمْ تكُنْ بِهِ شَكوىً مِنْ ذلِك؛
ألقى في الهَواءِ كُلَّ واحِدٍ جُزافاً، فإذا ما وَقَعَ على الأرْضِ تَمَزَّقَ إرْباً؛
أي شارِبَ دَمِ الخَلْقِ ارْجِعْ عَنْ هذا الطَّريق، كَي لا تَجْلِبَ لَكَ دِماؤهُمُ القِتال؛
اِعْلَمْ أنَّ مالَهُمْ دَمُهُمْ على اليقين، المالُ مِنَ القُدْرَةِ يأتي باليَمين؛
أُمُّ وَلَدِ الفيلِ تَحْمِلُ الحِقْدَ، تُجْري على آكِلِ وَلَدِ الفيلِ الجَزاء؛
أي آكِلَ القِطَعِ تَأكُلُ وَلَدَ الفيل، فَتَجْلُبَ لَكَ خُصومَةُ الفيلِ الدَّمار؛
الرَّائحَةُ فَضَحَتْ ذاكَ المُفَكِّرَ بالسُّوء، الفِيلُ عَرِفَ رائحَةَ طِفْلِ نَفْسِه؛
ذاكَ الَّذي وَجَدَ رائحَةَ الحَقّ مِنَ اليَمَن، كَيْفَ لا يَجِدُ رائِحَةَ الباطِلِ مِنِّي؛
المُصْطَفى وَجَدَ الرَّائِحَةَ مِنْ طَريقٍ ناءٍ، كَيْفَ لا يَجِدُ البَخَرَ مِنْ أفواهِنا نَحْن؛
لَقَدْ وَجَدَهُ أيْضاً ولكِنْ أخْفاهُ عَنَّا، ريحُ الخَيْرِ والشَّرّ تَصْعَدُ إلى السَّماء؛
أنتَ كُنْتَ تنامُ ورائِحَةُ ذاكَ الحَرام، كانَتْ تَصْعَدُ خَضْراءَ اللَّونِ إلى السَّماء؛
تَصْعَدُ مُرافِقَةً أنفاسَكَ القَبيحَةَ، تَذْهَبُ إلى واجِدي الأنفاسِ في الفَلَك؛
رِيْحُ الكِبْرِ وريحُ الحِرْصِ وريحُ الطَّمَع، تجيءُ مَعَ الحَديثِ كرائِحَةِ البَصَل؛

ولو أقْسَمْتَ أنَّكَ لَمْ تَأْكُلِ البَصَل، وأنَّكَ كُنْتَ في حِمْيَةٍ عَنِ الثُّومِ والبَصَل؛
ذلِكَ النَّفَسُ يَغْمِزُ في قَسَمِك، يَقَعُ على أَنْفِ الجالِسينَ مَعَك؛
كَمْ مِنْ دُعاءٍ رُدَّ مِنْ تِلْكَ الرَّائحَة، غِشُّ القَلْبِ ذاكَ يَظْهَرُ على اللِّسان؛
جاءَ الجوابُ لِذلِكَ الدُّعاءِ /*خْسَئوا*/، عَصا الرَّدِّ جاءتْ جَزاءَ كُلِّ ذي دَغَل؛
لَو كانَ حَديثُكَ أعوَجاً وكانَ مَعْناكَ صَحيحاً، عَوَجُ اللَّفْظِ ذاكَ مِنْكَ مَقْبولٌ لله؛

بَيانُ أنَّ خَطَأَ المُحِبّينَ أفْضَلُ مِنْ صَوابِ الغُرَباءِ عِنْدَ المَحبوب

بِلالُ الصِّدْقِ ذاكَ في نِداءِ الصَّلاة، يَلفِظُ **حَيَّ هَيَّ** مِنَ الاِضْطِرار؛
حَتَّى قالوا أيْ رَسولُ لَيْسَ بِصَحيحٍ، أنْ يكونَ هذا الخَطَأُ الآنَ في أوَّلِ البِناء؛
أيْ نَبِيَّ الخالِقِ وَأَيْ رَسولَهُ، آتِنا بِمُؤَذِّنٍ يكونُ أفْصَح؛
فَمِنَ العَيْبِ في أوَّلِ الدِّيْنِ والصَّلاحْ   لَحْنُ لَفْظٍ في حَيَّ على الفَلاحْ
جاشَ غَضَبُ النَّبِيِّ حَتَّى قالَ، رَمْزاً وَرَمْزَيْن مِنَ العِناياتِ الخافِيَةِ؛
أيْ أخِسَّاءُ عِنْدَ اللهِ **هَيَّ** بِلال، أفْضَلُ مِنْ مِئَةِ *حَيَّ وَخَيَّ وَقيْلَ وَقال*؛
لا تُثيروا الاِضْطِرابَ فَأقولَ خَفاياكُم، وأَجْعَلَ ظاهِراً مَبْدَأَكُمْ وَمُنْتَهاكُم؛
إنْ كُنْتَ لا تَمْلِكُ النَّفَسَ الجَميلَ في الدُّعاء،فاطْلُبِ الدُّعاءَ مِنْ إخوانِ الصَّفاء؛

أمْرُ الحقّ تعالى لِموسى عليهِ السّلام أنْ
ادْعُني بِفَمٍ لَمْ تَكُنْ قَدْ عَمِلْتَ بِهِ ذَنْباً

قالَ أي موسى اُطْلُبْ مِنّي الحِفْظَ، مِنْ فَمٍ لَمْ تَكُنْ قَدْ عَمِلْتَ بِهِ ذَنْباً؛
قالَ موسى لا أملِكُ ذلِكَ الفَم، قالَ فادْعُنا عِنْ لِسانِ الغَيْر؛
بِلِسانِ الغَيْرِ لَمْ تَكُنْ أذْنَبْت، بِلِسانِ الغَيْرِ اُدْعُ قُلْ أيْ الله؛
كُنْ فاعِلاً هكذا واجْعَلِ الأفواهَ، تَدْعو لَكَ في اللَّيلِ وفي النَّهار؛

مِنْ فَمٍ لَمْ تَكُنْ أَذْنَبْتَ ذَنْباً بِهِ، وذاكَ لِسانُ الغَيْرِ فاعْتَذِرْ بِه؛
أو فاجْعَلْ لِسانَ نَفْسِكَ طاهِراً، واجْعَلْ رُوحَكَ سَريعاً ماهِراً؛
ذِكْرُ الحَقِّ طاهِرٌ إذا جاءَ الطَّاهِرُ، يَحْمِلُ النَّجِسُ مَتاعَهُ ويَخْرُجُ خارِجاً؛
تَهْرَبُ الأَضْدادُ مِنْ أَضْدادِها، يَهْرَبُ اللَيْلُ إذا شَعَّ الضِّياء؛
إنْ أتى اِسْمٌ شَريفٌ على فَم ، لا يَبْقى فِيْهِ دَنَسٌ ولا غَم؛

بيانُ أنَّ قَوْلَ المُضْطَرِّ *اللهَ* عَيْنُ قَوْلِ الحَقِّ *لَبَّيْكَ*

ذاكَ واحِدٌ كانَ يقولُ اللهَ لَيْلَةً، حَتَى صارَتْ شَفَتُهُ عَذْبَةً مِنْ ذِكْرِه؛
قالَ الشَّيطانُ أخيراً أيُّها الثَّرْثار، كُلَّ هذا تَقُولُ اللهَ أيْنَ لَبَّيْك؛
لا جَوابَ يُقْبِلُ مِنَ العَرْشِ إِلَيك، فكَمْ تَقولُ يا قاسيَ الوَجْه يا الله؛
صارَ مَكسورَ القَلْبِ وَوَضَعَ الرَّأسَ، رأى في النَّومِ الخِضْرَ في خُضَر؛
قالَ لَهُ كَيْفَ تَوَقَّفْتَ عَنِ الذِّكْر، كَيْفَ نَدِمْتَ على ذلِكَ الَّذي كُنْتَ تَدْعو؛
قالَ لم يَكُن يَجيئُني جَوابُ *لَبَّيْكُمْ*، فخِفْتُ أنْ يَكونَ ليَ مِنْ ذاكَ رَدُّ باب؛
قالَ إنَّ ***اللهَ*** مِنْكَ هِيَ ***لَبَّيْكَ*** مِنَّا، فاقَتُكَ وَحُرْقَتُكَ وَأَلَمُكَ رَسولُكَ مِنَّا؛
حِيَلُكَ وَالبَحْثُ عَنِ الوَسائلِ مِنْكَ، كانَ مِنْ جَذْبِنا وَفَكُّ قَدَمِكَ هذِه؛
رَهَبُكَ وَعِشْقُكَ شِباكُ لُطْفِنا، تَحْتَ كُلِّ *يا رَبِّ* مِنْكَ الكَثيرُ مِنْ *لَبَّيْك*؛
رُوحُ الجاهِلِ مِنْ هذا الدُّعاءِ ما لها غَيْرَ بُعْدٍ، إذْ ما لها لِقَولِ يا رَبِّ دَسْتور؛
على فَمِهِ قِفْلٌ وعلى القَلْبِ قَيْدٌ، لِكَيْ لا يَشْكُوَ إلى اللهِ وَقْتَ الشِّدَّة؛
أعْطى لِفِرْعَونَ مِئةَ مُلْكٍ ومال، حتَّى ادَّعى دَعْوى العِزِّ والجلال؛
وَلَمْ يَشْكُ في عُمْرِهِ كُلِّهِ صُداعاً، كَيْ لا يَشْكُوَ إلى الحَقِّ ذاكَ السَّيِّئُ الجَوْهَر؛
أعطاهُ الحَقُّ جُمْلَةَ مُلْكِ هذِهِ الدُّنيا، وَلَمْ يُعْطِهِ الأَلَمَ والوَجَعَ والأحزان؛
جاءَ الأَلَمُ أفْضَلَ مِنْ مُلْكِ الدُّنيا، ذاكَ لِتَقومَ بِدُعاءِ اللهِ في الخَفاء؛

الدُّعاءُ بلا أَلَمٍ مِنْ غَبْنٍ، الدُّعاءُ مَعَ الأَلَمِ مِنَ القَلْب؛
مَدُّ الصَّوتِ تَحْتَ الشِّفاهِ، تَذْكيرٌ بالمَبْدَأِ والإبتِداء؛
ذاكَ لَهُ صَوْتٌ صافٍ حَزين، أي اللهُ وأيْ مُستَغاثُ وأيْ مُعين؛
أنينُ الكَلْبِ في الطَّريقِ لَيْسَ بلا جَذْبٍ، لِأَنَّ كُلَّ راغِبٍ أسيرٌ لِمانِع؛
مِثْلَ كَلْبِ الكَهْفِ الَّذي تَرَكَ الجِيَفَ، جَلَسَ في صَدْرِ مائدَةِ مَلِكَ المُلوك؛
يَشْرَبُ إلى القيامَةِ بلا تَغار، ماءَ رَحْمَةِ العِرْفانِ أمامَ الغار؛
كَمْ مَنْ هُوَ في جِلْدِ كَلْبٍ لا اِسْمَ لَهُ، لكِنَّهُ لَيْسَ مَحْرومَ تِلْكَ الجامِ في الحِجابِ؛
أيْ وَلَدُ ادْفَعْ الرُّوحَ لِتِلْكَ الجامِ، بلا جِهادٍ وَصَبْرٍ متى يكونُ الظَّفَر؛
مِنْ أجْلِ هذا، الصَّبْرُ ما فيهِ حَرَجْ   اِصْبِرْ فَإنَّ الصَّبْرَ مِفتاحُ الفَرَجْ
ما خَرَجَ مِنْ هذا الكَمينِ بلا صَبْرٍ وَحَزْم، شَخْصٌ والصَّبْرُ يَدٌ وَقَدَمٌ للحَزْم؛
كُنْ حازِماً في الأكْلِ ذا نَباتٌ سُمِيٌّ، الحَزْمُ قُوَّةُ ونورُ الأنبياء؛
يكونُ قَشَّةً مِنْ يَقْفِزُ مَعَ كُلِّ ريح، متى أعْطى الجَبَلُ الوَزْنَ للرِّيح؛
مِنْ كُلِّ طَرَفٍ هُناكَ غُولٌ يُناديك، أنْ أخي تَسْأَلُ الطَّريقَ هَيَّا تَعال؛
أُظْهِرُ لَكَ الطَّريقَ وأكونُ مَعَكَ الرَّفيق، أنا هُوَ الدَّليلُ في هذا الطَّريقِ الدَّقيق؛
ولَيْسَ هُوَ بِدَليلٍ ولا بِعارِفِ سَبيل، يُوسُفا أقِلَّ الذَّهابَ لِمَنْ لَهُ طَبْعُ ذِئب؛
الحَزْمُ هُوَ أنْ لا تكونَ مَخْدوعَاً، لِدَسَمِ وَشَهْدِ وفِخاخِ هذِهِ الدَّار؛
هُوَ لا يَمْلِكُ دسَمَاً ولا عَسَلاً، فراحَ يُدَمْدِمُ بالسِّحْرِ في أُذُنِه؛
أنْ تَعالَ ضَيْفَنا أيُّها النُّورُ، البَيْتُ بَيْتُكَ وأنتَ مِنَّا؛
الحَزْمُ يكونُ في أنْ تَقولَ أنا مُتْخَمٌ، أو أنا سَقيمٌ مُتْعَبٌ بِهذا السِّرداب؛
أو عِنْدي صُداعٌ عالِجْ صُداعي، أو كُنْتُ مَدْعُوَّاً لابْنِ خالِي ذاك؛
ذاكَ يُعْطيكَ جُرْعَةَ عَسَلٍ مَعَ الإبَر، شُرْبُها يَزْرَعُ فيكَ الجِراح؛
لو أعطاكَ خَمْسينَ وَسِتِّينَ ذَهَبِيَّةً، أي سَمَكُ هُوَ يُعْطيكَ اللَّحْمَ في صَنَّارَةٍ؛

مَتى أعطى إذا أعطى ذُو الحِيَل، جَوْزُهُ مَتَعَفِّنٌ وأقوالُهُ دَغَل؛
زَغْزَغَةُ ذاكَ سَلَبَتْ عَقْلَكَ وَلُبَّك، مِئَةَ ألفِ عَقْلٍ لا تَعْدِلُ واحِداً؛
صَديقُكَ في صَنْدوقِكَ وكِيْسِك، ولو كُنْتَ *رامين* لا تَطْلُبْ غَيْرَ *وَيْسِك*؛
وَيْسُكَ وَمَعْشوقُكَ هُما ذاتُك، الخارِجُونَ عَنْكَ كُلُّهُم آفاتُك؛
الحَزْمُ حينَ يَدْعونَكَ أنْ لا تَقولَ، أنَّهُمْ سكارى بي وأنَّهُمْ طالِبون لي؛
دَعْوَتَهُمْ اعْلَمْها صَفيرَ طائرٍ، يَصْفِرُهُ صَيَّادٌ مُخْتَفٍ في مَكْمَنٍ؛
واضِعاً طائراً مَيّتاً أمامَهُ أنْ هذا، مُرْسِلُ هذا النِّداءِ والغِناءِ والحَنين؛
الطَّائرُ تَوَهَّمَ أنَّ هذا مِنْ جِنْسِهِ، فجاءَ مُلْتَحِقاً بِسالِخي جِلْدِه؛
إلَّا أنْ يكونَ طائراً أعطاهُ حَزْماً الحَقّ، فلا يكونَ مَخدوعَ ذاكَ الحَبِّ والمَلَق؛
عَدَمُ الحَزْمِ يَقيناً حَسْرَة ، اِسْتَمِعْ في الشَّرْحِ هذي القِصَّة؛

خِداعُ القُرَويّ للمَدَنِيّ ودعوَتُهُ لَهُ بِضراعَةٍ وإلحاحٍ شَديدَين

أي أخي كانَ هُناكَ في ما مضى، قُرويٌّ وَمَدَنِيٌّ بَيْنَهُما مَعْرِفَة؛
حينَ كانَ القُرَوِيُّ يَأتي إلى المَدينَة، كانَ يحِطُّ الرِّحالَ في حِمى ذلِكَ المَدنِيّ؛
شَهْرَيْنِ وَثَلاثَةَ شُهُورٍ كانَ ضَيْفاً عَلَيْه، ضَيْفاً على دُكَّانِهِ وَضَيْفاً على خُوانِه؛
كُلَّ حَوائجِ القُرَوِيّ ذاكَ الزَّمان، قضاها المَدَنِيُّ على التَّمامِ بالمَجَّان؛
وَجَّهَ الوَجْهَ للمَدَنِيّ وقالَ أيْ سَيِّد، أَلَنْ تجيءَ لِلقَرْيَةِ طَلَباً للفُرْجَةِ أبَداً؛
اللهَ اللهَ اجْلِبْ مَعَكَ جُمْلَةَ الأولاد، فهذا زمانُ رياضِ الوَرْدِ والرَّبيعِ الجَديد؛
أو أَقْبِلْ إلَيْنا في الصَّيْفِ وَقْتَ الثَّمَر، حَتَّى أعْقِدَ لِخِدْمَتِكَ على الخَصْرِ الكَمَر؛
اِجْلِبْ أَهْلَكَ وَأولادَكَ وَقَوْمَكَ جَميعاً، كُنْ في قَرْيَتِنا ثلاثَةَ شُهُوْرٍ وأرْبَعة؛
خِطَّةُ القَرْيَةِ جَميلَةٌ شُهُورَ الرَّبيع، المَزارِعُ والمُروجُ تَسْبي القُلوب؛
أعطاهُ المَدَنِيُّ الوَعْدَ دَفْعَاً للحال، حتى انقَضتْ على الوَعْدِ ثمانِيَةُ أَعْوام؛

وفي كُلِّ سَنَةٍ كانَ يقولُ لَهُ مَتى، سَوفَ تَعْزِمُ على المَجيءِ فالشِّتاءُ أتى؛
وكانَ المَدَنِيُّ يَتِعَلَّلُ أنْ هذا العامَ، سَوْفَ يأتينا ضَيْفٌ مِنْ فُلانِ مكان؛
وفي العامِ القادِمِ إذا ما اسْتَطَعْنا، الخلاصَ مِنَ المُهِمَّاتِ نُسْرِعُ ذاكَ الطَّرَف؛
قالَ عِيالي كُلُّهُمْ مُنْتَظِر، لأجْلِ أولادِكَ أيْ أهْلَ البِرّ؛
وفي كُلِّ سَنَةٍ كطائرِ اللَّقْلَقِ، يعودُ لِيُقيمَ في قُبَّةِ المَدَنِيّ؛
والسَّيِّدُ كُلَّ سَنَةٍ مِنْ ذَهَبِهِ وَمالِه، يُنْفِقُ عَلَيْهِ وَيَفْتَحُ لَهُ الجَناح؛
آخِرَ نَوبَةٍ ثلاثَةَ شُهُورٍ ذلِكَ الشَّهْمُ، يَمُدُّ لَهُ الموائدَ في الصَّباحِ وفي المَساء؛
مِنَ الخَجَلِ عادَ وقالَ للسَّيِّدِ، كم وَعَدْتَني وكم مَطَلْتَ بِوَعْدي؛
قالَ السَّيِّدُ جِسْمي وروحي طالِبا وَصْل، لكِنْ في حُكْمِهِ التَّحْويلُ والفَصْل؛
الآدَمِيُّ مِثْلَ السَّفينَةِ والشِّراع، متى تَحَكَّمَ بالرِّيْحِ ذاكَ الشِّراع؛
وعادَ يَحْلِفُ عَلَيْهِ الأيمانَ أي كريم، أقْبِلْ مَعَ الأولادَ وانْظُرِ النَّعيم؛
وَأمْسَكَ يَدَهُ ثلاثَ مَرَّاتٍ للعَهْد، اللهَ اللهَ أنْ تَجيْءَ ابْذِلِ الجَهْد؛
بَعْدَ عَشْرِ سِنينَ وكُلَّ سَنَةٍ هكذا، مِنَ الدَّعَواتِ والوعودِ العَذْبَةِ كالسُّكَّر؛
أطفالُ السَّيِّدِ قالوا لَهُ أي أبَه، القَمَرُ والغيومُ والظِّلالُ تُسافِرُ أيْضاً؛
لَقَدْ جَعَلْتَ الحُقوقَ عَلَيْهِ ثابِتَةً، كم مَشَقَّةً تَحَمَّلْتَ في شُغْلِهِ وعانَيْت؛
هُوَ يُريدُ الوَفاءَ بِبَعْضِ حَقٍّ، مِنْ حُقوقِكَ عِنْدما تَحِلُّ ضَيْفاً عَلَيْه؛
كَمْ مِنْ وَصايا أوصانا خِفْيَةً، أنْ ألِحُّوا عَلَيْهِ بالمَجيءِ لِلقَرْيَة؛
قالَ ذا حَقٌّ ولكِنْ أيْ سَيْبَويه، *اِتَّقِ مِنْ شَرِّ مَنْ أحْسَنْتَ إلَيْه*؛
الصَّداقَةُ بَيْضَةٌ وآخِراً تَصيرُ دَماً، خَوفي مِنَ الوَحْشَةِ أنْ تَصيرَ تِلْكَ فاسِدَةً؛
الصُّحْبَةُ إمَّا صُحْبَةٌ كالسَّيْفِ القَطوع، مِثْلَ كانونَ في البُستانِ وعلى الزُّروع؛
أو صُحْبَةٌ كَفَصْلِ الرَّبيعِ الجَديد، مِنها عَماراتٌ وَنَفْعٌ بِلا حُدود؛
الحَزْمُ يكونُ بِأنْ تَحْمِلَ سُوءَ الظَّنّ، كي تَفِرَّ وكي تَنْجُوَ مِنَ الشَّرّ؛

الحَزْمُ سُوءُ الظَّنِّ قالَ الرَّسول، اِعْتَبِرْ كُلَّ قَدَمٍ فَخّاً أي فُضولِيّ؛
وَجْهُ الصَّحْراءِ ناعِمٌ وَوَسيع، لا تَسِرْ مُتجاسِراً ففي كُلِّ قَدَمٍ فَخٌّ؛
التَّيْسُ الجَبَلِيُّ جَرى مُسْرِعاً أَيْنَ الشِّباك، حينَ انْدَفَعَ أَخَذَتْ بِهِ الشِّباكُ بالعُنُق؛
ما كُنْتَ تَسْأَلُ أَيْنَ هُوَ دُونَكَ انْظُرْ، كُنْتَ ترى الصَّحْراءَ لَمْ تَكُنْ ترى الكَمين؛
بلا كَمينٍ وَفَخٍّ وَصَيَّادٍ أيُّها العَيَّار، متى كانَتِ الإِلْيَةُ وَسَط المَزْرَعَة؛
أولئكَ الَّذينَ أَتَوا مُتَهَوِّرِين لِلأرْض، انظُرْ عِظامَهُمْ وانْظُرْ جماجِمَهُم؛
حينَ تَروحُ لِلْمَقْبَرَةِ أي مُرْتَضى، اِسْأَلْ عِظامَهُمْ عَمَّا مَضى؛
لِتَرى ظاهِراً السَّكارى العُمْيَ في القُبور، كيفَ سَريعاً هَوَوا في بِئْرِ الغُرور؛
إذا كُنْتَ ذا عَيْنٍ فلا تَجِئْ أَعْمى، وإنْ كُنْتَ غَيْرَ ذي عَيْنٍ اِحْمِلْ العَصا باليَد؛
تِلْكَ العَصا عصا الحَزْمِ والاِسْتِدلال، ما دُمْتَ لا تَمْلِكُ النَّظَرَ اجْعَلْها الدَّليل؛
إنْ كُنْتَ بِلا عَصا الحَزْمِ والاِسْتِدلال، بلا حامِلِ عَصاً لا تَقِفْ بِرَأْسِ طَريق؛
انقلِ القَدَمَ مثلَما ينقُلُ الأعْمى القَدَمَ، كَيْ تُخَلِّصَ القَدَمَ مِنَ الجُبِّ وَمِنَ الكَلْب؛
إنَّهُ يَرْتَجِفُ ارْتِجافاً وَبِخَوْفٍ واحْتياط، يَضَعُ القَدَمَ حَتَّى لا يَقَعَ في الخُباط؛
أي مَنْ فَرَّ مِنَ الدُّخانِ فَوَقَعَ في النَّار،كانَ يَبْحَثُ عَنْ لُقْمَةٍ فصارَ للحَيَّةِ لُقْمَةً؛

قِصَّةُ أهْلِ سَبأ وطُغْيانُهِم مِنَ النِّعْمَة

أَنْتَ لَمْ تَقْرَأْ قِصَّةَ أَهْلِ سَبَأ، أو قَرَأْتَ وَلَمْ تَرَ غَيْرَ الصَّدى؛
ذَاكَ الجَبَلُ غَيْرُ ذي إدراكٍ للصَّدى، وَعْيُ الجَبَلِ جِهَةَ المَعْنى لا طَريقَ لَهُ؛
إنَّهُ أَصْدَرَ الصَّوْتَ دُونَ سَمْعٍ وَوَعْيٍ، وَلَمَّا سَكَتَّ أنتَ سَكَتَ هُوَ أَيضاً؛
الحَقُّ أعطى لِأَهْلَ سَبَأٍ كَثيرَ نَعيمٍ، مِئاتِ الألوفِ مِنْ قَصْرٍ وَرَوْضٍ وإيوان؛
فَلَمْ يُؤَدِّ أولئكَ السَّيِّئونَ شُكْرَ ذاكَ، وكانوا في الوَفاءِ أَقَلَّ مِنَ الكِلاب؛
إذا وَصَلَتِ الكَلْبَ لُقْمَةٌ مِنَ الخُبْزِ مِنْ بابٍ، تَحَزَّمَ للخِدْمَةِ على ذلِكَ الباب؛

يصيرُ على البابِ حارِساً وَمُراقِباً، بِرَغمِ ما يَجْري عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةٍ وَجَوْرٍ؛
ويكُونُ لَهُ على ذلِكَ البابِ مقامٌ وقرار، ولا يكونُ لَهُ بَعْدَ ذاكَ للغَيْرِ اختيار؛
لَو جاءَ كَلْبٌ غَريبٌ بِلَيْلٍ أو نَهار، تَقومُ تِلْكَ الكِلابُ بِتَلْقينِهِ الأدَب في الحال؛
أنْ اذْهَبْ هُناكَ حَيْثُ أوَّلُ مَنْزِلٍ، فإنَّ رَهْنَ القَلْبِ حَقُّ تِلْكَ النِّعْمَة؛
وتَعَضُّهُ أنِ اذْهَبْ إلى مَحَلِّ نَفْسِك، لا تَكُنْ كافِراً أكْثَرَ بِحَقِّ تِلْكَ النِّعْمَة؛
ماءَ الحَياةِ مِنْ بابِ القَلْب وَأَهْلِ القَلْبِ، كَمْ شَرِبْتَ وَصارَتْ عَيناكَ مَفْتوحَتَيْن؛
وَكَمْ مِنْ غِذاءِ سُكْرٍ وَوَجْدٍ وَحال، قَدْ تناوَلْتَ بالرُّوحِ مِنْ بابِ أهْلِ القُلوب؛
ثُمَّ تَرَكْتَ هذا البابَ مِنَ الحِرْص، تَدُورُ دائراً كالدُّبِّ حَوْلَ كُلِّ دُكَّان؛
على بابِ أولئكَ المُنَعَّمينَ دَسِمي القُدور، تجري لِأَجْلِ الثَّريدِ زَهيدِ القيمَة؛
اِعْرِفِ الدَّسَمَ هُنا حَيْثُ تَسْمَنُ الرُّوح ، العَمَلُ اليائسُ هاهُنا يصيرُ صَحيحاً؛

تَجَمُّعُ أهْلِ الآفاتِ كُلَّ صباحٍ على بابِ صَوْمَعَةَ عيسى عليهِ السَّلام لِجِهَةِ طَلَبِ الشِّفاءِ بِدُعائه

صَوْمَعَةُ عيسى خُوانُ أهْلِ القَلْب، حذارَيكَ أي مُبتلى لا تَتْرُكْ هذا الباب؛
لَقَدْ تَجَمَّعَ الخَلْقُ مِنْ كُلِّ الأطراف، مِنَ ضَريرٍ وأعْرَجٍ وَمَشلولٍ ومِسكين؛
على بابِ صَومَعَةِ عيسى الصَّباح، لِيُحَرِّرَهُمْ بِأنْفاسِهِ مِنَ الجُناح؛
عِنْدَما صارَ فارِغاً مِنْ أورادِ نَفْسِه، خَرَجَ وَقْتَ الغَداةِ ذلِكَ الحَسَنُ المَذْهَب؛
رأى جَمْعاً مُجْتَمِعاً مِنْ كُلِّ مُبْتَلىً عاجِزٍ، جالِسينَ على البابِ بِأمَلٍ وانتِظار؛
قالَ أي أصْحابَ الآفاتِ حاجاتُكُمْ، جُمْلَةً مِنَ اللهِ قُضِيَتْ؛
هيَّا سيروا بلا عَناءٍ ولا آلام، إلى جِهَةِ غُفْرانِ اللهِ والإكْرام؛
كانوا جَميعاً كَجِمالٍ مَعْقولَةٍ أقْدامُها، وفُكَّتْ للمَسيرِ في الطَّريقِ رُكَبُها؛
فَمَضَت جَميلَةً وَسَعيدَةً نَحْوَ الخان، تَسيرُ مِنْ دُعائهِ جَرْياً على الأقدام؛

وأنتَ جَرَّبْتَ الكَثيرَ مِنَ الآفات، وَوَجَدْتَ الصِّحَّةَ مِنْ مُلوكِ المَذْهَبِ أولاءِ؛
وَكَمْ صارَ عَرَجُكَ ذاكَ سَيْراً حَسَناً، وكم صارَتْ روحُكَ بلا غَمٍّ ولا أذى؛
أيْ مُغَفَّلُ ارْبِطِ القَدَمَ بِالحَبْلِ، كَيْ لا تَفْقِدَ النَّفْسَ أيضاً أيُّها اللّاهي؛
الجُحودُ مِنْكَ وَالنِّسيانُ، أنْسياكَ شُرْبَ العَسَلَ؛
لا جَرَمَ أُغْلِقَ ذاكَ الطَريقَ لَك، بِما أنَّ قَلْبَ أهْلِ القَلْبِ تَعِبَ مِنْك؛
أسْرِعْ إلَيْهِمْ وَقُمْ بالإسْتِغْفار، وقُمْ بالبُكاءِ كالغَيْمِ في عَجْز؛
حَتَّى يَتَفَتَّحُ رَوْضُهُم لَكَ، ويُلْقي بالثِّمارِ النَّاضِجَةِ عَلَيْك؛
طُفْ بِذاكَ البابِ لا تَكُنْ أقَلَّ مِنْ كَلْب، لَو كُنْتَ مَعَ كَلْبِ الكَهْفِ كُنْ لَهْ تَبَعاً؛
إذِ الكِلابُ لِلكِلابِ أيضاً ناصِحَةٌ، أنِ اربِطِ القَلْبَ بِأَوَّلِ بَيْت؛
البابُ الأوَّلُ الَّذي أكَلْتَ فيهِ العَظْم، لا تَتَوَقَّفْ عَنْ أداءِ حَقِّه، تَمَسَّكْ بِهِ بِحَزْم؛
تَعَضُّهُ أنْ اذْهَبْ هُناكَ مِنَ الأدَب، فإنَّ المُفْلِحَ مِنَ المَقامِ الأوَّلِ يُفْلِح؛
تَعَضُّهُ أنْ اذْهَبْ هُناكَ أيُّها الكَلْبُ الطَّاغي، لا تَكُنْ مُتَمَرِّداً على وَلِيِّ نِعْمَتِكَ؛
اِبْقَ على البابِ عَيْنِهِ كُنْ كحَلْقَةِ الباب، وكُنْ حارِساً وَحازِماً وَظاهِراً؛
لا تَكُنْ في صُورَةِ النَّقْضِ لِوفائنا، لا تَجْعَلْ عَدَمَ الوَفاءِ فاشِياً عَبَثاً؛
بِما أنَّ الوَفاءَ للكِلابِ شِعار، اِمْضِ ولا تَجْلِبْ لِلْكِلابِ الفَضِيْحَةَ والعار؛
ما دامَ الغَدْرُ للكِلابِ عاراً، كَيْفَ تَستَطيعُ لِلْغَدْرِ إظْهاراً؛
افْتَخَرَ الحَقُّ تعالى بالوفا قالَ مَنْ أوفى بِعَهْدٍ غَيْرَنا
اِعْرِفِ الوَفاءَ للغادِرينَ غَدراً، على حُقوقِ الحَقِّ ما لأحَدٍ سَبْق؛
بَعْدَها حَقُّ الأُمِّ فالكَريم، جَعَلَ مِنْها لِجَنينِكَ الغَريم؛
صَوَّرَكَ صُورَةً داخِلَ جِسْمِها، أعطاها السَّلامَ والسَّكينَةَ في حَمْلِها؛
هيَ رَأتْكَ بِها جِسْماً مُتَّصِلاً، تَدْبيرُهُ جَعَلَ المُتَّصِلَ مُنْفَصِلاً؛
الحَقُّ أعَدَّ آلافَ الصَّنائعِ والفُنون، لِكَي تُلْقِيَ عَلَيْكَ الأُمُّ بالمَحَبَّة؛

حَقُّ الحَقِّ كانَ سابِقاً على حَقِّ الأُمِّ، كُلُّ مَنْ لا يَعْرِفُ ذلِكَ الحَقَّ هُوَ حِمار؛
ذلِكَ الَّذي خَلَقَ للأُمِّ ضَرْعاً وَلَبَناً، وَجَعَلَها للأبِ قَريناً لا تَعْدِلْ بِه؛
أي اَللّهُ أيْ مَنْ إحسانُكَ قَديم، مِنْكَ ذاكَ الَّذي عَلِمْتُ ومِنْكَ ما لَمْ أعْلَمْ؛
أنتَ الَّذي أمَرْتَ أنِ اذْكُروني، ذاكَ لِأنَّ حَقِّي لا يصيرُ قديماً؛
اُذْكُرْ لُطْفي الَّذي عَمِلْتُ ذاكَ الصَّبوح، مَعَكَ مِنَ الحِفْظِ في سَفينَةِ نوح؛
كِيْسَ متاعِ آبائِكُم ذلِكَ الزَّمان، وَهَبْتُ مِنَ الطُّوفانِ وَمِنْ مَوْجِهِ الأمان؛
ماءٌ بِطَبْعِ النَّارِ على الأرْضِ اشْتَمَلْ، خَطَفَ المَوْجُ مِنْهُ أوْجَ الجَبَلْ
حَفِظْتُكُمْ وَلَمْ أقُمْ بِرَدِّكُم، في وُجُودِ جَدِّ جَدِّ جَدِّكُم
كَيْفَ أضْرِبُ ظَهْرَ قَدَمِكَ وَقَدْ صِرْتَ رأساً، كَيْفَ أجْعَلُ ضائعاً مَصْنَعَ نَفْسي؛
حينَ تَصيرُ الفِداءَ لِمَنْ هُمْ بلا وَفاء، ذهابُكَ تِلْكَ الجِهَةَ مِنْ ظَنِّ السُّوءِ جاء؛
أنا مِنْ السَّهْوِ والغَدْرِ بَريء، أقْبِلْ إلَيَّ واقْطَعْ ظَنَّ السُّوء؛
احْمِلْ ظَنَّ السُّوءِ ذاكَ إلى هُناكَ، وأنتَ ذاهِبٌ إلى أمامِ مُنْحَنٍ مِثْلَك؛
كَمْ حَصَلْتَ على صَديقٍ وَرَفيقٍ سوء، ولو سألْتُكَ أيْنَ هُمْ لَقُلْتَ ذَهَبوا؛
رَفيقُكَ الحَسَنُ ذَهَبَ إلى الفَلَكِ الأعْلى، رَفيقُكَ الفاسِقُ ذَهَبَ إلى قَعْرِ الأرْض؛
وَأَنْتَ بَقيتَ في الوَسَطِ بَيْنَهُما هكذا، بلا مَدَدٍ كَمِثْلِ نارٍ مِنْ قافِلَة؛
تَمَسَّكْ بِثَوبِهِ أيُّها الصَّديقُ الشُّجاعُ، فَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنِ الفَوْقِ والتَّحْت؛
لَيْسَ كَعيسى يصيرُ نَحْوَ الفَلَك، ولا كقارونَ يَذْهَبُ في قَعْرِ الأرْض؛
يكونُ مَعَكَ في المَكانِ واللَّامكان، حينَ تَنْفَصِلُ عَنِ البَيْتِ وَعَنِ الدُّكَّان؛
يَأخُذُ مِنَ الكُدوراتِ مِنْكَ صَفاءً، يَأخُذُ مِنَ الجَفاءِ مِنْكَ وفاءً؛
إذا جِئتَ بالجَفاءِ أرْسَلَ لَكَ التَّأديب، لِتَذْهَبَ مِنَ النُّقْصانِ نَحْوَ الكَمال؛
إذا تَرَكْتَ وِرْداً في السُّلوك، يَجيئُكَ قَبْضٌ مِنْ ألَمٍ وَحُمَّى؛
ذلِكَ التَّأديبُ كانَ مَعْناهُ لا تَقُمْ، بِأيِّ تَحْويلٍ عَنْ ذلِكَ العَهْدِ القَديم؛

مِنْ قَبْلِ أنْ يَصيرَ هذا القَبْضُ زَنْجيراً، وهذا الَّذي أمْسَكَ بالقَلْبِ يُمْسِكُ بالقَدَم؛
ألَمُكَ المَعْقولُ يَصيرُ مَحْسوساً وفاشِياً، حتى لا تَأخُذَ هَذِهِ الإشارَةَ باهْتِمام؛
القَبْضُ في المَعاصي صارَ غِلَّ قَلْب، القَبْضُ بَعْدَ الأجَلِ صارَ زَنْجيراً؛
نُعْطِ مَنْ أعْرَضْ هُنا عَنْ ذِكْرِنا عِيْشَةً ضَنْكاً وَنَجْزي بالعَمى
السَّارِقُ وَهُوَ يَأخُذُ مالَ الآخَرين، يَخِزُ قَلْبَهُ القَبْضُ وَضِيْقُ القَلْب؛
يَظَلُّ يقولُ عَجَباً ما هذا القَبْض، هُوَ قَبْضُ ذاكَ المَظْلومِ الَّذي بكى مِنْ شَرِّك؛
حينَ أقَلَّ الإلْتِفاتَ لِهذا القَبْض، نَفَخَتْ على نارِهِ ريحُ الإصْرار؛
قَبْضُ القَلْبِ قَبْضٌ عُوانٌ لا جَرَم، صارَتْ مَحْسوسَةً تِلْكَ المَعاني لِلْعَلَم؛
صارَتْ غُصَصَ سِجْنٍ وعذابَ صَلبٍ، والغُصَّةُ جَذْرٌ والجَذْرُ يُنمي الفُروع؛
الجَذْرُ كانَ مَخْفِيَّاً وصارَ ظاهِراً، اعْتَبِرْ القَبْضَ والبَسْطَ في الدَّاخِلِ جُذوراً؛
إذا كانَ جَذْرَ سُوءٍ اقْتَلِعْهُ سَريعاً، كَيْ لا يَنْمُوَ في الرَّوْضِ شَوْكٌ قَبيحٌ؛
إذا رَأَيْتَ قَبْضاً فَقُمْ بِعِلاجِ ذلِكَ القَبْض، فَإنَّ الرُّؤوسَ جُمْلَةً تَنْمو مِنَ الجُذور؛
وإذا رَأَيْتَ بَسْطاً فاسْقِ ذاكَ البَسْطَ الماء، وإذا طَلَعَتِ الثِّمارُ أعْطِ الأصْحاب؛

بَقِيَّةُ قِصَّةِ أهْلِ سَبَأ

أهْلَ نَعيمٍ كانَ أهْلُ سَبَأٍ الأخْوام، شُغْلُهُمْ كانَ كُفْرانَ النِّعْمَةِ مَعَ الكِرام؛
كُفْرانُ النِّعْمِ ذاكَ يكونُ في المِثال، كَقِيامِكَ لِذي الإحْسانِ إلَيْكَ بالجِدال؛
أنْ إحْسانُكَ هذا ليس يَلْزَمُني، أنا آلَمُ مِنْ هذا علامَ تُؤلِمُني؛
تَلَطَّفْ وَهذا الجَميلَ أبْعِدْ عَنِّي، أنا لا أُريدُ نَظَراً سَريعاً أعْمِني؛
أهْلُ سَبا قالوا وباعِدْ بَيْنَنا شَيْنُنا خَيْرٌ لنا مِنْ زَيْنِنا
نَحْنُ لا نُريدُ هذا الإيوانَ والبُستان، ولا الأمْنَ والفَراغَ ولا النِّساءَ الحَسان؛
قُرْبُ المُدُنِ واحِدَةً مِنْ أُخْرى سَيِّئٌ، تِلْكَ الصَّحْراءُ حَسَنَةٌ ففيها الوُحوش؛

يَطْلُبُ الإنسانُ في الصَّيْفِ الشِّتا فإذا جاءَ الشِّتا أَنْكَرَ ذا

فَهْوَ لا يَرْضى بِحالٍ أَبَدا لا بِضيقٍ لا بِعَيْشٍ رَغَدا

قُتِلَ الإنسانُ ما أَكْفَرَهُ كُلَّما نالَ هُدىً أَنْكَرَهُ

القَتْلُ جزاءٌ لِمِثْلِ هذهِ النَّفْس، اقْتُلوا أَنْفُسَكُمْ قالَ ذاكَ السَّنِيّ؛

إنَّها شَوكٌ بِثلاثِ شُعَبٍ حَيْثُما تَضَعُهُ، يَخِزُ مَتى تَنْجو مِنْ جِراحِهِ؛

أَشْعِلْ نارَ تَرْكِ الهوى في الشَّوك، وأَمْسِكْ باليَدِ بِصَديقٍ مِنَ المُحْسِنين؛

عِنْدَما جازَ المَدى أَهْلُ سَبَا قالوا الوَبا خَيْرٌ لَنا مِنَ الصَّبا

أَقْبَلَ ناصِحوهُم لَهُمْ بالنَّصيحَة، يمنعونَهُم مِنَ الفُسوقِ والكُفْر؛

فأرادوا قَتْلَ أولئكَ النَّاصِحين، وزَرَعوا بِذْرَةَ الفِسْقِ والكُفْر؛

إذا جاءَ القَضاءُ ضاقَ هذا العالَم، مِنَ القَضاءِ تَصيرُ الحَلوى أَلَماً لِلْفَم؛

قيْلَ إنْ جاءَ القَضا ضاقَ الفَضا تُحْجَبُ الأبصارُ إنْ جاءَ القَضا

وَقْتَ القَضاءِ تُغْلَقُ العَيْن، فلا ترى العَيْنُ كُحْلَ العَيْن؛

مَكْرُ ذاكَ الفارِسِ حينَ أَثَرْتَ الغُبار، أَبْعَدَ غُبارَكَ ذاكَ مِنَ الاِسْتِغاثَة؛

لا تَذْهَبْ نَحْوَ الغُبارِ اذْهَبْ نَحْوَ الفارِس، أو يَقَعَ عَلَيكَ دَقُّ مَكْرِ ذاكَ الفارِس؛

قالَ الحَقُّ لِذاكَ الَّذي أَكَلَهُ هذا الذِّئب، رأيْتَ غُبارَ الذِّئبِ كَيْفَ لَمْ تَسْتَغِثْ؛

هُوَ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ غُبارَ الذِّئب، مَعَ مِثْلِ هذا العِلْمِ لِمَ هُوَ يَرعى؛

الشِّياهُ مَعَ التَّعَبِ كانَتْ تُمَيِّزُ، رائحَةَ الذِّئبِ وَتَثِبُ كُلَّ جِهَة؛

دِماغُ الحَيَواناتِ عَرِفَ رائحَةِ الأسَد، وأَمَرَ الحَيواناتِ بِتَرْكِ المَرْعى؛

شَمَمْتَ رِيْحَ أسَدِ الغَضَبِ فارْجِعْ، إلى المُناجاةِ وَكُنْ على حَذَر؛

لَمْ تَرْجِعْ تِلْكَ الجَماعَةُ مِنْ غُبارِ الذِّئب، وجاءَ ذِئبُ المِحْنَةِ ضَخْماً بَعْدَ الغُبار؛

مَزَّقَ تِلْكَ الشِّياهَ مِنْ غَضَبٍ لأنَّها، أَغْلَقَتِ العُيونَ عَنْ راعي العَقْل؛

وكم قامَ بِدُعائها الرَّاعي فَلَمْ تُجِبْ، وأثارَتْ غُبارَ الغَمِّ في عَيْنِ الرَّاعي؛

أنِ اذْهَبْ عَنَّا نَحْنُ رُعاةٌ أكْثَرَ مِنْكَ، كَيفَ نكونُ تابِعينَ وَكُلُّ واحِدٍ مِنَّا عَظيم؛
نَكونُ طُعْمَةً للذِّئبِ ولا ذلِكَ المُعين، نَكونُ حَطَباً للنَّارِ ولا ذلِكَ العار؛
كانَتْ حَمِيَّةً جاهِلِيَّةً في الدِّماغ، فَنَعَبَ بالشُّؤمِ على دِمَنِهِمْ الزَّاغ؛
حَفَروا البِئرَ مِنْ أجْلِ المَظلومين، وقَعوا في البِئرِ صارِخينَ الآه؛
مَزَّقوا قِمْصانَ اليوسُفِيِّين، وَجَدوا ما فَعَلوا واحِداً واحِداً؛
ومَنْ يُوسُفُ ذاكَ قَلْبُكَ الباحِثُ عَنِ الحَقّ، كأسيرٍ مَحْبوسٍ في حِماك؛
رَبَطْتَ جبرائيلَكَ على جِذْع، آذَيْتَ ريشَهُ وَجَناحَهُ بِمِئةِ مكان؛
جَلَبْتَ لَهُ عِجْلاً مَشويّاً، وتَشُدُّهُ إلَيْهِ بِمَشَقَّةٍ وَجهْد؛
أنْ كُلْ فهذا لَنا لَحْمٌ وقُوْت، وما لَهُ غَيْرَ لِقاءِ اللهِ مِنْ قُوت؛
وذاكَ المُبْتَلى مِنَ الاِمْتِحانِ والإيذاء، يَقومُ بالشِّكايَةِ مِنْكَ إلى الله؛
أنْ أيْ اَللهُ الغَوْثَ مِنْ هذا الذِّئبِ العَجوز، فيقولَ لَهُ جاءَ وَقْتُ الفَرَجِ فاصْبِرْ؛
سَوْفَ أُنْصِفُكَ مِنْ كُلِّ جاهِلٍ، مَنْ أعطى العَدْلَ إلَّا اللهُ العادِل؛
ويَظَلُّ قائلاً صارَ صبري فناءً، في فِراقِ وَجْهِكَ يا رَبَّنا؛
بَقِيَ أحْمَدي في يَدِ اليَهود، وَقَعَ صالِحي في حَبْسِ ثَمود؛
أي واهِبَ السَّعادَةِ روحَ الأنبياء، أو اقتُلني أو ادْعُني إلَيْكَ أو تَعالَ إلَيَّ؛
على فِراقِكَ لا صَبْرَ للكافِر، يقولُ *يا لَيْتَني كُنْتُ تُراباً*؛
هذِهِ حالُهُ فَهُوَ نَفْسُهُ مِنْ تِلْكَ الجِهَة، كَيْفَ يكونُ شَخْصٌ مِنْ دونِكَ وَهُوَ لَك؛
والحَقُّ يقولُ نَعَمْ أيُّها النَّزِه، لكِنْ اسْمَعْ كُنْ صابِراً الصَّبْرُ خَيْرٌ؛
الصُّبْحُ قَريْبٌ اِصْمُتْ أَقِلَّ الصُّراخ، أنا السَّاعي مِنْ أَجْلِكَ لا تَسْعَ أَنْت؛

بَقِيَّةُ قِصَّةِ ذهابِ السَّيِّد بِدَعْوَةِ القُرَوِيِّ لِلْقَرْيَة

جاوَزْنا الحَدَّ هَلَّا رَجَعْتَ للقُرَوِيِّ، وَقَدْ أَخَذَ السَّيِّدَ لِلمَنْزِلِ أي صَديقُ؛

خَلِّ جانِباً قِصَّةَ أهْلِ سَبأٍ وحَدِّثْنا، عَنْ ذاكَ السَّيِّدِ ومَجيئهِ للقَرْيَةِ قُلْ لنا ذلِك؛

القُرَوِيُّ جاءَ في التَّمَلُّقِ بِأُسلوبٍ، جَعَلَ مِنْهُ حَزْمَ السَّيِّدِ مُخْتَلَّاً؛

مِنْ رِسالَةٍ بَعْدَ رِسالَةٍ جَعَلَهُ مُحَيَّراً، صارَ الحَزْمُ الزُّلالُ للسَّيِّدِ مُعَكَّراً؛

وراحَ أطفالُهُ مِنْ هُنا باسْتِحْسانٍ، في سُرورٍ يُرَدِّدونَ *نَرْتَعْ وَنَلْعَبْ*؛

مِثْلَ يُوسُفَ أخَذَتْهُ نَرْتَعْ وَنَلْعَبْ، مِنْ ظِلِّ الأبِ مِنَ التَّقْديرِ العَجَبْ؛

لَيْسَ ذاكَ باللَّعِبِ ذاكَ لَعِبٌ بالرُّوح، ذاكَ حِيْلَةٌ وَمَكْرٌ وَخِداعٌ وَدَغَلٌ؛

كُلَّ ما رمى بِكَ بَعيداً عَنِ الحَبيبِ، لا تَسْتَمِعْ إِلَيْهِ فهُوَ ضَرَرٌ في خَسارَةٍ؛

خَلِّ نَفْعَ ذاكَ وَلَو كانَ مِئةً بالمِئة، لِأجْلِ الذَّهَبِ لا تَتْرُكْ مالِكَ الكَنْزِ أي فقير؛

اِسْمَعْ هذا كَمْ مِنَ اللهِ مِنْ زَجْرٍ، كانَ لِأصحابِ النَّبِيِّ مِنْ حَرٍّ وَقَرٍّ؛

ذلِكَ أنَّهُمْ على قَرْعِ الطَّبْلِ سَنَةَ ضِيْق، جَعَلوا الجُمْعَةَ باطِلَةً بلا إبطاء؛

كي لا يَشْتريَ الآخَرونَ بِثَمَنٍ بَخْسٍ، ويكونوا سابَقينَ لنا في جَلْبِ النَّفْع؛

بَقِيَ النَّبِيُّ في خَلْوَةٍ في الصَّلاة، مَعَ دَرويشَيْنِ أو ثلاثَةٍ ثابِتينَ بافتِقار؛

قالَ الطَّبْلُ واللَّهْوُ والتِّجارَةُ، كيفَ فَصَلَتْكُمْ عَنْ رَبَّانيكُم؛

قَدْ فَضَضْتُمْ نَحْوَ قَمْحٍ هايِما   ثُمَّ خَلَّيْتُمْ نَبِيّاً قايِما

بِذْرَةَ الباطِلِ لِأجْلِ القَمْح زَرَعْتُمْ، رَسولَ الحَقِّ ذاك تَرَكْتُمْ؛

صُحْبَتُهُ مِنَ اللَّهْوِ ومِنَ المالِ خَيْرٌ، انْظُرْ مَنْ تَرَكْتَ وامْسَحِ العَيْن؛

ما لَكُمْ مِنْ حِرْصِكُمْ هذا اليَقين   أنَّني الرَّزَّاقُ خَيْرُ الرَّازِقين

ذاكَ الَّذي رَزَقَكُمُ القَمْحَ بلا طَلَبٍ، مَتى جَعَلَ ضائعاً مِنْكُمْ التَّوَكُّل؛

في طَلَبِ القَمْحِ صِرْتُمْ مَفْصولين ، عَن ذلِكَ الَّذي أرْسَلَ القَمْحَ مِنَ السَّماء؛

دَعْوَةُ البازِ للبَطِّ مِنَ الماءِ إلى الصَّحْراء

قالَ البازُ للبَطِّ اخْرُجْ مِنَ الماء، كي ترى الصَّحاري يسيلُ مِنْها الشَّهْد؛
البَطُّ العاقِلُ قالَ للبازِ ابْتَعِدْ، الماءُ لنا حِصْنٌ وأمْنٌ وَسُرورٌ؛
الشَّيطانُ جاءَ كالبازِ بَطٌّ أسْرِعْ، حَذارِ أقِلُّوا الخُروجَ مِنْ حِصْنِ الماء؛
ارْجِعْ اِذْهَبِ اذْهَبْ قالَ البَطُّ للبازِ، اِرْفَعْ اليَدَ عَنْ رَأْسِنا أيُّها الرَّجُلُ المُعين؛
سَوفَ لَنْ نَشْرَبَ لَحْظَةً دَعْوَتَكَ، نَحْنُ مِنْ دَعْوَتِكَ بريئون أي كافِر؛
الحِصْنُ لنا كالشَّهْدِ وبِلادِ الشَّهْدِ لَك، أنا لا أُريدُ هَدِيَّتَكَ خُذْ هَدِيَّتَك؛
إذا وُجِدَتِ الرُّوحُ لَنْ يَقِلَّ الطَّعام، إذا وُجِدَ الجَيْشُ لَنْ تَقِلَّ الأعْلام؛
السَّيِّدُ الحازِمُ كَمْ أوْرَدَ مِنَ الأعْذار، وكَمْ ساقَ مِنَ العِلَلِ للشَّيطانِ المَريد؛
قالَ الآنَ عِنْدي أعْمالٌ مُهِمَّةٌ، إذا جِئتُ مَعَكَ صارَتْ غَيْرَ مُنْتَظِمة؛
الشَّاهُ أمَرَني بِعَمَلٍ دَقيق، الشَاهُ بانتِظاري لا ينامُ اللَّيْلَ؛
لا أجْرُؤُ على تَرْكِ أمْرِ الشَّاه، لا أقْدِرُ على العَوْدَةِ للشَّاهِ أصْفَرَ الوَجْه؛
كُلَّ صَباحٍ وكُلَّ مساءٍ مُرْسَلٌ خاصّ، يَجيءُ يَسْأَلُني عَنِ المَناص؛
فهل تُجيزُ أنْ أجيْءَ إلى القَرْيَة، ويصيرَ السُّلطانُ مِنْ ذاكَ غاضِباً علَيَّ؛
مِنْ بَعْدِ ذلِكَ كَيْفَ أُعالِجُ غَضْبَهُ، إلَّا إذا دَفَنْتُ نَفْسي حَيَّاً مِنْ هذا؛
وعادَ وتَعَلَّلَ بِمِئةَ عِلَّةٍ مِنْ هذا النَّمَط، الحِيَلُ مَعَ حُكْمِ الحَقِّ لا جَدْوى لَها؛
لَو كُلُّ ذرَّاتِ العالَمِ تكونُ مُحْتالَةً، مَعَ قَضاءِ السَّماءِ هِيَ هَباءٌ هَباء؛
هذِهِ الأرْضُ كَيْفَ تَهْرَبُ مِنَ السَّماء، كَيْفَ تَجْعَلُ وَجْهَها مَخْفِيَّاً عَنها؛
كُلُّ ما جاءَ مِنَ السَّماءِ إلى الأرْض، لا مَفَرَّ لَها مِنْهُ ولا حِيْلَةَ ولا كمين؛
النَّارُ مِنَ الشَّمْسِ تُمْطِرُ عَلَيْها، وَهِيَ واضِعَةٌ الوَجْه أمامَ نارِها؛
وَلَو أمْطَرَتْ عَلَيْها المَطَرَ كالطُّوفان، وَجَعَلَتِ المُدُنَ عَلَيْها خَراباً؛

يكونُ مِنْها التَّسْليمُ مِثْلَ أيُّوب، أنْ أنا أسيرُكِ احْمِلي ما تَشائين؛
أيْ مَنْ أنْتَ جُزْءُ هذِهِ الأرْضِ لا تُعانِدْ، ما دُمْتَ تَرى حُكْمَ الإلهِ لا تُعانِدْ؛
ما دُمْتَ سَمِعْتَ خَلَقْناكُمْ مِنْ تُراب، صِرْ تُراباً عِنْدَ الطَّلَبِ ولا تُشِحْ بالوَجْه؛
أُنْظُرْ فَقَدْ زَرَعْتُ بِذْرَةً في التُّراب، تَحَوَّلَتْ إلى تُرابٍ وَأَنا رَفَعْتُها؛
مرَّةً أُخْرى احْتَرِفِ حِرْفَةَ التُّراب، لأجْعَلَكَ أميراً على جُمْلَةِ الأُمَراء؛
الماءُ ينزِلُ مِنْ أعلى إلى أسْفَلَ، ثُمَّ يَصْعَدُ مِنَ أسْفَلَ إلى أعلى؛
القَمْحُ نَزَلَ أَسْفَلَ التُّرابِ مِنْ أعلى، ثُمَّ بَعْدَ ذلِكَ ارْتَفَعَ وصارَ سنابِلَ؛
بِذْرَةُ كُلِّ ثَمَرَةٍ نَزَلَتْ في التُّراب، ثُمَّ بَعْدَ ذلِكَ أطَلَّتِ الرُّؤوسُ مِنْ مدافِنِها؛
أصْلُ النِّعَمِ مِنَ الفَلَكِ إلى التُّراب، نَزَلَ وَصارَ غِذاءَ الرُّوحِ الطَّاهِرَة؛
مِنَ التَّواضُعِ حينَ نَزَلَ مِنَ الفَلَك، صارَ جُزْءَ الآدَمِيِّ الحَيِّ الشُّجاع؛
وصارَ لِذلِكَ الجَمادِ صِفاتُ الآدَمِيّ، وعلا طائراً فوقَ العَرْشِ وسَعيداً؛
أنْ نَحْنُ جِئنا أوَّلاً مِنَ العالَمِ الحَيّ، ثُمَّ عُدْنا مِنَ الأسْفَلِ نَحْوَ الأعلى؛
جُملَةُ الأجزاءِ بالتَّحَرُّكِ والسُّكون، ناطِقَةٌ *إنَّا إلَيْهِ راجِعون*؛
ذِكْرُ وتَسبيحُ الأجزاءِ الخفِيَّة، ألقَيا الغَوغاءَ والجَلَبَةَ في السَّماء؛
وحينَ قامَ القَضاءُ بالمَكْرِ، جَعَلَ قُرَوِيٌّ مَدَنِيَّاً دائرَ الرَّأْس؛
رَغْمَ ألْفِ حَزْمٍ لَدَيْه غُلِبَ السَّيِّدُ، وصارَ مِنْ ذلِكَ السَّفَرِ في مَعْرِضِ الآفات؛
كانَ اعتِمادُهُ على ثَباتِ نَفْسِهِ، رَغْمَ أنَّهُ كانَ جَبَلاً اخْتَطَفَهُ نِصْفُ سَيْل؛
حينَ أخْرَجَ القَضاءُ الرَّأْسَ مِنَ الفَلَك، صارَ العاقِلونَ جُمْلَةً عُمياً وَصُمَّاً؛
ألقَتِ بِنَفْسِها خارِجَ البَحْرِ الأسماك، أمْسَكَ الخَسيسُ الطُّيورَ الطَّائرَة بالشِّباك؛
حتَّى يصيرَ الشَّيطانُ والملاكُ في زُجاجَةٍ، بَلْ حتَّى يَذْهَبَ هاروتِيٌّ إلى بابِل؛
إلاَّ شَخْصاً فَرَّ إلى تَحْتِ قضاءِ الحَقِّ، فلا يستَطيعُ أنْ يُريقَ دَمَهُ أيُّ تَربيع؛
غَيْرَ قِيامِكَ بالهُروبِ إلى القَضاء، ما مِنْ حيلَةٍ تُعطيكَ الخلاصَ مِنَ القَضاء؛

قِصَّةُ أهْلِ ضَروانَ وحيلَتُهُم ليقوموا بقَطْفِ البساتين مِنْ دونِ إزعاجٍ مِنَ الدَّراويش

لَقَدْ قَرَأْتَ قِصَّةَ أهْلِ ضَرْوان، فإلامَ تبقى تُفَتِّشُ في الحيلَةِ إذَنْ؛
مَنْ هُمْ كالعقارِبِ قاموا بالاِحتيال، ليُبْعِدوا عَنِ الرِّزْقِ بَعْضَ الدَّراويش؛
اللَّيْلَ كُلَّ اللَّيلِ بالمَكْرِ يُعْمِلونَ الفِكْر، الوَجْهُ في الوَجْهِ، عِدَّةٌ مِنْ عَمْروٍ وَبَكْر؛
اِعْلَمْ أولئكَ كانوا خِفِيَةً يتسارُّونَ، لِئلاَّ يكونَ للهِ عِلْمٌ بِذلِك؛
أيَمْكُرُ الطِّينُ بِمَنْ شَكَّلَ الطِّين، أتقومُ اليَدُ بالعَمَلِ خِفْيَةً عَنِ القَلْب؛

قُلْ ألا يَعْلَم هواكَ مَنْ خَلَقْ أنَّ في نَجواكَ صِدْقاً أمْ مَلَقْ
كيفَ يَغْفَلْ عَنْ ظَعينٍ قَدْ غدا مَنْ يُعايِن أيْنَ مَثواهُ غَدا
أينَما قَدْ هَبَطَ أوْ صَعَد قَدْ تَوَلاَّهُ وأحصى عَدَدا

الآنَ طَهِّرِ الأُذُنَ مِنَ الغَفْلَة، اسْتَمِعْ إلى هَجْرِ ذلِكَ المَغموم؛
واعْتَبِرْ ذاكَ زكاةً لِذلِكَ المحزون، تُعطيها إيَّاهُ إذْ تُصْغي إلى قِصَّتِه؛
ألا اسْتَمِعْ إلى غُمومِ مُتْعَبي القَلوب، فاقَةُ الرُّوحِ الشَّريفِ مِنَ الماءِ والطِّين؛
مَنزِلٌ مليءٌ بالدُّخانِ مليءٌ بالفَضْل، فافْتَحْ لَهُ كُوَّةً مِنَ الإصْغاءِ؛
أُذُنُكَ تَصيرُ لَهُ كطريقِ الهواء، ويقِلُّ في المَنْزِلِ الدُّخانُ المُرُّ؛
كُنْ شَريكاً لنا في الغَمِّ أيْ سالِكُ، إنْ كُنْتَ تَسيرُ قَصْدَ الرَّبِّ الأعلى؛
هذا التَّرَدُّدُ كانَ حَبْساً وَسِجْناً، يمنَعُ الرُّوحَ مِنْ أنْ تسيرَ إلى جِهَةٍ؛
هذا يَشُدُّ إلى هذِهِ الجِهَةِ وذاكَ إلى تِلْك، وكُلُّ واحِدٍ يقولُ أنا طَريقُ الرَّشَد؛
هذا التَّرَدُّدُ عَقَبَةٌ في طَريقِ الحَقِّ، أسْعِدْ بِذاكَ الَّذي هُوَ مُطْلَقُ القَدَم؛
يسيرُ بلا تَرَدُّدٍ في الطَّريقِ المستقيم، ما لَمْ تَعْرِفِ الطَّريقَ اطْلُبْ آثارَ القَدَم؛
اِتْبَعْ خُطْوَةَ الغَزالِ واذْهَبْ مُعافى، لِتَصِلَ مِنْ خُطُواتِ الغَزالِ إلى نافِجَتِه؛

مِنْ هذا السَّيْرِ تَذْهَبُ إلى الأوجِ الأنوَرِ، أي أخي ولو كُنْتَ تَمشي على النَّار؛
لا تَخافُ مِنَ البَحْرِ ولا مِنَ المَوْجِ والزَّبَد، بِما أنَّكَ سَمِعْتَ خِطابَ لا تَخَفْ؛
كما أعطاكَ الخَوفَ الحَقُّ اعرِفْ لا تَخَفْ، أرسَلَ لَكَ الخُبْزَ إذْ أرسَلَ الطَّبَق؛
الخَوفُ لِذلِكَ الشَّخْصِ هُنا بلا خَوف، الغُصَّةُ لِذلِكَ الشَّخْصِ هاهُنا بلا طَوْف؛

ذهابُ السَّيّدِ نَحْوَ القَرْيَة

انبرى السَّيّدُ في العَمَلْ وقامَ بالتَّجْهيز، طائرُ عَزْمِهِ شَدَّ مُسْرِعاً إلى القَرْيَة؛
الأهْلُ والأولادُ أعَدُّوا العُدَّةَ للسَّفَر، حَمَّلوا المَتاعَ على مَطِيَّةِ العَزْم؛
مُسْرِعينَ مَسرورينَ إلى جِهَةِ القَرْيَة، أنْ سَنَأكُلُ الفواكِهِ مِنَ القَرْيَةِ أبْشِروا؛
مَقْصَدُنا مَرْعىً خَصيبٌ جَميل، وصديقُنا هُناكَ مِضيافٌ كريم؛
قَدْ دعانا هُناكَ بآلافِ المُنى، وَقَدْ غَرَسَ غَرْسَ الكَرَمِ مِنْ أجْلِنا؛
سَوفَ نَحْمِلُ عائدينَ ذَخيرَةَ القَرْيَةِ ، مِنْ ثِمارِها إلى المَدينَةِ للشِّتاءِ الطَّويل؛
سَيَفْتَحُ لنا طَريقَ الإيثارِ لِحَديقَتِه، ويَجْعَلُ لنا مكاناً وَسَطَ روحِه؛
عجِّلوا أصْحابَنا كَيْ تَربَحوا قالَ عَقْلٌ باطِناً لا تَفْرَحوا
مِنْ رَباحِ اللهِ كونوا رابِحين إنَّ رَبِّي لا يُحِبُّ الفَرِحين
اِفْرَحوا هَوناً بِما آتاكُمُ كُلُّ آتٍ مُشْغِلٌ ألهاكُمُ
كُنْ فَرِحاً مِنْهُ لا فَرِحاً مِنْ غَيْرِهِ، هُوَ الرَّبيعُ والغَيْرُ شُهورُ الشِّتاء؛
كُلُّ شَيءٍ غَيرَهُ لَكَ اسْتِدراجٌ، ولَو كانَ لَكَ تَخْتاً ومُلْكاً، ولَو كانَ لَكَ تاجاً؛
كُنْ سَعيداً مِنَ الغَمِّ فالغَمُّ شِباكُ اللِّقاء، بِهذا الطَّريقِ جِهَةُ الاِنْخِفاضِ ارتِقاء؛
الغَمُّ كَنْزٌ وألَمُكَ مِثْلَ المَنْجَم، لكِنْ متى يُؤَثِّرُ هذا في الأطفال؛
الأطفالُ عِنْدَما يَسْمَعونَ باسْمِ لُعْبَةٍ، يَجرونَ جُمْلَةً بِسُرْعةِ حِمارِ الوَحْش؛
أيْ حَميراً عُمْياً الفُخوخُ مِنْ هذِهِ الجِهَةِ، السَّفّاحونَ في الكَمينِ مِنْ هذِهِ الجِهَة؛

وَقَوسٌ ترمي السِّهامَ خِفْيَةً مِنَ الغَيْبِ، يَصِلُ للشَّابِّ مِنْها مِئةُ سَهْمِ شَيْب؛
يَجِبُ وَضْعُ الخُطى في صَحْراءِ القَلْبِ، فَفي صَحْراءِ التُّرابِ لا يَكونُ فَتْحٌ؛
القَلْبُ آمِنٌ وعامِرٌ أي رِفاق، فيهِ العُيونُ والبُستانُ في البُستان؛
عُجْ إلى القَلْبِ وَسِرْ يا سارِيَه فيهِ أشجارٌ وَعَيْنٌ جارِيَه
لا تَذْهَبْ لِلقَرْيَةِ، القَرْيَةُ تَجْعَلُ الرَّجُلَ أحْمَقا، تَجْعَلُ العَقْلَ بلا نورٍ ولا رَونَق؛
اِسْتَمِعْ قَوْلَ النَّبيِّ أي مُجْتَبى، وَطَنُ الرِّيْفِ جاءَ قَبْراً للعَقْل؛
كُلُّ مَنْ أقامْ في الرِّيف شَهْراً ، عَقْلُهُ لَيْسَ تامَّاً بلا شَكّ؛
إلى مُدَّةِ شَهْرٍ الحُمْقُ كانَ مَعَهُ، غَيْرَ الحَشيشِ ماذا جَنى مِنَ القَرْيَة؛
وكُلُّ مَنْ بقيَ شَهْراً في الرِّيف، كانَ لَهُ مِنَ الدَّهْرِ الجَهْلُ والعَمى؛
لَيْسَتْ القَرْيَةُ إلاَّ شَيْخاً غَيْرِ واصِلٍ، اليَدُ في التَّقْليْدِ وَالحُجَّةُ في الخِصام؛
هذِهِ الحواسُّ أمامَ مَدينَةِ العَقْلِ الكُلِّيِّ، حَميرٌ تَدُورُ بالطَّاحُونَةِ مَعْصوبَةَ العَيْن؛
أُتْرُكْ هذا وَخُذْ صُورَةَ الحِكايَةِ، دَعْ حَبَّةَ الدُّرِّ وخُذْ حَبَّةَ القَمْح؛
إنْ لَمْ تَكُنْ طَريقٌ للدُّرِّ فخُذِ البُرّ، إنْ لَمْ يَكُنْ طَريقٌ لِذاكَ فامْضِ لِهذا؛
خُذْ ظاهِرَهُ رَغْمَ أنَّ ظاهِرَهُ كانَ أعوَجاً، فالظَّاهِرُ يمضي للباطِنِ في العاقِبَةِ؛
أَوَّلُ كُلِّ آدَمِيٍّ هُوَ الصُّورَةُ، وَمِنْ بَعْدِ ذلِكَ الرُّوحُ الَّتي هِيَ جَمالُ السِّيْرَة؛
أَوَّلُ كُلِّ فاكِهَةٍ لَيْسَ غَيْرَ صُورَتِها، بَعْدَ ذلِكَ تأتي اللَّذَّةُ الَّتي هِيَ مَعْناها؛
إنَّهُمْ أوَّلاً يَنصِبونَ خَيْمَةَ الضِّيافَةِ، ثُمَّ بَعْدَ ذلِكَ يَدْعونَ التُّرْكِيَّ للضِّيافَة؛
اِعْرِفْ صُورَتَكَ الخَيْمَةَ وَمَعْناكَ التُّرْكِيَّ، مَعْناكَ كالمَلاَّحِ وَالصُّورَةُ كالفُلْك؛
لَحْظَةً واحِدَةً فَلْتَدَعْ هذا لأجْلِ الحَقّ، إلى أنْ يُحَرِّكَ حِمارُ السَّيِّدِ الجَرَس؛

ذهابُ السَّيِّدِ وَقَومِهِ جِهَةَ القَرْيَةِ

السَّيِّدُ وأولادُهُ أعَدُّوا الجَهازَ، وَمَضَوا على المِطِيِّ مُسرِعينَ جِهَةَ القَرْيَة؛

يسوقونَ المِطِيَّ نَحْوَ الصَّحْراء، يُنْشِدونَ *سافِروا كي تَغْنَموا* سُعَداء؛

القَمَرُ مِنَ الأسفارِ صارَ مَلِكاً، لولا الأسفارُ مَتى كانَ صارَ مَلِكاً القَمَر؛

البَيْدَقُ مِنَ السَّفَرِ صارَ حِصاناً أصيلاً، يُوسُفُ مِنَ السَّفَرِ نالَ مِئَةَ مُراد؛

في النَّهارِ يَحرِقونَ الوجوهَ مِنَ الشَّمْس، في اللَّيلِ يَهْتَدونَ بالنَّجْمِ في الطَّريق؛

الطَّريقُ الموحِشُ صارَ عِنْدَهُمْ جَميلاً،مِنْ شَوْقِ القَرْيَةِ صارَ الطَّريقُ كالجَنَّة؛

المُرُّ مِنْ عِذابِ الشِّفاهِ صارَ عَذْباً، الشَّوكُ مِنَ الرَّوضِ صارَ آسِرَ القُلوب؛

الحَنْظَلُ مِنَ المَعْشوقِ صارَ رُطَباً،المَنْزِلُ مِنْ رَفيقِ المَنْزِلِ صارَ صَحْراءً[1]؛

أي كَمْ مِنْ مُدَلَّلينَ يحْتَمِلونَ الأشواكَ، على أمَلِ وَرديِّ العَذارِ كأنَّهُ القَمَر؛

أي كَمْ مِنْ حَمَّالٍ غدا جَريحَ ظَهْرٍ، مِنْ أجْلِ مَحْبوبِ نَفْسِهِ بِوَجْهِ القَمَر؛

وذاكَ الحَدَّادُ جَعَلَ مِنْ جَمالِهِ سواداً، كي يَجيءَ اللَّيلُ ويُقَبِّلَ وَجْهَ القَمَر؛

والسَّيِّدُ مَسَمَّرٌ إلى اللَّيلِ في الدُّكّان، لأنَّ سَرْوَةً مَدَّتْ جَذْرَها في قَلْبِه؛

وتاجِرٍ راحَ يَجْري في البَرِّ والبَحْر، يَجري بِحُبِّ رَفيقَةٍ لَهُ في المَنْزِل؛

كُلُّ مَنْ كانَ لَهُ تَعامُلٌ مَعَ مَيِّتٍ، كانَ ذاكَ مِنْهُ بِأَمَلِ حَيِّ السَّيماء؛

وذاكَ النَّجَّارُ وَجَّهَ الوَجْهَ للخَشَب، على أمَلِ خِدْمَةِ قَمَرٍ جَميلِ الوَجْه؛

على أمَلِ الحَيِّ اعْمَلْ اجْتِهاداً هُوَ لا يصيرُ بَعْدَ يومَيْنِ جَماداً

ولا تَخْتَرْ مُؤنِساً لَكَ خَسيساً، فإنَّ ذاكَ الإيناسَ فيهِ عارِيَةٌ؛

فَأَينَ أُنْسُكَ مَعَ أُمِّكَ وَأَبيكَ، إذا كانَ لِغَيْرِ الحَقّ مِنْ مُؤنِسيكَ وَفاءٌ؛

---

(١)في نُسْخَةٍ *صارَ مَرْجاً*

وما جرى لأُنْسِكَ مَعَ الحاضِنِ والمُرضِع،إنْ كانَ لِشَخْصٍ بِغَيْرِ الحَقّ عَضُدٌ؛
أُنْسُكَ بالثَّدي واللَّبَنِ لَمْ يَدُمْ، نَفيرُكَ مِنَ المَدْرَسَةِ الثَّانَوِيَّةِ لَمْ يَدُمْ؛
كانَ ذاكَ شُعاعاً على جِدارِهِم، كانَ ذاكَ دليلاً على جانِبِ الشَّمْس؛
على كُلِّ شَيْءٍ سَقَطَ ذاكَ الشُّعاع، جِئْتَ لِذلِكَ الشَّيْءِ عاشِقاً أيْ شُجاع؛
ذاكَ عِشْقُكَ لِكُلِّ شَيءٍ مَوجودٍ، ذاكَ مِنْ وَصْفِ الحَقّ طِلاءُ ذَهَب؛
إذا ذَهَبَ إلى أَصْلِهِ الذَّهَبُ وَبَقِيَ النُّحاس، مَلَّ مِنْهُ الطَّبْعُ ثُمَّ طَلَّقَه؛
اِسْحَبِ القَدَمَ مِنْ طِلاءِ ذَهَبِ الصِّفات، أَقِلَّ القَولَ مِنْ جَهالَةٍ الزَّيْفُ جَميلٌ؛
فذاكَ الجَمالُ في الزَّيْفِ عارِيَةٌ، وتَحْتَ الزِّيْنَةِ أَصْلٌ لا زينَةَ لَه؛
الذَّهَبُ عَنْ وَجْهِ الزَّيْفِ يَمضي لِمَعْدَنِه،امْضِ إلى ذاكَ المَعْدَنِ حيثُما يمضي؛
النُّورُ يَذْهَبُ مِنَ الجِدارِ إلى الشَّمْس، أنتَ فامْضِ إلى الشَّمْسِ فهيَ تُلائِمُك؛
مِنْ بَعْدِ هذا خُذِ الماءَ مِنَ السَّماء، ما دُمْتَ لَمْ تَرَ الوفاءَ مِنْ قَناةِ الماء؛
مَعْدِنُ الأليَةِ لا يكونُ فَخّاً للذِّئب، مَتى يَعْرِفُ مَعْدِنَ ذلِكَ الذِّئبُ الضَّخْم؛
كانوا يتَخَيَّلونَ الذَّهَبَ مَعقوداً في عُقودٍ، وهُمْ يُسرِعونَ مَغْرورينَ إلى القَرْيَة؛
هكذا ضاحِكينَ وراقِصينَ، يضرِبونَ نَحْوَ دولابِ الفَلَكِ ذاك؛
وحينَ كانوا يَرَونَ طائراً يطيرُ، إلى جِهَةِ القَرْيَةِ كانَ ثَوبُ صَبْرِهِم يَتَمَزَّقُ؛
وكُلُّ ما كانَ يُقْبِلُ نَحْوَهُمْ مِنَ القَرْيَةِ، كانوا يَطْبَعونَ على وَجْهِهِ قُبْلَةً جَميلَةً؛
أنْ أَنْتَ رَأَيْتَ وَجْهَ حَبيبِنا ، أَنْتَ للرُّوْحِ رُوْحٌ وَأَنْتَ لَنا البَصَر؛

مُلاطَفَةُ المَجنون لِذلِكَ الكَلْبِ الَّذي كانَ مُقيماً في حَيِّ ليلى

مِثْلَ المَجنونِ الَّذي كانَ يُلاطِفُ كَلْباً، مُقَبِّلاً إيَّاهُ وَذائباً أمامَهُ؛
دائراً حَوْلَهُ خاضِعاً في الطَّواف، مُعْطِياً إيَّاهُ جُلاَّبَ السُّكَّرِ الصَّافي؛
قالَ فُضولِيٌّ أيُّها المَجنونُ الخام، ما هذا الوَلَهُ ما الَّذي تقومُ بِهِ؛

وَجْهُ الكَلْبِ دائماً يَأكُلُ النَّجِسَ، ويَمْسَحُ دائماً مَقْعَدَهُ بالشَّفَة؛
عُيوبُ الكَلْبِ كَثيرَةٌ على العَدّ، عالِمُ العَيْبِ لا يَجِدُ رائحَةً مِنْ عالِمِ الغَيْب؛
قالَ المَجْنونُ أنتَ كُلُّكَ صُورَةٌ وَبَدَنٌ، تَعالَ وانْظُرْ إلَيْهِ مِنْ عَيني؛
هذا الكَلْبُ طَلْسَمٌ مُرْتَبِطٌ بالمَولى، هذا الكَلْبُ حارِسٌ لِحِمى ليلى
اُنْظُرْ إلى هِمَّتِهِ وَقَلْبِهِ وَروحِهِ وَمَعْرِفَتِه، وَأَيْنَ اخْتارَ وماذا اتَّخَذَ مَسْكَناً؛
هُوَ لي مُبارَكُ الوَجْهِ وَكَلْبُ الكَهْفِ، بَلْ هُوَ لي شَريكُ أَلَمٍ وَشَريكُ لَهَف؛
ذلِكَ الكَلْبُ الَّذي في حِماها، مَتى أَسْتَبْدِلُ شَعْرَةً مِنْهُ بالأُسود؛
أي مَنِ الأُسودُ لِكِلابِهِ خُدَّامٌ، قالَ لا إمكانَ صَمْتاً والسَّلام؛
إذا ما عَبَرْتُمْ مِنَ الصُّورَةِ أيْ رِفاق، الجَنَّةُ هُناكَ والبُستانُ في البُستان؛
إذا صُورَةَ النَّفْسِ كَسَرْتَ وأحْرَقْتَ، فَأَنْتَ كَسْرَ صُورَةِ الكُلّ تَعَلَّمْتَ؛
مِنْ بَعْدِ ذلِكَ تَكْسِرُ كُلَّ صُورَةٍ، كما قَلَعَ **حَيْدَرُ** بابَ خَيْبَر؛
طالِبَ الصُّورَةِ صارَ ذاكَ السَّيِّدُ السَّليم، لِيَذْهَبَ إلى القَرْيَةِ عَنْ قَوْلٍ سَقيم؛
نَحْوَ شِباكِ ذاكَ التَّمَلُّقِ وَهُوَ جَزْلان، مِثْلَ طائرٍ طارَ نَحْوَ حَبَّةِ الاِمْتِحان؛
ظَانّاً تِلْكَ حَبَّةً مِنْ سَخاءْ، غايَةُ الحِرْصِ لا الجُودُ ذاكَ العَطاءْ؛
والطُّيورُ طَمَعاً بالحَبَّةِ مَسْرورَةً، تَطيرُ نَحْوَ ذاكَ التَّزويرِ مُسْرِعَةً؛
لَو أحَطْتُكَ عِلْماً بِسَعادَةِ السَّيِّدِ، أَخْشى عَلَيْكَ أي سالِكُ أنْ تَضِلّ؛
فاخْتَصَرْتُ وَحينَ وَصَلَ إلى القَرْيَة، لَمْ تَكُنِ تِلْكَ القَرْيَةَ وأخَذَ دَرْباً أُخْرى؛
قُرابَةَ شَهْرٍ يَمضونَ مِنْ قَرْيَةٍ إلى قَرْيَة، لأَنَّهُمْ لا يَعْرِفونَ جَيّداً طَريقَ القَرْيَة؛
وكُلُّ مَنْ سارَ في الطَّريقِ بلا دَليل، دَرْبُ يَومَيْنِ يصيرُ لهُ دَرْبَ مِئةِ عام؛
وكُلُّ مَنْ سارَ نَحْوَ الكَعْبَةِ بلا دليل، صارَ ذليلاً كهؤلاءِ التَّائهين؛
وكُلُّ مَنِ اتَّخَذَ حِرْفَةً دونَ أُستاذٍ، صارَ أُضْحوكَةً في المَدينَةِ والرِّيف؛
ما كانَ إلاَّ نادِراً في الخافِقَيْن، أنْ ظَهَرَ آدَمِيٌّ دُونَ والِدَيْن؛

وَيَجِدُ المالَ مَنْ يقومُ بالكَسْب، ومِنَ النَّادِرِ أنْ يَقَعَ امرُؤٌ على كَنْز؛
فَأيْنَ مُصْطَفىً يكونُ جِسْمُهُ روحاً، حَتَّى يَكونَ *الرَّحْمنُ عَلَّمَ القُرآن*؛
أهْلَ البَدَنِ جُمْلَةً *عَلَّمَ بالقَلَمْ*، أعْلى الواسِطَةَ في بَذْلِ الكَرَمْ؛
كُلُّ حَريصٍ أيْ وَلَدُ مَحْرومٌ، مَهْلاً لا تَسِرْ كالحَريصينَ مُفْرَداً؛
عايَنوا في تِلْكَ الطَّريقِ الجَهْدَ والعَذاب، كَعَذابِ الطَّائرِ التُّرابِيِّ في العَذاب؛
صارَ ضَجِراً مِنَ القَرْيَةِ وَمِنَ الرِّيف ، ومِنْ جُرْعَةِ السُّكَّرِ مَنْ لَيْسَ بالأُستاذ؛

وصولُ السَّيّدِ وَقَومِهِ إلى القَرْيَة وَتَجاهُلُ القُرَويِّ لَهُمْ وإنكارُهُ إيَّاهُم

بَعْدَ شَهْرٍ حينَ وَصَلوا ذاكَ الطَّرَف، كانوا بلا زادٍ والدَّوابُّ بلا عَلَفْ؛
انْظُرْ القُرَوِيَّ مِنْ النِيَّةِ السَّيّئَةِ، ما يَفْعَلُ *بَعْدَ اللَّتَيَّا والَّتـي*؛
كانَ يُخْفيْ عَنْهُمُ الوَجْهَ بالنَّهار، لِئلاّ يَفْتَحوا الأفواهَ جِهَةَ حَديقَتِه؛
مِثْلُ ذاكَ الوَجْهِ الَّذي كُلُّهُ رياءٌ وَشَرّ، إخْفاؤهُ عَنْ المُسْلِمينَ أولى وأجْدَر؛
هُناكَ وُجوهٌ عَلَيْها الشَّياطينُ، جالِسَةٌ كالذُّبابِ كأنَّها الحَرَس؛
إمَّا رَأَيْتَ وَجْهَهُ وابْتُلِيْتَ بِه، لا تَنْظُرْ إلى ذاكَ الوَجْهَ أو إذا رَأَيْتَهُ لا تَضْحَكْ؛
في مِثْلِ هاتيكَ الوُجوهِ العاصِيَهْ قالَ الإلهُ *لَنَسْفَعَنْ بالنَّاصِيَه*
حينَ سَألوا عَنْهُ وَظَهَرَ لَهُمْ مَنْزِلُهُ، ذَهَبوا مُسْرِعينَ نَحْوَ البابِ كأنَّهُمْ أهْلُهُ؛
قامَ أهْلُ المَنْزِلِ بإغلاقِ الباب، صارَ السَّيِّدُ مِنْ هذا الأمْرِ الأَعْوَجِ كالمَجْنون؛
لكِنَّ الوَقْتَ لَمْ يَكُنْ وَقْتَ خُشونَة، ما دُمْتَ سَقَطْتَ في البِئرِ ما نَفْعُ الحِدَّة؛
أقاموا على البابِ خَمْسَةَ أيَّامٍ، اللَّيْلَ في البَرْدِ والنَّهارَ في حَريقِ الشَّمْس؛
لَمْ يَكُنْ بَقاؤُهُمْ عَنْ غَفْلَةٍ أو غباءً، كانَ مِنَ الاِضْطِرارِ ومِن انعِدامِ الزَّاد؛
الخَيِّرونَ يَرْتَبِطونَ اضْطِراراً باللِّئامِ، الأُسودُ مِنْ أذى الجوعِ تَأكُلُ الجِيَف؛
كانَ يُلْقي عَلَيْهِ السَّلامَ حينَ يَراهُ، ويقولُ أنا فُلانٌ، هذا اِسْمي؛

قالَ قَدْ يكونُ، وما عِلْمي مَنْ تكونُ، وهَلْ أنتَ نَجِسٌ أمْ أنتَ قَرينُ طَهارَةٍ؛
قالَ هذا وَقْتٌ بالقِيامَةِ شَبيه، أنْ صارَ الأخُ *يَفِرُّ مِنْ أخيه*؛
ويقومُ بالشَّرْحِ أنْ أنا ذلِكَ الشَّخْصُ، الَّذي أكَلْتَ عَلى مائدتِهِ الطَّعامَ مِراراً؛
يَومَ كَذا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ المَتاعْ كُلُّ سِرٍّ جاوَزَ الإِثْنَيْنِ شاعْ
سِرٌّ حُبٍّ بينَنا يَعْلَمُهُ الخَلْقْ، يستَحي الوَجْهُ إذا أَكَلَ النِّعْمَةَ الحَلْقْ؛
ويَظَلُّ يقولُ لَهُ ما تَقولُ تُرَّهاتٌ، لا أعْرِفُكَ ولا أعْرِفُ اسْمَكَ ولا مَسْكَنَك؛
وفي اللَّيْلَةِ الخامِسَةِ كانَ غَيْمٌ وَمَطَرٌ، حتَّى أنَّ السَّماءَ تَعَجَّبَتْ مِنْ مَطَرِها؛
لَمَّا وَصَلَتِ السِّكِّينُ إلى العَظْمِ، قَرَعَ السَّيِّدُ حَلْقَةَ البابِ أنْ ادْعوا سَيِّدَ البَيْت؛
وعِنْدَما أقْبَلَ إلى البابِ بِمائةِ إلحاحٍ، قالَ أخيراً ما هُناكَ أيْ روحَ أبيك؛
قالَ أنا الَّذي فَرَّطْتُ بِتِلْكَ الحُقوق، وَقَدْ تَرَكْتُ كُلَّ ما كُنْتُ أُفَكِّرُ فيه؛
خَمْسَةَ أيَّامٍ رَأَيْتُ خَمْسَ سِنينَ أَلَمٍ، روحي المِسكينَةُ في هذا اللَّهيبِ والحَريق؛
الجَفاءُ الواحِدُ مِنَ الأهْلِ والحَبيبِ والقُرْبى، هُوَ في الثِّقَلِ مِثْلَ ثلاثِمائةِ ألْف؛
لأنَّهُ لَمْ يُعَرِّضْ قَلْبَهُ لِجَوْرِهِ وَجَفائِه، ورُوحُهُ مَطبوعَةٌ على لُطْفِهِ وَوَفائه؛
كُلُّ ما هُوَ على النَّاسِ بلاءٌ وَشِدَّةٌ، اِعْلَمْ يقيناً أنَّهُ مِنْ خِلافِ العادَة؛
قالَ أيُّها الشَّمْسُ حُبُّكَ في زوال، إذا ما أَرَقْتَ دَمي هُوَ لَكَ حلال؛
اللَّيْلَةُ مُمْطِرَةٌ أعْطِنا زاوِيَةً، كَيْ تَجِدَ ذاكَ في القِيامَةِ لَكَ زاداً؛
قالَ ثَمَّةَ زاوِيَةٌ واحِدَةٌ هِيَ للبُستانِيّ، وهُنا يُوجَدُ ذِئبٌ وَالبُستانِيُّ حارِسٌ؛
في كَفِّهِ سَهْمٌ وَقَوسٌ مِنْ أجْلِ الذِّئبِ، حَتَّى إذا ما أتى ذلِكَ الذِّئبُ قضى عَلَيْه؛
إنْ كُنْتَ تَعْمَلُ تِلْكَ الخِدْمَةَ المكانُ لَكَ، وإلاَّ فَمِنْ فَضْلِكَ اطْلُبْ مَكاناً آخَر؛
قالَ أَعْمَلُ لَكَ مِئةَ خِدْمَةٍ أعْطِني المَكان، ضَعْ ذلِكَ القَوْسَ في كَفِّي والسَّهْم؛
سَوفَ لَنْ أنامَ اللَّيْلَ وسأحْرِسُ الكَرْمَ، وإذا طَلَعَ ذلِكَ الذِّئبُ أُطْلِقُ عَلَيْهِ السَّهْمَ؛
لأجْلِ الحَقِّ أي مُتَرَدِّدُ لا تَذَرْني اللَّيْلَةَ،ماءُ المَطَرِ على رأْسي وتحتي الوَحْلُ؛

أُخْلِيَتْ لَهُ الزَّاوِيَةُ وصارَ مَعَ العيال، إلى ذلِكَ المَكانِ الضَّيِّقِ وبلا مَجال؛
صاروا الواحِدُ فَوْقَ الآخَرَ كالجَرادِ، في زاوِيَةِ الغارِ خَوفاً مِنَ السَّيْل؛
واللَّيْلَ كُلَّ اللَّيْلِ جُمْلَةً يقولونَ، إلٰهنا هذا جَزاؤنا، جزاؤنا جَزاء؛
هذا جَزاءُ مَنْ صارَ مُعيناً للأخِسَّاء، أو صَنَعَ المَعْروفَ لِغَيْرِ الأوفياء؛
هذا جَزاءُ مَنْ في الطَّمَعِ الخام، قامَ بِتَرْكِ خِدْمَةِ تُرابِ الكِرام؛
لَحْسُ تُرابِ المُطَهَّرينَ وجُدرانِهِم، أفْضَلُ مِنَ العوامِّ وَكَرْمِهِم وبُستانِهِم؛
أنْ تَصيرَ عَبْداً لِرَجُلٍ مَضيءِ قَلْبٍ، خَيْرٌ مِنْ أنْ تَذْهَبَ على مفارِقِ المُلوك؛
مِنْ مُلوكِ التُّرابِ سَوفَ لَنْ تَجِدَ، غَيْرَ صَوتِ الطَّبْلِ أيْ رَسولَ السُّبُل؛
المَدَنِيُّونَ قُطَّاعُ الطَّريقِ نِسْبَةً للرُّوح، فَمَنْ يكونُ القُرَوِيُّ الأعْوَجُ وبلا فُتوح؛
هذا جَزاءُ الَّذي بلا تَدْبيرِ العَقْل، جاءَهُ صَوتُ الغُولِ فاخْتارَ النَّقْل؛
إذا وَصَلَ النَّدَمُ مِنَ القَلْبِ إلى الشِّغاف، لا يكونُ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ نَفْعٌ للاِعْتِراف؛
السَّيِّدُ في يَدِهِ القَوسُ والسَّهْمُ مُتَفَحِّصٌ، طِيلَةَ اللَّيْلِ عَنِ الذِّئبِ ناحِيَةً ناحِيَة؛
الذِّئبُ مُسَلَّطٌ عَلَيْهِ كأنَّهُ الشَّرَر، وهُوَ باحِثٌ عَنِ الذِّئبِ، وَعَنِ الذِّئبِ بلا خَبَر؛
البراغيثُ والبَعوضُ كأَنَّها الذِّئاب، تَلْسَعُهُم في ذاكَ المكانِ كأنَّهُ الخراب؛
وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فُرْصَةٌ لِطَرْدِ البَعوض، مِنْ شِدَّةِ الخَوفِ مِنْ حَمْلَةِ الذِّئبِ العَنود؛
ما لَمْ يُصِبِ السَّيِّدُ الذِّئبَ بِسَهْمٍ يُرْديهِ، فإنَّ ذاكَ القُرَوِيَّ سوفَ يَقْتَلِعُ لِحْيَتَه؛
هكذا إلى مُنْتَصَفِ اللَّيْل تَصْطَكُّ أسنانُهُم، أرواحُهُم وَصَلَتْ مِنَ السُّرَّةِ للشَّفَة؛
فَجْأَةً ظَهَرَ تِمثالُ ذِئبٍ مَتروكٍ، أطَلَّ بالرَّأْسِ مِنْ فَوقِ تَلَّةٍ صَغيرَةٍ؛
شَدَّ ذلِكَ السَّيِّدُ السَّهْمَ مِنَ الصَّدْرِ، وَرَمى بِهِ ذاكَ الحَيَوانَ فَخَرَّ صَريعاً؛
خَرَجَتْ مِنَ الحَيَوانِ عِنْدَ سُقوطِهِ ريحٌ، فَصَاحَ القُرَوِيُّ ها وَصَفَّقَ يَدَيه؛
قالَ أيْ بلا مُروءَةٍ هذِهِ أتاني، قالَ لا هذا ذِئبٌ كَمِثْلِ الشَّيطان؛
تَوَحُّشُ الذِّئبِ فيهِ ظاهِر، شَكْلُهُ عَنْ ذِئبيَّتِهِ مُخْبِر؛

قالَ لا فالرِّيْحُ الَّتي خَرَجَتْ مِنْ فَرْجِهِ، أعْرِفُها كما أعْرِفُ الخَمْرَ مِنَ الماء؛
لَقَدْ قَتَلْتَ لي حِمارَتي في الرِّياض، لا كانَ لَكَ أَبَداً بَسْطٌ مِنَ الإنْقِباض؛
قالَ قُمْ بالتَّفَحُّصِ أفْضَلَ فَهُوَ اللَّيْل، الأشْخاصُ مَحْجوبَةٌ عَنِ النَّاظِرِ في اللَّيْل؛
اللَّيلُ يُظْهِرُ الغَلَطَ والتَّبديل، ما كُلُّ شَخْص يَملِكُ الرُّؤيَةَ الصَّائبَةَ في اللَّيل؛
اجْتَمَعَ اللَّيْلُ والغَيْمُ والمَطَرُ الهاطِل، هذِهِ الظُّلُماتُ الثَّلاثُ تُورِدُ غَلَطاً عَجيباً؛
قالَ ذاكَ لي واضِحٌ كالنَّهارِ المُضيء، أنا ريْحَ حِمارَتي أعْرِفُ تَماماً؛
أنا أعْرِفُ تِلْكَ الرّيحَ مِنْ بَيْنِ عِشْرينَ ريحاً، مِثْلَما يَعْرِفُ المُسافِرُ الزَّاد؛
اسْتوى السَّيِّدُ واقِفاً وَأَتى بلا خَوفٍ، وأمْسَكَ بِذلِكَ القُرَوِيِّ مِنْ رَقَبَتِه؛
أنْ أيُّها الأبْلَهُ الطَّرَّارُ تُظْهِرُ النُّورَ، وقد أكَلْتَ الحَشيشَ والأفيونَ كِلَيْهِما مَعاً؛
كَيْفَ لا تَعْرِفُني أنا أيُّها المَهْبول، وتَعْرِفُ ريحَ الحِمارِ في ثلاثِ ظُلُمات؛
ذاكَ الَّذي يَعْرِفُ العِجْلَ مُنْتَصَفَ اللَّيْل، كيفَ لا يَعْرِفُ رفيقَ عَشْرِ سَنَوات؛
تَجْعَلُ مِنْ نَفْسِكَ والِهاً وَعارِفاً، وَتَرْمي الغُبارَ في عَيْنِ المُروءَة؛
أن أنا غافِلٌ حَتَّى عَنْ نَفْسي، لِغَيْرِ الله لا مَجالَ في قَلبي؛
ولا أذْكُرُ ما أكَلْتُ بالأمْس، قَلْبي هذا بِغَيْرِ التَّحَيُّر لا يَسْعَد؛
أنا عاقِلٌ بالحَقِّ وَمَجْنونٌ فاذْكُرْ، في مِثْلِ غَفْلَتي هذِهِ عَنِ النَّفْسِ فاعْذُرْ؛
الَّذي شَرِبَ الرِّجْسَ يَعْني النَّبيذ، الشَّرْعُ قَدْ جَعَلَهُ مَعَ المَعْذورين؛
السَّكرانُ والمأفونُ ليسَ لَهُما طلاقٌ وَبَيْعٌ، هُما كالطِّفْلِ، الطِّفْلُ مَعْفىً ومُعْتَقٌ؛
السُّكْرُ الآتي مِنْ عَبيرِ الشَّاهِ الفَرْد، لا تَفْعَلُ فِعْلَهُ في الرَّأْسِ مِئةُ دَنِّ خَمْر؛
كَيْفَ إذَنْ يَجوزُ أنْ يَقَعَ عَلَيْهِ التَّكليف، صارَ حِصاناً واقِعاً وَصارَ بلا إرادة؛
مَنْ يَضَعُ الحِمْلَ في العالَمِ على أتان، مَنْ يُعطي أبا مُرَّةَ الدَّرْسَ في التَّقوى؛
يَرْفَعونَ الحِمْلَ إنْ حَصَلَ عَرَج، قالَ الحَقُّ *لَيسَ عَلَى الأَعْمى حَرَج*؛
أنا جِهَةَ نَفْسي أعْمىً ومِنَ الحَقِّ بَصير، أنا مُسامَحٌ عَنِ القَليلِ وَعَنِ الكثير؛

تَدَّعي جُزافاً الدَّرْوَشَةَ والغَيْبَةَ عَنِ النَّفْس، وأنَّ عِنْدَكَ صَيْحاتِ سكارى الحَقّ؛
تَقولُ أنا لا أعْرِفُ أرْضاً مِنْ سَماء، فقامَتِ الغَيْرَةُ بامْتِحانِكَ أيَّ امتِحان؛
ريحُ أتانٍ جَعَلَتْكَ هكذا مَفْضوحاً، وقامَ الوُجودُ بإثْباتِ النَّفْيِ لَك؛
بِمِثْلِ هذِهِ الفَضيحَةِ فَضَحَ الحَقُّ المُحتالَ،بِمِثْلِ هذِهِ الطَّريقَةِ أخَذَ الصَّيْدَ النَّافر؛
هُناكَ مئاتُ أُلوفِ الاِمتِحاناتِ أيْ وَلَد، لِكُلِّ مَنْ قالَ أنا صِرْتُ مُتَوَلِّيَ الباب؛
إنْ كانَتِ العامَّةُ لا تَعْرِفُهُ مِنَ الاِمْتِحان، ناضِجو الطَّريقِ يبحَثونَ عَنْ أمارَتِه؛
إذا قامَ بادِّعاءِ الخياطَةِ خَسيسٌ، وَضَعوا لَهُ مِنْ أمامِهِ القِماشَ الأطْلَس؛
أنْ اقْطَعْ هذا واجْعَلْ واسِعاً الإبط، مِنَ الاِمتِحانِ سَوفَ يَظْهَرُ لَهُ قَرنان؛
لَوْ لَمْ يَكُنْ هُناكَ امْتِحانٌ لِكُلِّ رَديءٍ، كانَ كُلُّ مُخَنَّثٍ صارَ في الوَغى رُسْتَم؛
ولو كانَ المُخَنَّثُ نَفْسُهُ لابِساً الدِّرْع، إذا ما رأى الطَّعْنَ صارَ مِثْلَ الأسير؛
سَكْرانُ الحَقِّ كَيْفَ يَصْحومِنْ دَبور،سَكْرانُ الحَقِّ لا يَصحو مِنْ نَفْخِ الصُّور؛
خَمْرَةُ الحَقِّ الصِّدْقُ لا الكَذِبُ،شَرِبْتَ مَخيضاً شَرِبْتَ مَخيضاً شَرِبْتَ مَخيضا؛
جَعَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ الجُنَيْدَ وبايَزيد، اِذْهَبْ فلا أعْرِفُ الفَأْسَ مِنَ المِفتاح؛
سُوءَ الأصْلِ والكَسَلَ والحِرْصَ والطَّمَع،كَيْفَ تَجْعَلُ مَخْفِيَّةً بالمَكْرِ أيْ ماكِر؛
تَجْعَلُ مِنْ نَفْسِكَ مَنصوراً الحَلاَّج، وَتُشْعِلُ النَّارَ في قِطْنِ الرِّفاق؛
أنْ أنا عَرِفْتُ عُمَرَ مِنْ أبي لَهَب، ريحَ حِمارَتي عَرِفْتُ مُنْتَصَفَ اللَّيْل؛
أي حِمارُ يُصَدِّقُكَ مَنْ هُوَ أحْمَقُ مِنْكَ، وَيَجْعَلُ نَفْسَهُ أعْمى وأصَمَّ مِنْ أجْلِكَ؛
أقِلَّ عَدَّ نَفْسِكَ مِنْ سالِكي الطَّريق، أنتَ حَريفُ مَنْ يَدَّعونَ السُّلوكَ لا تَهْذِرْ؛
طِرْ مُجَدَّداً مُسْرِعاً مِنَ المَكْرِ إلى العَقْل،جناحُ المَجاز متى يطيرُ إلى السَّماءِ؛
رَأَيْتَ نَفْسَكَ عاشِقاً للحَقّ، وكانَ عِشْقُكَ للشَّيْطانِ الأسْود؛
العاشِقُ والمَعْشوقُ في يَومِ القِيامَةِ، اثْنَينِ اثْنَينِ يُقْرَنونَ ويُقَدَّمونَ سَريعاً؛
فَكَيْفَ جَعَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ والِهاً وَهائماً، وأينَ هُوَ دَمُ العنقودِ، أنتَ شَرِبْتَ دَمَنا؛

اِذْهَبْ أنا لا أعْرِفُكَ امضِ عَنّي،أنا العارِفُ الذّاهِلُ عَنْ نَفْسي وَبَهلولُ القريةِ؛
أنتَ تتوهَّمُ تَوَهُّماً قُرْبَ الحَق، أنْ صانِعُ الطَّبَقِ لَيْسَ بِعيداً عَنِ الطَّبَق؛
أنتَ لا تُبْصِرُ هذا، أنَّ قُرْبَ الأولياءِ، يَمْتَلِكُ مِئةَ كرامَةٍ وَعَظَمَةٍ وشأنٍ؛
الحديدُ مِنْ داؤودَ يصيرُ شَمْعاً، الشَّمْعُ في يَدِكَ يصيرُ كالحَديد؛
قُرْبُ الخَلْقِ والرِّزْقِ للجَميعِ عام، قُرْبُ وَحْيِ العِشْقِ لِهؤلاءِ الكِرام؛
القُرْبُ أيْ أبُ يكونُ على أنواعٍ، الشَّمْسُ تُشْرِقُ على الجِبالِ والذَّهَب؛
لكِنِ القُربى تكونُ للذَّهَبِ المُضيء، قُربى ليسَ لِلصّفصافِ خَبَرٌ عَنْها؛
قُرْبُ الشَّمْسِ للغُصْنَيْنِ الرَّطْبِ واليابِسِ،متى كانَ للشَّمْسِ عَنْ كِلَيْهِما حِجاب؛
لكِنَّ القُرْبَةَ هِيَ قُرْبَةُ الغُصْنِ الطَّرِيّ، الَّذي تأكُلُ مِنْهُ الثِّمارَ النَّاضِجَة؛
الغُصْنُ اليَبْسُ مِنَ قُرْبِهِ مِنْ تِلْكَ الشَّمْسِ، ماذا يَجِدُ غَيْرَ أنْ يصيرَ أكْثَر يُبْساً؛
بِمِثْلِ ذاكَ السُّكْر لا تَكُنْ أيْ أحْمَقُ، فبالعَقْلِ إذْ يَرْجِعُ تَجْرَعُ النَّدَم؛
بَلْ مِنْ سكارى إذْ يَشْرَبونَ الخَمْرَ، العُقولُ النَّاضِجَةُ تَحْمِلُ الحَسْرَة؛
أيْ مُمْسِكاً بِفأرٍ عَجوزٍ كَسِنَّورٍ، مِنْ تِلْكَ الخَمْرِ إنْ تُمْسِكِ الأَسَدَ أمْسِكِ الأَسَد؛
أيْ مَنْ شَرِبْتَ مِنْ خيالِ جامِ الهباء، لا تقُمْ بالتَّصَرُّفِ مِثْلَ سكارى الحقائق؛
تميلُ هذِهِ الجِهَةَ وتِلْكَ الجِهَةَ كالثَمِل،هذِهِ الجِهَةُ ليسَتْ لَكَ رُحْ مِنْ تِلْكَ الجِهَة؛
بِتِلْكَ الجِهَةِ إنْ تَجِدِ الطَّرِيقَ بَعْدَ ذاكَ، مِلْ بالرَّأسِ تارَةً هذهِ الجِهَةَ وتارَةً تِلْكَ؛
أنتَ جُمْلَةً لِهذِهِ الجِهَةِ لا تَقُلْ عَنْ تِلْك، لا تَمْلِكُ المَوتَ فلا تَقْتَلِعِ الرُّوحَ سُدىً؛
ذاكَ الَّذي بِروحِ الخِضْرِ ولا يهابُ الأجَل، إذا لَمْ يَعْرِفْ مَخلوقاً جازَ لَهُ ذاك؛
تَجْعَلُ الفَمَ مِنْ ذَوْقِ التَّوَهُّمِ لَذيذاً، تَنْفخُ في قِرْبَتِكَ وتَجْعَلُها ممْتَلِئةً؛
ثُمَّ مِنْ إبْرَةٍ واحِدَةٍ تُفْرَغُ مِنَ الهواء، لا كانَتْ سُمْنَةُ بَدَنِ عاقِلٍ هكذا أبَداً؛
صَنَعْتَ أباريقَ مِنَ الثَّلْجِ في الشِّتاء ، ذاكَ إذا رأى الماءَ مَتى يَفْعَلُ الوفاء؛

سُقوط ابن آوى في دَنّ صِباغ وتَلَوُّنُهُ
وادِّعاؤهُ الطّاووسِيَّةِ بينَ بناتِ آوى

نَزَلَ ابنُ آوى في دَنٍّ مِنَ الصِّباغ، بَقِيَ في ذلِكَ الدَّنِّ مُدَّةَ ساعَةٍ واحِدَة؛
ثُمَّ خَرَجَ مِنْهُ مُلَوَّنَ الجِلْدِ، يقولُ أنا طاووسُ عِلِّيِّين؛
الصُّوفُ المُلَوَّنُ وَجَدَ رَونَقاً جَميلاً، وَشَعَّتِ الشَّمْسُ على تِلْكَ الألوان؛
رأى نَفْسَهُ أخْضَرَ وأحْمَرَ وأزرَقَ وأصْفَرَ،قامَ بِعَرْضِ النَّفْسِ على بناتِ آوى؛
جَميعاً قالوا أي بُنَي آوى ما الحال، حَتَّى يكونَ عِنْدَكَ في الرَّأْسِ نَشاطٌ مُلْتَوٍ؛
أنْتَ نَحَّيْتَنا جانِباً مِنَ النَّشاط، مِنْ أيْنَ تُرى جِئْتَ بِهذا التَّكَبُّر؛
قالَ لَهُ واحِدٌ مِنْ بناتِ آوى أيْ فُلان، أَمَكْرٌ هذا أمْ صِرْتَ مِنْ سُعَداءِ القَلوب؛
أَفَعَلْتَ مَكْراً لِكَيْ تَعْلُوَ المَنْبَر، لِكَيْ تُعطي هذا الخَلْقَ الحَسْرَةَ مِنَ الغُرور؛
سَعَيْتَ كثيراً فَلَمْ تَجِدِ مَنْزِلَةً، فَأتَيْتَ بالمَكْرِ بَعْدَها بلا خَجَل؛
إنَّ الكرامَةَ للأولياءِ والأنبياء، وكُلُّ ذي مَكْرٍ يلوذُ بقِلَّةِ الحَياءِ؛
لِيَجْذِبوا انتِباهَ الخَلْقِ إلى النَّفْسِ، أَنْ نَحْنُ طَيِّبونَ وفي الباطِنِ كم هُمْ سَيِّئون؛

دَهْنُ رَجُلٍ مَغْرورٍ الشَّارِبَ والشَّفَةَ بالدَّسَمِ مِنْ جِلْدِ أُلْيَةٍ
كُلَّ صباحٍ وخَروجُهُ ما بينَ الرِّفاقِ أنْ أنا أكَلْتُ كذا وكذا

شَخْصٌ مُسْتَهانٌ وَجَدَ جِلْدَ أُلْيَةٍ ، صارَ كُلَّ صَباحٍ يَدْهَنُ الشَّارِبَ بالدَّسَم؛
ثُمَّ يَذْهَبُ ما بَيْنَ المُنَعَّمينَ يقول، أكَلْتُ في المَحْفَلِ الطَّعامَ الدَّسِم؛
ويَضَعُ يَدَهُ على الشَّارِبِ في رَجاء، رَمْزاً يعني انظُروا جِهَةَ الشَّارِب؛
هذا شاهِدُ الصِّدْقِ على ما أقول، وهذِهِ علامَةُ أكْلِ الدَّسِمِ واللَّذيذ؛
وَبَطْنُهَ قالَ الجوابَ بلا طَنينْ أنْ أبادَ اللهُ كَيْدَ الظَّالِمينْ

تَعَظُّمُكَ هذا رمانا على النَّار، فَلْيَكُنْ مُقْتَلَعاً ذاكَ الشَّارِبُ الدَّسِمُ؛
لولا تَباجُحُكَ القَبيحُ أي شَحَّاذُ، كانَ كَريمٌ ألقى لَنا بِعَطاءٍ رَحْمَةً؛
لَو أظْهَرْتَ العَيْبَ وقَلَّلْتَ العِوَجَ، كانَ طَبيبٌ أعَدَّ لِعَيْبِكَ دواءً؛
لا تُحَرِّكْ عِوَجاً الأُذُنَ والذَّنب، قالَ الحَقُّ *لَيَنْفَعَنَّ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ*؛
لا تَنَمْ في الكَهْفِ لَيَّاً مُحْتَلِمْ كُلَّ ما تَمْلِكُ أظْهِرْ واسْتَقِمْ
وما لَمْ تَقُلْ عَيْبَ النَّفْسِ فاصْمتْ مَرَّةً، لا تَقْتُلِ النَّفْسَ مِنَ التَّفاخُرِ ومِنَ الدَّغَل؛
إذا وَجَدْتَ نَقْداً فلا تَفْتَحِ الفَمّ، إنَّ في الدَّرْبِ حِجارَةَ الاِمتِحان؛
ومِنْ قَبْلِ حِجارَةِ الاِمتِحانِ أيضاً، هُناكَ الاِمتِحاناتُ في أحوالِ النَّفْس؛
اللهُ قَالَ مِنْ وِلادَةٍ لِحَيْن كُلَّ عامٍ يُفْتَنونَ مَرَّتَيْنْ
الاِمْتِحانُ فَوْقَ الاِمْتِحانِ أيْ أب ، اِنْتَبِهْ لا تَشْرِ نَفْسَكَ بِأَقَلِّ امتِحان؛

اِطْمِئنانُ بَلعَمْ باعور بامتِحانِ الحَضْرَةِ لَهُ مَرَّاتٍ وَخُروجِهِ مِنْها جَميعاً أبْيَضَ الوَجْه

إنَّ بَلْعَمَ باعورَ وإبليسَ اللَّعينَيْن، مِنَ الاِمْتِحانِ الأخيرِ صارا مَهينَيْن؛
مُدَّعي دَعْوى مَيْلِ الدَّولَة، مَعِدَتُهُ كانَتْ تَلْعَنُ شارِبَه؛
أنْ أيْ اللهُ أظْهِرْ ما يُخْفي، لَقَدْ أحْرَقَنا أيْ اللهُ افْضَحْهُ؛
جُمْلَةُ أجزاءِ بَدَنِهِ لَهُ خَصْمٌ، هِيَ في الشِّتاءِ وَيَدَّعي أنَّهُ في الرَّبيع؛
الدَّعاوي تَسَبِّبُ فَسادَ الكُروم، تَقْتَلِعُ غُصْنَ الرَّحْمَةِ مِنَ الجُذور؛
قَدِّمِ الصِّدْقَ أو كُنْ صامِتاً، أُنْظُرِ الرَّحْمَةَ آنَذاكَ واشْرَبْ؛
ذاكَ البَطْنُ صارَ خَصْمَ شارِبِهِ، وَرَفَعَ اليَدَ بالدُّعاءِ في الخَفاء؛
أنْ أي اللهُ افْضَحْ دَعْوى اللِّئام، كَيْ تَتَحَرَّكَ نَحْوَنا رَحْمَةُ الكِرام؛
دُعاءُ ذلِكَ البَطْنِ جاءَ مُسْتَجاباً، حُرْقَةُ الحاجَةِ رَفَعَتْ خارِجاً العَلَمَ؛

الحَقُّ قالَ إذا دَعَوْتَني أَجَبْتُكَ، حَتَّى وَلَو كُنْتَ فاسِقاً وأهْلَ صَنَم؛
تَمَسَّكْ بالدُّعاءِ جَيِّداً وَتَضَرَّعْ، يُحَرِّرْكَ في العاقِبَةِ مِنْ يَدِ الغَوْل؛
حينَ أسْلَمَتِ البَطْنُ نَفْسَها للحَضْرَةِ، جاءَتْ قِطَّةٌ وَأَخَذَتْ جِلْدَ تِلْكَ الأَلْيَة؛
وَجَرَوا خَلْفَ القِطَّةِ لكِنَّها هَرَبَتْ، الوَلَدُ مِنْ خَوْفِ عِتابِهِ ذَهَبَ لَونُه؛
وجاءَ ذلِكَ الطِّفْلُ الصَّغيرُ في المَحْفَل، وأذْهَبَ ماءَ وَجْهِ ذلِكَ الرَّجُلِ المُدَّعي؛
قالَ تِلْكَ الأَلْيَةُ الَّتي كُنْتَ كُلَّ صَباحٍ، تَدْهَنُ مِنْها الشَّارِبَ والشَّفَة؛
جاءَتْ قِطَّةٌ فَجْأَةً وخَطَفَتْها، جَرَيْنا وراءَها وَلَمْ يُجْدِ نَفْعاً الجُهْد؛
فجاءَتِ الحاضِرينَ ضُحْكَةٌ مِنْ عَجَبٍ، وتَحَرَّكَتْ رَحَماتُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ جَديد؛
فَدَعَوْهُ للطَّعامِ وَأَشْبَعُوْهُ طَعاماً، وَزَرَعوا في أرْضِهِ بِذْرَةَ المَحَبَّة؛
هُوَ حِيْنَ رأى ذَوْقَ الصِّدْقِ مِنَ الكِرام، صارَ للصِّدْقِ دونَما تَكَبُّرٍ الغُلام؛

ادِّعاءُ الطَّاووسِيَّةِ مِنْ ابْنِ آوى الَّذي وَقَعَ في دَنِّ الصَّبَّاغ

ابْنُ آوى المُلَوَّنُ جاءَ خِفْيَةً، وقالَ هامِساً في أُذُنِ اللائم؛
أُنْظُرْ أخيراً إلَيَّ وإلى لَوني، صَنَماً مِثْلي لا يَمْلِكُ عابِدُ صَنَم؛
صِرْتُ جَميلاً كبُسْتانٍ بِمِئَةِ لَونٍ، قُمْ بالسُّجودِ لي ولا تُعانِدني؛
أُنْظُرِ الكَرَّ والفَرَّ والماءَ والحرارَةَ واللَّون، فادْعُني فَخْرَ الدُّنيا وَرُكْنَ الدِّين؛
صِرْتُ مَظْهَرَ لُطْفٍ إلهيّ صِرْتُ لَوْحَ شَرْحِ كِبْريائيّ
بناتِ آوى لا تَدْعُوني ابْنَ آوى، هذا المِقْدارُ مِنَ الجَمالِ متى كانَ لابْنِ آوى؛
بناتُ آوى جاؤوا هُناكَ في جَمْع، كأَنَّهُمُ الفَراشاتُ حَوْلَ الشَّمْع؛
إذَنْ ماذا نَدْعُوكَ قُلْ أيْ جَوْهَري، قالَ ذَكَرَ الطَّاووسِ مِثْلَ المُشْتَري؛
فقالوا لَهُ إنَّ طواويسَ الرُّوحِ، تَقُومُ بالتَّجَلِّي في رَوْضَةِ الوَرْد؛
هَلْ تَقومُ بِمِثْلِ تِلْكَ الجَلْوَةِ، قالَ لا، لَمْ أذْهَبْ إلى البادِيَةِ فَكَيْفَ أقول؛

هَلْ تأتي بِصَوتِ الطَّاووسِ قالَ لا، لَسْتَ بالطَّاووسِ إذَنْ يا سَيِّد أبو العُلا؛
خِلْعَةُ الطَّاوُوسِ تَأْتي مِنَ السَّماءِ، مَتى تَصِلُ إلى ذاك مِنَ اللَّونِ والدَّعاوي؛

تَشبيهُ فِرْعَون وَدَعْوى أُلوهِيَّتِه بِذلِكَ
الابن آوى الَّذي كانَ يَدَّعي الطَّاووسيّة

مِثْلَ فِرْعَونَ الَّذي رَصَّعَ لِحْيَتَهُ، طارَ عالياً على عيسى مِنْ حَماقَتِه؛
كانَ أيضاً مَولودَ نَسْلِ ابْنِ آوى، وَلَقَدْ وَقَعَ في دَنِّ المالِ والجاه؛
سَجَدَ لهُ كُلُّ مَنْ رأى المالَ والجاهَ، كما هُو انْخَدَعَ بِسَجْدَةِ أهْلِ الخِداع؛
الشَّحَّاذُ رَثُّ الخَلَقِ ذاكَ صارَ سَكْرانَ، مِنَ سُجودِ الخَلْقِ وَمِنْ تَحَيُّرِ الخَلْق؛
المالُ صارَ حَيَّةً بِها أنواعُ السُّموم، وذاكَ السُّجودُ والقَبولُ مِنَ الخَلْقِ ثُعباناً؛
فِرْعَونُ اِحْذَرْ لا تَدَّعِ النَّاموس، أنتَ ابنُ آوى لا تَقُلْ أنا طاووس؛
فإنَّكَ إذا ظَهَرْتَ جِهَةَ الطَّواويس،كُنْتَ عاجِزاً عَنِ التَّجَلِّي وصِرْتَ مَفضوحاً؛
موسى وهارونُ كانا كالطَّاويسِ، ضَرَبا على رأسِكَ وَوَجْهِكَ بِجَناحِ التَّجَلِّي؛
فَصارَ قُبْحُكَ ظاهِراً وافْتِضاحُكَ، وَوَقَعْتَ مَنكوساً مِنْ عَليائك؛
حينَ رَأَيْتَ المَحَكَّ صِرْتَ أسْوَدَ كالزَّيْف، ذَهَبَتْ صُورَةُ الأسَدِ وظَهَرَ الكَلْب؛
أيُّها الكَلْبُ قَبيحُ الجَسَدْ لا تُلْبِسِ النَّفْسَ إهابَ الأسَدْ
فالإمتِحانُ سَوفَ يُطالِبُكَ بِزَئيرِ الأسَد ، فإذا أنتَ بأخلاقِ كِلابٍ ونَقْشِ أسَد؛

تَفْسير وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ في لَحْنِ القَوْل

قالَ اللهُ للنَّبِيّ علامَةً في المَساق، سَهْلَةَ التَّمييزِ عَنْ أهْلِ النِّفاق؛
وَلَو كانَ المُنافِقُ ضَخْماً جَميلاً مَهيباً، فإنَّكَ تَعْرِفُهُ في اللَّحْنِ والقَوْل؛
عِنْدَما تَشْتَري الجِرارَ مِنَ الفَخَّار، أنتَ تَقومُ بامْتِحانِها أيُّها المُشْتَري؛

لِماذا تَضْرِبُ اليَدَ على ذلِكَ الكُوْز، لِتَعْرِفَ مِنَ الطَّنينِ إنْ كانَ مَكْسوراً؛
فإنَّ صَوتَ المَكْسورِ كانَ مُخْتَلِفاً، الصَّوتُ حادٍ لَهُ يسيرُ مِنْ أمامِهِ؛
يَصْدُرُ الصَّوتُ فيقومُ بِتَعْريفِه، كالمَصْدَرِ يقومُ الفِعْلُ بِتَصْريفِهِ؛
عِنْدَما حَديثُ الإمْتِحانِ عَرَضَ الوَجْهَ، جاءَتْ سَريعاً لِذاكِرَتي قِصَّةُ هاروت؛

قِصَّةُ هاروتَ وماروتَ وَجُرْأَتُهُما على امْتِحانِ الحَقِّ تَعالى

قَبْلَ هذا كُنَّا قُلْنا قَليلاً مِنْ ذلِك، وما نَقولُ مِنْها غَيْرَ واحِدٍ مِنَ الآلاف؛
أَرَدْتُ أنْ أقولَ في ذلِكَ حقائق، تَأَخَّرَتْ إلى الآنَ مِنَ العوائق؛
مِنَ الكَثيرِ هذا شَرْحٌ آخَرُ قَليل، جاءَكَ وَصْفُ عُضْوٍ واحِدٍ مِنَ الفيل؛
فاسْتَمِعْ إلى هاروتَ وإلى ماروت، أي مَنْ نَحْنُ لِوَجْهِك غِلْمانٌ وَخُدَّام؛
كانا في سُكْرٍ مِنْ مَحْضَرِ الإله، ومِنْ عَجائبِ اسْتِدْراجِ الشَّاه؛
مِثْلُ هذا السُّكْرِ اسْتِدْراجٌ مِنَ الحَقّ، كَمْ ألواناً مِنَ السُّكْرِ أحْدَثَ مِعْراجُ الحَقّ؛
حَبَّةُ قَمْحِ شِباكِهِ أظْهَرَتْ كَهذا السُّكْر، فماذا تَفْتَحُ مائِدَةُ إنْعامِهِ يا تُرى؛
كانا مُتَحَرِّرَيْنِ مِنَ القَيْدِ ثَمِلَيْن، وكانا يُطْلِقانِ الصَّيْحاتِ كعاشِقَين؛
كمينٌ واحِدٌ كانَ في الطَّريقِ وامْتِحان، صَرْصَرُهْ اخْتَطَفَ الجَبَلَ كأنَّهُ القَشَّةُ؛
يَمْتَحِنُهُمُ الإمْتِحانَ مِنْ فَوقِهِم وأسْفَلِهِم، مَتى كانَ لِدائرِ الرَّأْسِ عَنْ هذِهِ خَبَر؛
الخَنْدَقُ والمَيْدانُ مِنْ أمامِهِ واحِدٌ، البِئرُ والخَنْدَقُ مِنْ دُونِهِ مَسْلَكٌ حَسَنٌ؛
تَيْسُ الجِبالِ ذاكَ على ذلِكَ الجَبَلِ العالي، يَسْعى في إثْرِ طَعامِهِ بلا أذى؛
بينا هُوَ يَقْضِمُ العُشْبَ رأى فَجْأَةً، لُعْبَةً أُخْرى مِنْ حُكْمِ السَّماء؛
ألقى نَظَراً على جَبَلٍ آخَرَ فرأى، على ذلِكَ الجَبَلِ الآخَرِ عَنْزاً؛
عَيْنُهُ صارَتْ في الزَّمانِ مُظْلِمَةً، قَفَزَ مِنْ هذا الجَبَلِ إلى ذاكَ سَكْران؛
أبداهُ قَريباً إلَيْهِ حَتَّى كأنَّهُ، كان يَدورُ حَولَ بالوعَةِ الدَّار؛

آلافَ الأذْرُعِ أبداها لَهُ ذِراعَيْن، حتَّى جاءَهُ مِنَ السُّكْرِ أنْ يَقْفِزَ المِيْل؛
كانَ يقفِزُ ويَسْقُطُ في الوَسَط، هُناكَ بَيْنَ الجَبَلَيْنِ بلا أمان؛
هَرَبَ مِنَ الصَّيَّادينَ إلى الجَبَل، مَلْجَؤهُ الَّذي هَرَبَ إلَيْهِ سَفَكَ دَمَه؛
ثُلَّةٌ مِنَ الصَّيَّادين بَيْنَ الجَبَلَيْن، كانوا بانتِظارِ ذاكَ القَضاءِ العَظيم؛
أغْلَبُ صَيْدِ الماعِزِ مِنْ قَبيلِ هذا، وإلاَّ فالماعِزُ سَريعُ الحَرَكَةِ وَيَرى الخَصْم؛
رُسْتَمُ رَغْمَ أنَّهُ كانَ بِرَأْسٍ وَشارِبٍ، الفَخُّ الَّذي أمْسَكَ قَدَمَهُ كانَ الشَّهْوَةَ يقيناً؛
كُنْ مِثْلي وأقْلِعْ عَنْ سُكْرِ الشَّهْوَةِ، وانْظُرْ إلى سُكْرِ الشَّهْوَةِ في البَعير؛
ثُمَّ إنَّ سُكْرَ الشَّهْوَةِ هذا في الدُّنيا، اِعْلَمْ مُسْتَهانٌ أمامَ سُكْرِ المُلْك؛
سُكْرُ ذاكَ السَّكْرانِ يَكْسِرُ هذا، ذاكَ مَتى قامَ بالالتِفاتِ للشَّهْوَة؛
ما لَمْ تَشْرَبِ الماءَ العَذْبَ فالماءُ المالِحُ، يكونُ عَذْباً كأنَّهُ النُّورُ داخِلَ العَيْن؛
قَطْرَةٌ واحِدَةٌ مِنْ رياحِ السَّماء، تَقْتَلِعُ الرُّوحَ، مِنَ الخَمْرِ وَمِنَ السُّقاة؛
فما تِلْكَ الَّتي للأملاك مِنْ سَكَرات، ومِنَ الجلالَةِ للأرواحِ الطَّاهِرات؛
رَبَطوا القَلْبَ بِتِلْكَ الخَمْرِ مِنْ نَفَحَةِ عبير، وكَسَروا دَنَّ خَمْرِ هذِهِ الدُّنيا؛
خلا أولئكَ اليائسينَ البَعيدين، مِثْلَ كُفَّارٍ مُخْتَفينَ في القُبور؛
صاروا يائسينَ مِنْ كِلا العالَمَيْن، غَرَسوا بلا نِهايَةٍ الأشواك؛
قالا مِنَ السُّكْرِ أيْ أسَفاً، لَو كُنَّا على الأرْضِ أمْطَرْنا كالمُزْن؛
وَبَسَطْنا في هذا المَكانِ بلا عَدْلٍ، العَدْلَ والإنْصافَ والعِباداتِ والوفاء؛
قالا هذا والقَضاءُ قالَ قِفا، فأمامَ أقْدامِكُما فِخاخٌ كَثيرَةٌ خَفِيَّةٌ؛
لا تَجْرِ بِجَسارَةٍ في صَحراءِ البلاء، ولا تَسِرْ أعْمى في كَرْبلاء؛
فَمِنْ شُعورِ وعِظامِ الهالِكين، لا تَجِدُ الدَّرْبَ أقْدامُ السَّالِكين؛
الدَّرْبُ جُمْلَةً عِظامٌ وعَصَبٌ وَشَعْرٌ، كَمْ شَيْئاً جَعَلَهُ لا شَيءَ سَيْفُ القَهْر؛
الحَقُّ قالَ العَبيدُ مَشْفوعونَ بالعَون، يَمْشونَ بَطيئاً على الأرْضِ في هَون؛

حافِيْ القَدَمِ كَيْفَ يسيرُ بِأرْضِ الشَّوك، إلاَّ بالتَّوَقُّفِ والتَّفَكُّرِ والإتِّقاء؛
كانَ القَضاءُ يَتَحَدَّثُ لَكِنَّ آذانَهُما، كانَتْ مُغْلَقَةً في حِجابِ اشتياقِهِما؛
العُيونُ والآذانُ مُغْلَقَةٌ، إلاَّ مِنْ أولئكَ الَّذينَ تَحَرَّروا مِنَ النَّفْس؛
مَنْ يَفْتَحُ البَصَرَ غَيْرُ العِنايَة، مَنْ يُطْفِئُ الغَضَبَ غَيْرُ المَحَبَّة؛
لا كانَ جُهْدُ شَخْصٍ بلا تَوفيقٍ ، في الدُّنيا *واللهُ أعْلَمُ بالسَّداد*؛

قِصَّةُ رُؤيا فِرْعَونَ مَجيءَ موسى عليهِ السّلام وَتَفْكيرُهُ بالتَّدارُك

جُهْدُ فِرْعَونَ إذْ كانَ بلا تَوفيق، كُلُّ ما كانَ يَخيطُ كانَ لَهُ تَفْتيق؛
كانَ في حُكْمِهِ أُلوفُ المَنَجِّمين، وما لا يُعَدُّ مِنْ ساحِرينَ وَمُعَبِّرين؛
أُظْهِرَ لَهُ في المنامِ مَقْدَمُ موسى، الَّذي سَيَجْعَلُ فَرْعَونَ ومُلْكَهُ خراباً؛
قالَ لِلْمُعَبِّرينَ ولأهْلِ النُّجوم، كَيْفَ دَفْعُ خَيالِ وَمَنامِ الشُّؤم؛
قالوا جَميعاً سَنَقومُ بالتَّدبير، ونَقْطَعُ طَريقَ الوِلادَةِ كَقُطَّاعِ الطَّريق؛
حتَّى حانَتِ اللَّيْلَةُ المَوعودَةُ للحَمْل، رأى أولئكَ الفَرْعونيُّونَ هذا الرَّأي؛
أنْ يُخْرِجوا مَجْلِسَ وَتَخْتَ السُّلطان، ذلِكَ اليَومَ مِنَ الفَجْرِ إلى المَيدان؛
مُنادينَ أي جُمْلَةَ الإسرائيليّين، الشَّاهُ يَدْعوكُمْ مِنْ ذلِكَ المَكان؛
كَيْ يَعْرِضَ لَكُمُ الوَجْهَ بلا نِقاب، كَيْ يَعْمَلَ لَكُمُ الإحسانَ لأجْلِ الثَّواب؛
أولئكَ الأُسارى كانُوا دائماً مُبْعَدينَ، ولَمْ يكُنْ لَهُمْ دَستورٌ لِرُؤيَةِ فِرْعَون؛
لَو اتَّفَقَ مُرورُهُمْ في الطَّريق أمامَهُ، كانَ الرَّسْمُ في ذلِكَ أنْ يُخْفوا الوُجوه؛
كانَ الرَّسْمُ هكذا فلمْ يكُنْ لأيِّ أسير، مَوعِداً أو بِلا مَوعِدٍ لِقاءُ ذاكَ الأمير؛
إذا سَمِعَ الأسيرُ صَوتَ الحُداةِ في الطَّريق، يَجْعَلُ الوَجْهَ للحائطِ كي لا يرى؛
وَلَو رأى وَجْهَهُ يكونُ مُجْرِماً، وَيَجْري على رَأْسِهِ مِنَ العِقابِ أسْوَؤه؛
كانَ لَهُمْ حِرْصُ اللِّقاءِ المُمْتَنِعْ مِثْلَ حِرْصِ الآدَمي فيما مُنِعْ

دَعْوَةُ بَنـي إسرائيلَ إلى المَيْدان مِنْ أجْلِ
حِيلَةِ مَنْعِ ولادَةِ موسى عَلَيْهِ السَّلام

أيُّها الأسْرى إلى جِهَةِ المَيْدانِ اذْهَبوا، فَهُناكَ أَمَلٌ بِرُؤيَةِ وَجُودِ مَلِكِ المُلوك؛
عِنْدَما سَمِعَ الإسْرائيليُّونَ البُشْرى، كانوا ظِماءَ وكانوا مُشتاقينَ كثيراً لِذلِك؛
أَكَلُوا الحِيْلَةَ وَأَسْرَعُوا ذلِكَ الصَّوْب ، وَهَيَّؤوا أَنْفُسَهُمْ لأجْلِ الجَلْوَة؛

حِكايَة

مِثْلَما فَعَلَ ها هُنا مَغولِيٌّ مُحْتال، قالَ أنا أطْلُبُ شَخْصاً مِنَ المِصْرِيّين؛
اِجْمَعوا المِصْرِيّينَ هذا الطَّرَف، حَتَّى يَقَعَ مَنْ يَلزمُني بالكَفّ؛
وكُلَّما جاءَ واحِدٌ قالَ لا لَيْسَ هذا، اُدْخُلْ أيُّها السَّيِّدُ واجْلِسْ بِذلِكَ الرُّكْن؛
حتَّى جَمَعَهُمْ جَميعاً بِهذِهِ الطَّريقَة، وَضَرَبَ رِقابَهُمْ جَميعاً بِهذِهِ الحِيْلَة؛
الشُّؤمُ كانَ مِنْ أنَّهُمْ لَمْ يكونوا يُلَبُّونَ، نِداءَ الصَّلاةِ مُفْتَقِرِيْنَ لِداعِي الله؛
دَعْوَةُ المَكَّارِ لَهُمْ سَحَبَتْهُم شَديدا، الحَذَرَ مِنْ مَكْرِ الشَّيطانِ أيْ رَشيدا؛
اشْرَبْ نِداءَ الدَّراويشِ والمُحتاجين، حتَّى لا يَأْخُذَ بِأُذُنِكَ نِداءُ المُحتالين؛
إنْ كانَ الشَّحَّاذونَ طامِعينَ وَسَيِّئي طَبْع،اُطْلُبْ ما بَيْنَ الجائعينَ صاحِبَ قَلْب؛
في قاعِ البَحْرِ الجَواهِرُ مَعَ الأحجار، أنواعُ الفَخْرِ مَوجودَةٌ بَيْنَ ألوانِ العار؛
ثُمَّ جاءَ الإسرائيليُّونَ مِنَ الفَجْرِ، يَجيشونَ إلى جانِبِ المَيدانِ مُسْرِعين؛
عِنْدَما بالحِيْلَةِ جاءِ بِهِم إلى المَيْدان، عَرَضَ لَهُم الوَجْهَ، وَجْهاً مَملوءاً طلاوَةً؛
مَنَحَهُمُ المَحَبَّةَ ووهَبَهُمُ الهِبات، وأعطاهُمُ العطاءَ وَوَعَدَهُمُ الوعودَ ذاكَ المَلِك؛
مِنْ بَعْدِ ذلِكَ قالَ مِنْ أجْلِ أرواحِكُم، ناموا جَميعاً هذِهِ اللَّيْلَةَ في المَيْدان؛
أَعْطَوا الجَوابَ أنْ نَحْنُ في الخِدْمَة، لَو طَلَبْتَ شَهْراً كامِلاً نَحْنُ هُنا ساكِنون؛

عَودَةُ فِرْعَونَ مِنَ المَيْدانِ إلى المَدينَةِ مَسروراً بالتَّفْريقِ بينَ بَني إسرائيلَ ونِسائهِمْ لَيْلَةَ الحَمْل

عادَ المَلِكُ وَقْتَ المَساءِ وَهُوَ سَعيد، اللَّيْلَةُ لَيْلَةُ الحَمْلِ وَهُمْ عَنِ النِّساءِ بعيد؛
وخازِنُهُ عِمْرانُ كانَ أيضاً في خِدْمَتِه، جاءَ إلى المَدينَةِ أيضاً قَرينَ صُحْبَتِه؛
قالَ أيْ عِمْرانُ نَمْ على هذا الباب، لا تَذْهَبْ إلى امْرَأتِكَ ولا تَطْلُبِ الصُّحْبَة؛
قالَ أنا أيضاً أنامُ في بِلاطِكَ، ولا أُفَكِّرُ أبداً بِغَيْرِ مَرغوبِ قَلْبِك؛
كانَ عِمْرانُ أيضاً مِنَ الإسرائيليّين، لكِنَّهُ كانَ لِفِرْعَونَ قَلْباً ورُوحاً؛
مَتى كانَ يَتَخَيَّلُ أَنْ يَقُوْمَ بالعِصْيان، ويَفْعَلَ ذاكَ الَّذي بِهِ خُوفُ روحِ فِرْعَون؛

اجْتِماعُ عِمْرانَ بِأُمِّ موسى وَحَمْلُ أمِّ موسى عَلَيْهِ السَّلام

ذَهَبَ الشَّاهُ وَهُوَ نامَ على ذاكَ الباب،في مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ جاءَتْ زَوْجَتُهُ لِرُؤيَتِه؛
الزَّوجَةُ وَقَعَتْ عَلَيْهِ وَقَبَّلَتْ شَفَتَه، وأيْقَظَتْهُ مِنَ النَّومِ تِلْكَ اللَّيْلَة؛
صارَ مُسْتَيْقِظاً ورأى المَرْأَةَ الجَميلَةَ، أمْطَرَتْ شَفَتُهُ شَفَتَها مَطَراً مِنَ القُبُلات؛
قالَ عِمْرانُ كَيْفَ جِئتِ هذا الزَّمان، قالَتْ مِنَ الشَّوقِ وَمِنْ قَضاءِ الله؛
ضَمَّها إلى حِضْنِهِ مِنْ مَحَبَّةِ الرَّجُل، وَلَمْ يَقْدِرْ على غَلَبَةِ النَّفْسِ تِلْكَ اللَّحْظَة؛
فواصَلَها واسْتَوْدَعَ الأمانَةَ، ثُمَّ قالَ أي امْرَأةُ ذا لَيْسَ بالأمْرِ اليسير؛
حَديدٌ ضَرَبَ الصَّخْرَ فَتَوَلَّدَتْ نارٌ، نارٌ تَحْمِلُ العَداوَةَ للشَّاهِ وَمُلْكِه؛
أنا كالغَيْمِ أنْتِ الأَرْضُ مُوسى النَّبات،الحَقُّ شاهُ الشَّطْرَنْجِ وَنَحْنُ قِطَعٌ حائرَة؛
أيْ عَروسُ اعْرِفي الرِّبْحَ والخَسارَةَ مِنَ الشَّاهِ، لا تَرَيْ ذاكَ مِنَّا ولا تُآسِفينا؛
إنَّ كُلَّ ذاكَ الَّذي فِرْعَونُ يَخافُ مِنْهُ ، قَدْ وَقَعَ هذِهِ اللَّحْظَةَ الَّتي واقَعْتُكِ فيها؛

وَصِيَّةُ عِمْرانَ لِزَوْجِهِ بَعْدَ المُجامَعَة أنْ كأنَّكِ لَمْ تَرَيْني

اِحْذَري لا تقولي عَنْ هذا شَيئاً، كَيْ لا يَصِلَ إلَيَّ وإلَيْكِ مِئةُ حَزَن؛
في العاقِبَةِ سَوفَ تَظْهَرُ آثارُ هذا، حينَ تَصِلُ العلاماتُ أيَّتُها المُدَلَّلَة؛
وفي الزَّمانِ مِنْ جِهَةِ المَيْدانِ أصواتٌ، تَصِلُ مِنَ الخَلْقِ وَيَمْتَلِئُ بِها الهواء؛
الشّاهُ مِنَ الهَيْبَةِ خَرَجَ مُسْرِعاً ذاكَ الزَّمان، حافِيَ القَدَمِ أنْ ما هذِهِ الأصوات؛
ما صُراخٌ وَصياحٌ مِنْ جِهَةِ المَيْدان، مِنَ الخَوفِ مِنْهُما يفِرُّ الجِنِّيُّ والشَّيطان؛
قالَ عِمْرانُ أيْ مَلِكَنا طالَ عُمْرُكَ، هؤلاءِ هُم الإسرائيليُّونَ وَهُمْ مِنْكَ سُعَداء؛
إنَّهُمْ مِنْ عَطاءِ الشَّاهِ يَمْرَحون، فَرِحينَ يَرقُصونَ وبالأكُفِّ يُصَفِّقون؛
قالَ قَدْ يَكُوْنُ هذا وَلَكِنَّني ، امْتَلأْتُ تَماماً بالوَهْمِ والفِكْر؛

خَوفُ فِرْعَونَ مِنْ ذلِكَ الصَّوت

هذا الصَوتُ قامَ بِتَغييرِ روحي، صَيَّرَني عَجوزاً مِنَ الغَمِّ والحَزَنِ المَريرَينِ؛
الشّاهُ طيلَةَ اللَّيلِ يَجيءُ وَيَروحُ، كما هِيَ الحامِلُ وَقْتَ الوِلادَة؛
وكُلَّ زمانٍ يقولُ أيْ عِمْران، هذِهِ الأصوات قَلَعَتني عَنيفاً مِنَ المَكان؛
وَلَمْ تَكُنْ لِعِمْرانَ المِسْكينِ الشَّجاعَة، كي يَذْكُرَ أمْرَ اخْتِلاطِهِ بِزَوجِه؛
وأنَّ زَوْجَةَ عِمْرانَ وَرَدَتْ على عِمْران، مِنْ أجْلِ أنْ يَظْهَرَ نَجْمُ موسى؛
كُلُّ نَبيٍّ دَخَلَ داخِلَ الرَّحِم ، صارَ لَهُ نَجْمٌ على الفُلْكِ مُنْتَجِم؛

ظُهُورُ نَجْمِ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ في السَّماء
وصُراخُ المُنَجِّمينَ في المَيْدان

صارَتْ نَجْمَتُهُ تِلْكَ ظاهِرَةً على الفَلَك، على رَغْمِ فِرْعَونَ وَمَكْرِهِ وحِيَلِه؛
طَلَعَ النَّهارُ قالَ لَهُ أيْ عِمْرانُ اذْهَبْ،قِفْ على تِلْكَ الضَّوضاء وَذاكَ الصِّياح؛

فَمَضى عِمْرانُ إلى جانِبِ المَيْدانِ وقال، ما هذِهِ الجَلَبَةُ مَلِكُ المُلوكِ لَمْ يَنَمْ؛

وكُلُّ مُنَجِّمٍ حاسِرُ الرَّأْسِ مُمَزَّقُ الثَّوب، كهَيئَةِ أصحابِ العَزاءِ يُقَبِّلُ التُّراب؛

أصْواتُهُمْ مِثْلَ أصْواتِ أصحابِ العَزاء، مُخْتَنِقَةٌ مِنَ نَشيجِهِم والعَويل؛

لِحىً وشُعورٌ مُقْتَلَعَةٌ وجوهٌ مَخْدوشَةٌ،رُؤوسٌ عليها التُّرابُ عُيونٌ ملأى بالدَّمّ؛

قالَ ما هذا الاِضْطِرابُ خَيْراً ما الحال، السَّنَةُ المَنْحوسَةُ تُعطي علامَةً سَيِّئَةً؛

أورَدوا العُذْرَ وقالوا أيْ أمير، جَعَلَتنا أُسارى يَدُ التَّقْدير؛

عَمِلْنا كُلَّ هذا والدَّولَةُ مُظْلِمَةٌ، والعَدُوُّ صارَ سُلطاناً وَصارَ غالِباً؛

نَجْمَةُ ذاكَ الوَلَدِ جاءَتْ عياناً اللَّيْلَةَ، على الرَّغْمِ مِنَّا على جَبينِ السَّماء؛

طَلَعَتْ نَجْمَةُ ذاكَ النَّبِيِّ على السَّماء، وَنَحْنُ صِرنا نُمْطِرُ النُّجومَ مِنَ البُكاء؛

عِمْرانُ بِقَلْبٍ سَعيدٍ مَسرورٍ وَمِنَ النِّفاق، وَضَعَ اليَدَ على الرَّأْسِ، آهٍ الفِراق؛

أظْهَرَ عِمْرانُ العُبوسَ وَالغَضَبَ الشَّديد، ذَهَبَ كالمَجانينِ بلا عَقْلٍ ولا وَعْي؛

جَعَلَ مِنْ نَفْسِهِ أعْجَمِيَّاً وَمَضى، ينْطِقُ بِأخْشَنِ القَولِ على الجَمْع؛

جَعَلَ مِنْ نَفْسِهِ عابِساً وَمَحزوناً، لَعِبَ لُعْبَةَ النَّرْدِ بِشَكْلٍ مَقلوب؛

قالَ لَهُمْ لَقَدْ خَدَعْتُمْ مَلِكي، لَمْ يَكُنْ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ الخيانَةِ ومِنَ الطَّمَع؛

حَرَّضْتُمُ المَلِكَ على المَجيءِ للمَيْدان، وأهْرَقْتُم ماءَ وَجْهِ مَلِكِنا؛

ضَرَبْتُمْ بالأيدي على الصُّدورِ للضَّمان، قُلْتُمْ سَنَجْعَلُ مَلِكَنا فارِغاً مِنْ الغُموم؛

المَلِكُ أيضاً سَمِعَ وقالَ أي خائنون، لأُعَلِّقَنَّكُمْ على المَشانِقِ بلا أمان؛

لَقَدْ جَعَلْتُمْ مِنِّي أُضْحُوكَةً، وَخَسِرْتُ أموالي لأعدائي؛

لِيَبقى الإسرائيليّونَ هذِهِ اللَّيْلَةَ، جَميعاً بعيدينَ عَنْ مُلاقاةِ النِّساء؛

المالُ ذَهَبَ وماءُ الوَجْهِ والفِعْلُ خام، أهكذا يكونُ العَوْنُ وأفْعالُ الكِرام؛

سِنينَ تأخُذونَ الأرزاقَ والخِلْعَةَ، والمَمالِكُ مُسَلَّمٌ تأكُلونَها؛

كانَ هذا رأيُكُمْ والعِلْمُ والنُّجوم، أكَّالونَ مَكَّارونَ أهْلُ شُؤم؛

لأُعَلِّقَنَّكُم على الأعوادِ ولأُشْعِلَنَّ النَّارَ، وأقْتَلِعَنَّ أُنوفَكُمْ والآذانَ والشِّفاه؛
ولأَجْعَلَنَّ مِنْكُمْ للنِّيرانِ حَطَباً، ولأُحيلَنَّ ماضِيَ سُرورِ عَيْشِكُمُ أَلَماً؛
فَسَجَدوا وقالوا أيُّها المَلِكُ، إذا كانَ الشَّيطانُ قَدِ انتَصَرَ عَلَينا كَرَّةً واحِدَةً؛
فَقَدْ كُنَّا لِسِنينَ نَدْفَعُ البلايا، الوَهْمُ حَيْرانُ مِنْ ذلِكَ الَّذي قُمْنا بِه؛
لَقَدْ فاتَ مِنَّا وَحَمْلُهُ صارَ ظاهِراً، نُطْفَتُهُ انطَلَقَتْ وَوَقَعَتْ في الرَّحِم؛
لكِنْ اسْتِغْفاراً لِهذا سَنَظَلُّ على الدَّوام، نُراقِبُ يَومَ الميلادِ أَيُّها المَلِكُ العَظيم؛
نَجْعَلُ يَومَ ميلادِهِ رَصْداً لنا دائماً، حتَّى لا يكونَ فَوتٌ فلا يَبرُزَ هذا القَضاء؛
إنْ لَمْ تَكُنْ لنا هذِهِ المُراقَبَةُ اقْتُلنا، أي مَنْ غُلامُ رأيكَ الأفكارُ والأفهام؛
سَنَحْسِبُ لَهُ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ يَوماً يَوماً، كَيْ لا يَطيرَ سَهْمُ الحُكْمِ قاتِلُ الخَصْم؛
كُلُّ مَنْ حَمَلَ بَغْتَةً في اللَيلِ على القَضاء،وَقَعَ مَنْكوسَ الرَّأْسِ وَسَفَكَ دَمَ نَفْسِه؛
حينَ تَقومُ الأَرْضُ بالخُصومَةِ مَعَ السَّماء،تَصيرُ مُضْطَرِبَةً وَتَتَعَرَّضُ للمَوت؛
والنَّقْشُ الَّذي يَضْرِبُ النَّقاشَ بالقَبْضَةِ ، سَيَقْتَلِعُ النَّقَّاش شارِبَهُ وَيَقْتَلِعُ لِحْيَتَه؛

دَعْوَةُ فِرْعَونَ النِّساءَ حَديثاتِ الوِلادةِ
إلى المَيدان مِنْ قَبيلِ المَكْرِ أيضاً

بَعْدَ تِسْعَةِ أَشهُرٍ أَخْرَجَ المَلِكُ التَّخْتَ، إلى المَيْدانِ ونادى مُنادٍ بعالي الصَّوت؛
أي نِساءُ أَقْبِلْنَ مَعَ أطفالِكِنَّ للمَيْدان، أَيْ جَميعَ الإسرائيليينَ اخْرُجوا خارِجاً؛
هكذا كما جرى السَّنَةَ الماضِيَةَ للرِّجال، وكُلُّ شَخْصٍ مِنْهُمْ أَخَذَ خلعَةً وَذَهَباً؛
أيْ نِساءُ هذِهِ السَّنَةُ سَنَةُ إقبالِكِنَّ، كي تَحْصَلَ كُلٌّ مِنْكُنَّ على ما تُريدُ؛
ليَخْلَعَ على النِّساءَ وَيُظْهِرَ الوَجْهَ،وَيَضَعَ على رُؤوسِ الأطفالِ قلانِسَ الذَّهَب؛
كُلُّ مَنْ وَلَدَتْ هذا الشَّهْرَ فَلْتُقْبِلْ، وَلْتَأْخُذِ الكُنوزَ مِنَ الشَّاهِ المَكين؛
النِّساءُ خَرَجْنَ للخارِجِ مَعَ الأطفال، أَتَيْنَ إلى فُسْطَاطِ المَلِك مَسروراتٍ؛

كُلُّ حَديثَةِ وِلادَةٍ خَرَجَتْ مِنَ المَدينَةِ ، نَحوَ المَيْدانِ غافِلَةً عَنِ المَكْرِ والقَهْر؛
وحينَ صارَتِ النِساءُ مُجْتَمِعاتٍ جُمْلَةً، أَخَذَوا كُلَ مَولودٍ ذَكَرٍ مِنَ الوالِدَة؛
وَقَطَعوا رَأسَهُ أنْ هذا احْتياط ، لِكَي لا يَنْمُوَ الخَصْمُ ويَزيدَ الخُباط؛

مَجيءُ موسى إلى الوُجود وَمَجيءُ الأعوانِ إلى مَنْزِلِ عِمْران ومَجيءُ الوَحْيِ إلى أمِّ موسى أنْ ألقي موسى في النّار

امْرَأَةُ عِمْرانَ الَّتي كانَتْ حامِلاً بِموسى،احْتَجَبَتْ عَنْ ذينِكَ الضَّجيجِ والدُّخان؛
أَرْسَلَ ذلِكَ المُحْتالُ إلى البُيوتِ، النِّساءَ القوابِلَ مِنْ أجْلِ التَّجَسُّس؛
فأسْرَرْنَ لَهُ السِّرَّ أنْ هاهُنا طِفْلٌ، لَمْ يَجِئْ إلى المَيْدانِ مِنْ وَهْمٍ وَشَكّ؛
وامْرَأَةٌ جَميلَةٌ في هذا الزُّقاقِ، مِلْؤها الفَضْلُ وعِنْدَها طِفْلٌ؛
وَأتى الأعوانُ فَأَلْقَتْ بِطِفْلِها، داخِلِ التَّنُّورِ عَنْ أمْرِ الله؛
الوَحْيُ جاءَ لِلمَرْأَةِ مِنَ الخَبير، أَنْ هذا الوَلَدُ مِنْ أصْلِ الخَليل؛
عِصْمَةً يا نارُ كُوني بارِدا لا تَكُوْنُ النَّارُ حَرّاً شارِدا
المَرْأَةُ عَنِ الوَحْيِ أَلْقَتْ بِهِ في الشَّرَر، فَلَمْ يكُنْ للنَّارِ على بَدَنِ موسى أثَر؛
فَرَجَعَ الأعوانُ خائبينَ مِنْ تِلْكَ النَّاحِيَة، ومِنْ جَديدٍ وَقَفَ الواشونَ على ذلِكَ؛
فَحَمَلوا ما جَرى مَعَ الأعوان، مِنْ أجْلِ عِدَّةِ دَوانِقَ إلى فِرْعَون؛
أنْ أيْ أعوانُ ارجِعوا ذاكَ الطَّرَفْ ، جَيّداً جَيِّداً أُنْظُروا في الغُرَف؛

مَجيءُ الوَحْيِ إلى أُمِّ موسى أنْ ألقي موسى في اليَمّ

جاءَ الوَحْيُ مُجَدَداً أَنْ ألقيهِ في البَحْر، اجْعَلي الوَجْهَ راجِياً لا تَقْلَعي الشَّعْر؛
أَلقيهِ في النّيلِ كوني مُعْتَمِدَةً، إنّي مُوْصِلُكِ إلَيْهِ أبيَضَ الوَجْه؛
هذا الحَديثُ لا نِهايَةَ لَهُ وألوانُ مَكْرِ فِرعَون، كُلُّها التَفَّتْ على ساقِهِ وَقَدَمِه؛

مِئاتِ ألوفِ الأطْفالِ يَقْتُلُ في الخارِجِ، وموسى في صَدْرِ المَنْزِلِ مِنَ الدَّاخِلِ؛
مِنَ الجُنونِ كانَ يَقْتُلُ كُلَّ جَنينٍ، بالحِيَلِ ذاكَ الأعْمى البَصَرِ حادِّ النَّظَرِ؛
كانَ مَكْرُ فِرْعَونَ العَنودِ ثُعْباناً، ابْتَلَعَ مَكْرَ كُلِّ مُلوكِ الدُّنيا؛
لكِنْ ظَهَرَ مَنْ هُوَ أكْثَرُ فرعَونيَّةً مِنْهُ، فابتَلَعَهُ هُوَ وابْتَلَعَ مَكْرَهُ أيضاً؛
كانَ حَيَّةٌ وَصارَتِ العصا حَيَّةً، وهذِهِ أكَلَتْ ذاكَ بِتَوفيقِ الله؛
يَدٌ فَوْقَ يَدٍ صارَتْ حَتَّى مَتى، حَتَّى الإنتِهاءِ للهِ الَّذي *إلَيْهِ المُنْتَهى*؛
ذلِكَ البَحْرُ بلا غَوْرٍ ولا شُطآن، جُمْلَةُ البِحارِ قُدَّامَهُ مِثْلَ سَيْلٍ؛
الحِيَلُ والأساليبُ إذا كانَتْ ثُعْباناً، فَإنَّها جُمْلَةً أمامَ *إلاَّ اللهُ* عَدَمٌ؛
وحينَ وَصَلَ بياني إلى هُنا وَضَعَ الرَّأس، صارَ مَحْواً *واللهُ أعْلَمُ بالرَّشاد*؛
وكُلُّ ذاكَ الَّذي كانَ في فِرْعَونَ هُوَ فيكَ، إلاَّ أنَّ أفْعاكَ مَحبوسَةٌ في بِئرٍ؛
أي أسَفاً أنَّ هذِهِ أحْوالُكَ جُمْلَةً، وتُريدُ أنْ تَجْعَلَها مَعْقُودَةً على ذاكَ الفِرعَونِ؛
لَو قالوا عَنْكَ ذاكَ تَوَلَّدَتْ لَدَيْكَ وَحْشَة، ولو قالوهُ عَنْ آخَرَ بَدا لَكَ خُرافَة؛
أيَّ خَرابٍ تُحْدِثُ بِكَ النَفْسُ اللَعينَة، تُلقيكَ بِعُنْفٍ بَعيداً تِلْكَ القَرينَة؛
نارُكَ لَيْسَ لها حَطَبُ نارِ فِرْعَونَ ، ولو كانَ كانَتْ تَشْتَعِلُ كنارِ فِرْعَوْن؛

حِكايَةُ صائدِ الحَيَّاتِ الَّذي رأى حَيَّةً مُتَجَمِدَةً
فَظَنَّها مَيْتَةً فَرَبَطَها بالحِبالِ وجاءَ بِها إلى بَغْداد

اِسْتَمِعْ هذِهِ الحِكايَةَ مِنْ راوٍ للتَاريخ، حتَّى تَجِدَ عَبيراً مِنْ هذا السِّرِّ الخَفي؛
ذهَبَ صائدُ حَيَّاتٍ إلى الجِبال، حتَّى يصيدَ بأساليبِ الخِداعِ حَيَّةً؛
كُلُّ مَنْ يَبْحَثُ لا بُدَّ أنْ يَجِدَ، ثَقيلَ الخُطى كانَ أمْ سريعاً؛
فاسْعَ في الطَلَبِ دائماً بِكِلْتا يَدَيْك، إنَّ الطَّلَبَ في الطَّريقِ نِعْمَ الدَّليل؛
لَو كُنْتَ أعْرَجَ أكْتَعَ مَعيبَ الشَّكْلِ وبلا أدَبٍ، كُنْ ساعِياً إلَيْهِ وكُنْ في طَلَبِه؛

حيناً بالكلامِ وَحيناً بالصَّمْتِ وَحيناً بالعَبيرِ،عَبيرُ الشَّاهِ يُوجَدُ مِنْ كُلِّ صَوب؛
فَيَعْقوبُ ذاكَ قالَ لأولادِهِ، اِبْحَثوا عَنْ يُوسُفَ زِيادَةً عَنِ الحَدّ؛
اسْتَعْمِلوا كُلَّ حِسٍّ في البَحْثِ بِجِدّ، وامضوا كُلَّ طَرَفٍ شَكْلَ مُسْتَعِدّ؛
قالَ لا تَيْأسوا مِنْ رَوْحِ اللهِ، ومِثْلَ مَنْ ضاعَ ابْنُهُ اذهَبوا كُلَّ ناحِيَة؛
كونوا سائلينَ مِنْ طريقِ حِسِّ الفَمّ، واجْعَلوا الأُذُنَ على مَفارِقِ الطُّرُق؛
حَيثُما أتَتْ ريحٌ طَيِّبَةٌ اسْتَهْدُوا بالعَبير، إلى تِلْكَ الجِهَةَ فأنْتُمْ عالِمونَ بالسَّير؛
وَحَيْثُما رأيْتُمْ مِنْ شَخْصٍ اللُّطْف، سيروا في الطَّريقِ إلى أصْلِ اللُّطْف؛
هذِهِ الجَداوِلَ كُلُّها مِنَ البَحْرِ العَميق، فاتْرُكِ الجُزْءَ وَدُمْ مُتَّجِهاً إلى الكُلّ؛
فإنَّ نِزاعاتِ الخَلْقِ مِنْ أجْلِ النُّعْمى، والحياةُ بلا وَرَقِ العَيْشِ علامَةٌ طوبى؛
غَضَبُ وَحِدَّةُ الخَلْقِ لأجْلِ الرَّاحَةِ، شِباكُ الرَّاحَةِ دائماً بلا راحَة؛
وكُلُّ إيذاءٍ كانَ مِنْ أجْلِ الإحسان، وكُلُّ عِتابٍ يُحْدِثُ التَّنبيهَ للشُّكْر؛
خُذِ العَبيرَ مِنَ الجُزْءِ للكُلِّ أي كَريم، احْمِلِ العَبيرَ مِنَ الضِّدِّ للضِّدِّ أي حَكيم؛
الحُروبُ تَأتي بالصُّلْحِ الصَّحيح، صائدُ الحَيَّةِ لأجْلِ العَونِ يبْحَثُ عَنِ الحَيَّة؛
مِنْ أجْلِ العَونِ يَطْلُبُ الحَيَّةَ الآدَميّ، أكَلَ الغَمَّ مِنْ أجْلِ حَريفٍ بلا غمّ؛
وَظَلَّ يَبْحَثُ عَنْ حَيَّةٍ مَهُولَةٍ، دائراً في الجِبالِ وفي أيَّامِ الثَّلْج؛
فَرَأى حَيَّةً مَيْتَةً هُناكَ عَظيمَةً، حتَّى أنَّ قَلْبَهُ مِنْ شَكْلِها امْتَلأً مِنْ الخَوف؛
صائِدُ الحَيَّاتِ في الشتاءِ الشديد، يبحثُ عَنْ حَيَّةٍ فرأى حَيَّةً مَيتَةً؛
صائِدُ الحَيَّاتِ مِنْ أجْلِ إدهاشِ الخَلْق، أمْسَكَ تِلْكَ الحَيَّةَ فانْظُرْ جَهْلَ الخَلْق؛
الآدَمِيُّ جَبَلٌ فَكَيْفَ يكونُ مَفْتوناً، الجَبَلُ كَيفَ يكونُ مِنْ حَيَّةٍ مَدْهوشاً؛
مِسْكينٌ الآدَمِيُّ لا يَعْرِفُ النَّفْسَ، جاءَ مِنَ الزِيادَةِ وَصارَ في النُقْصان؛
باعَ نَفْسَهُ رَخيصَةً الآدَمِيُّ، كانَ نَسيجاً فاخِراً فَحاكَ النَفْسَ على ثَوبٍ خَلَقٍ؛
مِئاتُ أُلوفِ الحَيَّاتِ والجِبالِ حائِرَةٌ مِنْهُ، فَلِماذا صارَ حَيْرانَ ومُحِبّاً للحَيَّات؛

صائدُ الحَيّاتِ أمْسَكَ بِتِلْكَ الحَيَّةِ، وَجاءَ إلى جِهَةِ بَغْدادَ مِنْ أجْلِ الإدْهاش؛
حَيَّةٌ ضَخْمَةٌ كَدِعامَةِ البَيْتِ، يَجُرُها لِيَجْتَمِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ؛
أنْ قَدْ جِئتُ بِحَيَّةٍ مَيّتَةٍ، عانَيْتُ أشَدَّ العَناءِ في صَيْدِها؛
كانَ يَظُنُّها مَيْتَةً ولكِنَّها، كانَتْ حَيَّةً وَظَهَرَتْ على شَكْلِ مَيْتَة؛
العالَمُ مُتَجَمِّدٌ واِسْمُهُ جَماد، والجامِدُ كانَ مُتَجَمِّداً أي أُستاذ؛
فاصْبِرْ إلى أنْ تَطْلَعَ شَمْسُ الحَشْرِ عياناً، كَيْ تَرى حَرَكَةَ جِسْمِ العالَمِ عِياناً؛
لَمَّا صارَتْ عَصا مُوسى هُنا حَيَّةً، صارَ العَقْلُ ذا خَبَرٍ عَنِ الأشياءِ السَّاكِنَة؛
ما دامَ قَدْ صَنَعَ مِنْ قِطْعَةِ تُرابِكَ بَشَراً، فَحَرِيٌّ بِكَ أنْ تَعْرِفَ التُرابَ جُمْلَةً؛
مَيّتَةً مِنْ هذِهِ الجِهَةِ حَيَّةٌ مِنْ تِلْكَ الجِهَة، صامِتَةٌ هُنا ناطِقَةٌ مِنْ ذاكَ الطَّرَف؛
عِنْدَما أرْسَلَها مِنْ تِلْكَ الجِهَةِ إلى جِهَتِنا، صارَتْ تِلْكَ العصا مِنْ جِهَتِنا أفْعى؛
الجِبالُ أيضاً تَعْزِفُ لَحْنَ داؤود، جَوهَرُ الحَديدِ في الكَفِّ يصيرُ شَمْعاً؛
الرِّيحُ تَصيرُ حَمَّالَ سُلَيمان، البَحْرُ مَعَ موسى يصيرُ خَبيراً بالكلام؛
يصيرُ للقَمَرِ مَعَ أحْمَدَ إشارَةُ رُؤيَةٍ، نارُ إبراهيمَ تَصيرُ نِسْريناً؛
التُّرابُ سَحَبَ قارونَ مِثْلَ حَيَّةٍ، الجِذْعُ الحَنَّانُ جاءَ في رَشَد؛
الحِجارَةُ تُلقي على أحْمَدَ سلاماً، الجَبَلُ يَنْقُلُ إلى يَحيى كلاماً؛
أي غَيْرَ المُحْرِمينَ نَحْنُ مَعَكُمْ صامِتون، لكِنَّنا سَميعونَ بَصيرونَ جَميلون؛
ما دُمْتُمْ تَذهَبونَ جِهَةَ الجَماد، كَيْفَ تَصيرونَ مُحْرِمينَ لِروحِ الجَماد؛
اِمْضِ مِنَ الجَمادِ إلى عالَمِ الأرواح، اِسْمَعْ ضَجيجَ أجْزاءِ العالَم؛
يَنْكَشِفْ لَكَ تَسْبيحُ الجَمادات، ولا تَخْتَطِفُكَ وَسْوَسَةُ التَأويلات؛
حَيْثُ أنَّ روحَكَ لا تَمْتَلِكُ القناديل، قُمْتَ مِنْ أجْلِ الرُّؤيَةِ بالتَّأويلات؛
أَنْ غَرَضُ التَّسبيحِ متى كانَ ظاهِراً، دَعْوى الرُّؤيَةِ كانَتْ غَيّ خَيال؛
بَلْ رُؤيَةُ النَّاظِرِ ذاكَ، وَقْتَ العِبْرَةِ تَدْفَعُ للتَّسبيح؛

وبِما أنَّهُ يُذَكِّرُكَ بالتَّسبيح، تِلْكَ الدَلالَةُ كانَتْ كأنَّها كلام؛
هذا تَأويلُ أهْلِ الاِعْتِزال، وتأويلَ شَخْصٍ لا يَمْلِكُ نُورَ الحال؛
ما دامَ لا يَخْرُجُ مِنَ الحِسّ الآدَمِيّ، فَهُوَ عَنِ التَّصويرِ الغَيبِيّ أعْجَمِيّ؛
هذا الحَديثُ لا نِهايَةَ لَهُ وَصائدُ الحَيَّات، راحَ يَسْحَبُ تِلْكَ الحَيَّةَ بِمِئةِ جُهْد؛
لِيَصِلَ بَغْدادَ ذاكَ الطَّالِبُ الغَوغاء، ويُقيمَ حَلْقَةً على مُفْتَرَقِ طُرُق؛
أقامَ الرَّجُلُ حَلْقَةً على شَفَةِ الشَّاطِئ، وَوَقَعَتَ الضَّجَّةُ في مَدينَةِ بَغْداد؛
أنَّ صَيَّاداً قَدْ أتى بِثُعْبانٍ، وأنَّهُ صادَ صَيْداً عَجيباً نادِراً؛
اجْتَمَعَ السُّذَّجُ بِمِئاتِ الأُلوفِ ، صاروا صَيْداً لَهُ وصارَ صَيداً لَهُمْ مَنْ بلاهَتِه؛
وهُمْ مُنْتَظِرونَ وَهُوَ أيضاً مُنْتَظِرٌ، حتَّى يُقْبِلَ إلى الجَمْعِ الخَلْقُ المُنْتَشِر؛
لِيَصيْرَ النَّاسُ في الجَمْعِ أكْثَرَ، ويَجْرِيَ التَّسَوُّلُ والعَطاءُ أفْضَل؛
اجْتَمَعَ جَمْعٌ مِنْ مِئةِ ألْفِ فُضولِيّ، في حَلْقَةٍ تَلاصَقَتْ بِها الظُّهُورُ والأقْدام؛
لَمْ يكُنْ لِرَجُلٍ عِلْمٌ بامْرَأةٍ مِنَ الاِزْدِحام، واخْتَلَطوا كالقيامَةِ مِنْ خاصٍّ وعامّ؛
وَعِنْدَما كانوا يقومونَ بِتَحْريكِها، كانَ أهْلُ الجَمْعِ يَمُدُّونَ الأعْناق؛
والأفْعى الَّتي كانَتْ مُتَجَمِّدَةً مِنَ الزَّمْهَرير، كانَتْ تَحْتَ مِئةِ نَوْعٍ مِنَ البُسُط؛
كانَ قَدْ رَبَطها بكُلِّ حَبْلٍ غَليظ، كانَ عَمِلَ الاِحْتِياطَ مِنْها ذاكَ الحَفيظ؛
في مُهْلَةِ الاِنْتِظارِ مِنَ الاِتِّفاق، شَعَّتْ على الحَيَّةِ شَمْسُ العِراق؛
الشَّمْسُ الحارَّةُ جَعَلَتْها دافِئَة، ذَهَبَتْ مِنْ أعْضائها الأخلاطُ البارِدَة؛
كانَتْ مَيْتَةً وَصارَتْ حَيَّةً مِنْ عَجَب، وأخَذَتْ تَتَحَرَّكُ مُلْتَفَّةً على نَفْسِها؛
الخَلْقُ مِنْ تَحَرُّكِ تِلْكَ الحَيَّةِ المَيِّتَة، التَّحَيُّرُ الواحِدُ مِنْهُمْ صارَ مِئةَ ألْف؛
وَمَعَ التَّحَيُّرِ قاموا بإطلاقِ الصَّرَخات، وجَميعُهُمْ جُمْلَةً فَرُّوا مِنْ حَرَكَتِها؛
راحَتْ تُقَطِّعُ القُيودَ بِصوتٍ شَديدٍ، تَمْضي إلى كُلِّ صَوْبٍ لها صَليل؛
وَقَطَّعَتِ القُيودَ وَخَرَجَتْ مِنْ تَحْتِ القُيُود، أفْعى قبيحَةٌ لها زَئيرٌ كأنَّها الأسَد؛

كَمْ مِنَ الخلائقِ قُتِلوا في الهَزيمَةِ، صارَتْ مِئةُ تَلَّةٍ مِنَ القَتْلى الواقِعين؛
صائدُ الحَيَّةِ رُعْباً ظَلَّ يابِساً في المكان، أنْ ماذا جَلَبْتُ مِنَ الجَبَلِ والمَفازَة؛
تِلْكَ الشَاةُ العَمْياءُ أيْقَظَتِ الذِّئبَ، ذَهَبَتْ جاهِلَةً إلى جِهَةِ عِزرائيلِها؛
الحَيَّةُ ابْتَلَعَتْ في لُقْمَةٍ ذلِكَ الحَيْرانَ، وذاكَ سَهْلٌ على سَفَّاكِ الدِّماءِ الحَجَّاج؛
ثُمَّ التَفَّتْ وأطْبَقَتْ بِجِسْمِها على جِذْعٍ، فَكَسَّرَتِ العِظامَ الَّتي كانَتِ ابْتَلَعَتْها؛
نَفْسُكَ ثُعْبانٌ ثُعْبانُكَ متى مات، لَقَدْ تَجَمَّدَ مِنْ غَمِّ انعِدامِ الآلَة؛
وَلَوْ أنَّهُ وَجَدَ آلَةَ فِرْعَون، وكانَ ماءُ الجَدْوَل يسيلُ بِأمْرِهِ؛
كانَ بَنى بُنيانَ فِرْعَونَ آنَذاك، وَقَطَعَ طَريقَ مِئَةِ موسى وَمِئةِ هارون؛
صارَتْ تِلْكَ الحَيّةُ عَنْ يَدِ الفَقْر دُودَةً، البَعُوضَةُ مِنَ الجاهِ والمالِ صَقْر؛
حافِظْ على تِلْكَ الأفْعى في ثَلْجِ الفِراق، واحْذَرْ لا تَجُرَّنَّها إلى شَمْسِ العِراق؛
ما دامَتْ حَيَّتُكَ تِلْكَ مُتَجَمِّدَةً، هِيَ تَنْجو وفَريسَتُها تَجِدُ النَّجاةَ أيضاً؛
فَأَمِتْها وَكُنْ آمِناً مِنَ المَمات، لا تَرْحَمْها لَيْسَتْ مِنْ أهْلِ الصِّلات؛
فَإنَ حَرارَةَ شَمْسِ الشَّهْوَةِ تِلْكَ ضَرَبَت، خَفَّاشَكَ الحَقيرَ ذاكَ فطارَ بِجَناحَيْه؛
شُدَّها نَحْوَ الجِهادِ والقِتالْ كالرِّجالِ اللهُ يَجْزِيْكَ الوِصالْ
ذاكَ الرَّجُلَ لَمَّا أتى بِتِلْكَ الأفْعى، إلى ذاكَ الهَواءِ الحارِّ صارَتْ ذاكَ المَريد؛
لا جَرَمَ قَدْ عَمِلَتْ تِلْكَ الفِتَنَ أيْ عَزيز، وَأَكْثَرَ مِمَّا قُلْناهُ عِشْرِينَ ضَعْفاً أيضاً؛
وأنتَ تَطْمَعُ أنْ تجْعَلَها بلا جَفاء، مُقَيَّدَةً في الوَقارِ وفي الوَفاء؛
متى يَصِلُ كُلُّ خسيسٍ إلى هذا التَّمَنّي، يَجِبُ أنْ يُوجَدَ مُوسى لِيقتُلَ الأفْعى؛
مِئاتُ أُلُوْفِ الخَلْقِ مِنْ أَفْعاه، في الهَزيمَةِ صارَتْ مَقْتُوْلَةً مِنْ رَأْيِه؛

تَهْديد فِرْعَون لِموسى عَلَيْهِ السَّلام

قالَ فِرْعَونُ لِماذا أي كليم، قَتَلْتَ الخَلْقَ وألْقَيْتَ الرُّعْب؛ أوْقَعْتَ في الهَزيمَةِ خَلْقاً، قُتِلوا في الهَزيمَةِ زَلَقاً؛ لا جَرَمَ القَومُ اتَّخَذُوكَ عَدُوّاً، واسْتَقَرَّ كُرْهُكَ في صُدورِ الرِّجالِ والنِّساء؛ دَعْوَتُكَ للخَلْقِ صارَتْ على العَكْس، وَلَيْسَ للنَّاسِ مِنْ خِلافِكَ بُدٌّ؛ وأنا أيضاً إنْ تأذَّيْتُ مِنْ شَرِّكَ، فَسَوفَ أطْبِخُ لَكَ الْقِدْرَ لِعِقابِك؛ فانْزَعْ قَلْبَكَ مِنْ هذا أنَّكَ خَدَعْتَني، أو أنَّ أحَداً سَوفَ يَمْشي خلْفَكَ إلاَ ظِلَّك؛ أنتَ فاعْلَمْ لا تَغْتَرَّ بِما صَنَعْتَ، وأنَّكَ ألقَيْتَ في قُلوبِ الخلائقِ الرُّعْب؛ فآتِ بِمِئَةٍ مِنْ هذا وَتَكونُ أيضاً مَفْضوحاً، وَتَصيرُ ذليلاً وأُضْحُوكَةً للغَوغاء؛ كثيرونَ مِثْلَكَ كانوا مِنَ المُحْتالينَ،في العاقِبَةِ صاروا في مِصْرِنا مَفْضوحين؛

جواب موسى لِفِرْعَون على تَهْديدِهِ لَه

قالَ مَعَ أمْرِ الحَقِّ لا إشراكَ لي، وَلَو أراقَ أمْرُهُ دَمي فلا خَوف؛ أنا راضٍ أنا شاكِرٌ أي حَريف، مَفْضوحٌ مِنْ هذا الجانِبِ وَعِنْدَ الحَقِّ شَريف؛ عِنْدَ الخَلْقِ ذَليلٌ وَعاجِزٌ وأُضْحُوكَةٌ، عِنْدَ الحَقِّ مَحْبوبٌ وَمَطْلوبٌ وَمَحمود؛ أقولُ هذا قَولاً وإلاَّ فَإنَّ اللهَ، سَوف يَجْعَلُكَ غداً مِنْ سُودِ الوُجوه؛ العِزَّةُ تِلْكَ الَّتي لَهُ ولِعَبيدِه، مِنْ آدَمَ وإبليسَ اقْرَأْ علامَةَ ذلِك؛ شَرْحُ الحَقِّ لا نِهايَةَ لَهُ مِثْلَ الحَقّ ، هيَّا ضَعِ الرِّباطَ على الفَمِ واعَبُرِ الوَرَق؛

جواب فِرْعَون لِموسى عَلَيْهِ السّلام

قالَ لَهُ فِرْعَونُ الوَرَقُ في حُكْمِنا، الدَّفْتَرُ الآنَ لنا وَديوانُ الحُكْمِ لَنا؛ أهْلُ الدُّنيا يُريدونَني هذا الزَّمان، أأَنْتَ أعْقَلُ مِنَ الجَميعِ أيْ فُلان؛

مُوسيا اشْتَرِ النَّفْسَ هَيَّا اذْهَبْ، أَقِلَّ رُؤيَةَ النَّفْسِ ولا تَغْتَرَّ بالنَّفْس؛
سَوفَ أجْمَعُ لَكَ ساحِرِي الدَّهْر، لأُظْهِرَ جَهْلَكَ بادِياً في المَدينَة؛
هذا سَوفَ لَنْ يَكُونَ في يَومٍ وَيَومَيْن، أعْطِني مُهْلَةً أَرْبَعينَ يَوماً إلى تَمُّوز؛

جواب موسى عَلَيْهِ السَّلام لِفِرْعَون

قالَ موسى هذا لَيْسَ لي بِدَسْتور، أنا عَبْدٌ أنا بإمْهالِكَ غَيْرُ مأمور؛
إنْ كُنْتَ غالِباً وأنا بلا مُعين، أنا عَبْدُ أمْرِهِ ولا شُغْلَ لي بِذلِكَ الأمْر؛
سَوفَ أُقاتِلُكَ ما حييت بِجِدّ، ولا شُغْلَ لي بالاِنتِصارِ أنا عَبْد؛
سأُقاتِلُ إلى أنْ يَصِلَ مِنَ اللهِ الحُكْم ، هُوَ الَّذي يَفْصِلُ بَيْنَ كُلِّ خَصْمٍ وَخَصْم؛

جواب فرعون لموسى ومجيء الوحي لِموسى عَلَيْهِ السَلام

قالَ فِرْعَونُ لا لا عَلَيْكَ أنْ تَجْعَلَ المُهْلَةَ، أقِلَّ الخِداعَ وأقِلَّ مِنْ مَسْحِ الهَواء؛
الحَقُّ تعالى أوحى إلَيْهِ في اللَّحْظَة، أعْطِهِ المُهْلَةَ مُتَّسِعَةً لا تَخَفْ مِنْ ذلك؛
مُهْلَةَ الأرْبَعينَ يَوماً هذِهِ أعْطِهِ طَوعاً، حَتَّى يُفَكِّرَ بِأنواعِ المَكْرِ نَوعاً نَوعاً؛
وحتَّى يَسْعى هُوَ فَلَسْتُ بالنَّائمِ، قُلْ لَهُ يُسْرِعْ في السَّيْرِ فقد أَخَذْتُ الطَّريق؛
سأُبْطِلُ حِيَلَهُمْ هَذِهِ كُلَّها جَميعاً، وكُلَما جاؤوا بِالزِّيادَةِ جَعَلْتُها نَقْصاً؛
فَلْيَأتوا بالماءِ وأنا أجْعَلُهُ ناراً، وليأخُذوا الشَّهْدَ والعَذْبَ وأنا أجْعَلُهُما أَلَماً؛
فَلْيُقيموا وُصَلَ المَوَدَةِ وأنا أجْعَلُها خَراباً، وأفْعَلُ ذاكَ الَّذي لا يَقَعُ في الوَهْم؛
أنتَ لا تَخَفْ وأعْطِهِ المُهْلَةَ مُهْلَةً طَويلَةً، وقُلْ آتِ بالجَيْشِ واعْمَلْ مِئةَ حِيْلَة؛

إعطاء موسى عَلَيْهِ السَلام المُهْلَةَ لِفِرْعَون

حتَى يَجْمَعَ السَّاحرينَ مِنَ المَدائن

قالَ جاءَ الأمْرُ اذْهَبْ فالمُهْلَةُ لَك، وأنا سَأَصيرُ إلى مَكاني تَحَرَّرْتَ مِنّا؛
وكانَ يَمْشي وكانَتِ الحَيَّةُ في العَقِب، كأنَها كَلْبُ الصَّيَّادِ عالِمٌ ومُحِبّ؛
كانَتْ تُحَرّكُ الذَّنَبَ مِثْلَ كَلْبِ الصَّيَّادِ، وتَحيلُ الحِجارَةَ رَمْلاً تَحْتَ أظْلافِها؛
تَبْتَلِعُ الصَّخْرَ والحَديدَ في لَحْظَةٍ، تُفَتِّتُ الحَديدَ وَهِيَ تَمْضَغُهُ ظاهِراً؛
تَرْتَفِعُ بِنَفْسِها في الهَواءِ إلى أعْلى البُرْج، حتَى لَيَنْهَزِمَ مِنْها الرُّومُ والكُرْج؛
تُلقي بالزَّبَدِ كالبَعيرِ مِنَ الفَمّ، على كُلِّ مَنْ رَمَتْ عَلَيْهِ قَطْرَةً صارَ الجُذام؛
صَريرُ أسنانِها يَكْسِرُ القَلْب، تَضيعُ مِنْهُ أرواحُ الأُسودِ السُود؛
حينَ وَصَلَ إلى قَوْمِهِ ذلِكَ المُجْتَبى، أمْسَكَ بِشِدْقِها فَعادَتْ مِنْ جَديدٍ عَصا؛
واتَّكَأَ عَلَيْها وقالَ أيْ عَجَبا، شَمْسٌ عِنْدَنا وعِنْدَ الخَصْمِ لَيْل؛
أي عَجَباً كَيْفَ لا يَرى هذا الجَيْشُ، عَالَماً مَليئاً بالشَّمْسِ وَقْتَ الضُّحى؛
والعَيْنُ مَفْتُوحَةٌ والأُذُنُ مَفْتُوحَةٌ وهذا الذُّكاء، حَيْرَتي في إغلاقِ اللهِ العُيون؛
أنا حائرٌ مِنْهُمْ وهُمْ حائرونَ مِنّي، هُمْ مِنَ الرَّبيعِ شَوكٌ وأنا ياسَمين؛
وَكَمْ جَلَبْتُ إلَيْهِمْ كأساً مِنْ رَحيق، فَصارَ ماؤهُ صَخْراً عِنْدَ هذا الفَريق؛
عَقَدْتُ باقَةَ وَرْدٍ وَجَلَبْتُها إلَيْهِم، صارَتْ كُلُّ وَرْدَةٍ شَوكَةً وَصارَ الشَهْدُ إبَراً؛
ذلِكَ نَصيبٌ لِروحِ مَنْ صاروا بلا أنْفُسٍ، وَهُمْ مَعَ الأنْفُسِ مَتى يَظْهَرُ لَهُمْ؛
يَجِبُ أنْ يكونَ في نَومِ اليَقَظَةِ أمامَنا، حتَى يَرى الرُؤى في اليَقَظَة؛
صارَ عَدُوَاً لِهذا النَّومِ الجَميلِ فِكْرُ الخَلْق، فِكْرَةُ مَنْ لَمْ يَنَمْ مَسْدودَةُ الحَلْق؛
تَجِبُ الحَيْرَةُ لِتَكْنِسَ الفِكْرَ، الحَيْرَةُ ابْتَلَعَتِ الفِكْرَ والذِّكْر؛
كُلُّ مِنَ كانَ أكْمَلَ في الفَضْلِ كانَ، أكْثَرَ تَأخُراً بالمَعْنى أكْثَرَ تَقَدُماً بالصُّورَةِ؛

قالَ راجَعونَ وكانَ الرُّجوعُ بِهذا الشَّكْل، أنَّ القَطيعَ عادَ وَأنَّهُ ذاهِبٌ للمَنْزِل؛
عِنْدَما عادَ مِنَ الوُرودِ القَطيعُ، تأخَّرَ ذلِكَ التَّيْسُ الَّذي كانَ قائدَ القَطيع؛
وَتَقَدَّمَ ذلِكَ التَّيْسُ الأعْرَجُ المُتَأخِّرُ، *أضْحَكَ الرُّجْعى وُجوهَ العابِسين*؛
متى صارَ هؤلاءِ القَومُ عُرجاً مِنَ جُزْاف، حتَّى تَرَكوا الفَخْرَ واشْتَروا العار؛
مَكسوري القَدَمِ يَذْهَبُ القومُ لِلحَجِّ، مِنَ الحَرَجِ هُناكَ طَريقٌ خَفِيَّةٌ للفَرَج؛
غَسَلَ القَلْبَ مِنَ العُلومِ هؤلاءِ الفَريق، لأنَّ هذا العِلْمَ لا يَعْرِفُ ذاكَ الطَّريق؛
يَلْزِمُ عِلْمٌ يكونُ أصْلُهُ مِنْ ذاكَ القَبيل، لأنَّ كُلَّ فَرْعٍ إلى أصْلِهِ دَليل؛
مَتى يَطيرُ كُلُّ طائرٍ في عُرْضِ البَحْرِ، ما لَمْ يكُنْ لَدَيْهِ عِلْمٌ مِنَ العِلْمِ اللَّدُنِيّ؛
إذَنْ لِماذا عَلَّمْتَ الرَّجُلَ عِلْماً، يَجِبُ عَلَيْهِ أنْ يَجْعَلَ الصَّدْرَ طاهِراً مِنْه،
كُنْ أعْرَجَ لا تَطْلُبِ التَّقَدُمَ في هذا الصَّوْب، ذا وَقْتُ الرُّجوعِ كُنْ لنا دليلاً؛
الآخِرونَ السَّابِقُون كُنْ أيْ ظَريف، سابِقاً للشَّجَرِ كانَ الثَّمَرُ الطَّريف؛
رَغْمَ أنَّ الثَّمَرَ يأتي آخِراً للوُجود، هُوَ أوَّلٌ لأنَهُ هُوَ المَقْصود؛
مِثْلَ الملائكَةِ قُلْ *لا عِلْمَ لنا*، حَتَّى تَأْخُذَ بِيَدِكَ *عَلَّمْتَنا*؛
ولَو كُنْتَ في هذا المَكْتَبِ لا تَعْرِفُ الهِجا، تَمْتَلِئُ مِثْلَ أحْمَدَ مِنْ نورِ الحِجى؛
إنْ لَمْ تَكُنْ مَشْهُوراً في البِلاد، لَسْتَ قليلاً *واللهُ أعْلَمُ بالعِباد*؛
تِلْكَ الخَرابَةُ الَتي لا تَكونُ مَعْروفَةً، صالِحَةٌ مِنْ أجْلِ حِفْظِ كَنْزِ الذَّهَب؛
مَتى وُضِعَ الكَنْزُ في مَوضعٍ مَعْروفٍ، مِنْ قِبَلِ هذا جاءَ الفَرَجُ تَحْتَ الألَم؛
الخاطِرُ جاءَ بالكَثيرِ مِنَ الإشكالِ هُنا، ولكِنَّ المُحْكَمَ الحَسَنَ قَطَعَ الإشكال؛
إنَّ عِشْقَهُ نارٌ تَحْرِقُ الإشكال، نُورُ النَّهارِ ماحٍ لِكُلِّ خَيال؛
أُطْلُبِ الجَوابَ مِنْ تِلْكَ الجِهَةِ أيْ مُرْتَضى، السُّؤالُ مِنْ تِلْكَ الجِهَة لَكَ أتى؛
زاوِيَةُ قَلْبٍ بلا زاوِيَةٍ أوسَعُ طَريقٍ، ضياءُ لا شَرْقِي ولا غَرْبِيّ مِنَ القَمَر؛
كَيْفَ تَجتدي مِنْ هذِهِ الجِهَةِ ومِنْ تِلْكَ، أي جَبَلَ المَعْنى ما بَحْثُكَ عَنِ الصَّدى؛

أيضاً مِنْ تِلْكَ الجِهَةِ ابْحَثْ فَوَقْتَ أَلَمِك، تَصيرُ محنيَّاً في ذِكْرِ *يا رَبِّي*؛
تَتَّجِهُ تِلْكَ الجِهَةَ وَقْتَ المَوتِ والمِحْنَةِ، فإذا ذَهَبَ مَرَضُكَ إذا بِكَ أعْجَم؛
وَقْتَ المِحْنَةِ صِرْتَ مُنادِياً يا الله، وَلَمَّا ذَهَبَتِ المِحْنَةُ قُلْتَ أَيْنَ الطَّريق؛
هذا مِنْ ذَاكَ جاءَ وكُلُّ مَنْ عَرِفَ الحَقَّ، بلا وَهْمٍ ظَلَّ على ذَلِكَ مُقيماً؛
وذلِكَ المَحْجوبُ في العَقْلِ والفِكْر، حيناً يكونُ مَسْتوراً وَحيناً مُمَزَّقَ الجَيْب؛
العَقْلُ الجُزْئيُّ حِيناً غالِبٌ وَحيناً مَغْبون، العَقْلُ الكُلِّيُّ آمِنٌ مِنْ رَيْبِ المَنون؛
فَبِعِ العَقْلَ والفَضْلَ واشْرِ حَيْرَةَ الحَيارى، وَلَدي امْضِ إلى الذُّلِّ لا إلى بُخارى
نَحْنُ كَيْفَ لَوَّثْنا النَّفْسَ بالحَديث، لَقَدْ صِرْنا مِنْ حِكايَتِنا حِكايَةً؛
أنا صِرْتُ عَدَماً وأُسْطُورَةً في الحَنين، حتَّى أجِدَ التَّقَلُّبَ في السَّاجِدِين؛
هذِي الحِكايَةُ لَيْسَتْ للرَّجُلِ العامِل،هِيَ وَصْفُ الحالِ وحُضورُ صَديقِ الغار؛
أساطيرُ الأوَلِينَ تِلْكَ الَّتي قالَ العاقّ، عَنْ حَرْفِ القُرآنِ كانَتْ آثارَ النِّفاق؛
اللامكانُ ذاكَ الَّذي فيهِ نُورُ الله، الماضي والمُسْتَقْبَلُ والحالُ مِنْ أيْنَ جاءَتْ؛
ماضيهِ وَمُسْتَقْبَلُهُ مِنْ نِسْبَةٍ إلَيْك، كلا الاثْنَيْنِ شَيْءٌ واحِدٌ وَتَظُنُّهُما اثْنَيْن؛
بَدَنٌ واحِدٌ هُوَ لَهُ أبٌ ولنا اِبْن، سَقْفٌ واحِدٌ تَحْتَ زَيْدٍ ومِنْ فَوقِ عَمْرو؛
نِسْبَةُ التَحْتِ والفَوقِ مِنْ ذَيْنِكَ الشَّخْصَيْن، السَقْفُ مِنْ جِهَةِ النَفْسِ شَيْءٌ واحِدٌ؛
لَيْسَ مِثْلَ ذَاكَ المِثالِ هذَا الكلام، الحَرْفُ القَديمُ قاصِرٌ عَنِ المَعْنى الجَديد؛
قُرْبَةُ أَغْلِقي الشَفَة حَيْثُ لا شَفَةَ جَدْوَلٍ ، مِنْ دونِ شَفَةٍ وَساحِلٍ هذا البَحْرُ قَنْد؛

إرسالُ فِرْعَونَ للمَدائنِ في طَلَبِ السَّاحِرين

حينَما عادَ موسى وَبَقِيَ هُوَ، طَلَبَ أهْلَ الرَّأيِ والمَشْوَرَةِ إلَيْهِ؛
فَرَأَوا أنْ يقومَ مَلِكُ وَصَرَّافُ مِصْر، بِجَمْعِ السَّاحِرينَ مِنْ أطْرافِ مِصْر؛
أرسَلَ الكَثيرَ مِنَ النَّاس ذلِكَ الوَقْتَ، في كُلِّ ناحيَةٍ مِنْ أجْلِ جَمْعِ السَّاحِرين؛

في كُلِّ جِهَةٍ كانَ بِها ساحِرٌ مَشْهُور، طَيَّرَ إِلَيْها عَشَرَةً مِنَ المراسيل؛
كانَ هُناكَ شابَّانِ ساحِرانِ مَشْهُوران، سِحْرُ كُلٍّ مِنْهُما وَصَلَ إلى قَلْبِ القَمَر؛
شاعَ عَنْهُما أَنَّهُما حَلَبا اللَّبَنَ مِنَ القَمَر، وَذَهَبا في الأسفارِ راكِبَيْنِ على طَبْل؛
أظْهَرا نُورَ القَمَرِ على شَكْلِ الكرباس، وقاسا ذَلِكَ وباعاهُ سَريعاً؛
وبَعْدَ أنْ ذَهَبا بالفِضَّةَ انتَبَهَ المُشْتَرِي، وراحَ يَضْرِبُ خَدَّيْهِ باليدِ مِنَ الحَسْرَة؛
ومِئاتُ الألوفِ مِنْ أمثالِ هذَا في السِّحْر، وكانا مُنْشِئَيْنِ وَلَمْ يكونا مُقَلِّدَيْن؛
عِنْدَما وَصَلَتْ إِلَيْهِما رِسالَةُ الشاهِ تِلْكَ، أنِ الشاهُ يَطْلُبُ الوَسيلَةَ مِنْكُما الآنَ؛
ذاكَ أنَّ دَرويشَيْنِ اثْنَيْنِ قَدْ أَتَيا، ضَرَبا المَوكِبَ على الشَّاهِ وَعلى قَصْرِه؛
لَيْسَ مَعَهُما غَيرُ عَصاً واحِدَةٍ، تَتَحَوَّلُ عَنْ أمْرِهِ دائماً إلى أفْعى؛
الشَّاهُ والجَيْشُ صارا بلا حِيْلَةٍ، الجَميعُ جُمْلَةً يَصْرُخونَ مِنْ هذينِ الشَّخْصَين؛
يَجِبُ أنْ تُوجَدَ الوَسيلَةُ في السِّحْر، حَتَّى تَسْلَمَ الرُّوحُ مِنْ هذَيْنِ السَّاحِرَيْن؛
عِرْقُ الجِنْسِيَّةِ حينَ أخَذَ بالحَراك، وَضَعَا الرُّؤوسَ على الرُّكَبِ مِنَ العَجَب؛
الرُّكْبَةُ كَأَنَّها مَدْرَسَةُ الصُّوفِيّ، في حَلِّ المُشْكِلِ الرُّكْبَتانِ ساحِرَتان؛

نِداءُ هذَيْنِ السَّاحِرَيْنِ لأبيهِما في القَبْرِ والإسْتِفْسارُ مِنْ رُوحِ الأبِ عَنْ حَقيقَةِ موسى عَلَيْهِ السَّلام

مِنْ بَعْدِ ذلِكَ قالا لأُمِّهِما أيْ أُمُّ تَعالَيْ، أيْنَ هُوَ قَبْرُ أبينا أبيني لنا الطَّريق؛
أخَذَتْهُما إلى المَقْبَرَةِ وأبْدَتِ الطَّريق، ولم يَبْقَ لَهُما مِنَ المَلِك غَيْرُ ثلاثَةِ أيَّامٍ؛
مِنْ بَعْدِ ذلِكَ قالا أي أبانا، الشَّاهُ أرْسَلَ لَنا رِسالَةً مِنَ الخَوف؛
أنَّ رَجُلَيْنِ اثْنَيْنِ سَبَّبا لَهُ الضِّيْق، وأراقا ماءَ وَجْهِهِ أمامَ الجَيْش؛
وما مَعَهُما مِنْ سِلاحٍ ولا جَيْشٍ، إلاَّ عَصاً وفي العَصا الاِضْطِرابُ والشَّرّ؛
وأنتَ قَدْ مَضَيْتَ إلى عالَمِ الصَّادِقين، رَغْمَ أنَّكَ صُورَةً تنامُ في التُّراب؛

إذا كانَ ذَلِكَ سِحْراً أَعْطينا الخَبَر، أي روحَ أبينا، وإنْ كانَ ذلِكَ إلٰهِيّاً؛
أعْطينا الخَبَرَ أيْضاً لِنَقومَ بالسُّجود، ونُلقي بِأَنْفُسِنا في الكيمياء؛
كُنَّا يائسَيْنِ وَقَدْ أَتى الأَمَل ، كُنَّا مُبْعَدَيْنِ وَقَدْ جَذَبَنَا الكَرَم؛

جَوابُ السَّاحِرِ المَيّتِ لِوَلَدَيْه

فَنَطَقَ قالَ أي حَبيبَيَّ وَوَلَدَيَّ، إنَّ جَعْلَ هذا ظاهِراً مُرْتَهَن؛
لا دَسْتورَ لي لِقَوْلِ هذا صَريحاً وَمُطْلَقاً، رَغْمَ أنَّ السِّرَّ لَيْسَ بَعيداً عَنْ عَيْني؛
لكِنَّني مُظْهِرٌ لَكُما عَلامَةً، كَيْ يَصيرَ هذا الخَفاءُ لَكُما ظاهِراً؛
أي نُورَ عَيْنَيَّ عِنْدَما تَذْهَبانِ هُناك، كونا مُنْتَبِهَينِ إلى مَقامِ نَوْمِه؛
وَقْتَ يكونُ نائماً ذلِكَ الحَكيم، اقْصِدا تِلْك العَصا ولا تَخافا؛
فإنْ سَرَقْتُماها وقَدِرْتُما فَهُوَ ساحِرٌ، وَتَدبيرُ السَّاحِرِ مَعَكُما حاضِر؛
وإنْ لَمْ تَقْدِرا فاحْذَرا فَذلِكَ إلٰهِيّ، وَهُوَ رَسولُ ذي الجَلالِ وَهُوَ مُهْتَدٍ؛
لَو مَلَكَ فِرْعَونُ شَرْقَ العالَمَ وَالغَرْب، يَقعُ مَنكوساً مَغلوباً للهِ وَقْتَ الحَرْب؛
أعْطَيْتُكُما شارَةَ الصِّدْقِ أي رُوحَ الأب، أُكْتُبا *واللهُ أعْلَمُ بالصَّواب*؛
أي رُوحَ أبيكُما إذا نامَ السَّاحِرُ، لا يكونُ لِسِحْرِهِ وَمَكْرِهِ مِنْ دَليل؛
عِنْدَما ينامُ الرَّاعي يَأمَنُ الذِّئب، إذا هُوَ نامَ صارَ ساكِناً ذاكَ الجُهْدُ؛
لكِنِ الحَيَوانُ الَّذي يَرْعاهُ الله، مِنْ أينَ للذِّئبِ أمَلٌ بِهِ ومِنْ أيْنَ لَهُ الطَّريق؛
السِّحْرُ الَّذي عَمِلَ الحَقُّ حَقٌّ وَصِدْقٌ، تَسْمِيَةُ ذلِكَ الحَقّ سِحْراً خَطَأ؛
رُوْحَ أَبيكُما هذِهِ علامَةٌ قاطِعَة، حَتَّى وَلَوْ ماتَ كانَ الحَقُّ رافِعَه؛

تَشْبيهُ القُرآن المَجيد بِعصا موسى وإظْهارُ وفاةِ المُصْطَفى عَلَيْهِ السَلامُ بِنَومِ موسى، وتَشْبيهُ القاصِدِينَ تَغْييرَ القُرآنِ بِوَلَدَي ذَلِكَ السَاحِرِ اللَذَينِ قاما بِقَصْدِ عَصا موسى عِنْدَما وَجَدا مُوسى نائماً

ألطافُ الحَقّ وَعَدَتِ المُصْطَفى، وإنْ أنْتَ مِتَّ لَنْ يَموتَ هذا السَّبْق؛
أنا رافِعٌ لِكِتابِكَ وَمُعْجِزَتِكَ، أنا مانِعٌ أنْ يُزادَ أوْ يُنْقَصَ في القُرآن؛
أنا حافِظٌ لَكَ في العالَمَيْن، أنا رافِضٌ للطَاعِنينَ بِحَديثِك؛
لا شَخْصَ يَقْدِرُ أنْ يَزيدَ أو يُنْقِصَ فيهِ، لا تَبْحَثْ عَنْ حافِظٍ آخَر أفْضَلَ مِنّي؛
سأزيدُ في رَونَقِكَ يَوماً بَعْدَ يَوم، سأَضْرِبُ اسْمَكَ على الذَّهَبِ وعلى الفِضَّة؛
سأَجْعَلُ المِحْرابَ والمَنْبَرَ مِنْ أجْلِكَ، قَهْرِي مِنَ المَحَبَّةِ صارَ في قَهْرِك؛
يَذكُرونَ اِسْمَكَ خِفْيَةً مِنَ الخَوف، وحينَ يُصَلُونَ يُصَلُّونَ مُتَخَفِين؛
رُعْباً وخَوْفاً مِنْ كُلِّ كافِرٍ لَعين، يكونُ دِينُكَ مَخْفِيَّاً تَحْتَ الأرْض؛
أنا سَأمْلأُ الآفاقَ بالمَناراتِ، سَأَجْعَلُ عَيْنَي العاقّ عَمْياوَيْن؛
أتباعُكَ سيستولونَ على المُدُنِ والجاه، دِينُكَ سَوفَ يَمْتَدُّ مِنَ القَمَرِ إلى القَمَر؛
سَأُحافِظُ عَلَيْهِ حَتَّى القِيامَةِ باقِياً، لا تَخَفْ مِنْ نَسْخِ الدِّيْنِ أيْ مُصْطَفى؛
أي رَسولَنا أنتَ لَسْتَ بِالسَّاحِر، أنتَ وموسى رفيقا حِرْفَةٍ أنتَ صادِقٌ؛
سيكونُ لَكَ هذا القُرْآنُ كالعَصا، يبْتَلِعُ كُلَّ كُفْرٍ كما الثُّعْبان؛
أنتَ وَلَو نِمْتَ تَحْتَ التُراب، اِعْلَمْ ذاكَ الذَّي قُلْتَ مِثْلَ عَصاه؛
القاصِدونَ عَصاكَ لا يَدَ لَهُم، أنتَ نَمْ مُبارَكَ النَوم أيْ مَلِك؛
بَدَنُكَ نائمٌ وَنُورُكَ على السَّماء، جَعَلَ السَّهْمَ في القَوْس للحَرْب؛
على الفَلْسَفِيّ وعلى كُلِّ مَنِ اعْتَذَرَ، رَمى سَهْماً يُرْديهِ قَوسُ نُورِك؛

مِثْلَ ذلِكَ فَعَلَ وأكثَرَ مِمَّا قيل، لَقَدْ نامَ وَلَمْ يَنَمْ بَخْتُهُ وإقْبالُه؛
رُوحَ أبيكُما إذا نامَ السَّاحِرُ، أمْرُهُ يصيرُ بلا رَوْنَقٍ ولا قُدْرَة؛
قَبَّلَ الوَلَدَانِ قَبْرَ أبيهِما وَذَهَبا، قاصِدَيْنِ مِصْرَ مِنْ أجْلِ هذا الجِهادِ المرير؛
لَمَّا وَصَلا مِصْرَ مِنْ أجْلِ ذلِكَ الأمْر، ذهَبا يَطلُبانِ موسى وَمَنْزِلَه؛
وَقَعَ الاتِّفاقُ في يَومِ الوُرودِ ذاكَ، أنْ يَكُونَ موسى نائماً في الظِّلِّ تَحْتَ نَخْلَة؛
وَقَدْ أعطاهُما النَّاسُ الإشارَةَ عَلَيْه، أنْ اذْهَبا وابْحَثا جِهَةَ أرْضِ النَّخيلِ تِلْكَ؛
لَمَّا أتَيا رَأَيا في ظِلالِ النَّخيل، يَقِظَ العالَمِ ذاكَ نائماً في الظِّلال؛
أغْلَقَ عَيْنَيْ رَأسِهِ الاِثْنَتَيْنِ مِنْ غُنْج، والعَرْشُ والفَرْشُ جُمْلَةً تَحْتَ نَظَرِه؛
أي كَمْ مِنْ مُسْتَيْقِظِ العَيْنِ نائمِ القَلْب، عُيونُ أهْلِ الماءِ والطِّيْن ماذا تَرى؛
صاحِبُ القَلْبِ اليَقِظِ إذا نامَتْ، عَيْنُ رَأسِهِ انْفَتَحَ لَهُ مِئةُ بَصَر؛
إنْ لَمْ تَكُنْ أهْلَ قَلْبٍ فَكُنْ يَقِظاً، وكُنْ طالِبَ القَلْبِ وَكُنْ في الجِهاد؛
وإذا صارَ قَلْبُكَ يَقِظاً نَمِ النَّومَ الجَميلَ، فَلَيْسَ ناظِرُكَ غائباً عَنِ السَّبْعِ والسِّتّ؛
قالَ الرَّسولُ نامَتْ عَينايَ لكِنْ، مَتى في الوَسَنِ نامَ قَلْبي؛
المَلِكُ مُسْتَيْقِظٌ والحارِسُ أخَذَهُ النَّوم، الرُّوحُ فِداءُ نائمينَ بِقَلْبٍ بَصير؛
وَصْفُ يَقَظَةِ القَلْبِ أيْ مَعْنَويّ، لا يَسْتَوعِبُها ألْفُ مَثْنَويّ؛
لَمَّا رأياهُ نائماً مُسْتَلْقياً، تَهَيَّأا مِنْ أجْلِ سَرِقَةِ العَصا؛
السَّاحِرانِ قَصَدَا العَصا مُسْرِعَيْن، كانَ يَجِبُ أنْ يَمُرَّا مِنْ خَلْفِهِ ثُمَّ يَخْتَطِفانِها؛
حِيْنَ اقْتَرَبا أكْثَرَ قَليلاً مِنْها، بَدَأَتْ تِلْكَ العَصا بالاِهْتِزاز؛
اهْتَزَّتْ على نَفْسِها اهْتِزازاً العَصا، يَبِسَ الاِثْنانِ مِنْهُ في المَكانِ مِنَ الوجا؛
مِنْ بَعْدِ ذلِكَ صارَتْ حَيَةً وَحَمَلَتْ، كلٌّ مِنْهُما هَرَبَ مِنْها مُصْفَرَّ الوَجْه؛
يَعْدُوانِ يَقَعانِ في العَدْوِ مِنَ الوجيب، يتَدَحْرَجانِ مُنْهَزِمَيْنِ عِنْدَ كُلِ مُنْحَدَر؛
فَصارَ لَهُما اليَقينُ أنها مِنَ السَماء، ذلِكَ لأنَّهُما كانا يَعْرِفانِ حَدَّ السَّاحِرين؛

مِنْ بَعْدِ ذاكَ الرَّكْضِ ارْتَفَعَتْ حَرارَتُهما، وَصَلَ الأمْرُ للنَّزْعِ واقْتِلاعِ الرُوح؛
فأرسَلا رَجُلاً في الحال، إلى موسى طَلَباً للعُذر؛
أنْ كُنَا نَقومُ بالإمْتِحان وَمَتى كُنَا نَصِلُ، إلى امْتِحانِكَ لَوْ لَمْ يَكُنْ هُناكَ حَسَد؛
أُطْلُبْ لَنا العَفْوَ نَحْنُ مُجْرِمو الشَّاهْ، أي مَنْ أنْتَ خاصٌ خاصِّ أعْتابِ الإلٰه؛
فعفا عَنْهُما فَتَعافَيا في الحال، وَوَضَعا رَأْسَيْهِما عَلى الأرْضِ أمامَ مُوسى؛
قالَ موسى قَدْ عَفَوْتُ أيْ كِرام، بَدَناكُما وَرُوحاكُما على النَارِ حَرام؛
أنا لَمْ أرَكُما نَفْسَيْكُما أيْ عَزيزَيْن، أعْجِما نَفْسَيْكُما وَكُفَا عِنِ الإعْتِذار؛
كَمَنْ لا خَبَرَ لَهُ وَأنتُما عالِمان، تَعالا إلى النِّزالِ مِنْ أجْلِ السُلطان؛
قَبَّلا مِنْ بَعْدِ ذلِكَ الأَرْضَ ثُمَّ ذَهَبا، وَبَقِيا في انْتِظارِ الوَقْتِ والفُرْصَة؛

اجْتِماعُ السَّاحِرينَ مِنَ المَدائنِ أمامَ فِرْعَون وَتَلَقِّيْهِمْ التَشْريفَ مِنْهُ وَوَضْعُهُمْ الأيدي على الصُّدور تَعَهُّداً بِقَهْرِ خَصْمِهِ وقَولُهُم اكْتُبْ هذا عَلَيْنا

حتَّى إذا أتى أولئكَ السَحَرَةُ فِرْعَون، أعطاهُمُ الخِلَعَ وأوسِمَةَ الشَرَفِ الغالِيَةَ؛
وَوَعَدَهُمُ الوُعودَ وأعْطاهُمُ سَلَفاً أيضاً، عَبيداً وخَيْلاً وَنَقْداً وَجِنْساً وزادا؛
مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ قالَ لَهُمْ أيُها السَابِقون، إذا كُنْتُمْ في الإمْتِحانِ أنتُمْ الغالِبين؛
فَسَوفَ أنْثُرُ عَلَيْكُمْ مِنْ أنواعِ العَطاء، ما يُمَزِّقُ بُرْدَةَ الجُودِ والسَخاء؛
فَقالوا لَهُ بإقْبالِكَ أي شاه، نَحْنُ غالِبونَ وَسَيَكونُ أمْرُهُ تَباراً؛
نَحْنُ في هذا الفَنِّ صَناديدُ وأبطال، لا شَخْصَ في العالَمِ يَمْلِكُ قَدَمَنا فيه؛
صارَ ذِكْرُ مُوسى قَيْداً على الخَواطِر، أنْ هذِهِ الحِكاياتُ كانَتْ في القِدَم؛
ذِكْرُ موسى مِنْ أجْلِ النِّقابِ لكِنْ، نُورُ مُوسى نَقْدٌ مَعَكَ أي رَجُلاً طَيِّباً؛
مُوسى وَفِرْعَونُ كائنانِ في وُجودِك، اِبْحَثْ عَنْ هذينِ الخَصْمَيْنِ في نَفْسِك؛

إلى القِيامَةِ يَكونُ مِنْ موسى نِتاج، لِيْسَ مِنْ نُورٍ آخَرَ، الآخَرُ هُوَ السِراج؛
هذِهِ الفَخَّارَةُ وَهذِهِ الفَتيلَةُ آخَران، لكِنْ نُورُهُ لَيْسَ آخَراً إنَهُ مِنْ تِلْكَ الجِهَة؛
إذا كُنْتَ تَنْظُرُ إلى الزُّجاجَةِ فَسَتَضيع، لأنَ مِنَ الزُجاجَةِ تُوْجَدُ أعْدادٌ واثنتان؛
وإنْ كُنْتَ ذَا نَظَرٍ إلى النُورِ فَقَدْ تَحَرَرْتَ، مِنَ الاِثْنَيْنِ وأعْدادِ الجِسْمِ المُنْتَهِيَة؛
مِنْ مَوْقعِ النَّظَرِ أَيْ لُبَّ الوُجُود ، اخْتِلافُ المُؤمِنينَ والمَجُوْسِ واليَهُود؛

الاِخْتِلافُ في كَيْفِيَةِ وَشَكْلِ الفيل

كانَ الفيلُ في غُرْفَةٍ مُظْلِمَة، كانَ الهُنودُ قد جاؤوا بِهِ للعَرْض؛
اجْتَمَعَ مِنْ أجْلِ رُؤيَتِه خَلْقٌ كَثيرٌ، كُلُ شَخْصٍ كانَ يَدْخُلُ إلَيْهِ في تِلْكَ الظُلْمَة؛
بِما أنَّ رُؤيَتَهُ بالعَيْنِ لَمْ تَكُنْ مُمْكِنَةً، كانوا يتَحَسَّسونَهُ في تِلْكَ الظُّلْمَةِ بالكَف؛
ذاكَ واحِدٌ وَقَعَ كَفُّهُ على خُرْطومِ الفيل، قالَ إنَّ شَكْلَ الفيلِ على هَيْئَةِ أُنبوب؛
وذاكَ واحِدٌ وَصَلَتْ كَفُّهُ إلى أُذُنِهِ، فَبَدَتْ لُهُ تِلْكَ على شَكْلِ مَرْوَحَة؛
وذاكَ واحِدٌ جَسَّتْ كَفُّهُ قَدَمَه، قالَ أرى أنَّ شَكْلَ الفيلِ كالعَمود؛
وذاكَ واحِدٌ وَضَعَ يَدَهُ على ظَهْرِهِ، قالَ إنَّ الفيلَ كانَ شَبيهاً بالسَّرير؛
هكذا كُلٌّ مِنَ الجُزْءِ الَّذي وَصَلَ إلَيْهِ، فَهِمَ ذاك الَّذي يَسْمَعُ عَنْهُ في كُلِّ مكان؛
مِنْ مَوضِعِ النَّظَرِ صارَ قَولُهُمْ مُخْتَلِفاً، ذاكَ أعطاهُ لَقَبَ دال وذا قالَ هذا أَلِف؛
لَو كانَ في كَفِّ كُلِّ شَخْصٍ شَمْعَةٌ، كانَ الاخْتِلافُ عَنْ قَولِهِم بَعيداً؛
عَيْنُ الحِسِّ كأنَّها كَفُّ اليَدِ فَحَسْب، وليسَ لِكَفٍّ مَقْدِرَةُ جَسِّهِ كُلِّه؛
عَيْنُ البَحْرِ لَيْسَتْ بالزَّبَدِ الزَّبَدُ آخَرٌ، فاتْرُكِ الزَّبَدَ وانْظُرْ لعَيْنِ البَحْر؛
الزَّبَدُ في حَرَكَةٍ مِنَ البَحْرِ لَيْلاً وَنَهاراً، أنتَ دَوماً تَرى الزَّبَدَ لا البَحْرَ عَجَباً؛
نَحْنُ مِثْلَ السُّفُنِ في البَحْرِ نتصادَمُ، نَحْنُ في الماءِ الصَّافي وأبصارُنا مُظْلِمَةٌ؛
أنتَ في سَفينَةِ البَدَنِ ذَهَبْتَ في النَّوم، رَأَيْتَ الماءَ فانْظُرْ في ماءِ الماء؛

فللماءِ ماءٌ هُوَ الَّذي يَسوقُهُ، وللرُّوحِ رُوحٌ هيَ الَّتي تَدْعوها؛
مُوسى وعيسى أينَ كانا إذْ كانَتِ الشَّمسُ، تَسْقي زَرْعَ المُوجوداتِ بالماء؛
آدَمُ وَحَوَّاءُ أيْنَ كانَا ذاكَ الزَّمان، إذْ وَضَعَ اللهُ ذلِكَ السَّهْمَ في القَوس؛
هذا الحَديثُ ناقِصٌ وأيضاً أبْتَرٌ، ذاكَ الحَديثُ الَّذي لَيْسَ نَاقِصاً تِلْكَ الجِهَة؛
إذا قُلْتَ ذاكَ مِنْ ذلِكَ زَلَّتْ قَدَمُك، وإنْ قُلْتَ لا شَيْءَ مِنْ ذلِكَ واهاً لَك؛
وإنْ قُلْتَ إنَّهُ على مِثالِ صُورَةٍ، فأنتَ بِتِلْكَ الصُّورَةِ التَصَقْتَ أي فَتى؛
مُوثَقَ القَدَمِ كالنَّباتِ في الأرْض، تُحَرِّكُ الرَّأْسَ في الرِّيْحِ بلا يَقين؛
لكِنْ أنتَ بلا قَدَمٍ كي تَقُومَ بالإنتِقال، إلاَّ أنْ تَقومَ باقْتِلاعِ القَدَمِ مِنْ هذا الطِّين؛
كَيْفَ تَنزِعُ القَدَمَ مِنَ الطِّينِ وَمِنْهُ تَحْيا، في حَياتِكَ هذهِ مُشْكِلٌ كثيراً السُّلوكُ؛
حينَ تَأخُذُ الحياةَ مِنَ الحَقِّ أيْ سالِك، تَمضي بَعْدَها وأنْتَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الطِّين؛
الرَّضيعُ لَمَّا انْفَصَلَ عَنِ المُرْضِعَة، صارَ آكِلاً للطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزقِ إذ تَرَكَها؛
أنتَ مَرْبوطٌ بِلَبَنِ الأرْضِ كالحُبوب، أُطْلُبْ فِطامَ النَّفْسِ مِنْ قُوتِ القُلوب؛
اِطْعَمْ حَرْفَ الحِكْمَةِ فهُوَ نُورٌ في الحِجاب، أيْ أنتَ لا تَقْبَلُ النُّورَ بلا حُجُب؛
حتّى تَصيرَ أيْ عَزيزُ قابِلاً للنُّور، حتَّى تَرى مِنْ دونِ حُجُبِ المَسْتور؛
ومِثْلَ نَجْمٍ تَقومُ بالسَّيْرِ على الفَلَك، بَلْ تُسافِرُ السَفَرَ بلا كَيْفِيَّةٍ بلا فَلَك؛
وذلِكَ مِثْلَما جِئتَ مِنَ العَدَمِ إلى الوجود، ها قُلْ كَيْفَ جِئتَ، جِئتَ سَكراناً؛
طُرُقُ المَجيءِ لَمْ تَبْقَ في ذاكِرَتِك، لكِنَّنا نُريدُ أنْ نَقْرَأَ عَلَيْكَ رَمْزاً مِنْ ذلِكَ؛
أُتْرُكِ الصَّحْوَ ثُمَّ عِنْدَ ذلِكَ اصْحُ، وَضَعِ الرِّباطَ على الأُذُنِ ثُمَ عِنْدَ ذلِكَ اسْمَعْ؛
لا لَنْ أقُولَ لَكَ لأنَّكَ لا زِلْتَ خاماً، أنتَ في الرَّبيعِ وَلَمْ تَكُنْ قَدْ رَأَيْتَ تَمُّوز؛
إنَّ هذا العالَمَ مِثْلَ الشَّجَرَةِ أيْ كِرام، وَنَحْنُ عَلَيْهِ مِثْلَ أثْمارٍ نِصْفِ خام؛
الأثْمارُ الخامُ تُمْسِكُ بِقُوَّةٍ بالأغْصان، لأنَّها مِنْ عَدَمِ النُّضْجِ لا تَليقُ بالقُصور؛
فإذا ما نَضَجَتْ وَصارَتْ عَذْبَةَ الطَّعم، أضْعَفَتْ تَعَلُّقَها بالأغْصانِ بَعْدَ ذلِك؛

فإذا صارَ الفَمُ عَذباً مِنْ ذلِكَ الإقْبال، صارَ بارِداً على الآدَميّ مُلْكُ العالَم؛
التَّمَسُّكُ بِقُوَّةٍ والتَّعَصُّبُ فَجاجَةٌ، ما بَقِيْتَ جَنيناً فَشُغْلُكَ أنْ تَشْرَبَ الدَّمَ؛
وَبَقِيَ شَيْءٌ آخَرُ أمَّا قولُهُ، فَرُوحُ القُدُسِ هُوَ الَّذي يقولُهُ لَكَ لا أنا؛
لا بَلْ أنتَ نَفْسُكَ تَقولُهُ في أُذُنِ نَفْسِكَ، لا أنا ولا غَيْري أيْ مَنْ أنتَ أنا؛
مِثْلَ ذلِكَ الوَقْتِ الَّذي تَذْهَبُ في النَّوم، تَصيرُ مِنْ أمامِ نَفْسِكَ إلى أمامَ نَفْسِك؛
تَسْمَعُ مِنْ نَفْسِكَ وَتَظُنُّ أنَّ فُلاناً، هُوَ الَّذي قالَ لَكَ وأنتَ في النَّومِ ذلِكَ السِّرّ؛
لَسْتَ واحِداً لَيْسَ لَكَ مِنْكَ رَفيق، بَلْ أنتَ فَلَكٌ وَأنتَ بَحْرٌ عَميق؛
ذلِكَ الأنتَ الجَسيمُ الَّذي هُوَ تِسْعُمائةٍ مِنْك،مُحيطٌ وَمكانٌ يَغْرَقُ فيهِ مائةٌ مِنْك؛
أيُّ حَدٍّ هُوَ الحَدُّ بينَ اليَقْظَةِ والنَّوم، لا تَقُلْ كَلِمَةً، واللهُ أعْلَمُ بالصَّواب؛
لا تَتَكَلَّمْ لِكَيْ تَسْمَعَ مِنَ المُتَكَلِّمين، كُلَّ ما لَمْ يَجِئْ على اللِّسانِ وفي البيان؛
لا تَتَكَلَّمْ كَيْ تَسْمَعَ مِنْ تِلْكَ الشَّمْس، كُلَّ ما لَمْ يَجِئْ في الكِتابِ وفي الخِطاب؛
لا تَتَكَلَّمْ لِتَتَكَلَّمَ مِنْ أجْلِكَ الرُّوح، واتْرُكِ السِّباحَةَ في سَفينَةِ نوح؛
مِثْلَ كَنْعانَ الَّذي قامَ بالسِّباحَة، أنْ لا أُريدُ سَفينَةَ نُوحٍ سَفينَةُ نوحٍ عَدُوٌّ؛
تَعالَ لِسَفينَةِ أبيكَ اجْلِسْ في السَّفين، كي لا تكونَ غَريقَ الطُّوفانِ أيْ مَهين؛
قالَ لا أنا تَعَلَّمْتُ السِّباحَة، أنا أشْعَلْتُ شَمْعاً آخَرَ غَيْرَ شَمْعِك؛
قالَ احْذَرْ لا تَفْعَلْ فَهذا طُوفانُ البلاء، اليَدُ والقَدَمُ والسِّباحَةُ اليَومَ لا تُجْدي؛
هذِهِ ريحُ قَهْرٍ هذا البلاءُ مُطْفِئُ الشَّمْع، فاصمُتْ فَلَنْ يثْبُتَ إلاَّ شَمْعُ الحَقّ؛
قالَ لا أنا ماضٍ إلى ذلِكَ الجَبَلِ العالي، ذلِكَ الجَبَلُ عاصِمٌ لي مِنْ كُلِّ أذى؛
قالَ لا تَفْعَلِ الجَبَلُ هذا الزَّمانَ قَشَّةٌ، ولنْ يُعْطيَ إلاَّ لِحَبيبِ نَفْسِهِ الأمان؛
قالَ أنا مَتى كُنْتُ سامِعاً لِنَصيحَتِك، حَتَّى تَطْمَعَ الآنَ أنْ أكونَ مِنْ أُسْرَتِك؛
قَوْلُكَ لا يَجيءُ حَسَناً عَلَيَّ أَبَداً، أنا بَريءٌ مِنْكَ في كِلا العالَمَيْن؛
قالَ لا تَفْعَلْ بُنَيَّ فاليَومُ لَيْسَ يَومَ دلال، فَما للهِ مِنْ شَريكٍ ولا عِيال؛

إلى الآنَ كُنْتَ تَفْعَلُ وَهذِهِ اللَّحْظَةُ حاسِمَة، في هذِهِ العَتَبَةِ مَنْ يَشْتَري الدَّلال؛
هُوَ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ مِنَ القِدَم، لا وَلَدَ لَهُ ولا والِدَ ولا عَمّ؛
فَمِنْ أيْنَ سَوفَ يَحْمِلُ دلالَ الأولاد، ومِنْ أيْنَ سَوفَ يَسْمَعُ دلالَ الآباء؛
لَسْتُ مَولوداً أيْ والِدُ أقِلَّ الدَّلال، لَسْتُ والِداً أي شابُّ أقِلَّ التَّبَخْتُر؛
لَسْتُ زَوجاً وَلَيْسَ لي مِنْ شَهْوَة، فاترُكي الدَّلالَ ها هُنا أيَّتُها السَّيِّدَة؛
غَيْرُ الخُضوعِ والخِدْمَةِ والاِضْطِرار، لا يَمْلِكُ في هذِهِ الحَضْرَةِ أيَّ اعْتِبار؛
قالَ أيْ أبي سِنينَ وأنتَ تقولُ هذا، وَعُدْتَ تَقولُهُ مِنَ الجَهْلِ ثانِيَةً باضْطِراب؛
كم مِنْ هذا الكلامِ قُلْتَ لكُلِّ شَخْصٍ، وسَمِعْتَ ما يؤذي مِنَ الجوابِ كثيراً؛
حَديثُكَ البارِدُ هذا ما دَخَلَ أُذُني، خاصَّةً الآنَ وَقَدْ صِرْتُ عالِماً وكبيراً؛
قالَ وَلَدي أيُّ ضَرَرٍ يكونُ إذا، مَرَّةً واحِدَةً سَمِعْتَ نَصيحَةَ الأب؛
يُحدِّثُهُ هكذا بِذلِكَ النُّصْحِ اللَّطيف، ويَرُدُّ هكذا بِذلِكَ الدَّفْعِ العنيف؛
لا الأبُ مِنْ نُصْحِ كَنْعانَ يكْتَفي، ولا كَلِمَةٌ تَدْخُلُ في أُذُنِ ذلِكَ المُدْبِر؛
كانا في هذا الحديثِ ومَوجٌ عاتٍ، ضَرَبَ رَأْسَ كَنْعانَ فَجَعَلَهُ أجْزاءً؛
قالَ نُوحُ أيْ مَلِكاً حَليماً، حِماري ماتَ وَسَيْلُكَ جَرَفَ الحِمْل؛
وَعَدْتَني الوَعْدَ مَرَّات، أنْ أهْلُكَ مِنَ الطُّوفانِ ناجُون؛
جَعَلْتُ القَلْبَ على وَعْدِكَ أنا السَّليم، فكيفَ خَطَفَ السَّيلُ لي المَتاع؛
قالَ لَيْسَ مِنْ أهْلِكَ ولا مِنْ ذويك، ألا تَرى بِنَفْسِكَ أنتَ أبيَضُ وَهُوَ أزْرَق؛
إذا ما أسنانُكَ وَقَعَ بها السُّوسُ، فَهِيَ لَيْسَتْ بِالأسنانِ فاقْتَلِعْها أيْ أُستاذ؛
حَتَّى لا تَكونَ بَقِيَّةُ جِسْمِكَ مِنْها في أذىً، رَغْمَ أنَّها كانَتْ مِنْكَ تَخَلَّصْ مِنْها؛
قالَ مِنْ غَيْرِ ذاتِكَ أنا نافِرٌ، غَيْرُكَ لا يَكونُ وَمَنْ كانَ غَيْرَكَ فَلْيَمُتْ مِنْك؛
أنتَ دَوماً عالِمٌ بِأنَّني مَعَك، عِشرينَ ضِعْفِ مَا يكونُ الرَّوضُ مَعَ المَطَر؛
حَيٌّ مِنْكَ سَعيدٌ مِنْكَ مُحتاجٌ إلَيْك، مُغْتَذٍ مِنْكَ بلا واسِطَةٍ ولا حائلٍ؛

لا مُتَّصِلٌ ولا مُنْفَصِلٌ أي كَمال، بلا كَيْفَ ولِماذا وبلا أعلال؛
نَحْنُ أسماكٌ وأنتَ بَحْرُ الحياة، نَحْنُ أحياءٌ مِنْ لُطْفِكَ أيْ حَسَنَ الصِّفات؛
أنتَ لا تُحْتَوى في جِوارِ فِكْرَة، لَسْتَ قَريناً لِمَعْلولٍ فأنْتَ عِلَّة؛
مِنْ قَبْلِ هذا الطُّوفانِ ومِنْ بَعْدِ هذا، أنتَ كُنْتَ المُخاطَبَ في ما جَرى؛
كُنْتُ أتَحَدَّثُ إليكَ لا إلَيْهِمُ الحَديث، أي واهِبَ الحَديثِ الجَديدِ وذاكَ القَديم؛
أَلَيْسَ يَتَحَدَّثُ العاشِقُ اللَّيْلَ وفي النَّهار، حيناً مَعَ الأطلالِ وحيناً مِعَ الدِّمَن؛
كَانَ وَجَّهَ الوَجْهَ ظاهِراً إلى الأطلال، لِمَنْ يَتَحَدَّثُ لِمَنْ يقولُ تِلْكَ المِدْحَة؛
شُكْرَ الطُّوفانِ الآنَ قَدْ أولَيْت، واسِطَةَ الأطلالِ قَدْ رَفَعْت؛
ذاكَ لأنَّ الأطلالَ كانَتْ لئيمَةً وسَيِّئةً، لا تُرْسِلُ النِّداءَ ولا تُرْسِلُ الصَّدى؛
أنا أُريدُ تِلْكَ الأطلالَ الَّتي في الخِطاب، تُرْجِعُ الصَّدى كالجَبَلِ في الجواب؛
حتَّى أكونَ سامِعاً اسْمَكَ مَثْنى، أنا عاشِقٌ لاسْمِكَ واهِبِ الإطْمِئنانِ للرُّوح؛
كُلُّ نَبِيٍّ مِنْ ذلِكَ أحَبَّ الجَبَل، لكي يَسْمَعَ اسْمَكَ مَرَّةً ثانية؛
ذلِكَ الجَبَلُ الوَضيعُ الَّذي هُوَ أرْضُ حِجارٍ، جَديرٌ أنْ يكونَ مَقاماً للفأرِ لا لنا؛
فأنا أقولُ وهُوَ لا يصيرُ لي مُعيناً، وَعِنْدَما أتَكَلَّمُ يَظَلُّ بلا صَدىً؛
فَجَديرٌ بِهِ أنْ تُساوِيَهُ بالأرْض، لا أنْ تَتَّخِذَ مِنْهُ رَفيقَ سَيْرٍ وَتَسْأَلَهُ العَون؛
قالَ أيْ نُوحُ لَوْ طَلَبْتَهُمْ جُمْلَةً، أخْرَجْتُهُمْ مِنَ الثَّرى لَكَ حَشْراً؛
مِنْ أجْلِ كَنْعانَ لَنْ أكْسِرَ لَكَ القَلْبَ، لكِنَّني أجْعَلُكَ مُطَّلِعاً على الأحوال؛
قالَ لا لا أنا راضٍ، وَلَو كُنْتَ مُغْرِقي إنْ كُنْتَ تَرْضى؛
فأغْرِقْني في كُلِّ لَحْظَةٍ فأنا سَعيد، حُكْمُكَ روحي أحْمِلُهُ كما أحْمِلُ الرُّوح؛
أنا لا أنْظُرُ إلى شَخْصٍ وَلَو نَظَرْت، كانَ ذلِكَ إيْهاماً وَكُنْتَ أنتَ مَنْظَري؛
عاشِقُ صُنْعِكَ في الشُّكْرِ والصَّبْر، مَتى كُنْتُ عاشِقَ المَصْنوعِ كالمَجوس؛
عاشِقُ صُنْعِ اللهِ كانَ ذا عَظَمَةٍ، عاشِقُ المَصْنُوْعِ كانَ كافِرا؛

التَوفيقُ ما بَيْنَ هذينِ الحَديثَينِ، حَديثِ الرِّضا بالكُفْرِ كُفْرٌ والحَديثِ الآخَرِ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضائي فَلْيَطْلُبْ رَبّاً سِواي

سَأَلَني سائلٌ سُؤالاً بالأمْس، لأنَّهُ كانَ عاشِقاً لِما جَرى؛
قالَ نُكْتَةُ الرّضا بالكُفْرِ كُفْرٌ، قَولُ النَّبيِّ قالَهُ وَقَوْلُهُ خَتْم؛
وَمَرَّةً أُخْرى قَرَّرَ أنْ في كُلِّ قَضاء، يَجِبُ أنْ يكونَ للمُسْلِمينَ رِضاً بالقَضاء؛
أَلَيْسَ مِنْ قضاءِ الحَقِّ الكُفْرُ والنِّفاق، فإنْ كُنْتُ راضِياً بِهذا فَهُوَ شِقاق؛
وإنْ لَمْ أكُنْ راضِياً كانَ ذلِكَ خَسارَةً، فما هِيَ الحِيْلَةُ لي إذن في الوَسَط؛
قُلْتُ لَهُ هذا الكُفْرُ مَقْضِيٌّ وَلَيْسَ بالقَضاء، هذا الكُفْرُ في الحَقيقَةِ آثارُ القَضاء؛
فاعْرِفِ القَضاءَ أيْ سَيِّدُ مِنَ المَقْضِيّ، لِكَيْ يصيرَ إشكالُكَ مَدْفوعاً في الحال؛
أنا راضٍ بالكُفْرِ مِنْ وَجْهِ أنَّهُ قَضاءٌ، لا مِنْ وَجْهِ أنَّهُ نِزاعُنا وَخُبْثُنا؛
الكُفْرُ مِنْ وَجْهِ القَضاءِ كذلِكَ لِيْسَ كُفْراً، لا تَدْعُ الحَقَّ كافِراً هُنا هذا لاذِع؛
الكُفْرُ جَهْلٌ وَقَضاءُ الكُفْرِ عِلْمٌ، متى يَصيرانِ واحِداً أخيراً الغَضَبُ والحِلْم؛
قَباحَةُ الخَطِّ لَيْسَتْ قباحَةَ النَّقَّاش، بَلْ هُوَ إظْهارٌ للقَبيحِ مِنْهُ؛
قُوَّةُ النَّقَّاشِ تكونُ في أنَّهُ قادِرٌ على رَسْمِ القَبيحِ وقادِرٌ على رَسْمِ الجَميل؛
وَلَوْ فَتَحْتُ هذا البَحْثَ للنِّقاش، لَطالَ السُّؤالُ ولَطالَ الجواب؛
وَلَضاعَ مِنّي ذَوْقُ نُكْتَةِ العِشْق ، وَصارَ نَقْشُ الخِدْمَةِ نَقْشاً آخَر؛

مَثَلٌ في بيانِ أنَّ الحَيْرَةَ مانِعٌ للبَحْثِ والفِكْرَة

ذاكَ رَجُلٌ أشْيَبُ الشَّعْرِ جاءَ مُسْرِعاً، إلى أمامِ صاحِبِ مِرآةٍ مُزَيِّنٍ مُسْتَطاب؛
قالَ أزِلْ البياضَ مِنْ لِحْيَتي خَلِصْني مِنْهُ، فَقَدِ اخْتَرْتُ عَروساً جَديدَةً أي فَتى؛
فَحَلَقَ لَهُ لِحْيَتَهُ وَوَضَعَها أمامَهُ، قالَ اخْتَرْ أنتَ فأنا عِنْدي عَمَل؛

هذا السُّؤالُ وَذاكَ الجَوابُ فاخْتَرْ، فَرُؤوسِ هؤلاءِ ما بِها أَلَمُ الدِّين؛
ذاكَ واحِدٌ وَجَّهَ ضَرْبَةً لِزَيْد، فَحَمَلَ عَلَيْهِ زَيْدٌ للكَيْد؛
قالَ ضارِبُ الضَّرْبَةِ أَسْأَلُكَ سُؤالاً، أَجِبْني عَلَيْهِ ثُمَّ عِنْدَ ذلِكَ اضْرِبْني؛
حينَ ضَرَبْتُكَ على قَفاكَ جاءَ صَوتُ طِراق، وأنا هُنا لَدَيَّ سُؤالٌ في وِفاق؛
صَوتُ الطِّراقِ هذا كانَ مِنْ يَدي، أَمْ كانَ مِنْ مَوْضِعِ قفاكَ يا فَخْرَ الرِّجال؛
قالَ أنا مِنَ الأَلَمِ لَيْسَ لي هذا الفراغ، لِكَيْ يكونَ لي هذا الفِكْرُ وهذا التَّفَكُّرُ؛
أَنْتَ تُفَكِّرُ بِهذا لأَنَّكَ بلا أَلَمٍ ، صاحِبُ الأَلَمِ لَيْسَ لَهُ هذا الفِكْرُ فاحْذَرْ؛

حِكايَة

قَليلٌ مِنَ الصَّحابَةِ مَنْ كانَ حافِظاً، رَغْمَ أَنَّ الشَّوقَ كانَ بِأرواحِهِم كثيراً؛
ذلِكَ أنَّ اللُّبَّ متى صارَ ناضِجاً وَمُمْتَلِئاً، صارَتِ القُشورُ رَقيقَةً جِدّاً وَمُنْفَتِحَةً؛
قُشورُ الجَوزِ والفُسْتُقِ واللَّوزِ كذلِكَ، إذا صارَ اللُّبُّ مُمْتَلِئاً صارَ القِشْرُ رقيقاً؛
إذا صارَ لُبُّ العِلْمِ زائداً نَقُصَ القِشْرُ، ذلِكَ لأَنَّ العاشِقَ قَدْ أَحْرَقَهُ المَعْشوق؛
وَصْفُ المَطْلوبِ بِما هُوَ ضِدُّ الطَّالِب، الوَحيُ وَبَرْقُ النُّورِ حارِقانِ للنَّبيّ؛
عِنْدَما تَجَلَّتْ أوصافُ القَديم، أَحْرَقَتْ حِجابَ وَصْفِ الحادِث؛
جَلَّ فينا مَنْ حَفِظَ رُبْعَ القُرْآن، هكذا كانُ يُسْمَعُ مِنَ الصَّحابَة؛
جَمْعُ الصُّورَةِ بِمِثْلِ هذا المَعْنى العَميق، غَيْرُ مُمْكِنٍ إلاَّ مِنْ سُلْطانٍ عَظيم؛
في سُكْرٍ كهذا مُراعاةُ الأَدَب، لا تُمْكِنُ وإنْ أَمْكَنَتْ فَعَجَب؛
مُراعاةُ الاحْتياجِ في الإِسْتِغْناءِ، جَمْعٌ للضِّدَّينِ كالمُسْتَديرِ والطَّويل؛
العَصا نَفْسُها كانَتْ مَعْشوقَ العُمْيان، الأَعْمى نَفْسُهُ كانَ صَندوقاً للقُرآن؛
قالَ العُميانُ أَنَّهُمْ صناديقُ ملأى، مِنْ حُروفِ المَصْحَفِ والذِّكْرِ والنُّذُر؛
كما أَنَّ الصّنْدوقَ المَملوءَ بالقُرْآنِ أَفْضَلُ، مِنْ صَنْدوقٍ يَكونُ خالياً في اليَد؛

ثُمَّ إنَّ صنْدوقاً خالياً مِنَ الثَّمَرِ، أَفْضَلُ مِنْ صنْدوقٍ مَليءٍ بالفِئرانِ والأفاعي؛
الحاصِلُ إذا صارَ رَجُلٌ في الوصال، تَصيرُ الدَّلاَلَةُ لِهذا الرّجُلِ بلا مَعْنى؛
ما دُمْتَ قَدْ وَصَلْتَ إلى مَطْلوبِكَ أيْ مَليح، فَطَلَبُ شُغْلِ العِلْمِ الآنَ مِنْكَ قَبيح؛
ما دُمْتَ قَدْ صِرْتَ على قُبَّةِ السَّماء، طَلَبُ السُّلَّمِ والبَحْثُ عَنْهُ عَبَثٌ مِنْك؛
إلاَّ أَنْ يَكونَ للعَونِ وَتَعْليمِ الغَيْر، غَيْرُ مُسْتَظْرَفٍ طريقُ الخَيْرِ بَعْدَ الخَيْر؛
المِرآةُ المُضيئةُ إذا صارَتْ صافِيَةً وَمَجْلُوَّةً، فَمِنَ الجَهْلِ أنْ تُعْطِيَها للصَّقَّال؛
الجالِسُ أمامَ سَلْطانِ نَفْسِهِ في قَبُول ، قبيحٌ مِنْهُ أنْ يَبْحَثَ عَنْ رِسالَةٍ وَرَسول؛

قَصَّةُ انشِغالِ عاشِقٍ بِقِراءَةِ رِسالَةِ العِشْقِ ومُطالَعَةِ رِسالَةِ العِشْقِ في حُضورِ مَعْشوقِ نَفْسِهِ وَعَدَم قَبولِ المَعْشوقِ ذلِكَ فَطَلَبُ الدَّليلِ عِنْدَ حُضورِ المَدلولِ قَبيح والاِشْتِغالُ بالعِلْمِ بَعْدَ الوُصولِ إلى المَعْلومِ مَذْموم

ذاكَ واحِدٌ أجْلَسَ حَبيبَ نَفْسِهِ أمامَهُ، أخْرَجَ رِسالَةً وَراحَ يَقْرَأُها أمامَ حَبيبِه؛
في الرّسالَةِ أبياتٌ وَمَدْحٌ وَثَناء، وَضَعْفٌ وَمَسْكَنَةٌ وَكَثيرٌ مِنَ الضَّراعَة؛
قالَ المَعْشوقُ إذا كانَتْ هذِهِ مِنْ أجْلي، فَهذا وَقْتُ وَصْلٍ وأنتَ تُضيعُ العُمْر؛
أنا أمامَكَ حاضِرٌ وأنْتَ تَقْرأُ الرّسالَة، لَيْسَ في هذا الأمْرِ عَلامَةُ العاشِقين؛
قالَ أنا هاهُنا حاضِرٌ ولكِنْ، لا أجِدُ نَصيبَ نَفْسي بِشَكْلٍ حَسَن؛
ما كُنْتُ أراهُ مِنْكَ في السَّنَةِ الماضِيةَ، لا أراهُ الآنَ رَغْمَ أنّي أرى الوَصال؛
أنا كُنْتُ أشْرَبُ الزُّلالَ مِنْ هذِهِ العَيْن، وكُنْتُ مِنَ الماءِ أُطَرّي القَلبَ والعَيْن؛
أرى العَيْنَ وَلكِنْ لا أرى الماء، فكأنَّ قاطِعَ طَريقٍ قَطَعَ عَلَيَّ طَريقَ الماء؛
قالَ إذَنْ أنا لَسْتُ لَكَ بِمَعْشوق، أنا في البُلْغارِ وَمُرادُكَ في قَتو؛
أنتَ لي عاشِقٌ على حالَةٍ، والحالَةُ لا تَدومُ أيُّها الفَتى؛

فَلَسْتُ أنا بِكُلِّي لَكَ بِمَطْلوب، أنا جُزْءُ المَقْصودِ لَكَ في الزَّمَن؛

أنا مَنْزِلٌ لِمَعْشوقِكَ وَلَسْتُ المَعْشوق، العِشْقُ للنَّقْدِ في الصَّنْدوقِ لا للصَّندوق؛

يكونُ المَعْشوقَ ذاكَ الَّذي كانَ لَكَ واحِداً، وكانَ لَكَ مُبْتَدءاً وكانَ لَكَ مُنْتَهى؛

وإذا ما وَجَدْتَهُ لا تَظَلُّ مُنْتَظِراً، لَقَدْ كانَ ظاهِراً أيضاً وَكانَ أيضاً سِرّاً؛

إنَّهُ أميرُ الأحوالِ لا مَوقوفُ الحال، فكُنْ عَبْداً لِذلِكَ القَمَرِ الشَّهْرَ والسَّنَة؛

وإذا ما تَكَلَّمَ أعطى قَرارَ الحال، وإذا ما أرادَ جَعَلَ الأجْسامَ أرواحاً؛

لَمْ يَكُنْ مُنْتَهى ذاكَ الَّذي كانَ مَوقوفاً، مُنْتَظِراً جالِساً باحَثاً عَنِ الحال؛

كيمياءُ الحالِ يَدُهُ تِلْكَ، يُحرِّكُ اليَدَ فَيصيرُ النُّحاسُ سَكْرانَ بِه؛

إذا أرادَ يصيرُ المَوتُ أيضاً حُلْواً، الشَّوكُ والحَسَكُ يَصيرانِ نَرْجِساً وَنِسْريناً؛

ذاكَ الَّذي هُوَ مَوقوفُ الحالِ هُوَ آدَمِيٌّ، يَزيدُ بالحالِ حيناً و ينقُصُ حيناً؛

الصُّوفِيُّ يكونُ اِبْنَ الوَقْتِ في المِثال، لكِنَّهُ صافٍ فارِغٌ مِنَ الوَقْتِ والحال؛

الأحوالُ مَوقوفَةٌ لِعَزْمِهِ وَرَأْيِه، وحَيَّةٌ مِنْ نَفْخِهِ الَّذي يُشْبِهُ نَفْخَ المَسيح؛

عاشِقُ الحالِ لَيْسَ عاشِقاً لي، على أمَلِ الحالِ يَدُورُ مِنْ حَولي؛

وذاكَ الَّذي كانَ لَحظَةً ناقِصاً ولَحْظَةً كامِلاً، لَمْ يَكُنْ مَعْبودَ الخَليلِ وكانَ آفِلاً؛

وذاكَ الَّذي يكونُ آفِلاً وَحيناً ذاكَ وحيناً هذا، لَيْسَ مَحْبوبَ *لا أُحِبُّ الآفِلين*؛

وذاكَ الَّذي هُوَ حِيناً حَسَنٌ وَحيناً غَيْرُ حَسَنٍ، في زَمانٍ ماءٌ وفي زَمانٍ نارٌ؛

كائنٌ في بُرْجِ القَمَرِ لكِنَّهُ لَيْسَ قَمَراً، وَلَهُ صُورَةُ صَنَمٍ ولكِنْ بلا إدراك؛

الصُّوفِيُّ طالِبُ الصَّفاءِ اِبْنُ الوَقْت، عَرِفَ الوَقْتَ كالوالِدِ لَهُ فَأمَسَكَ بِهِ بِقُوَة؛

صافٍ غَريقُ نُورِ ذي الجلال، لَيْسَ ابْنَ شَخْصٍ وفارِغٌ مِنَ الأوقاتِ والحال؛

غَريقُ نورِ الَّذي هُوَ *لَمْ يُولَد*، الَّذي *لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* هُوَ الله؛

فاذْهَبْ واطْلُبْ مِثْلَ هذا العِشْقِ إنْ كُنْتَ حَيّاً، وإلاّ فأنتَ عَبْدٌ للوَقْتِ المُخْتَلِف؛

لا تَنْظُرْ في صُورَةِ قُبْحِ وَجَمالِ النَّفْس، أُنْظُرْ في العِشْقِ وفي مَطْلوبِ النَّفْس؛

لا تنْظُرْ إلى أنَّكَ حَقيرٌ أو ضَعيف، أُنْظُرْ إلى هِمَّةِ النَّفْسِ أي شَريف؛
وكُنْ في الطَّلَبِ دائماً على كُلِّ حال، وابْحَثْ عَنِ الماءِ دائماً أيْ يابِسَ الشَّفَة؛
فَإنَّ شَفَتَكَ اليابِسَةَ تُعْطي الدِّلالَةَ على، أنَّها سَتَصِلُ آخِرَ الأمْرِ إلى المَنْبَع؛
إنَّ جَفافَ الشَّفَةِ رِسالَةٌ مِنَ الماء، أنَّهُ سَوفَ يَقْتُلُ يقيناً هذا الاِضْطِراب؛
وأنَّ هذا الطَّلَبَ مُبارَكٌ مِنْ حَرَكَةٍ، هذا الطَّلَبُ مانِعُ القَتْلِ في طَرِيقِ الحَقّ؛
هذا الطَّلَبُ مِفْتاحُ مَطْلوباتِك، هذا الطَّلَبُ جَيْشُكَ وَنُصْرَةُ راياتِك؛
هذا الطَّلَبُ كَأنَّهُ الدِّيكُ في الصِّياح، يَرْفَعُ الصَّوتَ بالصُّراخِ أن جاءَ الصَّباح؛
ولَو كُنْتَ لا تَمْلِكُ الآلَةَ قُمْ بالطَّلَب، لا حاجَةَ للآلَةِ في طَرِيقِ الرَّب؛
كُلَّ ما رَأيْتَ مِنْ طالِبٍ أيْ وَلَد، كُنْ لَهُ رَفيقاً وَضعْ أمامَهُ الرَّأس؛
فَمِنْ جِوارِ الطَّالبينَ تَصيرُ طالِباً، وَمِنْ ظِلالِ الغالِبينَ تَصيرُ غالِبا؛
فإنْ كُنْتَ نَمْلَةً فابْحَثْ عَنْ سُلَيمان، ولا تَنْظُرْ في طَلَبِهِ إلى العَجْزِ والضَّعْف؛
كُلَّ ما مَلَكْتَ مِنْ مالٍ وَمِنْ حِرْفَة، أَلَيْسَ كانَ طَلَباً في الأَوَّلِ وَفِكْرَة؛

حِكايَةُ ذلِكَ الشَّخْصِ الَّذي كانَ في عَهْدِ داؤودَ عَلَيْهِ السَّلامُ يَدعو اللَّيْلَ والنَّهارَ أنْ إلهي ارْزُقْني الرِّزْقَ الحلالَ بِلا تَعَبْ

ذاكَ واحِدٌ في عَهْدِ داؤودَ النَّبِيّ، أمامَ كُلِّ عالِمٍ وَأمامَ كُلِّ غَبيّ؛
يَدْعو بِهذا الدُّعاءِ دائماً يقولُ: أيْ اَلله أعْطِني ثَرْوَةً يَوماً بلا تَعَب؛
بِما أنَّكَ خَلَقْتَني كَسولاً، شاكِياً واهِناً بَطيئاً عاطِلاً؛
على الحَميرِ جَريحَةِ الظَّهْرِ بلا مُراد، لا يُمْكِنُ وَضْعُ حِمْلِ الخَيْلِ والبِغال؛
بِما أنَّكَ خَلَقْتَني كَسولاً أي قَدير، أعْطِني رِزْقي أيضاً مِنْ طَريقِ الكَسَل؛
أنا كَسولٌ نَؤومٌ في الظِّلِّ في الوجود، نِمْتُ تَحْتَ ظِلِّ هذا الفَضْلِ والجود؛
لا بُدَّ للكسالى والنَّائمينَ في الظِّلِّ مِنْ، رِزْقٍ لَهُمْ مَكْتوبٍ يكونُ مِنْ نَوْعٍ آخَر؛

راحَ في طَلَبِ الرِّزْقِ كُلُّ مَنْ لَهُ قَدَمٌ ، فكُنْ عَطوفاً على كُلِّ مَنْ هُوَ بلا قَدَم؛
تَسوقُ الرِّزْقَ باتِّجاهِ ذاكَ الحَزين، وتُرْسِلُ السَّحابَ إلى جِهَةِ كُلِّ أرْض؛
الأرْضُ لمَّا كانَتْ بلا قَدَمٍ كانَ جُودُكَ، يَسوقُ السَّحابَ خاضِعاً إلى جِهَتِها؛
الطِّفْلُ حَيْثُ لَمْ تَكُنْ لَهُ القَدَمُ كانَتْ أُمُّهُ، تأتي إلَيْهِ بالرِّزْقِ تَصُبُّهُ فَوقَ رَأْسِه؛
أُريدُ رِزْقاً بلا مَوعِدٍ بلا تَعَبٍ، رِزْقاً لا أمْلِكُ مِنَ السَّعْيِ إلَيْهِ غَيْرَ الطَّلَب؛
مُدَّةً طَويلَةً وَهُوَ يَدْعو بِهذا الدُّعاء، نَهاراً إلى اللَّيْلِ وَطُولَ اللَّيْلِ إلى الضُّحى؛
وكانَ الخَلْقُ يَضْحَكون مِنْ مقالِهِ، مِنْ طَمَعِهِ الخامِ وَمِنْ قِلَّةِ حِرْفَتِه؛
أنْ عَجَباً ما يَقولُ هذا الواهي اللِّحْيَة، أأعْطاهُ شَخْصٌ حَشيشاً مُذْهِباً للعَقْل؛
طَريقُ الرِّزْقِ الكَسْبُ والعَناءُ والتَّعَب، وكُلُّ شَخْصٍ أُعْطِيَ الحِرْفَةَ والطَّلَب؛
أُطْلُبوا الأرزاقَ في أسبابِها أُدخُلوا الأوطانَ مِنْ أبوابِها
الشَّاهُ والسُّلطانُ وَرَسولُ الحَقِّ الآن، هُوَ داؤودُ النَّبِيُّ ذو الفُنون؛
بِمِثْلِ تِلْكُما العِزَّةِ والدَّلالِ لَدَيْه، وأنَّهُ مُخْتارٌ اخْتارَتْهُ عِناياتُ الحَبيب؛
مُعْجِزاتُهُ بلا إحْصاءٍ ولا عَدَد، مَوجُ عَطائِهِ مَدَدٌ في مَدَد؛
لا شَخْصَ كانَ مِنْ آدَمَ إلى الآن، أُعْطِيَ ما أُعْطِيَ مِنْ صَوتٍ كالأرْغَنون؛
حَتَّى في كُلِّ وَعْظٍ يُميتُ مِئتَيْن، صَوتُهُ الجَميلُ لَمْ يَكُنْ لآدَمِيٍّ أَبَداً؛
الأسَدُ والغَزالُ إلى جِهَةِ تَذكيرِهِ، اجْتَمعا مَعاً غافِلَيْنِ هذا عَنْ ذاك؛
الجَبَلُ والطَّيْرُ تُرَدِّدُ الرَّسائلَ مَعَ أنغامِه، وكُلٌّ مِنْهُما مُحْرِمٌ في وَقْتِ دَعَوتِه؛
هذا ومِئاتُ الأمثالِ مِنْهُ مِنَ المُعْجِزات، ونُورُ وَجْهِهِ بلا جِهاتٍ وفي الجِهات؛
وَمَعَ كُلِّ هذا التَّمكينِ لَهُ فإنَّ اللّهَ، جَعَلَ رِزْقَهُ مَعْقوداً على السَّعْيِ والبَحْث؛
فلولا نَسْجُهُ الدُّروعَ وَتَعَبُهُ فيه، ما كانَ رِزْقُهُ ليأتِيَهُ مَعَ كُلِّ غَلَبَتِهِ هَذِهِ؛
ومِثْلُ هذا المَخْذولِ المُتَخَلِّفُ الكَسول، مُتَعَفِّنُ المَنْزِلِ والدُّونُ ومَطْرودُ الفَلَك؛
مِثْلُ هذا المُدْبِرِ يَطْلُبُ مُسْتَعْجِلاً، أنْ يَمْلأَ الجَيْبَ بالمالِ يَرْبَحُهُ بلا تِجارَةٍ؛

مِثْلُ هذا المُعْوَجِّ يأتي بيننا يقولُ، أُريدُ أنْ أصْعَدَ على الفَلَكِ بلا سُلَّمٍ؛
وهذا كانَ يَقولُ لَهُ ساخِراً اذهَبْ واقْبِضْ، فَقَدْ وَصَلَكَ الرِّزْقُ وَجاءَكَ البَشير؛
وذاكَ كانَ يَضْحَكُ عَلَيْهِ أنْ أعْطِنا أيضاً، مِمَّا وَجَدْتَ هَدِيَّةً أي رَئيسَ المَحَلَّة؛
وهُوَ رَغْمَ التَّشْنيعِ مِنَ النَّاسِ والاِسْتِهْزاء، لَمْ يُنْقِصْ مِنَ التَّمَلُّقِ والدُّعاء؛
إلى أنْ صارَ في المَدينَةِ مَعْروفاً وَمَشْهوراً،أنَّهُ يَطْلُبُ الجُبْنَ مِنْ قُرْبَةٍ فارِغَة؛
صارَ ذلِكَ السَّائلُ مَثَلاً في سَذاجَةِ الطَّبْعِ ، إلاَّ أنَّهُ لَمْ يَتَخَلَّ عَنْ طَلَبِهِ هذا؛

جَرْيُ ثَورٍ إلى مَنْزِلِ ذلِكَ الدَّاعي بِإلحاح، قالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلام
إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُلِحِّيْنَ بالدُّعاء، لأنَّ عَيْنَ الطَّلَبِ مِنَ الحَقِّ تَعالى،
وإلْحاحَ الطَّالِبِ أفْضَلُ مِنْ ذلِكَ الَّذي يَطْلُبُهُ مِنْه

حتَّى إذا يَوماً فَجْأةً في وَقْتِ الضُّحى، وهُوَ يَدْعو بِهذا الدُّعاءِ في حُرْقَةٍ وآه؛
أتى ثَوْرٌ فَجْأةً إلى مَنْزِلِه مُسْرِعاً، وَضَرَبَ بِقَرْنِهِ المِصْراعَ والقِفْلَ فَكَسَرَهُما؛
وَقَفَزَ الثَّورُ الجَسورُ إلى ذلِكَ المَنْزِلِ، فَوَثَبَ الرَّجُلُ واقِفاً وَقَيَّدَ قَوائِمَه؛
ثُمَّ قامَ بِذَبْحِ ذلِكَ الثَّورِ في الزَّمان، بلا تَوَقُّفٍ وبلا تَأَمُّلٍ وَبِلا أمان؛
وَحِيْنَ قَطَعَ رَأْسَهُ صارَ إلى القَصَّاب، لِكَيْ يَقومَ بِسَلْخِ جِلْدِهِ سَريعاً في الحال؛

اعْتِذارُ النَاظِمِ وَطَلَبُ المَدَد

أيْ طالِبُ، الدَّاخِلُ مِثْلَ الجَنين، كَيْفَ تَقومُ بالطَّلَبِ بِإتْمامِ هذا؛
سَهِّلِ الأمْرَ أبنِ الطَّريقَ أعْطِ التَّوفيق، أو فاتْرُكْ هذا الطَّلَبَ لا تَضَعْهُ عَلَينا؛
كَيْفَ تَطْلُبُ الذَّهَبَ مِنْ مُفْلِسٍ، عَطاءُ الذَّهَبِ في قَصْرِ الشَّاهِ الغَنِيّ؛
مِنْ دُونِكَ النَّظْمُ والقافِيَةُ اللَّيْلَ والسَّحَر، مَتى كانا للزُّهْرَةِ لِتَجيءَ في النَّظَر؛
النَّظْمُ والجِناسُ والقوافي أيْ عَليم، عَبيدٌ لأمْرِكَ مِنَ الخَوفِ والرَّهَب؛

كَما جَعَلْتَ كُلَّ شَيْءٍ مُسَبّحاً، مِنْ غَيْرِ ذي التَّمييزِ ومِنْ ذي التَّمييز؛
لِكُلِّ مِنْهُمْ تَسبيحٌ مِنْ نَوعٍ آخَر، يقولُهُ وَعَنْ حالِ ذاكَ هذا جاهِلٌ؛
الآدَمِيُّ مُنْكِرٌ لِتَسْبيحِ الجَماد، وذلِكَ الجَمادُ في العِبادَةِ أُستاذ؛
بَلْ إنَّ الاِثْنَتَيْنِ وَسَبْعينَ مِلَّةً كُلُّ مِلَّةٍ، تَكونُ بلا خَبَرٍ عَنْ غَيْرِها وفي شَكّ؛
ما دامَ اثْنانِ ناطِقانِ وَكُلٌّ مِنْهُما غافِلٌ، عَنْ حالِ الآخَرِ كَيْفَ بالجِدارِ والباب؛
كَيْفَ وأنا عَنْ تَسبيحِ النَّاطِقِ غافِلٌ، يَعْلَمُ قَلْبي بِذِكْرِ وتَسْبيحِ الصَامِت؛
السُّنِّيُّ عَنْ تَسبيحِ الجَبْري بِلا خَبَر، الجَبْريُّ عَنْ تَسبيحِ السُّنِّيِّ بِلا أثَر؛
فللسُّنّيِّ تَسبيحٌ خاصّ، وللجَبْرِيِّ ضِدُّ ذلِكَ لا مَناص؛
هذا قالَ أنَّ ذلِكَ ضائعٌ وضالّ، بلا خَبَرٍ عَنْ أمْرِ قُمْ وعَنِ الحال؛
وذاكَ ظَلَّ يقولُ أنَّ هذا بلا خَبَر، وأوقَعَ الحَرْبَ بَيْنَهُما اللهُ مِنَ القَدَر؛
لِيَجْعَلَ جَوْهَرَ كُلِّ واحِدٍ مِنْهُما ظاهِراً، وَيَجْعَلَ جِنْسَ كُلِّ واحِدٍ مِنْهُما ظاهِراً؛
كُلُّ شَخْصٍ عَرِفَ القَهْرَ مِنَ اللُّطْف، عالِماً كانَ أمْ جاهِلاً أمْ خَسيساً؛
لكِنِ اللُّطْفُ الخَفِيُّ في القَهْر، أو القَهْرُ الَّذي يجيءُ في قَلْبِ اللُّطْف؛
لا يَعْلَمُهُ غَيْرُ قَليلٍ مِنَ النَّاسِ مِنْ رَبَّانيّ، يكونُ لَهُ في قَلْبِهِ مَحَكٌّ روحانيّ؛
الباقُونَ مِنْ هذَينِ الاِثْنَيْنِ هُمْ على ظنّ، يَطيرونَ نَحْوَ أعشاشِهِمْ بِجَناحٍ واحِد؛

بيانُ أنَّ للعِلْمِ جَناحيَن، وأنَّ لِلظَّنِّ جَناحاً واحِداً، وأنَّ الظَّنَّ ناقِصٌ وأبْتَرٌ في الطَّيَرانِ ، ومِثالُ الظَّنِّ واليقينِ في العِلْم

للظَّنِّ جَناحٌ واحِدٌ ولِلْعِلْمِ جناحانِ، فالظَّنُّ ناقِصٌ وأبْتَرٌ في الطَّيَران؛
الطَّائرُ وَحيدُ الجَناحِ وَقَعَ سَريعاً مَنْكوساً، ثُمَّ عادَ فَطارَ خُطْوَتَينِ أو أكْثَر؛
يمْضي طائرُ الظَّنِّ وَهُوَ يَسْقُطُ وَيَقومُ، بِجناحٍ واحِدٍ بأمَلَ الوُصولِ إلى العِشّ؛
عِنْدَما تَحَرَّرَ مِنَ الظَّنِّ ظَهَرَ لَهُ عِلْمُهُ، الطَّائرُ وحيدُ الجناحِ صارَ ذا جناحين؛

بَعْدَها *يَمْشي سَوِيَّاً مُسْتَقيم لا على الوَجْهِ مُكِبَّاً أو سَقيم*
يَصيرُ بِجَناحَيْنِ يَطيرُ مِثْلَ جِبْريل، بِلا ظَنٍّ ولا شَكٍّ ولا قالٍ وقيل؛
وَلَو أنَّ كُلَّ العالَمِ قالَ لَهُ، أنتَ السَّوِيُّ في طَريقِ اللهِ والدِّين؛
فإنَّهُ لا يَزدادُ نَشاطاً مِنْ قَولِهِمْ، رُوحُهُ المُفْرَدَةُ لا تَصيرُ شَفيعَ أرواحَهِمْ؛
وَلَو أنَّ الجَميعَ قالوا لَهُ أنتَ ضالٌّ، تَظُنُّ نَفْسَكَ جَبَلاً وأنتَ جُزْءُ قَشَّةٍ؛
فإنَّهُ لا يَقَعُ في الظَّنِّ مِنْ طَعْنِهِمْ، ولا يَصيرُ مُتألِّماً مِنْ ظَعْنِهِم؛
بَلْ لَو أنَّ البَحْرَ والجَبَلَ جاءاهُ مُتَكَلِّمَينِ، وَقالا لَهُ أنتَ قَدْ صِرْتَ في ضلال؛
لا يَقَعُ بِقَدْرِ ذَرَّةٍ واحِدَةٍ في الخَيال ، أو يَصيرُ بِطَعْنِ الطَّاعِنينَ مَعْلولَ الحال؛

مِثال مَرَض الآدَميّ بِوَهْمِ وَتَعْظيمِ الخَلْق وَرَغْبَة المُشْتَرينَ بِهِ وَحِكايَةُ المُعَلِّم

أطْفالُ مَكْتَبٍ رأوا مِنَ الأُستاذ، عَناءً مِنَ المَلالِ والإِجْتِهاد؛
فَتَشاوَروا في تَعْويقِ العَمَل، حتَّى يَقَعَ المُعَلِّمُ في الإِضْطِرار؛
كَيْفَ لا يُلِمُّ بهذا المُعَلِّمِ مَرَضٌ، يأخُذُهُ بَعيداً عَنَّا لِعِدَّةِ أيَّام؛
لِنَتَحَرَّرَ مِنَ الحَبْسِ والضِّيْق والعَمَل، هُوَ اسْتَقَرَ في المَكانِ كالحَجَرِ الصَّلْد؛
واحِدٌ مِنْهُمْ أكْثَرُ ذكاءً قامَ بِهذا التَّدْبير، أنْ يَقولَ أيْ أُستاذُ ما لَكَ شاحِباً؛
لَونُكَ لَيْسَ في وَضْعِهِ كالمُعْتادِ خَيْراً، أهُوَ أثَرٌ أمْ مِنَ الهواءِ أمْ مِنَ الحَرارَة؛
لِيَقَعَ شَيئاً فَشَيئاً في الخَيالِ مِنْ هذا، وأنتَ يا أخي أيضاً أعِنّي بِهذا الشَّكْل؛
قُلْ لَهُ وأنْتَ تَدْخُلُ مِنْ بابِ المَكْتَبِ، عساهُ خَيْراً يا أُسْتاذُ ما هِيَ أحوالُك؛
فيصيرَ ذاكَ الخَيالُ مِنْهُ زائداً قَليلاً، فإنَّ العاقِلَ مِنَ الخَيالِ يَصيرُ مَجْنوناً؛
وذاكَ الثَّالِثُ وذاكَ الرَّابِعُ والخامِسُ كذلِك، يُظْهِرونَ مِنْ بَعْدِنا الغَمَّ والحَنين؛
حتَّى إذا ما ذَكَرَ ثلاثونَ وَلَداً بالتَّواتُرِ، هذا الخَبَرَ مُتَّفِقينَ عَلَيْهِ صارَ مُسْتَقِرًّا؛

كُلُّ واحِدٍ قالَ لَهُ مَرْحىً أيْ ذَكِيٍّ، كانَ بَخْتُكَ مُتَّكِئاً على العِنايَة؛
واتَّفَقوا مُتَعاهِدينَ بالعَهْدِ الوَثيق، أنْ لا يُغَيِّرَ هذا الكلامَ أيُّ رَفيق،
ومِنْ بَعْدِ ذلِكَ أقْسَموا لَهُ جُمْلَةً قَسَماً، أنْ لا يَكونَ بَيْنَهُم واشٍ يشي ما جَرى؛
رأيُ ذاكَ الوَلَدِ غَلَبَ على الجَميع، عَقْلُهُ كانَ سابِقاً يَمْشي أمامَ القَطيع؛
ذاكَ التَّفاوُتُ مَوجودٌ في عُقولِ البَشَر، كالتَّفاوُتِ بَيْنَ أهْلِ الجَمالِ في الصُّوَر؛
مِنْ هذا قالَ أحْمَدُ في المَقالِ مِنْ قَبْلُ ، حُسْنُ الرِّجالِ مُخْتَفٍ في اللِّسان؛

عُقولُ الخَلْقِ مُتَفاوِتَةٌ في أصْلِ الفِطْرَة، وعِنْدَ المُعْتَزِلَةِ مُتساويةٌ وتفاوُتُ العُقولِ مِنْ تَحْصيلِ العِلْم

اخْتِلافُ العُقولِ كائنٌ في الأصْل، يَجِبُ الاِسْتِماعُ لِوِفاقِ أهْلِ السُّنَّة؛
على خِلافِ قَوْلِ أهْلِ الاِعْتِزال، مِنْ أنَّ العُقولَ كانَتْ في الأصْلِ باعْتِدال؛
تَزيدُ وَتَنْقُصُ بالتَّجْرِبَةِ والتَّعْليمِ، وَيَصيرَ واحِدٌ مِنْ واحِدٍ آخَرَ أعْلَم؛
وهذا باطِلٌ لأنَّهُ رَأْيُ وَلَدٍ، والوَلَدُ لا تَجْرِبَةَ لَهُ في مَسْلَك؛
ذلِكَ الوَلَدِ الصَّغيرُ طَلَعَتْ مِنْهُ فِكْرَةٌ، ما أدْرَكَ شُمَّةً مِنْها شَيخٌ بِمِئةِ تَجْرِبَة؛
تِلْكَ الزِّيادَةُ أفْضَلُ لأنَّها مِنَ الفِطْرَة، مِنْ تِلَكَ الزِّيادَةِ الَّتي مِنَ الجُهْدِ والفِكْرَة؛
أنتَ قُلْ ألمْ يَكُنْ عطاءُ اللهِ أفْضَلَ، وَهَلْ هُناكَ مِنْ أعْرَجَ سارَ بِسُرْعَةِ العدَّاء؛

إيقاعُ الأولادِ الأُسْتاذَ في الوَهْم

طَلَعَ النَّهارُ وجاءَ أولئكَ الأولاد، على الفِكْرَةِ نَفْسِها مِنَ المَنْزِلِ إلى الدُّكّان؛
وَقَفَ الجَميعُ جُمْلَةً مُنْتَظِرينَ في الخارِج، حَتَّى يَدْخُلَ أوَّلاً رَفيقُ مِصْرَ ذاك؛
ذاكَ أنَّهُ كانَ مَنْبَعَ هذا الرَّأْيِ، والرَّأْسُ دوماً تَجيءُ أمامَ القَدَم؛
أيْ مُقَلِّدُ لا تَطْلُبْ أنْ تَكُونَ أمامَ ذاك، فإنَّ لِذاكَ مَنْبَعاً مِنْ نُورِ السَّماء،

دَخَلَ وقالَ أيْ أُسْتاذَنا السَّلام، خَيْراً ما لي أرى لَونَ وَجْهِكَ أصْفَرَ اللَّون؛
الأُستاذُ قالَ لا لَيْسَ بي مَرَضٌ، اِذْهَبْ واجْلِسْ ولا تَقُلْ كلاماً بلا مَعْنى؛
لَقَدْ قامَ بالنَّفْيِ لكِنَّ قَليلاً، مِنْ غُبارِ وَهْمِ السُّوءِ وَقَعَ فَجْأَةً في قَلْبِه؛
ثُمَّ دَخَلَ آخَرُ فَقالَ مِثْلَ هذا، فصارَ ذلِكَ الوَهْمُ زائداً قليلاً بِهذا؛
وهكذا إلى أنْ صارَ وَهْمُهُ قَوِيّاً جِدّاً ، وَصارَ في حالِ نَفْسِهِ في حَيْرَةٍ شَديدَة؛

مَرَضُ فِرْعَونَ كانَ أيْضاً مِنَ الوَهْمِ مِنْ تَعْظيمِ الخَلْق

سُجودُ الخَلْقِ نِساءً وَرِجالاً وأطْفالاً، ضَرَبَ قَلْبَ فَرْعَونَ فأصابَهُ بالمَرَض؛
قَوْلُ كُلِّ واحِدٍ لَهُ إلهاً وَمَلِكا، صَيَّرَهُ هكذا مِنَ الوَهْمِ مُنْهَتِكا؛
حتَّى صارَ جَريئاً على دَعْوى أنَّهُ إلٰه، وصارَ أفْعى وَلَمْ يَعُدْ لَهُ بَعْدُ مِنْ شَبَع؛
العَقْلُ الجُزْئِيُّ آفَتُهُ الوَهْمُ والظَّنّ، ذلِكَ لأنَّهُ لَهُ في الظُّلُماتِ وَطَن؛
لَو كانَ على الأرْضِ طَريقٌ مِنْ نِصْفِ ذِراع، سارَ آمِناً عَلَيْهِ آدَمِيٌّ بلا وَهْمٍ؛
وإذا كُنْتَ تَسيرُ فَوقَ جِدارٍ عالٍ، سِرْتَ مُلْتَوِياً وَلَو كانَ عَرْضُهُ ذِراعَين؛
بَلْ إنَّكَ تَقَعُ مِنْ ارْتِعاشِ القَلْبِ مِنَ الوَهْم، فانْظُرْ جَيّداً إلى خَوْفِ الوَهْمِ بِفَهْم؛

مَرَضُ الأُسْتاذِ مِنَ الوَهْم

صارَ الأُسْتاذُ واهِناً مِنَ الوَهْمِ والخَوف، نَهَضَ مُسْرِعاً وهُوَ يَشُدُّ عباءَتَه؛
غاضِباً مِنْ زَوْجَتِهِ أنْ ضَعُفَ حُبُّها، أنا على هذِهِ الحالِ وَلَمْ تَسَلْ وَلَمْ تَبْحَثْ؛
وَلَمْ تَقُمْ بِتَنبيهي لِتَغَيُّرِ لَوني، هِيَ قاصِدَةٌ لِتَتَخَلَّصَ مِن قَباحَتي؛
هِيَ سَكْرى بِحُسْنِها وَجَمالِ طَلْعَتِها، جاهِلَةٌ أنّي وَقَعْتُ مِنَ السَطْحِ كالطَّسْت؛
جاءَ للبَيْتِ مُسْرِعاً وَفَتَحَ الباب بَقُوَّةٍ، والأولادُ في إثْرِ ذلِكَ الأُسْتاذِ يَجْرون؛
قالَتِ المَرْأَةُ خَيْراً لِمَ عُدْتَ سَريعاً، حاشا أنْ يكونَ سُوءٌ أَلَمَّ بِذاتِكَ الجَميلَة؛

قالَ انْظُري لَوني وَحالي أَأَنْتِ عَمْياءُ، مِنَ الحُزْنِ عَلَيَّ الغُرَباءُ في حَنين؛
أنتِ في داخِلِ المَنْزِلِ ومِنَ البُغْضِ والنِّفاق، لا تَرَيْنَ حالي وأنا في احْتِراق؛
قالَتِ المَرْأَةُ أيْ سَيِّدُ لا عَيْبَ فيك، الوَهْمُ والظَّنُّ لا شَيءَ وَهُما بلا مَعْنى؛
قالَ أيْ مُخادِعَةُ أنتِ لا زِلْتِ في لِجاج، ألا تَرَيْنَ هذا التَّغَيُّرَ والاِرْتِجاج؛
ما جُرْمُنا إنْ صِرْتِ عَمياءَ صَمَّاء، ونَحْنُ في هذا المَرَضِ والحُزْنِ والبلاء؛
قالَتْ أيْ سَيِّدُ آتِني بِمِرآة، حَتَّى تَعْلَمَ أنِّي لَمْ أُذْنِبْ ذَنْباً؛
قالَ اذْهَبي لا أنتِ رَفيقَةٌ ولا مِرْآتُكِ، أنتِ دَائماً في البُغْضِ والحِقْدِ والعَنَت؛
افرِشي لي الفِراشَ للنَّوم، حتَّى أنامَ فإنَّ رَأسِيَ قَدْ ثَقُلَتْ؛
تَوَقَّفَتِ المَرْأَةُ فَصاحَ بِها الرَّجُل ، أسْرِعي أَيَّتُها العَدُوُّ إنَّ هذا بِكِ لأولى؛

سُقوطُ الأُستاذِ في فِراشِ النَّومِ وأنينُهُ مِنْ وَهْمِ المَرَض

جَلَبَتْ فِراشَ النَّومِ وَمَدَّتْهُ تِلْكَ العَجوز ،قالَتْ لا إمكانَ للكلامِ والباطِنُ يَحْتَرِق؛
إنْ تَكَلَّمْتُ كُنْتُ عِنْدَهُ مُتَّهَمَةً، وإنْ لَمْ أتَكَلَّمْ صارَ ما جَرى إلى الجِدِّ؛
فألُ السُّوءِ يَجْعَلُ الآدَمِيَّ مَريضاً، وَما بِهِ مِنْ عِلَّةٍ يُغْتَمُّ مِنْها؛
قَوْلُ النَّبِيِّ قَبولُهُ يُفْرَضُ إنْ تَمارَضْتُمْ لَدَينا تَمْرَضوا
إنْ أنا قُلْتُ تَخَيَّلَ خَيالاً، المَرْأَةُ فَعَلَتْ هذا تُريدُ الخَلْوَة؛
تَفْعَلُ هذا لإخراجي مِنَ البَيْت، مِنْ أجْلِ فِعْلِ الفِسْقِ وَتقومُ بِالخِداع؛
أعَدَّتْ لَهُ فِراشَ النَّومِ وَسَقَطَ الأُستاذُ، في الفِراشِ يُطْلِقُ الآهاتِ وَيَئِنُّ الأنين؛
جَلَسَ الأولادُ خُفْيَةً هُناكَ، كانوا يَدْرُسونَ وَهُمْ بِمِئَةِ حُزْنٍ؛
أنْ فَعَلْنا هذا ولا نَزالُ أحْياءً، بِئْسَ بَناءٌ بَنَيْنا وَبِئْسَنا مِنْ بانِيْن؛

إيقاعُ الأولادِ الأستاذَ في الوَهْمِ للمَرَّةِ الثَّانِيَة أنْ وَجَعُ رَأْسِهِ يَزْدادُ مِنْ قِراءَتِنا القُرْآن

قالَ ذلِكَ الذَّكِيُّ أي مُبارَكُون، اِقْرَؤوا الدَّرْسَ وارْفَعوا الصَّوتَ عالِياً؛
عِنْدَما راحوا يَقْرَؤونَ قالَ أيْ أولاد، إنَّ أصواتَنا تَزيدُ في أذى أُسْتاذِنا؛
إنَّ وَجَعَ رَأْسِ الأُسْتاذِ يَزيدُ مِنَ الصَّوت، فَهَلْ يَسْتَحِقُّ أنْ يَتَأَلَّمَ مِنْ أجْلِ دانِق؛
قالَ الأُسْتاذُ إنَّهُ يَقُوْلُ حَقَّاً اذْهَبُوا ، لَقَدْ زادَ وَجَعُ رَأْسي هَيَّا اخْرُجوا للخارِجِ؛

خلاصُ الأولادِ مِنَ المَكْتَبِ بِهذا المَكْر

قاموا بالسُّجودِ وقالوا أيْ كَريم، أبْعَدَ اللهُ عَنْكَ المَرَضَ والخَوف؛
ثُمَّ انْدَفَعوا خارِجينَ إلى مَنازِلِهِم، مِثْلَ الطُّيورِ في طَلَبِ الحُبوب؛
أُمَّهاتُهُمْ صِرْنَ غاضِباتٍ وقُلْنَ، اليَومَ كُتَّابٌ وأنتُمْ في اللَّهْو؛
فجاءوا بالعُذْرِ أنْ أيْ أُمُّ مَهْلاً، لَيْسَ الذَّنْبُ مِنَّا وَلَيْسَ هذا بِتَقْصير؛
إنَّ أُسْتاذَنا مِنْ قَضاءِ السَّماء، صارَ مَريضاً وَسَقيماً وَمُبْتَلى؛
قالَتِ الأُمَّهاتُ بَلِ المَكْرُ والكَذِبُ، مِئةَ مَرَّةٍ جِئتُمْ بالكَذِبِ طَمَعاً بالمَخيض؛
نَحْنُ في الصَّباحِ قادَمونَ إلى الأُسْتاذ، لِنَرى ما كانَ أصْلُ مَكْرِكُمْ هذا؛
قالَ الأولادُ بِسْمِ اللهِ اذْهَبْنَ ، صِرْنَ واقِفاتٍ على كِذْبِنا وَصِدْقِنا؛

ذهابُ أُمَّهاتِ الأولادِ لِعِيادَةِ الأُسْتاذ

أولئكَ الأُمَّهاتُ جِئنَ عِنْدَ الصَّباح، والأُسْتاذُ نائمٌ كالمَريضِ بِمَرَضٍ ثَقيل؛
يَعْرَقُ مِنْ كَثْرَةِ ما عَلَيْهِ مِنَ اللِّحاف، رَبَطَ الرَّأْسَ وَسَتَرَ الوَجْهَ بالسِّجاف؛
يَقولُ على مَهَلٍ مِنْهُ آهٍ آه، فَقُلْنَ جَميعاً لا حَوْلَ إلاَّ بالله؛
خيراً عَساهُ يا أُستاذُ هذا الصُّداعُ، وَحَقِّ رُوحِكَ ما كانَ لَنا خَبَرٌ عَنْه؛

قالَ أنا أيضاً ما كانَ لي خَبَرٌ عَنْ هذا، أبناءُ الأُمَّهاتِ السَّيِّئاتِ نَبَّهوني لِهذا؛
أنا كُنْتُ غافِلاً بِشُغْلِ القالِ والقِيل، وفي الباطِنِ كانَ مِثْلُ هذا المَرَضِ الثَّقيل؛
إذا كانَ مَشْغولاً بِجِدِّ الآدَمِيّ، فَهُوَ عَنْ رُؤْيَةِ مَرَضِ نَفْسِهِ عَمِيّ؛
صارَ يُوسُفُ لِنِساءِ مِصْرَ السَّمَر، فَلَمْ يَعُدْ لَهُنَّ مِنْ شُغْلٍ بِهِ عَنْ أَنْفُسِهِنَّ خَبَر؛
قِطْعَةً قِطْعَةً قَطَّعْنَ سَواعِدَهُنَّ، الرُّوحُ الوالِهَةُ لا تَرى مِنْ أمامٍ ولا مِنْ خَلْف؛
أيْ كَمْ مِنْ رَجُلٍ شُجاعٍ في الحِراب، أطَنَّ يَدَهُ أوْ أَطَنَّ قَدَمَهُ الضِّراب؛
وهُوَ يُقَدِّمُ تِلْكَ اليَدَ لَيَصُولَ بِها، ظَنّاً مِنْهُ أنَّها لا تَزالُ في قَرار؛
فإذا بِهِ يرى اليَدَ وَقَدْ ذَهَبَتْ في الضَّرَر، سالَ مِنْها الدَّمُ الكَثيرُ وَهُوَ بِلا خَبَر؛

في بَيانِ أنَّ البَدَنَ للرُّوحِ كاللِّباس، وَأَنَّ هذِهِ اليَدَ كُمٌّ لِيَدِ الرُّوح، وأنَّ هذِهِ القَدَمَ حِذاءٌ لِقَدَمِ الرُّوح

حتَّى تَعْلَمَ أنَّ البَدَنَ جاءَ كاللِّباس، اِذْهَبْ واطْلُبِ اللاَّبِسَ لا تَلْعَقِ اللِّباس؛
إنَّ للرُّوحِ تَوحيداً للهِ أعْذَب، وَيَداً غَيرَ ظاهِرَةٍ وَقَدَماً أُخْرى؛
أُنْظُرِ اليَدَ والقَدَمَ في النَّومِ والائتِلاف، اِعْلَمْ ذاكَ حَقيقَةً لا تَعْرِفْهُ مِنْ جُزاف؛
أنتَ ذلِكَ الَّذي يَمْلِكُ البَدَنَ بلا بَدَنٍ ، إذَنْ لا تَخَفْ مِنَ الجِسْمِ وَخُرُوجِ الرُّوح؛

حِكايَةُ ذلِكَ الدَّرويشِ الَّذي كانَ اخْتَلى في الجَبَل، وَبَيانُ حلاوَةِ الإنْقِطاعِ والخَلْوَة، والدُّخولُ في هذِهِ المَنْقَبَةِ، أنْ

أنا جَليسُ مَنْ ذَكَرَني وَأَنيسُ مَنِ اسْتَأْنَسَ بي

إنْ لَمْ تَكُنْ مَعي أَنْتَ بلا أَحَدٍ وَلَوْ أَنَّكَ مَعَ الجَميع

وإنْ كُنْتَ مَعي ولَوْ أنَّكَ بلا أحَدٍ أنْتَ مَعَ الجَميع

دَرويشٌ كانَ في جَبَلٍ مُقيماً، كانَتِ الخَلْوَةُ لَهُ ضجيعاً ونَديماً؛
لَمَّا وَصَلَتْ إلَيْهِ مِنَ الخالِقِ الشَّمول، صارَ مِنْ أنفاسِ الرِّجالِ والنِّساءِ المَلول؛
هكذا مِثْلَما هُوَ سَهْلٌ عَلَيْنا الحَضَر، سَهْلٌ على قَومٍ آخَرينَ التَّرْحالُ والسَّفَر؛
مِثْلَما هُناكَ عاشِقٌ للرِّئاسَةِ، ذاكَ السَّيِّدُ عاشِقٌ للحِدادَة؛
كُلُّ شَخْصٍ قَدْ أُعِدَّ لِعَمَلٍ، أُلْقِيَ في قَلْبِه المَيْلُ لِذاكَ العَمَل؛
اليَدُ والقَدَمُ مَتى تَتَحَرَّكانِ بلا مَيْل، مَنْ يذْهَبُ لشَوكٍ وحَطَبٍ بلا ماءٍ وهواء؛
إنْ كُنْتَ تَرى مَيْلَ نَفْسِكَ نَحْوَ السَّماء، اِفْتَحْ جَناحَ الدَّولَةِ مِثْلَ طائرِ الهما؛
وإنْ كُنْتَ تَرى مَيْلَ نَفْسِكَ جَهَةَ الأرْض، فكُنْ نائحاً ولا تَقْعُدْ أبَداً عَنِ الحَنين؛
العاقِلونَ يقومونَ بالنُّواحِ مِنْ قَبْل، الجاهِلونَ يَضْرِبونَ أخيراً على الرَّأْس؛
مِنَ الاِبْتِداءِ كُنْ لآخِرِ الأمْرِ ناظِراً، حَتَّى لا تَصِيْرَ يَوْمَ الدِّيْنِ نادِماً؛

رُؤيَةُ الصَّائغِ عاقِبَةَ الأمْرِ وَقَولُهُ الكلامَ وِفْقَ العاقِبَةِ لِمُسْتَعيرِ المِيزان

ذاكَ واحِدٌ قَدْ أتى إلى صائغٍ، قالَ أعْطِني المِيْزانَ أنا أُريدُ أنْ أزِنَ ذَهَباً؛
قالَ أي سَيِّدُ اذْهَبْ لَيْسَ عِنْدِيَ غِرْبالٌ،قالَ أعْطِني المِيزانَ وَدَعْ هذا التَّسَخُّر؛
قالَ لَيْسَ عِنْدِي مكْنَسَةٌ في الدُّكَّان، قالَ كَفاكَ كَفاكَ دَعْ هذِهِ الأضاحِيك؛

أعْطِني المِيزانَ الَّذي أطْلُبُهُ مِنْك، لا تَجْعَلْ نَفْسَكَ أصَمَّ ولا تَذْهَبْ كُلَّ ناحِيَة؛
قالَ قَدْ سَمِعْتُ كلامَكَ لَسْتُ بأصَمّ، حتَّى لا تَظُنَّ أنّي أقولُ الكلامَ بلا مَعْنى؛
سَمِعْتُ هذا لكِنَّكَ عَجوزٌ مُرْتَعِش، يداكَ تَرْتَجِفانِ وَجِسْمُكَ غَيْرُ مُنْتَعِش؛
الذَّهَبُ الَّذي لَدَيْكَ قُراضَةٌ وبلا قِيْمَةٍ، وَيَدُكَ تَرْتَجِفُ فَسَتُوقِعُ قُراضَةَ الذَّهَب؛
وسَتَأتي وَتَقولُ أيْ سَيِّدُ هاتِ المكْنَسَة، حتَّى أقومَ بِطَلَبِ ذَهَبي في الغُبار؛
وحينَ تَكْنِسُ الغُبارَ سَوفَ تَجْمَعُه، وَتَقولُ أعْطِني الغِرْبالَ أيُّها الجَريء؛
أنا مِنَ الأوَّلِ رَأَيْتَ الآخِرَ على التَّمام،اِذْهَبْ إلى مكانٍ آخَرَ مِنْ هُنا والسَّلام؛

بَقِيَّةُ قَصَّةِ ذلِكَ الزَّاهِدِ في الجَبَلِ الَّذي كانَ قَدْ نَذَرَ أنْ
لَنْ أقْطِفَ ثَمَرَةً مِنْ شَجَرَةٍ في الجَبَل وَلَنْ أهُزَّ شَجَرَةً،
وَلَنْ أقولَ صَراحَةً أو كِنايَةً لِشَخْصٍ أنْ يَهُزَّها وآكُلُ
ذاكَ الَّذي تُسْقِطُهُ الرّيحُ عَنِ الشَّجَر

كانَ في ذلِكَ الجَبَلِ أشْجارٌ وَثِمار، وكانَتْ أشجارُ الإجَّاصِ هُناكَ لا تُحْصى؛
قالَ ذلِكَ الدَّرويشُ يا رَبّ لَكَ عَهْدي، أنْ لا أقْطِفَ مِنْ هذِهِ الثِّمارِ في الزَّمَن؛
لَنْ أقَطِفَ مِنْ هذِهِ الأشجارِ النَّضيرَة، غَيْرَ تِلْكَ الثِّمارِ الَّتي تُلقي بها الرِّيح؛
إلى مُدَّةٍ كانَ مِنْهُ الوَفاءُ بالنَّذْرِ، حتَّى إذا ما جاءَتِ امْتِحاناتُ القَضاء؛
لِهذا السَّبَبِ قَرَّرَ أنِ اسْتَثنوا، *إنْ شاءَ اللهُ* في عُهُودِكُمْ قولوا؛
كُلَّ زَمانٍ أُعْطي القَلْبَ مَيْلاً آخَر، كُلَّ نَفَسٍ أضَعُ على القَلْبِ حَرارَةً أُخْرى؛
كُلَّ إصْباحٍ لنا شَأْنٌ جَديد كُلُّ شَيْءٍ عَنْ مُرادي لا يَحيد
جاءَ في الحَديثِ القَلْبُ مِثْلَ ريشَةٍ، أسيرٌ لِريحٍ صَرْصَرٍ في صَحْراء؛
الرّيحُ تسُوقُ الرّيْشَةَ كُلِّ طَرَفٍ جُزافاً، تارَةً يَميناً وَتارَةً شِمالاً بِمِئَةِ اخْتِلاف؛
وفي حَديْثٍ آخَرَ هذا القَلْبُ اعْرِفْهُ، كالماءِ يَجيشُ مِنَ النَّارِ في القِدْرِ الجامِعَة؛

في كُلِّ زَمانٍ لِهذا القَلْبِ رَأْيٌ آخَر، ذاكَ لَيْسَ مِنْهُ ذاكَ مِنْ مَكانٍ آخَر؛
لِمَ تكونُ آمِناً إذَنْ وَتَرْكَنُ لِرَأْيِ القَلْبِ، وَتَعْقِدُ العَهْدَ لِتَصيرَ في الآخِرِ خَجِلاً؛
هذا أيضاً مِنْ تَأثيرِ حُكْمِ القَدَر، تُبْصِرُ البِئْرَ ولا تَقْدِرُ على الحَذَر؛
وَلَيْسَ أمْرُ ذلِكَ الطَّائِرِ المُحَلِّقِ بالعَجَب، إذا لَمْ يَرَ الشِّباكَ وَوَقَعَ في العَطَب؛
العَجَبُ هُوَ أنْ يرى الشِّباكَ وأنْ يرى الوَتَد، وَيَقَعَ في الشِّباكِ شاءَ أمْ لَمْ يَشَأْ؛
عَيْنُهُ مَفْتوحَةٌ وأُذُنُهُ مَفْتوحَةٌ والشِّباكُ أمامَهُ، وَيَطِيْرُ نَحْوَ الشِّبَاكِ بِجَناحِ نَفْسِه؛

تَشْبيهُ قَيْدِ وَشِباكَ القَضاءِ بالصُّورَةِ الخَفِيَّةِ ذاتِ الأَثَرِ الظَّاهِر

تَرى ابْنَ عَظيمٍ في ثَوبٍ قَديمٍ، عارِيَ الرَّأْسِ واقِعاً في البلاء؛
مُحْتَرِقاً في هَوى فِعْلِ السُّوء، باعَ لِباسَهُ وَباعَ أمْلاكَ نَفْسِه؛
صارَ مَفْضوحاً حَقيراً بلا سِيادَةٍ ولا مَنْزِلٍ، مُدْبِراً تَجْري عَلَيْهِ إرادَةُ الأعْداء؛
رأى زاهِداً قالَ أيُّها العَظيم، هِمَّةً في الدُّعاءِ لي مِنْ أجْلِ الله؛
فأنا وَقَعْتُ في هذا الإدْبارِ مَقْبوحاً، وفَقَدْتُ المالَ وَالذَّهَبَ وَالنِّعْمَةَ مِنَ الكَفّ؛
هِمَّةً عَسى أتَحَرَّرُ مِنْ هذا، عَسى أقْفِزُ خارِجَ هذا الطِّيْنِ الأسْوَد؛
يَرْجو الدُّعا مِنْ عامٍّ وخاص أنِ الخلاصَ اَلخَلاصَ اَلْخلاص
اليَدُ حُرَّةٌ والقَدَمُ حُرَّةٌ وما مِنْ قَيْد، ولا مُوكَّلَ مِنْ فَوْقِ رَأْسِهِ ولا حَديد؛
مِنْ أَيِّ قَيْدٍ يَطْلُبُ الخلاص، مِنْ أيِّ حَبْسٍ يَسْألُ المَناص؛
مِنْ قَيْدِ التَّقْديرِ والقَضاءِ المُخْتَفي، الَّذي لا تَراهُ إلاَّ رُوحُ الصَّفي؛
رَغْمَ أنَّ ذاكَ لَيْسَ ظاهِراً وفي مَكْمَن، هُوَ أسْوَأُ مِنَ السِّجْنِ وَمِنْ قَيْدِ الحَديد؛
ذلِكَ أنَّ أغلالَ الحَديدِ يَكْسِرُها الحَدَّاد، كما أنَّ آجُرَّ السِّجْنِ يَنقِبُهُ الحَفَّار؛
أيْ عَجَباً مِنْ ذلِكَ القَيْدِ الخَفِيِّ الثَّقيل، قَيْدٍ عَجِزَ عَنْ تَكْسيرِهِ الحَدَّادُون؛
قَيْدٍ مَعْقودٍ على العُنُقِ رآهُ أحْمَد، في جِيْدِ صاحِبِهِ كَحَبْلٍ مِنْ مَسَد؛

أبْصَرَ على ظَهْرِ عِيالِ أبي لَهَب، رِزْمَةَ حَطَبٍ قالَ حَمَّالَةَ الحَطَب؛
رأى الحَبْلَ والحَطَبَ لَمْ تَرَهُما عَيْنُ غَيْرِهِ، ذلِكَ أَنَّهُ ظَاهِرٌ لَهُ كُلُّ مَخْفِيّ؛
الباقُونَ جَميعاً قاموا بِتَأويلِ هذا، ذلِكَ أنَّ هذا وَراءَ الوَعْيِ وَهُمْ ذَوو وَعْي؛
لكِنْ مِنْ تَأْثيرِ ذاكَ كانَ ظَهْرُهُ قَدْ صارَ، مُنْحَنِياً وَقَدْ جاءَ شاكِياً إلى أمامِك؛
أنْ هِمَّةً بالدُّعاءِ لي حَتَّى أكونَ ناجِياً، حتَّى أقْفِزَ مِنْ هذا القَيْدِ الخَفِيّ خارِجاً؛
ذلِكَ الَّذي رأى هذِهِ العلاماتِ ظاهِرَةً، كَيْفَ لا يَعْرِفُ الشَّقِيَّ مِنَ السَّعيد؛
لَقَدْ عَرِفَ وَسَتَرَ بِأَمْرِ ذي الجلال، فإنَّ كَشْفَ سِرِّ الحَقِّ لَيْسَ بِالحلال؛
هذا الحَديثُ لا نِهايَةَ لَهُ وذلِكَ الفَقير، مِنَ المَجاعَةِ صارَ عاجِزاً وأسيرَ البَدَن؛

اضْطِرارُ الفَقيرِ صاحِبِ النَّذرِ إلى قَطْفِ الإجَّاصِ مِنَ الشَّجَرَةِ وَوُصولُ عِقابِ الحَقِّ في الحال

لِخَمْسَةِ أيَّامٍ لَمْ تُسْقِطِ الرِّيحُ إجَّاصَةً، وكانَ صَبْرُهُ يَهْرَبُ مِنْه مِنْ نارِ الجُوع؛
رأى عِدَّةَ إجَّاصات على رَأْسِ غُصْنٍ، مُجَدَّداً قامَ بالصَّبْرِ وَرَدَعَ النَّفْس؛
جاءَتِ الرِيحُ فأحْنَتْ رَأْسَ ذلِكَ الغُصْن، جَعَلَتِ الطَّبْعَ مَجْبوراً على أكْلِ ذلِك؛
الجُوعُ والضَّعْفُ وَقُوَّةُ جَذْبِ القَضاء، جَعَلَتْ الزَّاهِدَ صاحِبَ النَّذْرِ بِلا وَفاء؛
عِنْدَما قامَ بِفَصْلِ ثَمَرَةٍ عَنْ شَجَرَةِ الإجَّاص، صارَ ضَعيفاً في نَذْرِهِ وَعَهْدِه؛
في تِلْكَ اللَّحْظَةِ أيْضاً أتى تَأديبُ الحَقّ ، فَتَحَ لَهُ العَيْنَ وَفَرَكَ لَهُ الأُذُن؛

اتِّهامُ ذلِكَ الشَّيْخِ بالسَّرِقَةَ وَقَطْعُ يَدِه

كانَ هُناكَ عِشْرونَ مِنَ اللُّصوصِ وَأَكْثَرُ، يَتَقاسَمونَ مَسْروقاتِهِمْ في المكان؛
ومُخْبِرٌ قَدْ أطْلَعَ الشُّرَطَ على ذلِكَ، فقامَ رِجالُ الشُّرَطِ بالهُجومِ مُسْرِعين؛
قَطَعوا لَهُمْ في المَكانِ جَميعاً، القَدَمَ اليُسْرى واليَدَ اليُمْنى وَقامَتِ الغَوغاء؛

وقاموا بِقَطْعِ يَدِ الزَّاهِدِ أيْضاً مِنَ الغَلَط، وَمِنَ السَّهْوِ أيضاً أرادوا قَطْعَ قَدَمِه؛
وجاءَ فارِسٌ مِنَ المُخْتارَين في الوَقْت، صَرَخَ بالشُّرْطِيّ أنْ أيْ كَلْبُ انْظُرْ؛
فُلانُ هذا شَيْخٌ وَمِنْ أبْدالِ الله، فلِماذا قُمْتَ بِقَطْعِ يَدِه؛
ذلِكَ الشُّرْطِيُّ مَزَّقَ الثَّوبَ مُسْرِعاً وَذَهَبَ، إلى أمامِ آمِرِ الشُّرَطِ قَلِقاً يُخْبِرُهُ؛
جاءَ آمِرُ الشُّرَطِ حافِيَ القَدَمِ مُعْتَذِراً، أنْ لَمْ أكُنْ أعْلَمُ اللهُ شاهِدٌ على ما أقول؛
اجْعَلْني في حِلٍّ مِنْ هذا العَمَلِ القَبيح، أي كَريمُ أيْ عَظيمَ أهْلِ الجَنَّة؛
قالَ أنا عارِفٌ سَبَبَ هذهِ العُقوبَة، إنِّي على عِلْمٍ بِذَنْبِ نَفْسي؛
أنا قَدْ نَقَضْتُ حُرْمَةَ أيمانِه، فَقَطَعَتْ يَدي مَحْكَمَةُ عَدْلِه؛
أنا نَقَضْتُ العَهْدَ على عِلْمٍ مِنِّي بِسوءِ ذلِكَ، فَوَصَلَ شُؤْمُ تِلْكَ الجُرْأَةِ إلى يَدي؛
فَلْتَكُنْ يَدُنا وَقَدَمُنا ومُخُّنا وَجِلْدُنا، أيْ والي فِداءَاً لِحُكْمِ مَحْبوبِنا؛
ما كانَ لي مِنْ قِسْمٍ فَهُوَ لَكَ حلال، أنتَ لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ما عَلَيْكَ وَبال؛
وذاكَ الَّذي كانَ يَعْلَمُ قَرارُهُ جارٍ، أيْنَ ذاكَ الَّذي يَسْتَطيعُ أنْ يَخْدَعَ الله؛
أيْ كَمْ مِنْ طائرٍ مُحَلِّقٍ يَطْلُبُ الحَبَّةَ، حَلْقُهُ كانَ سَبَباً لِقَطْعِ حَلْقِه؛
أيْ كَمْ مِنْ طائرٍ مِنْ مَعِدَتِهِ وَأَلَمِ مَعِدَتِه، صارَ بِجِوارِ الشُّرْفَةِ مَحْبوسَ قَفَص؛
أيْ كَمْ مِنْ سَمَكٍ في الماءِ بَعيدٍ عَنِ اليَد، أُخِذَ بالصِّنَّارَةِ مِنْ حِرْصِ الحَلْق؛
أيْ كَمْ مِنْ مَسْتورٍ كانَ في الحِجاب، صارَ مَفْضوحاً مِنْ شُؤمِ الفَرْجِ والحَلْق؛
أيْ كَمْ مِنْ قاضٍ حَبْرٍ حَسَنِ الطَّبْعِ، هُوَ مِنَ الحَلْقِ وَمِنَ الرَّشْوَةِ أصْفَرُ الوَجْه؛
بَلْ لِهاروتَ وماروتَ صارَ سَدُّ باب، عَنْ عُروجِ الأَفْلاكِ مِنْ ذلِكَ الشَّراب؛
مِنْ أجْلِ هذا *بايَزيدُ* قامَ بالإحْتِراز، وَقَدْ رأى مِنَ النَّفْسِ كَسَلاً في الصَّلاة؛
فَكَّرَ باحِثاً عَنِ السَّبَبِ ذو اللُّبابِ ذاك، فرأى العِلَّةَ في كَثْرَةِ شُرْبِ الماء؛
قالَ إلى سَنَةٍ لَنْ أَشْرَبَ الماء، هكذا فَعَلَ واللهُ أعْطاهِ القُدْرَة؛
كانَ هذا أقَلَّ جُهْدِهِ مِنْ أجْلِ الدِّين، لَقَدْ صارَ *سُلْطانَ وَقُطْبَ العارِفين*؛

عِنْدَما قُطِعَتِ اليَدُ مِنْ أجْلِ الحَلْق، قامَ الرَّجُلُ الزَّاهِدُ بِإغلاقِ بابِ الشَّكوى؛
وصارَ اسْمُهُ *الشَّيْخَ أقْطَعَ* ما بَيْنَ الخَلْق، لَقَدْ جَعَلَتْهُ مَعْروفاً بِهذا آفاتُ الحَلْق؛

كراماتُ الشَّيْخ أقْطَع وَحِياكَتُهُ الزَّنْبيل بِكِلْتا يَدَيْه

واحِدٌ زائرٌ وَجَدَهُ في العَرِيش، وكانَ يَحيكُ زَنْبيلاً بِكِلْتا يَدَيْه؛
قالَ لَهُ أيْ عَدُوَّ رُوحِ نَفْسِهِ، لَقَدْ جِئْتَ إلى عَريشي مُتَجَسِّساً عَلَيَّ؛
لِماذا فَعَلْتَ هذا مُسْرِعاً في السِّباق، قالَ مِنْ إفْراطِ المَحَبَّةِ والإشْتياق؛
فَتَبَسَّمَ وقالَ تَعالَ الآنَ، لكِنِ احْفَظْ هذا مَخْفِيَّاً أيْ عَظيم؛
قَبْلَ مَوْتي لا تُخْبِرْ بِهذا شَخْصاً، لا قَريناً ولا حَبيباً ولا خَسيساً؛
بَعْدَ ذلِكَ قَومٌ آخَرونَ مِنْ نافِذَةٍ صَغيرَةٍ، صاروا مُطَّلِعينَ على أمْرِ حِياكَتِه؛
قالَ أنتَ تَعْرِفُ الحِكْمَةَ أيْ فَعَّال، أنا أقومُ بالإخْفاءِ وأنتَ تَقومُ بالإظْهار؛
فَجاءَهُ الإلهامُ أنَّ عِدَّةً صاروا، في هذا الغَمِّ الَّذي أصابَكَ مُنْكِرين؛
أنْ لَعَلَّ هذا كانَ مُحْتالاً في الطَّريق، فقامَ اللهُ بِفَضْحِهِ في هذا الفَريق؛
أنا لا أُريدُ أنْ يَصيرَ هذا القَطيعُ كافِراً، يَذْهَبونَ في الضَّلالَةِ في ظَنِّ السُّوءِ؛
فَجَعَلْنا هَذِهِ الكَرامَةَ لَكَ ظاهِرَةً، بِأنْ نُعْطِيَكَ اليَدَ في وَقْتِ العَمَل؛
فلا يَصيرَ أولئكَ المَساكينُ سَيِّئو الظَّنّ، مَرْدودينَ هكذا مِنْ جَنابِ السَّماء؛
وأنا مِنْ دُونِ هذِهِ الكراماتِ مِنْ ذاتِ نَفْسي، كَنْتُ أعْطَيْتُكَ الطُّمَأنينَةَ مِنْ قَبْل؛
وأعْطَيْتُكَ هذِهِ الكَرامَةَ مِنْ أجْلِهِم، هذا سِراجٌ مِنْ أجْلِ ذاكَ جَعَلْتُ لَك؛
أنتَ عَبَرْتَ مِنْ هذا وَمِنْ مَوْتِ البَدَن، ومِنَ الخَوْفِ وَمِنْ تَفْريقِ أجْزاءِ البَدَن؛
راحَ مِنْكَ وَهْمُ تَفْريقِ الرَّأْسِ والقَدَم، وَصَلَتْكَ لِدَفْعِ الوَهْمِ دِرْعٌ عَظيمَةٌ حَسَنَة؛

سَبَبُ جُرْأَةِ سَحَرَةِ فِرْعَونَ أمامَ قَطْعِ اليَدِ والقَدَم

أَلَيْسَ قَدْ قامَ بِتَهْديدِ السَّاحِرين، بالعِقابِ على الأرْضِ فِرْعَوْنُ اللَّعين؛
أنْ لأُقَطِّعَنَّ أيْدِيَكُمْ وأرْجُلَكُمْ مِنْ خِلاف، ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ وما مِنْ مُعاف؛
كانَ يَظُنُّ أنَّهُمْ لا يَزالون، في الوَهْمِ نَفْسِهِ وفي الخَوْفِ والوَسْواسِ والظَّنّ؛
وأنَّ بِهِمْ رَعْدَةً وَخَوفاً وَرُعْباً، مِنَ الأوهامِ وَمِنْ تَهْديداتِ النَّفْس؛
لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ أنَّهُمْ قَدْ تَحَرَّروا، وأنَّهُمْ على نافِذَةِ نُورِ القَلْبِ جَلَسوا؛
مَيَّزوا بَيْنَ ظِلالِ أنْفُسِهِمْ وَأَنْفُسِهِم، وارْتَفَعوا نَشيطينَ ومُسْرِعينَ وماهِرينَ؛
لَوْ أنَّ هاونَ الفَلَكِ مِئةَ مَرَّةٍ ضَرَبَهُمْ، وفَتَّتَهُمْ فَتافِتَ في مَزْرَعَةِ الطِّيْنِ هذِه؛
ما داموا قَدْ رَأَوا أصْلَ هذا التَّرْكيبِ، لا يَخافونَ إلاَّ قَليلاً مِنْ فُروعِ الوَهْم؛
هذا العالَمُ مَنامٌ لا تَسْتَنِدْ على الظَّنّ، لَوْ أنَّ يَداً ذَهَبَتْ في المَنامِ فلا خَوْف؛
ولَوْ أنَّ رَأْسَكَ في المَنامِ قُطِعَتْ اعْلَمْ، أنَّ رَأْسَكَ في مكانِها وَعُمُرَكَ طَويل؛
لَوْ رَأَيْتَ نَفْسَكَ في المَنامِ شَطْرَيْن، جِسْمُكَ صَحيحٌ حينَ تَنْهَضُ لا سَقيم؛
الحاصِلُ إنَّ نُقْصانَ البَدَنِ في المَنامِ، لَيْسَ مِنْهُ خَوفٌ وَلَو صارَ مِئتَي قِطْعَة؛
هذا العالَمُ الَّذي هُوَ بالصُّورَةِ قائم، قالَ عَنْهُ النَّبِيُّ أنَّهُ حُلُمُ نائم؛
أنتَ مِنْ طَريقِ التَّقْليدِ قُمْتَ بالقَبول، السَّالِكُونَ رَأَوا هذا ظاهِراً بِلا رَسول؛
النَّهارَ في النَّوْمِ لا تَقُلْ هذا لَيْسَ مَناماً، الظِّلُّ فَرْعٌ ولا أصْلَ غَيْرُ نُورِ القَمَر؛
النَّوْمَ واليَقَظَةَ اعْرِفْ ذاكَ أيْ عَضُدْ، مِثْلَما رأى نائمٌ قَدْ ذَهَبَ بالنَّوم؛
هُوَ ظَنَّ أنْ هذِهِ اللَّحْظَةَ نُمْتُ، بلا خَبَرٍ عَنْ أنَّهُ نائمٌ في النَّومِ الثَّاني؛
صانِعُ الجِرارِ إذا كَسَرَ جَرَّةً، يُعيدُها قائمَةً مِنْ جَديدٍ إذا أراد؛
الأعْمى لَهُ في كُلِّ خُطْوَةٍ رُعْبُ بِئر، يَمْشي في الطَّريقِ بِأَلْفِ نَوْعِ خَوف؛
الرَّجُلُ البَصيرُ رأى عَرْضَ الطَّريق، لَقَدْ عَرِفَ الحُفْرَةَ فيهِ وَعَرِفَ البِئر؛

قَدَمُهُ وَرُكْبَتُهُ لا تَرْتَجِفانِ كُلَّ لَحْظَة، متى يكونُ مِنْهُ عُبوسُ وَجْهٍ مِنْ كُلِّ غَمّ؛
فانْهَضْ فِرْعَونُ نَحْنُ لَسْنا أولئكَ، الَّذينَ يَتَوَقَّفونَ عِنْدَ كُلِّ صَوْتٍ وَغُول؛
مَزِّقْ خِرْقَتَنا الخَيَّاطُ مَوجود، وَكُلَّما عَرينا أكْثَرَ يكونُ أفضَل؛
بلا لِباسٍ في جِوارِنا هذا الجَمال، أدْخِلْنا فيهِ أيْ عَدُوَّاً سَيِّئَ الفِعال؛
لا أجْمَلَ مِنْ التَّجَرُّدِ مِنَ البَدَنِ وَمِنَ المَزيج، أيْ فِرْعَونُ بلا إلهامٍ المُنْحَرِف؛

شِكايَةُ البَغْلِ أمامَ الجَمَلِ أنْ أنا أَسْقُطُ كَثيراً في الطَّريقِ وَأَنْتَ لا تَسْقُطُ إلاَّ نادِراً

قالَ البَغْلُ لِلْجَمَلِ أي جَميلَ رِفيق، في الوَهْدِ والنَّجْدِ والطَّريقِ الدّقيق؛
أنتَ لا تَقَعُ على الرَّأْسِ وَتَسيرُ حَسَناً، وأنا أَقَعُ دَوماً على الرَّأْسِ مِثْلَ الغَوِيّ؛
إنَّني أكبو على الوَجْهِ كُلَّ لَحْظَةٍ، أَكُنْتُ في أرْضٍ يابِسَةٍ أمْ في أرْضٍ رَطْبَة؛
فَأعِدْ عَلَيَّ القَولَ هَذا السَّبَبُ ما يكون، حتَّى أعْلَمَ كَيْفَ يَجِبُ أنْ أعيش؛
قالَ عَيْني مِنْ عَيْنِكَ أَكْثَرُ ضياءً، كما أنَّها بَعْدَ ذلِكَ تنْظُرُ مِنْ مُرْتَفَع؛
عِنْدَما أصْعَدُ على رَأْسِ مُرْتَفَعٍ عالٍ، أُنْظُرُ وأرى واعِياً آخِرَ العَقَبَة؛
ثُمَّ كُلَّ مُنْخَفَضٍ ومُرْتَفَعٍ في الطَّريق، قَدْ أظْهَرَ لِناظِري كذلِكَ الإله؛
كُلَّ قَدَمٍ أَضَعُ، أَضَعُ مِنْ بَعْدِ رُؤيَةٍ، فأنْجُوَ بِذلِكَ مِنَ العِثارِ والسُّقوط؛
أنتَ لا تَرى إلاَّ خُطْوَتَيْنِ أو ثلاثاً أمامَكَ، ترى الحَبَّةَ وَلا تَرَى أَلَمَ الفَخّ؛
يَسْتوي الأعْمى لَدَيْكُمْ والبَصير في المَقامِ والنُّزولِ والمَسير
عِنْدَما يُعْطي الحَقُّ للجَنينِ في الرَّحِمِ الرُّوحَ، يَجْعَلُ في مِزاجِهِ جَذْبَ الأشياء؛
يَقومُ مِمَّا يَأكُلُ بِجَذْبِ الأجْزاء، يَجْعَلُ مِنْها الخُيوطَ وَاللُّحْمَةَ لِجِسْمِه؛
إلى أرْبَعينَ عاماً يَجذِبُ الأجْزاء، الحَقُّ جَعَلَهُ حَريصاً في النَّماء؛
عَلَّمَ الرُّوحَ جَذْبَ الأجْزاء، كَيْفَ لا يَعْلَمُ جَذْبَ الأشياءِ المَلِكُ الفَرْد؛

جامِعُ هذِهِ الذَّرَّاتِ كانَ الشَّمْس، عَلِمَتْ خَطْفَ أجْزائكَ بلا غِذاء؛
زَمانَ كُنْتَ تَسْتَيْقِظُ مِنَ النَّوم، دَعَتِ الوَعْيَ والحِسَّ اللَّذَيْنِ ذَهَبا سَرِيعاً؛
لِتَعْلَمَ أَنَّ ذاكَ لَيْسَ عَنْهُ غائباً ، إذا قالَ عُدْ عادَ إِلَيْهِ آيباً؛

اجْتِماعُ أجْزاءِ حِمارِ عُزَيْر عَلَيْهِ السَّلام مِنْ بَعْدِ تَآكُلِها بِإِذْنِ الله وَتَرَكُّبُها أمامَ عَيْنِ عُزَيْر

عُزَيْرا أُنْظُرْ إلى حِمارِك، الَّذي بَلِيَ وَتبَعْثَرَتْ أجْزاؤه؛
سَنُعيدُ أجْزاءَهُ راجِعَةً أمامَكَ، الرَّأسَ والذَّنَبَ والأُذُنَيْنِ والقَدَم؛
يَجْمَعُ الأجْزاءَ جُزْءاً لِجُزْء ولا يَدٌ، يُعطي القِطَعَ المُتَفَرّقَةَ الاِجْتِماع؛
أُنْظُرْ في صَنْعَةِ جَمْعِ المُمَزَّق، فَهُوَ الَّذي يَخيطُ البالِيَ بلا إبْرَة؛
لا خَيْطَ ولا إبْرَةَ وَقْتَ الخَرْز، هكذا يَخيطُ ولا يَظْهَرُ الدَّرْز؛
اِفْتَحِ العَيْنَ أُنْظُرِ الحَشْرَ ظاهِراً، حتَّى لا تَبْقى لَكَ شُبْهَةٌ في يَومِ الدِّيْن؛
حَتَّى تَرى جَمْعي على التَّمام، حتَّى لا تَرْتَجِفَ وَقْتَ المَوْتِ مِنَ الاِهْتِمام؛
مِثْلَما تَكونُ وَقْتَ النَّوْمِ في أمان، مِنْ ذَهابِ جُمْلَةِ حَواسِّ البَدَن؛
أنْتَ لا تَرْتَعِدُ على حَواسِّ النَّفْسِ وَقْتَ النَّوم، رَغْمَ أَنَّها تَصيرُ مُشَتَّتَةً وَخَراباً؛

عَدَمُ جَزَعِ شَيْخٍ على مَوتِ أولادِه

كانَ هُناكَ شَيْخٌ مُرْشِدٌ مِنْ قَبْل، كانَ شَمْعَةً سَماوِيَّةً على وَجْهِ الأرْض؛
كانَ كأَنَّهُ الرَّسولُ في الأُمم، كان فاتِحَ رَوْضَةِ دارِ الجِنان؛
قالَ النَّبِيُّ عَنِ الشَّيْخِ السَّابِقِ، كأَنَّهُ النَّبِيُّ ما بَيْنَ قَوْمِه؛
قالَتْ لَهُ أَهْلُهُ ذاتَ صَباحٍ، كَيْفَ تَكونُ قاسي القَلْبِ أيْ حَسَنَ الطَّبْع؛
نَحْنُ مِنْ مَوتِ وَهَجْرِ أولادِك، دائمو النَّوحِ وَظُهُورُنا انْحَنَتْ؛

لِماذا لا تَشْتَكي ولا تَبْكي، أَتُرى لَيْسَ في قَلْبِك رَحْمَة؛
ما دُمْتَ لا رَحْمَةَ لَدَيْكَ في الباطِن، كَيْفَ يَكونُ لنا فيكَ رَجاءٌ الآنَ إذَن؛
نَحْنُ كُنَّا بِكَ راجينَ أيُّها المُقَدَّم، أنْ سَوفَ لَنْ تَتْرُكَنا في دارِ الفَناء؛
إذا ما أَتَوا بالكُرْسِيّ في يَومِ الحَشْر، أنتَ الشَّفيعُ لنا في ذلِكَ اليَومِ العَسِر؛
في مِثْلِ ذَيْنِكَ النَّهارِ واللَّيْلِ بِلا أمان، نَحْنُ على الأمَلِ بإكْرامِكَ لَنا؛
يَدُنا وَثَوبُكَ في ذلِكَ الزَّمان، إذا لَمْ يَبْقَ لِمُجْرِمٍ هُنالِكَ أمان؛
قالَ الرَّسولُ في يَومِ القِيامَةِ، مَتى أتْرُكُ المُجْرِمينَ يَسْكبونَ الدُّموع؛
أنا الشَّفيعُ بالرُّوحِ للعاصين، أنا مُنْجِيْهِمْ مِنَ العَذابِ الأليم؛
الْعاصينَ وأهْلَ الكَبائِرِ بِجَهْد، أُنْجي مِنْ عِتابِ نَقْضِ العَهْد؛
صالِحو أُمَّتي أنْفُسُهُمْ بلا حاجَةٍ، إلى الشَّفاعاتِ مِنِّي يَومَ الجزاء؛
بَلْ لَقَدْ كانَتْ لَهُمْ شَفاعاتٌ، وإنَّ قَوْلَهُمْ لِيَمْضي كالحُكْمِ النَّافِذ؛
أيُّ وازِرٍ لا يَحْمِلُ وِزْرَ الغَيْر، أنا لَسْتُ بالوازِرِ لَقَدْ رَفَعَني الله؛
ذاكَ الَّذي هُوَ بلا وِزْرٍ شَيْخٌ أيْ شَابّ، كأنَّهُ القَوْسُ في الكَفِّ في قَبولِ الحَقّ؛
الشَّيخُ كانَ كَبيرَ السِّنِّ أيْ أبْيَضَ شَعْر، مَعنى هذا الشَّعْرِ اعْرِفْ أيْ بلا أمَل؛
إنَّ ذاكَ الشَّعْرَ الأَسْوَدَ هُوَ وُجُودُه، حتَّى إذا لَمْ يَبْقَ مِنْ وُجُودِهِ خَيْطُ شَعْرَة؛
عِنْدَما لَا يبقَى لَهُ وُجودٌ يكونُ شَيْخاً، أكانَ أسْوَدَ الشَّعْرِ أمْ مُخالَطاً بالشَّيْب؛
الشَّعْرُ الأسْوَدُ الَّذي هُوَ وَصْفُ البَشَر، لَيْسَ بِشَعْرِ اللِّحْيَةِ ولا بِشَعْرِ الرَّأْس؛
عيسى في المَهْدِ قالَ مُعْلِناً على المَلأ، أنا لَمْ أبْلُغِ الشَّبابَ وأنا شَيْخٌ وَمُرْشِدٌ؛
إذا تَحَرَّرَ مِنْ بَعْضِ أوصافِ البَشَر، لا يَعُودُ شَيْخاً يكونُ كَهْلاً أيْ وَلَد؛
فإذا لَمْ تَبْقَ عَلَيْهِ شَعْرَةٌ سَوداءُ واحِدَةٌ، مِنْ أوصافِنا يكونُ شَيْخاً وَمَقْبولاً لله؛
وإذا كانَ أبْيَضَ الشَّعْرِ وكانَ مَعَ النَّفْس،فَهُوَ لَيْسَ شَيخاً وَلَيْسَ مِنْ خاصَّةِ لله؛
إذا بَقِيَتْ شَعْرَةُ رَأْسٍ واحِدَةٌ مِنْ وَصْفِهِ، فَهُوَ لا يكُوْنُ مِنَ العَرْشِ إنَّهُ آفاقيّ؛

قَوْلُ الشَّيْخِ العُذْرَ لِعَدَمِ بُكائهِ على مَوْتِ أولادِهِ

قالَ لَها الشَّيْخُ لا تَظُنّي أيْ رَفيقَةُ، بأنَّني بلا رَحْمَةٍ وَمَحَبَّةٍ وَقَلْبٍ شَفيق؛
إنَّ لَنا رَحْمَةً على جَميعِ الكُفَّار، رَغْمَ أنَّ أرواحَهُمْ جُمْلَةً كافِرَةٌ بالنِّعْمَة؛
إنَّ لي على الكِلابِ رَحْمَةً وَعَطْفاً، لِماذا تُكافَأُ بالرَّمْيِ بالحِجارَة؛
وذاكَ الكَلْبُ الَّذي يَعَضُّ أدْعو لهُ، أنْ يا رَبّ حَرِّرْهُ مِنْ هذا الطَّبْع؛
واحْفَظْ هذِهِ الكِلابَ مِنْ تِلْكَ الفِكْرَةِ، فلا تَكونَ عُرْضَةً للحِجارَةِ مِنَ الخلائق؛
مِنْ ذلِكَ جاءَ بالأولياءِ إلى الأرْض، حَتَّى يَجْعَلَ مِنْهُمْ رَحْمَةً للعالَمين؛
دَعا الخَلْقَ نَحْوَ بِلاطِهِ الخاصّ، دعا الحَقَّ أنْ اجْعَلْ وافِراً الخلاص؛
بَذَلَ الجهْدَ مِنْ هذِهِ الجِهَةِ لأجْلِ النُّصْح، لَمَّا لَمْ يُجْدِ قالَ إلهي لا تُغْلِقِ الباب؛
الرَّحْمَةُ الجُزْئِيَّةُ كانَتْ لِلْعامّ، الرَّحْمَةُ الكُلِّيَّةُ كانَتْ لِلْهُمام؛
الرَّحْمَةُ الجُزْئِيَّةُ صارَتْ قَرينَةَ الكُلِّيَّة، رَحْمَةُ البَحْرِ كانَتْ هاديَةَ السُّبُل؛
كُنْ مُرْتَبِطَ الرَّحْمَةِ الجُزْئِيَّةِ بالكُلِّيَّة، وانْظُرْ إلى الرَّحْمَةِ الكُلِّيَّةِ هادِياً وامْضِ؛
ما دامَ جُزْءاً فَهُو لا يَعْرِفُ طَريقَ البَحْرِ، وَيَعْتَبِرُ كُلَّ غَديرٍ مِنْ أشْباهِ البَحْر؛
لَمْ يَعْرِفْ طَريقَ اليَمّ فمتى يأخُذُ الطَّريق، كَيْفَ يَأْخُذُ الخَلْقَ إلى جِهَةِ البَحْر؛
وَقْتَ يأخُذُ الدَّرْبَ للبَحْرِ كالسَّيْلِ والجَدْوَلِ، يَصيرُ مُتَّصِلاً بالبَحْرِ ذلِكَ الوَقْتَ؛
وإلاَّ فإنْ قامَ بالدَّعْوَةِ فَعَنْ تَقْليد، لا مِنْ عيانٍ وَوَحْيٍ وَتَأْييد؛
قالَتْ فَكَيْفَ عِنْدَكَ الرَّحْمَةُ لِلْجَميع، مِثْلَ راعٍ يَدورُ مِنْ حَوْلِ القَطيع؛
وأنتَ لا تَقومُ بالنَّوحِ على أولادِ نَفْسِك، وَقَدْ ضَرَبَهُمْ فَصَّادُ الأجَلِ بِحَرْبَتِه؛
بِما أنَّ علامَةَ الرَّحْمَةِ دَمْعُ العُيون، لِمَ عَيْنُكَ غَيرُ نَدِيَّةٍ وأنتَ بلا بُكاء؛
وَجَّهَ الوَجْهَ للزَّوْجَةِ وقالَ أيْ عَجوز، فَصْلُ كانونَ لا يكونُ مِثْلَ تَمُّوز؛
لَو كانوا جَميعاً مَوتى أو كانوا أحياءً، متى عَنْ عَيْنِ القَلْب غابوا أو اخْتَفَوا؛

ما دُمْتُ أراهُمْ أَعْياناً أمامَ عَيني، بِأيِّ وَجْهٍ أَخْدِشُ مِثْلَكِ الوَجْه؛
رَغْمَ أنَّهُمْ في الخارِجِ مِنْ دَوْرِ الزَّمان، فهُمْ مَعي ويَلْعَبونَ لَعِبَهُم مِنْ حَولي؛
البُكاءُ يكونُ مِنَ الهَجْرِ أو مِنَ الفِراق، وأنا مَعَ أعِزَّتي في وِصالٍ وَعِناق؛
الخَلْقُ في المَنامِ يَرَوْنَهُم أحياناً، أنا في اليَقَظَةِ أراهُمْ عِياناً؛
أُخْفي نَفْسي لِلَحْظَةٍ مِنْ هذا العالَمِ، أَنْفِضُ وَرَقَ الحِسِّ عَنْ شَجَرَةِ وُجودي؛
الحِسُّ أسيرُ العَقْلِ أيْ فُلان، العَقْلُ أسيرُ الرُّوحِ أيضاً فاعْلَمْ؛
لَقَدْ فَتَحَتِ الرُّوحُ يَدَ العَقْلِ المُغْلَقَة، كما يَسَّرَتْ أيضاً الأُمورَ المُغْلَقَة؛
الحواسُّ والفِكْرُ على ماءِ الصَّفاء، مِثْلَ قَشٍّ يَضْطَرِبُ على سَطْحِ الماء؛
يَدُ العَقْلِ تَأْخُذُ ذلِكَ القَشَّ إلى جِهَةٍ واحِدَة، فَيَصيرُ الماءُ ظاهِراً أمامَ العَقْل؛
القَشُّ يَجْتَمِعُ على الجَدْوَلِ كالحُباب، إذا ذَهَبَ القَشُّ جانِباً صارَ الماءُ ظاهِراً؛
عِنْدَما لا يَفْتَحُ اللهُ لَنا يَدَ العَقْل، يَزيدُ القَشُّ مِنَ الهَواءِ على مائنا؛
يَجْعَلُ الماءَ في كُلِّ لَحْظَةٍ تَحْتَ الغِطاء، ذاكَ الهَواءُ الضّاحِكُ وَعَقْلُكَ الباكي؛
إذا قَيَّدَتِ التَّقوى كِلْتا يَدَيِ الهَواء، فَتَحَ الحَقُّ كِلْتا يَدِي العَقْل؛
فَتَصيرُ الحَواسُّ الغالِبَةُ مَحْكومَةً لَكَ، ما دامَ العَقْلُ صارَ سَيِّداً وَمَخْدوماً لَك؛
بلا نَومٍ مِنْكَ اجْعَلِ الحِسَّ في نَوم، حتَّى تُطِلَّ الغُيوبُ بِرَأْسِها مِنَ الرُّوح؛
وَسَوفَ تَرى في اليَقَظَةِ المَناماتِ أيْضاً، كما تَفْتَحُ مِنَ الأفْلاكِ الأبوابَ أيْضاً؛

قِصَّةُ قِراءَةِ الشَّيْخِ الضَّرير للمَصْحَف أمامَهُ وَصَيرورَتِهِ بَصيراً وَقْتَ القِراءَة

رأى في الأيَّامِ ذلِكَ الشَّيْخُ الفَقير، مَصْحَفاً في مَنْزِلِ شَيْخٍ ضَرير؛
كانَ ضَيْفاً عِنْدَهُ وَكانَ الوَقْتُ تَمُّوز، كلا الزَّاهِدَيْنِ اجْتَمعا لِعِدَّةِ أيَّام؛
قالَ أي عَجَباً المَصْحَفُ هُنا لِماذا، ما دامَ هذا الدَّرويشُ المُستَقيمُ لا يُبْصِر؛

وزادَ مِنْ تَشويشِهِ في هذا التَّفْكير، أنْ ما سِواهُ هُنا مَنْ كانَ أو يكون؛
هُوَ وَحْدَهُ هُنا وَمَصْحَفٌ مُعَلَّقٌ، وأنا لَسْتُ بالمُجْتَرِئِ أو بالمُخْتَلِط؛
فَهَلْ أسْأَلُ لا سَأَصْمِتُ وأصْبِرُ، حتَّى أَصِلَ بالصَّبْرِ إلى مُرادي؛
صَبَرَ وَظَلَّ إلى بَعْضِ الوَقْتِ في حَرَج، حتَّى كُشِفَ لَهُ *فالصَّبْرُ مِفْتاحُ الفَرَج*؛

صَبْرُ لُقْمانَ عِنْدَما رَأى داؤودَ عَلَيْهِ السَّلام يَصْنَعُ الحَلَقات

عَنِ السُّؤال بِهذِهِ النِّيَّةِ أنِ الصَّبْرُ عَنِ السُّؤالِ مُوجِبٌ الفَرَج

راحَ لُقْمانُ إلى داؤودَ الصَّفاء، فَرَآهُ وَهُوَ يَصْنَعُ مِنَ الحَديدِ حَلَقات؛
يَصْنَعُها مِنْ حَديدِ البولادِ ذاكَ المَلِكُ الرَّفيع، يَجْمَعُها جَمْعاً الواحِدَةَ للأُخْرى؛
لَمْ يَكُنْ قَدْ رأى صَنْعَةَ الزُّرَّادِ مِنْ قَبْل، ظَلَّ في عَجَبٍ وَزادَ مِنْهُ الوَسْواس؛
أنْ ما عَسى أنْ يكونَ هذا أَأَسْأَلُهُ، ما تَصْنَعُ مِنَ الحَلَقاتِ الواحِدَةَ في الأُخْرى؛
ثُمَّ عادَ فقالَ لِنَفْسِهِ الصَّبْرُ أولى، الصَّبْرُ قائدٌ أسْرَعُ لِبُلوغِ المَقْصود؛
حَيْنَ لا تَسْأَلُ تكونُ أسْرَعَ كَشْفاً، طائرُ الصَّبْرِ أسْرَعُ مِنْ كُلِّ الطُّيورِ طَيَراناً؛
وإذا سَأَلْتَ يَحْصَلُ لَكَ ذلِكَ مُتَأَخِّراً، السَّهْلُ مِنْ انْعِدامِ صَبْرِكَ يَصيرُ مُشْكِلا؛
سَيْطَرَ لُقْمانُ على النَّفْسِ وفي الزَّمان، وَصَلَ داؤودُ إلى تَمامِ ما كانَ يَصْنَع؛
فَقَدْ صَنَعَ دِرْعاً وارْتَدى بِتِلْكَ الدِّرْع، أمامَ لُقْمانَ الكَريمِ ذي الطَّبْعِ الصَّبور؛
قالَ إنَّ هذا لِباسٌ جَميلٌ أيْ فَتى، في المَصافِّ والحَرْبِ لِدَفْعِ الأَذى؛
قالَ لُقْمانُ الصَّبْرُ أيضاً شَبا حَدٍّ جَميلٌ، دافِعٌ وَمانِعٌ مِنَ الغَمّ في كُلِّ مكانٍ؛
لَقَدْ جَعَلَ الصَّبْرَ قَريناً بالحَقِّ أيْ فُلان، اِقْرَأْ آخِرَ ***والعَصْرِ*** وَأَنْتَ مُنْتَبِه؛
مِئاتِ أُلوفِ الكيمياءِ قَدْ خَلَقَ الحَقّ، وَلَمْ يَرَ الآدَمِيُّ مِنْ كيمياءَ مِثْلَ الصَّبْر؛

بَقِيَّةُ حِكايَةِ الضَّرير وقِراءَتُهُ المَصْحَف

الرَّجُلُ الضَّيْفُ قامَ بالصَّبْرِ وَفَجْأَةً، صارَ لَهُ كَشْفُ الْحالِ المُشْكِلِ في الزَّمان؛
مُنْتَصَفَ اللَّيْلِ سَمِعَ الصَّوْتَ بالقُرْآن، فَنَهَضَ مِنَ النَّوْمِ فَرأى تِلْكَ العَجائب؛
ذاكَ الأعْمى يَقْرَأُ مِنَ المَصْحَفِ مُباشَرَةً، فَصارَ بلا صَبْرٍ وَسَأَلَهُ عَنِ الحال؛
قالَ يا لَهُ عَجَبٌ وَأنتَ أعْمى العَيْن، كَيْفَ تَقومُ بالقِراءَةِ كَيْفَ تَرى السُّطُور؛
أَنْتَ تَقَعُ على كُلِّ ما تَقْرَأُ، وَتَضَعُ اليَدَ على الحَرْفِ الَّذي تَقْرَأ؛
إنَّ إِصْبَعَكَ في السَّيْرِ تُظْهِرُ ظاهِراً، أنَّكَ تَجْعَلُ نَظَرَكَ مُسْتَقِرَّاً على الحَرْف؛
قالَ أيْ مَنْ صِرْتَ مِنْ جَهْلِ البَدَنِ مُبْعَدا، هَلْ تَرى هذا مِنْ صُنْعِ الله عَجَبا؛
لَقَدْ طَلَبْتُ مِنَ الحَقِّ أنْ أيْ مُسْتعان، أنا حَريصٌ كالرُّوحِ على قِراءَةِ القُرآن؛
أنا لَسْتُ بالحافِظِ فَأعْطِني النُّورَ، في كِلْتا عَيْنَيَّ وَقْتَ القِراءَةِ بِلا عُقَد؛
أعِدْ لِيَ النُّورَ في عَيْنَيَّ ذلِكَ الزَّمان، الَّذي أحْمِلُ فيهِ المَصْحَفَ لأقْرَأَ القُرْآن؛
فَجاءَ مِنَ الحَضْرَةِ النِّداءُ أنْ أيْ رَجُلَ العَمَل، أيْ مَنْ لَكَ بِنا في كُلِّ أَلَمٍ أَمَل؛
عِنْدَكَ حُسْنُ الظَّنِّ وَعِنْدَكَ الأَمَلُ الجَميلُ، يَقولانِ لَكَ كُلَّ لَحْظَةٍ أُعْلُ أعْلى؛
في كُلِّ زَمانٍ كانَ لَكَ قَصْدُ القِراءَة، أو كُنْتَ مُحْتاجاً لِلقِراءَةِ مِنَ المَصاحِف؛
أنا في تِلْكَ اللَّحْظَةِ سَأُعيدَ لَكَ البَصَر، حَتَّى تَقْرَأَ الجَوْهَرَ المُعَظَّم؛
هكذا فَعَلَ وفي كُلِّ وَقْتٍ أقومُ فيهِ، بِفَتْحِ المَصْحَفِ لأَقومَ بالقِراءَة؛
ذاكَ الخَبيرُ الَّذي لا يَكونُ غافِلاً عَنْ عَمَل، ذاكَ الكريمُ العَظيمُ المَلِكُ الفَعَّال؛
ذلِكَ السُّلْطانُ الفَرْدُ يَرُدُّ لِيْ بَصَري، في الزَّمانِ مِثْلَ سِراجِ اللَّيْلِ للسَّاري؛
مِنْ هذا السَّبَبِ لا يَكونُ لِلْوَلِيِّ اعْتِراض، كُلَّ ما أخَذَ مِنْهُ أعطاهُ عِوَضاً عَنْه؛
إنْ أحْرَقَ لَكَ البُستانَ أعطاكَ عِنَباً، في وَسَطِ المَأْتَمِ يُعطيكَ ضيافَةً؛
لِذلِكَ المَشْلولِ بلا يَدٍ يُعْطي اليَدَ، يُعْطي لِمَنْجَمِ الغُموم قَلْبَ حُزْن؛

ذَهَبَ مِنَّا قَوْلُ لا نُسَلِّمُ والاِعْتِراض، ما دامَ العِوَضُ مِنَ المَفْقودِ جاءَ عَظيماً؛
ما دامَتِ الحَرارَةُ تَصِلُ إلَينا بلا نار، نَحْنُ راضُونَ إذا أطْفَأَ لنا النَّار؛
ما دامَ قَدْ أعْطاكَ الضِّياءَ بلا سِراج، لِماذا تَقومُ بالصُّراخِ إذا انْطَفَأَ سِراجُكَ؛

صِفَةُ بَعْضٍ مِنَ الأولياءِ الَّذينَ يَكونونَ راضينَ بالأحْكامِ ولا يَقومونَ بالدُّعاءِ والشِّكايَةِ أنْ اِرْفَعْ عَنَّا هذا الحُكْم

اِسْمَعِ الآنَ قِصَّةَ أولئِكَ السَّالِكِيْنَ، الَّذينَ لا يَقومونَ بالاِعْتِراضِ في الدُّنيا؛
هؤلاءِ عَنِ الأولياءِ أهْلِ الدُّعاءِ مُخْتَلِفون، أولئكَ حيناً يَرتُقُونَ وَحيناً يَفْتُقُون؛
أعْرِفُ قَوْماً آخَرينَ مِنَ الأولياء، أفواهُهُمْ مُغْلَقَةٌ عَنِ الدُّعاء؛
مِنَ رِضاً هُوَ طَبْعٌ لأولئكَ الكِرام، صارَ طَلَبُ دَفْعِ القَضاءِ عَنْهُمْ مِنَ الحَرام؛
يَرَوْنَ في القَضاءِ الطَّعْمَ اللَّذيذَ الخاصّ، وَيَعْتَبِرونَ كُفْراً أنْ يَطْلُبوا الخَلاص؛
لَقَدْ فَتَحُوا على قُلوبِهِمْ حُسْنَ الظَّنّ ، فلا يَلْبَسُونَ اللِّباسَ الأسْوَدَ مِنَ الغَمّ؛

سُؤالُ بَهْلولَ لِذلِكَ الدَّرْويش

قالَ بَهْلُولُ لِذلِكَ الدَّرْويش، أيْ دَرويشُ كَيْفَ أنتَ اجْعَلْني واقِفاً على حالِك؛
قالَ كَيْفَ يكونُ شَخْصٌ على الدَّوام، أمْرُ العالَمِ يسيرُ وِفْقَ مُرادِه؛
السُّيولُ والجَداوِلُ تَجْري كما يُريد، وتِلْكَ النُّجومُ تكونُ على شاكِلَةِ ما يُريد؛
الحياةُ والمَوتُ عِنْدَهُ تابِعانِ مَأموران، في مُرادِهِ يجْريانِ مِنْ حَيٍّ إلى حَيّ؛
إلى حَيْثُما أرادَ أرْسَلَ التَّعْزِيَة، إلى حَيْثُما أرادَ أرْسَلَ التَّهْنِئة؛
السَّالِكونَ في الطَّريقِ وِفْقَ مُرادِه، القاعِدونَ في الطَّريقِ ضِمْنَ شِباكِه؛
ما ضَحِكَتْ في الدُّنيا سِنٌّ أبَداً، بلا رِضا وأمْرِ ذلِكَ النَّافِذِ الأمْر؛
قَالَ هُوَ كما تَقُولُ قُلْتَ حَقّاً أيْ سُلْطانُ، هذا ظاهِرٌ في بَهائكَ وَسَيْمائك؛

هذا ومِئاتٌ مِنْ مِثْلِهِ أيْ صادِقُ لَكِنْ، قُمْ بالشَّرْحِ قُمْ بِبَيانِ هذا بِشَكْلٍ جَميل؛
قُلْ هذا بِشَكْلٍ يجيءُ بِهِ بالقَبول، إذا سَمِعَتْهُ أُذُنُهُ الفاضِلُ والمَفْضول؛
كَيْفَ ذاكَ يكونُ قُمْ بِشَرْحِهِ في الكلام، لِكَيْ يَجِدَ الفائِدَةَ مِنْ ذلِكَ العَقْلُ العامّ؛
النَّاطِقُ الكامِلُ إذا مَدَّ بِساطَ المائِدَة، يكونُ على كُلِّ زاوِيَةٍ مِنْ بِساطِهِ الحِساء؛
فلا يَبْقى هُناكَ أيُّ ضَيْفٍ بلا غِذاء، وكُلُّ شَخْصٍ يَجِدُ غِذاءَ نَفْسِهِ على حِدَة؛
مِثْلَ القُرْآنِ الَّذي هُوَ سَبْعَةٌ بالمَعْنى، فِيْهِ مَطْعَمٌ لِلْخاصِّ وللعامّ؛
قالَ هذِهِ المَرَّةَ صارَ اليَقينُ عِنْدَ العامّ، أنَّ الدُّنيا مُطيعَةٌ لأمْرِ الله؛
لا تَسْقُطُ أيَّةُ وَرَقَةٍ مِنْ شَجَرَةٍ، بلا قَضاءِ وَحُكْمِ سُلطانِ الإقْبالِ ذاك؛
ولا تَنْتَقِلُ لُقْمَةٌ مِنَ الفَمِ لِلحَلْق، حتَّى يَقُولَ الحَقُّ لِتِلْكَ اللُّقْمَةِ ادْخُلي؛
المَيْلُ والرَّغْبَةُ اللَّذانِ هُما زِمامُ الآدَمي، تَحْريكُهُما كانَ تَحْتَ أمْرِ ذاكَ الغَنِيّ؛
ولا تتَحرَّكُ أو تَصيرُ طائِرَةً، ذَرَّةٌ في الأَرَضيْنَ والسَّمٰوات؛
إلاَّ بِأَمْرِهِ القَديمِ النَّافِذ، الشَّرْحُ لَيْسَ مُمْكِناً وَجَلَدي لَيْسَ حَسَناً؛
حتَّى أعُدَّ أوراقَ الأشْجارِ على التَّمام، متى يطيعُني النُّطْقُ إلى ما لا نِهايَة؛
هذا القَدْرَ فاسْمَعْ إذْ كانَ كُلُّ أمْرٍ، لا يَكونُ إلاَّ مِنْ بَعْدِ أمْرِ الفَعَّال؛
إذا صارَ قَضاءُ الحَقِّ رِضاً لِلْعَبْد، فَسَوفَ يصيرُ العَبْدُ مُريداً لِحُكْمِه؛
لا تَكَلُّفاً ولا طَلَبَ الأجْرِ والثَّواب، بَلْ هُوَ الطَّبْعُ هذا لَهُ مُسْتَطاب؛
حياةَ نَفْسِهِ لا يُريدُ مِنْ أجْلِ نَفْسِهِ، ولا طَلَبَ اللَّذَّاتِ في الحياةِ وكُلِّ مُسْتَلَذّ؛
حَيْثُما كانَ الأمْرُ لِلْقِدَمِ فَهُوَ لَهُ مَسْلَكٌ، المَوْتُ والحَياةُ عِنْدَهُ واحِدٌ؛
مِنْ أجْلِ اللهِ يَحْيا لا مِنْ أَجْلِ الكَنْز، لأجْلِ اللهِ يَموتُ لا مِنَ الخَوْفِ والألَم؛
إيمانُهُ يكُونُ مَطْلَباً لَهُ، لا لأجْلِ الجَنَّةِ والأشْجارِ والجَدْوَل؛
وَتَرْكُ الكُفْرِ مِنْهُ أيْضاً مِنْ أجْلِ الحَقّ، لا مِنَ الخَوْفِ مِنْهُ أنْ يَذْهَبَ في النَّار؛
هذا مِنَ الأصْلِ جاءَ هكذا فَهُوَ طَبْعُه، لا رياضَةً مِنْهُ ولا مِنَ البَحْثِ والطَّلَب؛

ضَحِكَ إذْ رأى القَضاءَ مِنَ الرِّضاء، عَذْبٌ عَلَيْهِ مَثْلَ حَلْوى السُّكَّرِ القَضاء؛
العَبْدُ الَّذي كانَ هذا لَهُ طَبْعاً وَخِلْقَةً، ألا يَكونُ العالَمُ يَسيرُ وِفْقَ أمْرِهِ وَقَرارِه؛
إذَنْ لِماذا يَقومُ بالشِّكايَةِ أو الدُّعاء، أنْ حَوِّلْ عَنّي أَيْ اللهُ هذا القَضاء؛
مَوْتُهُ وَمَوْتُ أولادِهِ مِنْ أجْلِ الحَقّ، عِنْدَهُ كما هِيَ الحَلْوى في الحَلْق؛
نَزْعُ الأولادِ عِنْدَ ذاك الصّاحِبِ الوَفاء، كَأَنَّهُ القَطائفُ عِنْدَ شَيْخٍ بلا غَذاء؛
إذَنْ فَلِماذا يَدْعو الدُّعاءَ إلاّ أنْ يكونَ، قَدْ رأى في الدُّعاءِ رضا المُعْطي؛
تِلْكَ الشَّفاعَةُ وذاكَ الدُّعاءُ لا لِرَحْمَةِ النَّفْسِ، يَفْعَلُها ذلِكَ العَبْدُ صاحِبُ الرُّشْد؛
أحْرَقَ النَّفْسَ رَحْمَةً، لَحْظَةَ أَشْعَلَ سِراجَ عِشْقِ الحَقّ؛
جَهَنَّمُ أوصافِهِ العِشْقُ وَلَقَدْ، أحْرَقَ أوْصافَ نَفْسِهِ شَعْرَةً بِشَعْرَة؛
مَتى قَدْ عَلِمَ هذِهِ الفُرُوقَ كُلُّ طَروق، إلاَّ الدَّقوقِيُّ الَّذي جالَ في هذِهِ الدَّولَة؛

قَصَّةُ الدَّقوقِيّ وَكراماتُه

ذاكَ الدَّقوقِيُّ كانَ حَسَنَ الدِّيباجَةِ، كانَ سَيِّداً عاشِقاً وَصاحِبَ كَرامَةٍ؛
سارَ على الأرْضِ مِثْلَ قَمَرٍ في السَّماء، سائرو اللَّيْلِ مِنْهُ سائرونَ في ضياء؛
قليلاً ما أشادَ مَسْكَناً في مَقام، ونادِراً ما مَكَثَ يَوْمَيْنِ في قَرْيَة؛
قالَ إذا مَكَثْتُ في مَنْزِلٍ يومَيْن، صارَ عِشْقُ ذلِكَ المَنْزِلِ زائداً في قَلبي؛
غِرَّةُ المَسْكَنُ أُحاذِرُهُ أنا   أُنْقُلي يا نَفْسُ سافِرْ لِلْغِنا
لا أُعَوِّدْ خُلْقَ قَلْبي بالمكان   كَيْ يكونَ خالِصاً في الاِمْتِحان
نَهارَهُ كانَ في السَّيْرِ واللَّيْلَ في الصَّلاة، عَيْنُهُ مَفْتُوحَةٌ على الشّاهِ كأَنَّها الباز؛
مُنْقَطِعٌ عَنِ الخَلْقِ لا مِنْ سُوءِ طَبْع، مُنْفَرِدٌ عَنِ الرِّجالِ والنِّساءِ لا مِنْ عِلَّة؛
مُشْفِقٌ على الخَلْقِ وَنافِعٌ كَأَنَّهُ الماء، وَشَفيعٌ حَسَنٌ وَمُسْتَجابُ دُعاء؛
عَطُوفٌ على الحَسَنِ والسَّيِّئِ وَمُسْتَقِرّ، أفْضَلُ مِنَ الأُمّ وَأَشْهى مِنَ الأب؛

قالَ النَّبِيُّ أنا عَلَيْكُمْ أيْ أقْمارُ، شَفيقٌ وَعَطوفٌ كما يَكونُ الأَبُ؛
بِسَبَبِ أنَّكُمْ جَميعاً أجْزاءٌ مِنّي، لِماذا تَقْطَعون الجُزْءَ مِنَ الكُلّ؛
قُطِعَ الجُزْءُ مِنَ الكُلِّ فَصارَ بلا شُغْل، قُطِعَ العُضْوُ مِنَ البَدَنِ فَصارَ مَيْتاً؛
ما لَمْ يَرْتَبِطْ بالكُلِّ مَرَّةً أُخْرى، يَكُونُ مَيّتَاً ولا خَبَرَ لَهُ عَنِ الرُّوح؛
وَلَوْ أنَّهُ تَحَرَّكَ لا يَكونُ ذلِكَ سَنَداً، فالعُضْوُ المَقْطُوعُ حَديثاً يَتَحَرَّكُ أيْضاً؛
إذا انْقَطَعَ الجُزْءُ عَنِ الكُلِّ يَذْهَبُ جانِباً، هُوَ لا يَعودُ ذاكَ الكُلَّ ويكونُ ناقِصاً؛
قَطْعُهُ ووَصْلُهُ لا يَجيئانِ في المقال ، القَوْلُ شَيْءٌ ناقِصٌ كانَ لأجْلِ المِثال؛

الرُّجوعُ إلى قِصَّةِ الدَّقوقِيّ

دَعا عَلِيَّاً في المِثال أَسَداً، وما مِنْ أسَدٍ يكونُ لَهُ مَثيلاً؛
أُتْرُكِ المَثَلَ والمِثالَ والفَرْقَ بَيْنَهُما، وصِرْ إلى جانِبِ قَصَّةِ الدَّقُوقِيّ أيْ شابّ؛
ذاكَ الَّذي كانَ إماماً لِلْخَلْق في الفَتْوى، واخْتَطَفَ مِنَ الملائكَةِ كُرَةَ التَّقْوى؛
ذاكَ الَّذي أماتَ القَمَرَ في السَّيْر، ومِنْ حِفاظِهِ على الدِّيْنِ حَسَدَهُ الدِّين؛
بِمِثْلِ هذِهِ التَّقْوى والأورادِ والقِيام، كانَ طالِبَ الخاصِّيْنَ للحَقّ على الدَّوام؛
كانَ ذاكَ في السَّفَرِ مُعْظَمَ مُرادِهِ، أنْ يَقَعَ لَحْظَةً على عَبْدٍ لِلّهِ خاصٍّ؛
كانَ يَظَلُّ قائلاً إذْ يَمضي في الطَّريقِ، إي إلٰهُ اجْعَلْني لِخَواصِّكَ قَريناً؛
يا ربّ أولئكَ الَّذينَ عَرِفَهُمْ قَلبي، أنا خادِمٌ مُتَحَزِّمٌ لِخِدْمَتِهِم مُجْمِلٌ لَهُمْ؛
وعلى الَّذينَ لا أعْرِفُ أيْ إلٰهَ الرُّوح، لأجْلي أنا المَحْجوبِ عَنْهُم كُنْ رَحيماً؛
خاطَبَتْهُ الحَضْرَةُ أنْ أيُّها الصَّدْرُ الأعْظَمُ، أيُّ عِشْقٍ هذا وأيُّ اسْتِسْقاءٍ هذا؛
أنتَ تَمْلِكُ مَحَبَّتي فَما بَحْثُكَ عَنْ آخَر، ما دامَ مَعَكَ اللهُ فَما بَحْثُكَ عَنِ البَشَر؛
هُوَ قالَ يا رَبِّ أيْ عالِمَ الأسْرار، أنْتَ الَّذي فَتَحْتَ في قَلْبي طَريقَ الإفْتِقار؛
رَغْمَ أنّيْ جالِسٌ وَسَطَ بَحْرٍ مِنَ الماء، فإنَّ لي طَمَعاً بِماءِ الجَرَّةِ أيْضاً؛

أنا كداؤودَ عِنْدِيَ تِسْعُونَ نَعْجَةً، وقامَ بي الطَّمَعُ أيضاً لِنَعْجَةِ حَرِيفي؛
الحِرْصُ في العِشْقِ جاهٌ وافْتِخارٌ، الحِرْصُ في طَلَبْ غَيْرِكَ عارٌ وَبَوارٌ؛
الشَّهْوَةُ والحِرْصُ لِلرِّجالِ سَبْقٌ، ولأولئكَ السَّيِّئينَ مَذْهَبُ سُوءٍ وَعارٌ؛
حِرْصُ الرِّجالِ في الطَّرِيقِ تَقَدُّمٌ، الحَرْصُ عِنْدَ المُخَنَّثِ قَهْقَرَةٌ؛
ذلِكَ الحِرْصُ مِنْ كمالِ المُروءَة، وذلِكَ الحِرْصُ الآخَرُ افْتِضاحٌ وَمَرَضٌ؛
آهِ إنَّ ها هُنا لَسِرَّاً شَديدَ الخَفاء، سارَ مُوسى في طَلَبِهِ مُسْرِعاً نَحْوَ الخِضْر؛
مِثْلَ المُسْتَسْقِيْ الَّذي مالَهُ رَيٌّ مِنَ الماءِ، باللهِ لا تَكْتَفِ بِأَي شَيْءٍ تَجِدُهُ؛
هذا البِلاطُ المَلَكِيُّ حَضْرَةٌ بلا نِهايَة، أُتْرُكِ الصَّدْرَ إنَّ لَكَ مِنْ صَدْرِكَ طَرِيقاً؛

سِرُّ طَلَبِ موسى لِلْخِضْرِ عَلَيْهِما السَّلام، مَعَ كمالِ نُبُوَّتِهِ وَقُرْبِه

مِنْ كَليمِ الحَقّ تَعَلَّمْ أَيْ كَرِيم، أُنْظُرْ لِما يَقُولُ مِنَ الشَّوْقِ الكَليم؛
مَعَ مِثْلِ هذا الجاهِ وَمِثْلِ هذِي النُّبُوَّة، أنا طَالِبٌ لِلخِضْرِ بَرِيءٌ مِنَ الغُرور؛
أيْ مُوسى لَقَدْ قُمْتَ بِتَرْكِ قَوْمِكَ، وَصِرْتَ هائماً في إِثْرِ مُبارَكِ القَدَم؛
صِرْتَ مَلِكاً عَظيماً حُرَّاً مِنَ الخَوْفِ والرَّجاء، كَمْ تَدُورُ كَمْ تَبْحَثُ حتَّى مَتى؛
ذاكَ مَعَكَ وَأَنْتَ واقِفٌ على هذا، أيْ سَماءً كَمْ تَمْسَحُ الأرْض؛
قالَ مُوسى أَقِلُّوا مِنْ هذِهِ الملامَة، أَقِلُّوا قَطْعَ الطَّرِيقِ على الشَّمْسِ والقَمَر؛
إنَّنيْ ذاهِبٌ إلى مَجْمَعِ البَحْرَيْن، لِكَيْ أصْيْرَ مَصْحُوبَ سُلْطانِ الزَّمَن؛
أجْعَلُ الخِضْرَ لأمْري سَبَبا ذاكَ أو أمْضي وأسْري حُقُبا
أطيرُ بالرِّيشِ وبالأجْنِحَة لِسِنين، ماذا تَكونُ السِّنينُ، آلافُ السِّنين؛
أمضي يَعني أتَراهُ لا يَسْتَحِقُّ، لا تَرَ عِشْقَ الأحِبَّةِ أَقَلَّ مِنْ عِشْقِ الخُبْز؛
هذا الحَديثُ لا نِهايَةَ لَهُ أَيْ عَمّ، قِصَّةَ الدَّقُوْقِيّ ذاكَ قُلْ لَنا؛

عَوْدَةٌ إلى قِصَّةِ الدَّقُوقِيّ

ذاكَ الدَّقُوقي رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْه قالَ سافَرْتُ مَدىً في خافِقَيْه
العامَ والشَّهْرَ سافَرْتُ مِنْ عِشْقِ القَمَر، حَيْرانَ في الإِلٰه عَنِ الدَّرْبِ بلا خَبَر؛
أتَسيرُ حافِيَ القَدَمِ على الشَّوْكِ والحَجَر، قالَ أنا حَيْرانُ والِهٌ غافِلٌ عَنْ نَفْسي؛
لا تَنْظُرَ إلى أَثَرِ الأقْدامِ على الأرْض، ذلِكَ أنَّ العاشِقَ يَمْشي على قَلْبِهِ يَقيناً؛
ما يَعْرِفُ القَلْبُ سَكْرانُ الحبيب، مِنْ طريقٍ ومَنْزِلٍ مِنْ قِصَرٍ وطُولٍ؛
الطُّوْلُ والقِصَرُ أوصافُ بَدَنٍ، مَسيرُ الأرواحِ مَسيرٌ آخَر؛
لَقَدْ سافَرْتَ مِنْ نُطْفَةٍ إلى عَقْل، سَفَراً لَمْ يَكُنْ بِقَدَمٍ ولا مَنْزِلٍ ولا نَقْل؛
سَيْرُ الرُّوحِ كانَ بلا كَيْفِيَّةِ طُولٍ وَبُعْدٍ، يا جِسْمَنا تَعَلَّمِ السَّيْرَ مِنْ رُوحِنا؛
هُوَ الآنَ تَرَكَ السَّيْرَ الجِسْمانِيّ، يسيرُ بلا كَيْفِيَّةٍ مُخْتَفِياً في كَيْفِيَّةِ شَكْل؛
قالَ يَوماً صِرْتُ مُشْتاقَ الحَبيب لِأرى في النَّاسِ أنوارَ الحَبيب
كَيْ أرى البَحْرَ المُحيطَ في القَطْرَة، كَيْ أرى الشَّمْسَ مُدْرَجَةً في الذَّرَّة؛
عِنْدَما وَصَلْتُ بالقَدَمِ إلى ساحِلٍ، كانَ بلا وَقْتٍ انقِضاءَ النَّهارِ وَوَقْتَ المَساء؛

ظُهُورُ مِثالِ سَبْعِ شُموعٍ جِهَةَ السَّاحِل

رَأَيْتُ مِنْ بَعيدٍ سَبْعَ شُموعٍ فَجْأَةً، عِنْدَ ذلِكَ السَّاحِلِ فَأَسْرَعْتُ نَحْوَها؛
نُورُ شُعْلَةِ كُلِّ واحِدَةٍ مِنْ تِلْكَ الشُّموع، علا حتَّى بَلَغَ عِنانِ السَّماء؛
صِرْتُ مُحْتاراً وَصارَتِ الحَيْرَةُ حَيْرى، وعلا مَوْجُ الحَيْرَةِ فَوْقَ العَقْل؛
كَيْفَ أنَّ هذِهِ الشُّموعَ مُشْتَعِلَةٌ، وَكَيْفَ أنَّ عُيونَ الخَلْقِ عَنْها مُغْلَقَةٌ؛
والخَلْقُ يبحَثونَ عَنِ السِّراج، أمامَ ذلِكَ الشَّمْعِ الَّذي يَزيدُ على القَمَر؛
كانَ على العُيونِ الرِباطُ واعَجَباً ، يَضَعُ الرِّباطَ على أعْيُنِهِمْ *يهدي مَنْ يشاء*؛

صَيْرُورَةُ هذِهِ الشُّموعِ السَّبْعِ على مِثالِ شَمْعَةٍ واحِدَة

مِنْ جَديدٍ رَأَيْتُ سَبْعَ الشُّموعِ صارَتْ واحِدَةً، وكانَ نُورُها يشُقُّ جَيْبَ الفَلَك؛
ثُمَّ مِنْ جَديدٍ رَأَيْتُها عادَتْ سَبْعاً، سُكْري وَحَيْرَتي صارا عَظيمَيْن؛
بَيْنَ تِلْكَ الشُّموعِ كانَتِ اتّصالاتٌ، لا يَسْتَطيعُ وَصْفاً لها لِسانُنا ولا مَقالُنا؛
ذاكَ الَّذي تَمَّ إدراكُهُ مِنْ نَظْرَةٍ واحِدَةٍ، لا يُمْكِنُ إظْهارُهُ مِنَ اللِّسانِ في أعوام؛
ذاكَ الَّذي رآهُ إدْراكُ العَقْلِ لَحْظَةً واحِدَةً، لا يُمْكِنُ سَماعُهُ بالأُذُنِ في سَنَوات؛
الأمْرُ لا نِهايَةَ لَهُ تَوَجَّهْتُ *إِلَيْكَ*، بِما أنَّني لا أُحْصي ثَناءً *عَلَيْكَ*؛
أسْرَعْتُ واقْتَرَبْتُ أَكْثَرَ مِنْ تِلْكَ الشُّموعِ، لأرى ما تَكونُ مِنْ دلائلِ الكِبْرِياء؛
صِرْتُ فاقِداً للنَّفْسِ وَمَدْهُوشاً وَخَراباً، حتَّى سَقَطْتُ مِنْ عَجَلَتي وَسُرْعَتي؛
ساعَةً في هذا بلا وَعْيٍ ولا عَقْلٍ، ثُمَّ وَقَعْتُ على وَجْهِ الأرْضِ على التُّراب؛
ثُمَّ عُدْتُ مُجَدَّداً إلى الوَعْيِ وَنَهَضْت، صِرْتُ أمْشي كأنَّني بِلا رَأْسٍ ولا قَدَم؛

ظُهُوْرُ تِلْكَ الشُّموعِ سَبْعَةَ رِجالٍ في النَّظَر

سَبْعُ الشُّموعِ صارَتْ في النَّظَرِ سَبْعَةَ رِجالٍ، نُورُهُمْ بَلَغَ السَقْفَ اللاّزَوَرْدي؛
أمامَ تِلْكَ الأنوارِ صارَ نُورُ النَّهارِ كَدِراً، مِنْ قُوَّةِ نُورِها كانَتْ تَمْحو الأنوار؛

صَيْرُوْرَةُ تِلْكَ الشُّموعِ سَبْعَ شَجَرات

مُجَدَّداً عادَ كُلُّ رَجُلٍ على شَكْلِ شَجَرَةٍ، عَيني مِنْ خُضْرَتِها صارَتْ مُبارَكَةً؛
أغْصانُها مِنْ تَراكُمِ الأوراقِ غَيْرُ ظاهِرَةٍ، والأوراقُ مِنْ كَثْرَةِ الثِّمار اخْتَفَت؛
أغصانُ كُلِّ شَجَرَةٍ جازَتِ السِّدْرَةَ، ما هِيَ السِّدْرَةُ، صارَتْ خارِجَ الخلاء؛
جَذْرُ كُلِّ واحِدَةٍ مِنْها ذَهَبَ في قَعْرِ الأرْض، إلى تَحْتِ الثَّورِ والحُوتِ يَقيناً؛

جُذُورُها أَبْهى مِنْ فُروعِها الضَّاحِكَة، العَقْلُ مِنْ إشْكالِها صارَ عاليهِ سافِلَهُ؛
ثِمارُها الَّتي تَشَقَّقَتْ مِنَ القُوَّة، كانَ يَخْرُجُ كالماءِ مِنَ الثَّمَرِ مِنْها بَرْقُ النُّور؛

خَفاءُ تِلْكَ الأَشْجارِ عَنْ عُيونِ الخَلْق

وَهذا الأعْجَبُ أنَّهُ كانَ يَمُرُّ بِها، مِئاتُ أُلوفِ الخَلْقِ مِنَ الصَّحْراءِ والبادِيَة؛
يَبْذُلُونَ الأرواح في طَلَبِ الظِّلِّ، ويَجْعَلونَ مِنَ القِماشِ مَظلاَّتٍ يستَظِلُّونَ بِها؛
لَمْ يكونوا يَرَوْنَ أيَّ ظِلٍّ لِذلِكَ، مِئَةَ تُفٍّ على عُيونٍ عَلَيْها حُجُبٌ فَوْقَ حُجُب؛
خَتْمُ قَهْرِ الحَقِّ خَتَمَ على تِلْكَ العُيون، عُيونٍ لَمْ تَرَ القَمَرَ وَقَدْ رَأَتِ السُّها؛
لَقَدْ رَأَتْ ذَرَّةً وَلَمْ تَرَ الشَّمْس، لكِنَّها بلا يَأْسٍ مِنَ اللُّطْفِ والكَرَم؛
القَوافِلُ بلا زادٍ وهذِهِ الثِّمارُ، تَسْقُطُ ناضِجَةً أيُّ سِحْرٍ أيْ رَب؛
كانَ الخَلْقُ يَقْطِفُونَ التُّفّاحَ المُهْتَرِئَ، يابِسي الحَلْقِ هَجَمَ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ؛
وكُلُّ وَرَقَةٍ مِنْ تِلْكَ الغُصون وكُلُّ بُرْعُمٍ، كانَ يقولُ يا لَيْتَ قَومي يَعْلَمون؛
ومِنْ جِهَةِ كُلِّ شَجَرَةٍ كانَ يَجيْءُ الصَّوْتُ، أيُّها الخَلْقُ سَيِّئو الحَظّ أقْبِلوا إلَيْنا؛
وكانَ يَجيْءُ الصَّوْتُ مِنَ الغَيْرَةِ على الشَّجَر، أغْلَقْنا عُيُونَهُمْ *كلاَّ لا وَزَر*؛
إذا قالَ لَهُمْ شَخْصٌ اذْهَبوا هذِهِ الجِهَة، لِتَصيروا مُسْتَسْعِدينَ بِهذِهِ الأشْجار؛
قالوا جُمْلَةً هذا المسكينُ سَكرانٌ، وصارَ مَجْنوناً مِنْ قَضاءِ الله؛
مُخُّ هذا المِسْكينِ مِنَ الوَلَهِ الطَّويل، وَمِنَ الرِّياضَةِ صارَ فاسِداً كالبَصَل؛
بَقِيَ في عَجَبٍ يا رَبّ ما هذِهِ الحال، ما حالُ الخَلْقِ في الحِجابِ والإضْلال؛
خَلْقٌ مُخْتَلِفٌ بِمِئَةِ رَأْيٍ وَعَقْل، لا يَنقُلونَ القَدَمَ إلى تِلْكَ الجِهَة؛
عاقَلوهُمْ وأذكياؤهُمْ مِنَ الاِتِّفاق، كُلٌّ مُنْكِرٌ لِمِثْلِ هذِهِ الحَديقَةِ وَعاقّ؛
أمْ أنَّني أنا صِرْتُ حائراً مُضْطَرِباً، وأنَّ الشَّيطانَ قَدْ أصابَ رَأْسي بِشَيْء؛
وَأَمْسَحُ العَيْنَ في كُلِّ لَحْظَةٍ أنْ تُرى، أرى رُؤيا أمْ أرى الخَيالَ في الزَّمَن؛

كَيْفَ يكونُ رُؤيا وأنا أذْهَبُ للأشْجار، آكُلُ الثِّمارَ مِنْها أنا أرى جَيِّداً؛
ثُمَّ لَمَّا نَظَرْتُ مِنْ جَديدٍ إلى المُنْكِرين، وهُمْ جَميعاً يَهْرَبونَ مِنْ هذا البُسْتان؛
يَعْصِرونَ الرُّوحَ في طَلَبِ نِصْفِ حَبَّةِ حِصْرَمٍ، في كَمالِ الاحتياجِ والافْتِقار؛
يُطْلِقونَ الآهاتِ مِنَ الحَرْصِ والاِشْتياقِ، لِوَرَقَةِ شَجَرَةٍ هؤلاءِ المَحْرومون؛
في الهَرَبِ مِنْ هذِهِ الشَّجَرَةِ وَهذِهِ الثِّمار، الخلائقُ مِئاتُ الأُلوفِ في الأُلوف؛
عُدْتُ فَقُلْتُ عَجَباً أَضَيَّعْتُ نَفْسي، أَتراني أَمُدُّ اليَدَ إلى الغُصْنِ في الخَيال؛
اِقْرَأْ حتَّى *إذا ما اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ، لِيَظُنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبوا*؛
واقْرَأْ هذِهِ القِراءَةَ بِتَخْفيفِ كُذِب، تَرَ النَّفْسَ في هذِهِ القِراءَةَ تَحْتَجِب؛
وَقَعَتْ في الشَّكِّ رُوحُ الأنبياء مِنْ اتِّفاقِ المُنْكِرينَ الأشْقياء
جاءَهُمْ بَعْدَ التَّشَكُّكِ نَصْرُنا، فقُلْ بِتَرْكِهِمْ واصْعَدْ على شَجَرَةِ الرُّوح؛
كُلْ مِنْها وَأَعْطِ الآكِلينَ مَنْها فإنَّها، في كُلِّ نَفَسٍ وفي كُلِّ لَحْظَةٍ مُعَلِّمُ سِحْر؛
والخَلْقُ قائلونَ عَجَباً ما هَذا الصَّوتُ، والصَّحْراءُ خالِيَةً مِنَ الشَّجَرِ والثَّمَر؛
صِرنا مُنْحَرِفينَ مِنْ مقالِ السّوداوِيّين، الَّذينَ هُمْ في جوارِكَ مائدَةٌ وَبُستان؛
نَمْسَحُ العَيْنَ أنْ ما مِنْ بُستان هُنا، فإمَّا صَحْراءٌ وإمَّا طَريقٌ مُشْكِلٌ؛
أي عَجَباً كَمْ طالَ هذا الجِدال، كَيفَ كانَ لَغْواً بلا فائِدَةٍ وإنْ كانَ فأيْنَ هُوَ؛
وأنا مِثْلَهُمْ أظَلُّ أقولُ أيْ عَجَباً، كَيْفَ خَتَمَ بِمِثْلِ هذا الخَتْمِ صُنْعُ الرَّبّ؛
مِنْ هذا التَّنازُعِ مُحَمَّدٌ في عَجَب، وظَلَّ في التَّعَجُّبِ أيْضاً أبو لَهَب؛
فَرْقٌ عَميق بَيْنَ هذا العَجَبِ وذاكَ العَجَبِ، إلى ما شاءَ يَفْعَلُ السُّلطانُ العَجَب؛
أيْ دَقُوقِيُّ اصْمتْ وَسُقْ أَسْرَعَ هَيَّا، كَمْ تَتَحَدَّثْ وَكَمْ، وفي الآذانِ قُحْط؛

صيرُورَةُ تِلْكَ الشَّجَراتِ السَّبْع شَجَرَةً واحِدَةً

قالَ اقْتَرَبْتُ أَكْثَرَ أنا سَعيدُ البَخْت، فَعادَتْ تِلكَ الشَّجَراتُ السَّبْعُ شَجَرَةً واحِدَةً؛
تَصيرُ سَبْعَةً تَصيرُ واحِدَةً كُلَّ لَحْظَةٍ، وأنا على الطَّرْزِ نَفْسِهِ مِنَ الحَيْرَةِ؛
ثُمَّ رَأَيْتُ الأشْجارَ اصطَفَتْ في الصَّلاة، صَفَّاً واحِداً كأنَّها في صَلاةِ جَماعَة؛
وَشَجَرَةٌ مِنَ أمامٍ كأنَّها الإمام، والأُخْرَياتُ مِنْ ورائها في القِيام؛
قِيامُ الشَّجَراتِ والرُّكوعُ والسُّجود، كم أثارَ ذاكَ بي مِنْ حَيْرَة؛
تَذَكَّرْتُ قَوْلَ الحَقّ ذاكَ الزَّمان، قالَ *والنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدان؛*
تِلْكَ الشَّجراتُ بِلا رُكَبٍ ولا أوساط، مُرَتَّبَةً تَرْتيباً وَقَفَتْ للصَّلاةِ؛
فَجاءَ إِلْهامُ اللهِ أنْ أيْ ذا الضِّياء ، ألا زالَ عِنْدَكَ العَجَبُ مِنْ فِعْلِنا إلى الآن؛

صَيْرُورَةُ تِلْكَ الشَّجَراتِ السَّبْعِ رِجالاً سَبْعَةً

بَعْدَ مُدَّةٍ صارَتِ الشَّجَراتُ سَبْعَةَ رِجالٍ، جُمْلَةً في القُعُودِ أمامَ الإلهِ الفَرد؛
وَأَمْسَحُ عَيْني أنْ هَؤلاءِ السَّبْعَةُ الكُماةُ، مَنْ يَكونونَ وما يَمْلِكُونَ مِنَ الدُّنيا؛
لَمَّا وَصَلْتُ إلى مَقْرُبَةٍ مِنْهُمْ مِنَ الطَّريق، أَلْقَيْتُ عَلَيْهِمُ السَّلامَ مِنَ الإنْتِباه؛
القَومُ قالوا جَوابَ ذاكَ السَّلام، أي دَقوقِيُّ أيْ مَفْخَرَ وَتاجَ الكِرام؛
قُلْتُ لِنَفْسي آخِراً كَيْفَ عَرِفوني، مِنْ قَبْلِ أنْ يكونوا أَلْقَوا عَلَيَّ نَظَراً؛
فعَلِموا ذاكَ مِنْ ضَميري سَريعاً، وَنَظَرَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ نَظَراً خَفيضاً؛
أَعْطَوني الجَوابَ ضاحِكينَ أنْ أيْ عَزيز، هل هذا مَسْتورٌ عَنْكَ الآنَ أيْضاً؛
على قَلْبٍ يكونُ في تَحَيُّرٍ مَعَ الله، متى يكونُ غِطاءٌ مِنْ يَمينٍ وَمِنْ شِمال؛
قُلْتُ إذا هُمْ تَحَيَّروا مِنْ جِهَةِ الحَقائق، كَيْفَ وَقَفوا على اِسْمِ الحَرْفِ الرَسْمِيّ؛
قالوا إذا صارَ الإسْمُ غَيْباً عَنِ الوَلِيّ، اعْلَمْ ذاكَ مِنَ الإسْتِغْراقِ لا مِنَ الجَهْل؛

بَعْدَ ذلِكَ قالوا إنَّ لَنا رَغْبَةً، بالإقْتِداءِ بِكَ أيْ صَديقاً طاهِراً؛
قُلْتُ نَعَمْ لكِنْ أمْهِلوني ساعَةً فَأَنا، عِنْدي مُشْكِلاتٌ مِنْ الزَّمَن القَديم؛
لِتَصيرَ مَحْلُولَةً مِنَ الصُّحْبَةِ الطَّاهِرَة، بالصُّحْبَةِ تَنْمو الكَرْمَةُ مِنَ التُّراب؛
الحَبَّةُ المليئةُ باللُّبِّ مَعَ التُّرابِ المَهموم، قامَتْ بالخَلْوَةِ وبالصُّحْبَةِ مِنَ الكَرَم؛
مَحَتِ النَّفْسَ في التُّرابِ الكُلِّيِّ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْها لَونٌ ورائحَةُ ولا أحْمَرُ وأصفَر؛
مِنْ بَعْدِ ذاكَ المَحْوِ لَمْ يَدُمْ قَبْضٌ، فَتَحَتِ الجَناحَ وَصارَ بَسْطٌ وقادَتِ المَرْكَب؛
أمامَ أَصْلِ النَّفْسِ حينَ صارَتْ بلا نَفْس، ذَهَبَتِ الصُّورَةُ وَتَجَلَّى لَها المَعْنى؛
وأومَؤوا بالرَّأْسِ أنْ لَكَ الأمْر، وارْتَفَعَ ضياءُ القَلْبِ مِنَ الرَّأْسِ إذْ فَعلوا ذاك؛
ساعَةً مَعَ أولئكَ القَوْمِ المُجْتَبَيْنَ، وأنا مِثْلَ المُراقِبِ وَمُنْفَصِلٌ عَنِ النَّفْس؛
الرُّوحُ بِتِلْكَ السَّاعَةِ تَحَرَّرَتِ مِنَ الوَقْت، لأنَّ تِلْكَ السَّاعَةَ أعادَتِ الشَّيْخَ شابَّاً؛
جُمْلَةُ التَّلْويناتِ نَهَضَتْ مِنَ الوَقْت، تَحَرَّرَ مِنَ التَّلْوينِ مَنْ تَحَرَّرَ مِنَ الوَقْت؛
إذا صِرْتَ ساعَةً خارِجَ الوَقْت، لا تَبقَى ***كَيْفَ*** تَصيرُ محْرَمَ مَنْ هُوَ بلا كَيْف؛
الوَقْتُ عَمَّنْ هُوَ بلا وَقْتٍ بلا إدراك، ذلِكَ لأنَّهُ لا طَرِيقَ إلاَّ التَّحَيُّرُ هُناك؛
كُلُّ نَفَرٍ في حَظيرَتِهِ الخاصَّةِ بِهِ، مَربوطٌ بِزِمامٍ في دُنيا البَحْثِ والطَّلَب؛
قائمٌ على كُلِّ حَظيرَةٍ رائِضٌ، مِنْ غَيْرِ دَسْتورٍ لا يَدْخُلُ رافِض؛
إذا مِنَ الهَوَسِ تَحَرَّرَ مِنَ الحَظيرَة، وَمَدَّ الرَّأْسَ إلى حَظيرَةِ الآخَرين؛
فإنَّ المُوَكَّلِيْنَ السَّريعينَ الطَّيِّبينَ في الحال، يأخُذونَ طَرَفَ زِمامِهِ وَيَسْحَبونَه؛
إذا كُنْتَ لا ترى الحافِظينَ أيُّها العَيَّار، أُنْظُرْ إلى اختيارِكَ بلا اختيار؛
تقومُ بالاِخْتيارِ ويداكَ وقَدَماك، تَسْحَبُكَ بَعيداً لِمَ أنتَ في الحَبْس؛
جَعَلْتَ الوَجْهَ في إنْكارِ الحافِظِ، أَعْطَيْتَهُ اِسْمَ تَهْديداتِ النَّفْس؛

تَقَدُّمُ الدَّقُوقِيِّ للإمامة

هذا الكلامُ لا نِهايَةَ لَهُ دَعْكَ مِنْه، جاءَ وَقْتُ الصَّلاةِ تَقَدَّمْ دَقُوقِيُّ؛
رَكْعَتَيْنِ صَلِّ بنا أي بلا نَظيرٍ، حتَّى يصيرَ مُزَيَّناً مِنْكَ الزَّمان؛
أي إماماً مُضيْءَ البَصَرِ في الصَّلاة، إنَّ البَصَرَ المُضيْءَ في الإمام واجِبٌ؛
مَكْروهٌ في الشَّريعَةِ أيُّها السَّيِّدُ، أنْ يَتَقَدَّمَ إلى الإمامَة الأعْمى؛
مُضيْءُ البَصَرِ أفْضَلُ وَلَو كانَ سَفيهاً، مِنْ أعْمىً كانَ حافِظاً وماهِراً وفقيهاً؛
اجْتِنابُ الأعْمى لَمْ يَكُنْ مِنَ القَذَر، النَّظَرُ هُوَ الأصْلُ للاِجْتِنابِ والحَذَر؛
الأعْمى لا يرى النَّجاسَةَ في العُبور، لا كانَ أيُّ مُؤمِنٍ أبَداً أعمى العَيْن؛
العمى الظَّاهِرُ في نَجاسَةِ الظَّاهِر، العمى الباطِنُ في نَجاساتِ السِّرّ؛
نَجاسَةُ الظَّاهِرِ هذِهِ تَذْهَبُ بالماء، نَجاسَةُ الباطِنِ تِلْكَ تَصيرُ في ازدياد؛
بِغَيْرِ ماءِ العَيْن لا يُمْكِنُ غَسْلُ ذلِكَ، إذا نَجاساتُ البواطِنِ صارَتْ عِياناً؛
ما دامَ اللهُ قَدْ دعا الكافِرَ نَجِساً، تِلْكَ النَّجاسَةُ لَيْسَتْ ظاهِرَةً عَلَيْه؛
ظاهِرُ الكافِرِ لَيْسَ مُلَوَّثاً مِنْ هذا، تِلْكَ النَّجاسَةُ كائنَةٌ في الأخْلاقِ والدِّيْن؛
هذِهِ النَّجاسَةُ ريحُها مِنْ عِشْرينَ خُطْوَةً، تِلْكَ النَّجاسَةُ ريحُها مِنَ الرَّيِّ للشَّام؛
بَلْ إنَّ رِيْحَها تَصِلُ حتَّى السَّماوات، تَصِلُ حتَّى مَشَامِّ الحُوْرِ وَرضوان؛
هذا الَّذي أقُولُ على قَدْرِ فَهْمِكَ، لَقَدْ مِتُّ في الحَسْرَةِ لِلْفَهْمِ الصَّحيح؛
الفَهْمُ ماءٌ ووجودُ البَدَنِ جَرَّةٌ، إذا انكَسَرَتِ الجَرَّةُ سالَ مِنْها الماء؛
هذِهِ الجَرَّةُ لها مَنافِذُ خَمْسَةٌ عَميقَةٌ، لا يبقى بِها الماءُ ولا يبقى بِها الثَّلْج؛
أمْرَ غُضُّوا أبْصارَكُمْ سَمِعْتَ أيضاً، وَلَمْ تَضَعِ الحافِرَ مَعَ ذلِكَ بِشَكْلٍ صَحيح؛
النُّطْقُ مِنْ فَمِكَ ذَهَبَ بِفَهْمِكَ، الأُذُنُ ابْتَلَعَتْ فَهْمَكَ كأنَّها الرَّمْلُ؛
كما أنَّ منافِذَكَ الأُخَرَ، تَسْحَبُ ماءَ فَهْمِكَ المُضْمَرَ؛

إذا أخْرَجْتَ مِنَ البَحْرِ خارِجاً الماءَ، بلا عِوَضٍ تَجْعَلُ مِنْ ذلِكَ البَحْرِ مفازَةً؛
لَيْسَ الوَقْتُ ولو كانَ قُلْتُ لَكَ الحال، قُلْتُ لَكَ مَدْخَلَ الأعْواضِ والأبْدالَ؛
أنْ تِلْكَ الأعْواضُ لِلْبَحْرِ والأبْدال، بَعْدَ خُروجها مِنْ أيْنَ تَجيءُ لِلْبَحْر؛
مِئاتُ أُلوفِ أنواعِ الأحياءِ تَشْرَبُ مِنْهُ، كما أنَّ الغُيومَ أيضاً تأخُذُ مِنْهُ الماءَ؛
يَجْذبُ البَحْرُ تِلْكَ الأعْواضَ مِنْ جَديدٍ، أصْحابُ الرَّشَدِ يَعْلَمونَ مِنْ أيْنَ؛
بَدَأْنا قِصَصاً وَمِنَ العَجَلَةِ، بَقِيَتْ بِلا مَخْلَصٍ في هذا الكِتاب؛
أيْ ضياءَ الحَقِّ حُسامَ الدِّيْنِ الكريم، أيْ مَنْ لَمْ يَلِدِ مَلِكاً مِثْلَكَ الفَلَكُ والأركانُ؛
أنْتَ نادِراً جِئْتَ للرُّوحِ والقَلْب، أيْ مَنِ القَلْبُ والرُّوحُ مِنْ قُدُومِكَ في خَجَل؛
كَمْ قُمْتُ فيما مَضى بِمَدْحِ قَومٍ، كُنْتَ أنتَ المَقْصودَ مِنْ أولئكَ مِنَ الاِقتِضاء؛
يَعْرِفُ مَنْزِلَ نَفْسِهِ بِنَفْسِهِ الدُّعاء، أنتَ باسْمِ مَنْ تَشاءُ قُمْ بالثَّناء؛
مِنْ أجْلِ كِتْمانِ المَديحِ عَنْ غَيْرِ الأهْل، الحَقُّ جاءَ بِهذِهِ الحِكاياتِ والأمْثال؛
رَغْمَ أنَّ ذاكَ المَدْحَ كانَ لَكَ جاءَني الخَجَل، إلاَّ أنَّ اللهَ قَدْ قَبِلَ *جُهْدَ المُقِلّ*؛
الحَقُّ قَبِلَ الكِسْرَةَ وجَعَلَ مُعافاً، قَطْرَتانِ مِنْ عَيْنَيْ الأعْمى كانَتا كِفافاً؛
عَلِمَتْ ذلِكَ الإبهامَ الطُّيورُ والأسماك، أنْ مُجْمَلُ مَدْحي لِهذا الإسْمِ المُبارَك؛
لِيَقِلَّ هَبُّ ريحِ آهِ الحاسِدينَ عَلَيْه، لِيَقِلَّ مِنْهُمْ عَضُّ خَيالِهِ بالأسنان؛
ومِنْ أيْنَ للحسودِ أنْ يَجِدَ مِنْهُ الخيال، متى ينامُ البَبَّغاءُ في وَجَارِ الفأْر؛
ذاكَ الخَيالُ مِنْهُ كانَ مِنْ احْتيال، ذاكَ كانَ شَعْرَةً مِنْ حاجِبِهِ لَمْ يَكُنْ بالهلال؛
مَدْحيكَ خارِجَ الحواسِّ الخَمْسِ والسَّماواتِ السَّبْع، أُكْتُبِ الآنَ تَقَدَّمَ الدَّقُوْقِيّ؛

تَقَدُّمُ الدَّقُوقِيّ لإمامَةِ أولئكَ القَوم

في تَحِيَّاتِ وَسَلامِ الصَّالِحين، المَدْحُ لِجُمْلَةِ الأنبياءِ عَجين؛
صارَ مَدْحُهُمْ جَميعاً جُمْلَةً مَمْزوجاً، كُلُّ الأباريقِ أُريقَتْ في طَسْتٍ واحِدٍ؛

ذاكَ لأنَّ المَمْدوحَ لَيْسَ أَكْثَرَ مِنْ واحِد، المَذاهِبُ مِنْ هذا الوَجْهِ مَذْهَبٌ واحِد؛
اِعْلَمْ أَنَّ كُلُّ مَدْحٍ يَذْهَبُ لِنُورِ الحَقّ، وهُوَ على الصُّوَرِ والأَشْخاصِ عارِيَة؛
متى مَدَحَ المادِحُونَ غَيْرَ المُسْتَحِقّ، إلاَّ أَنَّهُم يَضِلُّونَ الطَّرِيقَ مِنَ الظَّنّ؛
مِثْلَ أنوارٍ تَشِعُّ مِنْ فَوْقِ حائط، الحائطُ لِتِلْكَ الأنوارِ كأنَّهُ رابِط؛
لا جَرَمَ إذا رَجَعَ الظِّلُّ نَحْوَ الأصْل، أضاعَ الضَّالُ القَمَرَ وَتَوَقَّفَ عَنِ المَدْح؛
أو إذا بَدَتْ لَهُ صُورَةُ القَمَرِ في بِئْر، حنى الرَّأْسَ للبئرِ وراحَ يُثْني على ذاك؛
هُوَ في الحَقيقَةِ كانَ مادِحاً للقَمَر، رَغْمَ أَنَّهُ مِنَ الجَهْلِ وَجَّهَ الوَجْهَ لِصُورَتِه؛
مَدْحُهُ الصَّحيحُ للقَمَرِ لا لِتِلْكَ الصُّورَة، ذاكَ صارَ كُفْراً لأنَّ ما جَرى غَلَطٌ؛
مِنَ الشَّقاءِ صارَ ضالاً ذلِكَ الشُّجاع، القَمَرُ كانَ في الأعْلى وَظَنَّهُ في الأسْفَل؛
يَصيرُ الخَلْقُ مُشَوَّشين مِنْ هذِهِ الأصْنامِ، طارِدو الشَّهْوَةِ يصيرونَ نادِمين؛
ذلِكَ لأنَّهُ طَرَدَ الشَّهْوَةَ مَعَ الخَيالِ، وَتَوَقَّفَ أكْثَرَ بُعْداً عَنِ الحَقيقة؛
ما دامَ لِمَيْلِكَ مِنَ الخَيالِ جَناحٌ، لِيصيرَ واصِلاً للحَقيقَة بِذلِكَ الجَناح؛
إذا طَرَدْتَ الشَّهْوَةَ تَخَلَّيْتَ عَنِ الجَناح، وصِرْتَ أعْرَجاً وذاكَ الخيالُ فَرَّ مِنْك؛
لا تَطْرُدْ مِثْلَ تِلْكَ الشَّهْوَةِ واحْفَظِ الجَناح، لِيَحْمِلَكَ جَناحُ المَيْلِ جِهَةَ الجِنان؛
ظَنَّ الخَلْقُ أنْفُسَهُمْ يَلْهُون، وَهُمْ يَقْتَلِعُونَ ريشَ أجْنِحَتِهِم لأجْلِ خَيال؛
أنا صِرْتُ مَدِيناً بِشَرْحِ هذِهِ النُّكْتَة ، أعْطِني مُهْلَةً فأنا مُعْسِرٌ ولِذلِكَ سَكَتُّ؛

اقتِداءُ القَوْمِ بالدَّقوقي

تَقَدَّمَ للأمامِ للصَّلاةِ ذاكَ الدَّقُوقِيُّ، القَوْمُ كَأَنَّهُمُ الأَطْلَسُ وهُوَ كَأَنَّهُ الطِّراز؛
أولئكَ المُلوكُ العُظَماءُ قاموا بالإقْتِداء، مِنْ خَلْفِ ذلِكَ المُقْتَدى طَيِّبِ الذِّكْر؛
عِنْدَما صاروا مَقْرونينَ بالتَّكْبيرات، صاروا خارِجَ الدُّنيا كَما يصيرُ القُربان؛
أنْتَ وَقْتَ الذَّبْحِ تقولُ *اللهُ أَكْبَر*، كما هُوَ الحالُ في الذَّبْحِ قُمْ بِقَتْلِ النَّفْس؛

البَدَنُ كاِسْماعِيْلَ والرُّوحُ كالخَليل، قامَتِ الرُّوحُ بالتَّكْبيرِ على الجِسْمِ النَّبيل؛
صارَ مَقْتولاً مِنَ الشَّهَوَةِ والحِرْصِ البَدَنُ، بِبِسْمِ اللهِ في الصَّلاةِ صارَ بَسْمَلَةً؛
اصْطَفُّوا صَفَّاً أمامَ الحَقِّ كالقِيامَةِ، ودَخَلُوا في الحِسابِ وفي المُناجاة؛
واقِفينَ أمامَ اللهِ ساكِبينَ للدَّمْع، على مِثالِ الواقِفِ مُسْتَقيماً يَوْمَ القِيامَة؛
يقولُ لَهُ الحَقُّ ماذا جَلَبْتَ لي، في خِلالِ هذِهِ المُهْلَةِ الَّتي أعْطَيْتُكَ؛
بِعُمْرِ نَفْسِكَ لأيَّةِ نِهايَةٍ انْتَهَيْت، قُوْتَكَ وَقُوَّتَكَ في أيِّ شَيْءٍ أفْنَيْت؛
جَوْهَرَ العَيْنِ أيْنَ أنْفَقْتَ، بالحواسِّ الخَمْسِ أيْنَ ذَهَبْت؛
أنْفَقْتَ النَّظَرَ والسَّمْعَ والعَقْلَ وجواهِرَ العَرْش، ماذا شَرَيْتَ بِها مِنَ الفَرْش؛
أعْطَيْتُكَ اليَدَ والقَدَمَ كالمِعْوَلِ والمَجْرَفَة، تِلْكَ لَمْ تَكُنْ مِنْ نَفْسِها أنا أعْطَيْتُكَها؛
ومِثْلَ ذلِكَ مِنْ رسائلَ مِنَ الأَلَم، بمِئاتِ الأُلوفِ جاءَتْ هكذا مِنَ الحَضْرَةِ؛
في القِيامِ هذِهِ المقالاتُ لها رُجوع، مِنَ الخَجَلِ صارَ مَحْنِيَّاً في الرُّكوع؛
مِنَ الخَجَلِ لَمْ تَبْقَ لَهُ قُوَّةُ الوُقوف، قَرَأَ مِنَ الخَجَلِ في الرُّكوعِ التَّسْبيح؛
جاءَ الأمْرُ مِنْ جَديدٍ ارْفَعِ الرَّأْسَ، مِنَ الرُّكوعِ واسْرِدِ الإجاباتِ للحَقّ؛
رَفَعَ الرَّأْسَ مِنَ الرُّكوعِ ذلِكَ الخَجِلُ، ثُمَّ وَقَعَ على الوَجْهِ ذلِكَ الفَجُّ الفِعال؛
وجاءَهُ الأمْرُ مِنْ جَديدٍ ارْفَعِ الرَّأْس، مِنَ السُّجُودِ وهاتِ الخَبَرَ عَمَّا فَعَلْت؛
رَفَعَ الرَّأْسَ مَرَّةً أُخْرى ذلِكَ الخَجِل، وَسَقَطَ مِنْ جَديدٍ على الوَجْهِ مِثْلَ الحَيَّة؛
قيلَ لَهُ ارْفَعِ الرَّأْسَ وَجَدِّدِ القَوْلَ، هاتِ الحديثَ عَمَّا فَعَلْتَ شَعْرَةً بِشَعْرَة؛
لَمْ تَكُنْ لَهُ قُوَّةٌ للوُقوفِ على القَدَم، فإنَّ خِطابَ الهَيْبَةِ أصابَ مِنْهُ الرُّوح؛
فَجَلَسَ قاعِداً قَعْدَةً مِنْ ذلِكَ الحِمْلِ الثَّقيل، قالَتْ لَهُ الحَضْرَةُ تَحَدَّثْ بالبَيان؛
أعْطَيْتُكَ النِّعْمَةَ فَقُلْ ما كانَ شُكْرُك، أعْطَيْتُكَ رَأْسَمالٍ بَيِّنْ ما اسْتَفَدْتَ مِنْه؛
وَجَّهَ الوَجْهَ للِيَدِ اليُمْنى في السَّلام، جِهَةَ أرواحِ الأنبياءِ وأولئكَ الكِرام؛
يَعْني أيْ مُلُوكَ الشَّفاعَةِ إنَّ هذا اللَّئيم، قَدْ عَلِقَتْ قَدَمُهُ في الطِّيْنِ بإحكامٍ شَديد؛

بيانُ أنَّ إشارَةَ السَّلامِ جِهَةَ اليَدِ اليُمنى في القيامَةِ مِنْ هَيْبَةِ مُحاسَبَةِ الحَقِّ، واسْتِعانَةٌ بالأنبياءِ، وَطَلَبٌ للشَّفاعَة

قالَتِ الأنبياءُ يَوْمُ الوَسيلَةِ مَضى، كانَتِ الوَسيلَةُ هُناكَ وكانَتِ الأعْمالُ باليَدِ؛
أنتَ طائرٌ بلا وَقْتٍ أيْ سَيِّئَ الحَظِّ اذْهَبْ، قُمْ بِتَرْكِنا لا تكُنْ داخِلاً في دِمائنا؛
فَأَدارَ الوَجْهَ إلى جِهَةِ اليَدِ اليُسْرى، إلى الأهْلِ وَالأَقْرِباءِ فقالوا لَهُ تَباراً؛
هيَّا أعْطِ الجَوابَ عَنْ نَفْسِكَ لِلْفَعّال، نَحْنُ مَنْ نكونُ أيْ سَيِّدُ ارْفَعِ اليَدَ عنَّا؛
لا وَسيلَةَ مِنْ هذِهِ الجِهَةِ أوْ تِلْكَ، رُوحُ مِسْكينِ القَلْبِ ذاكَ صارَتْ مِئَةَ قِطْعَةٍ؛
يائساً مِنَ الجَميعِ صارَ مسْكيناً السَّيِّد، فَرَفَعَ يَدَيْهِ كِلْتَيْهِما في الدُّعاء؛
أنْ قَدْ صِرْتُ يائساً مِنَ الجَميعِ أيْ الله، أنتَ الأوَّلُ والآخِرُ وَأَنْتَ المُنْتَهى؛
في الصَّلاةِ انْظُرْ إلى هذِهِ الإشاراتِ الجَميلَة، كَيْ تَعْلَمَ أنَّ هذا سَيَحْصَلُ يقيناً؛
فَأَخْرِجِ الطِّفْلَ مِنْ بَيْضَةِ الصَّلاة، ولا تُحَرِّكِ الرَّأْسَ كطائرٍ بلا تَعْظيمٍ وَلَحْن؛

سَماعُ الدَّقُوقِيّ وَسَطَ الصَّلاةِ صُراخَ الاِسْتِغاثَةِ مِنْ تِلْكَ السَّفِيْنَةِ الَّتي كانَتْ على وَشَكِ الغَرَق

قامَ الدَّقوقِيُّ في الإمامَةِ كالإمامِ العامِلِ، وَدَخَلَ في الصَّلاةِ على ذلِكَ السَّاحِلِ؛
مِنْ خَلْفِهِ تِلْكَ الجَماعَةُ في القِيام، يا لَهُ مِنْ إمامٍ كريمٍ ويا لَهُمْ مِنْ قَوْمٍ كِرامٍ؛
فَجْأَةً عَيْنُهُ ذَهَبَتْ إلى جِهَةَ البَحْرِ، سَمِعَ مِنْ جِهَةِ البَحْرِ صَوْتَ صُراخ؛
رأى سَفينَةً في وَسَطَ الأمواجِ، في القَضاءِ وَفي البلاءِ وفي الهَول؛
لَيْلٌ وَسَحابٌ وَمَوْجٌ عَظيمٌ، ظُلُماتٌ ثَلاثٌ، وَرُعْبُ بَحْرٍ لُجِّيٍّ؛
ورِيحٌ إعْصارٌ نَهَضَتْ كَعْزرائيل، والأمواجُ هائجَةٌ عَنْ يَمينٍ وَعَنْ يَسار؛
أَهْلُ السَّفينَةِ مِنَ المَهابَةِ تَداعَوا، تَرْتَفِعُ مِنْهُم صَرَخاتُ واوَيلاهُ؛

يَضْرِبونَ في نَوْحِ اليَدَ على الرَّأْس، مِنْ كافِرٍ ومُلْحِدٍ صارَ الكُلُّ مُخْلِصين؛
مَعَ اللهِ بِمِئَةِ تَضَرُّعٍ ذلِكَ الزَّمان، عاهَدوا العُهُودَ بالرُّوحِ وَنَذَروا النُّذُورَ؛
الرُّؤوسُ عارِيَةٌ سَجَدوا وَلَمْ يَكُونوا، قَبْلُ وَجَّهوا الوَجْهَ لِلْقِبْلَةِ مِنَ الاِعْوِجاج؛
كانوا يَقُولُونَ تِلْكَ العُبودِيَّةُ بلا فائِدَةٍ، ذلِكَ الزَّمانَ رَأَوا في تِلْكَ مِئَةَ حياة؛
لَقَدْ قَطَعُوا الأَمَلَ تَماماً مِنَ الجَميعِ، مِنْ أَصْدِقاءٍ وَخالٍ وَعَمٍّ وَأَبٍ وَأُمّ؛
الزَّاهِدُ والفاسِقُ تِلْكَ اللَّحْظَةَ كُلٌّ مُتَّقٍ، مِثْلَما يكونُ عِنْدَ نَزْعِ الرُّوْحِ الشَّقِي؛
لا مِنْ يَسارِهِمْ وَسيلَةٌ ولا مِنَ يَمين، إذا ماتَتِ الحَيَلُ فالوَقْتُ وَقْتُ دُعاء؛
وَهُمْ في الدُّعاءِ وفي الضَّراعَةِ والآه، صارَ على الفَلَكِ مِنْهُمُ دُخانٌ أَسْوَد؛
الشَّيْطانُ تِلْكَ اللَّحْظَةَ مِنَ العَداوَةِ بَيْنَ بَيْن، صَرَخَ بِهِمْ أيْ عَبَدَةَ الكَلْبِ عِلَّتَيْن؛
المَوتُ والبَلاءُ يا أَهْلَ الإنكارِ والنِّفاق، كائنانِ لَكُم في العاقِبَةِ هذا اتِّفاق؛
عُيونُكُمْ تَصيرُ رَطْبَةً مِنْ بَعْدِ الخلاص، وتَصيرونَ مِنْ أَجْلِ الشَّهْوَةِ شياطين؛
ولا تَذْكُرُونَ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ يَوماً في خَطَر، وأَنَّ اللهَ قَدْ أَخَذَ بأيديكُمْ مِنْ قَدَر؛
هذا النِّداءُ كانَ يَأتي مِنَ الشَّيْطانِ لَكِنْ، هذا الكلامَ لَمْ تَسْمَعْهُ غَيْرُ أُذُنِ خَيْر؛
لَقَدْ أَخْبَرَنا صِدْقاً المُصْطفى، القُطْبُ ومَلِكُ المُلوكِ وَبَحْرُ الصَّفا؛
أنَّ ما رآهُ الجاهِلُ في العاقِبَة، رآهُ العاقِلونَ مِنْ أَوَّلِ مَرْتَبَة؛
رَغْمَ أنَّ الأعْمالَ بِدايَةً غَيْبٌ وَسِرّ، العاقِلُ رآها أَوَّلاً ورآها آخِراً المُصِرّ؛
أَوَّلُها يكونُ مَسْتوراً وآخِرُ ذاكَ، العاقِلُ والجاهِلُ رَأَياهُ عياناً؛
إذا كُنْتَ لَمْ تَرَ واقِعَةَ الغَيْبِ أي عَنود، فمتى يَجْرِفُ السَّيْلُ الجارِفُ حَزْمَكَ؛
ماذا كانَ الحَزْمُ سُوءُ الظَّنِّ بالدُّنيا، يَرى البلاءَ مِنْها فَجْأَةً لَحْظَةً بِلَحْظَة؛

تصَوُّراتِ الرَّجُلِ الحازِم

ذاكَ كَما لَوْ أَنَّ أَسَداً وَصلَ فَجْأَةً، اخْتَطَفَ رَجُلاً وَراحَ يَجُرُّهُ إلى الغابَة؛
انْظُرْ بِمَ كانَ يُفَكِّرُ وَهُوَ يُسْحَبُ، وفكِّرْ على شاكِلَتِهِ أيْ أُستاذَ الدِّين؛
أَسَدُ القَضاءِ قائمٌ بِجَرِّنا للآجام، وأرواحُنا مَشْغُولَةٌ بالأعْمالِ والمِهَن؛
هكذا كما خَوفاً مِنَ الفَقْرِ الخَلْق، ذَهَبوا تَحْتَ ماءٍ مالِحٍ إلى الحَلْق؛
لَو أنَّهُمْ خافُوا مِنْ ذلِكَ الفَقْرِ مَرْحى، لَصارَتِ الكُنوزُ في الأَرْضِ كَشْفاً لَهُم؛
هُمْ مِنَ الخَوْفِ مِنَ الغَمِّ في عَيْنِ الغَمّ، هُمْ في طَلَبِ الوُجودِ سَقَطوا في العَدَم؛

دُعاءُ وَشَفاعَةُ الدَّقُوقِيّ في خلاصِ السَّفينَة

عِنْدَما رأى الدَّقُوقِيَّ تِلْكَ القِيامَةَ، جاشَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةُ وَجَرت دُموعُهُ؛
قالَ يا رَبِّ لا تَنْظُرْ في أفْعالِهِم، أنْقِذْهُمْ أيْ مَلِكاً حَسَنَ الإشارَة؛
رُدَّهُمْ مَسرورينَ سالِمينَ للسَّاحِلِ، أنْتَ يَدُكَ واصِلَةٌ في البَحْرِ والبَرّ؛
أي كَريماً وأيْ رَحيماً سَرْمَدِيّاً، اِغْفِرْ لِهذِهِ الكِلابِ السَّيِّئَةِ هذا الذَّنْب؛
أيْ مَنْ أعْطَيْتَ مِئَةَ عَيْنٍ وأُذُنٍ بلا عِوَضٍ، بلا رَشْوَةٍ وَهَبْتَ العَقْلَ والوَعْي؛
مِنْ قَبْلِ الاِسْتِحْقاقِ أعْطَيْتَ العَطاء، وَرَأَيْتَ مِنَّا جَميعاً الكُفْرانَ والخَطَأ؛
أيْ عَظيمُ عَنْ ذُنوبِنا العَظيمَةِ، أنْتَ قادِرٌ على العَفْوِ في الحَريم؛
نَحْنُ أحْرَقْنا النَّفْس مِنْ طَمَعٍ وحِرْصٍ، وهذا الدُّعاءَ أيضاً تَعَلَّمْناهُ مِنْكَ؛
بِحُرْمَةِ أنَّكَ قَدْ عَلَّمْتَنا الدُّعاء، بِهكذا ظُلْمَةٍ أَشْعَلْتَ لنا السِّراج؛
كانَ يَجْري على لَفْظِهِ الدُّعاء، هكذا آنَذاكَ كالأُمِّ ذاتِ الوَفاء؛
الدَّمْعُ يَجْري مِنْ كِلْتا عَيْنَيْهِ وذلِكَ الدُّعاء، يَرْتَفِعُ بلا وَعْيٍ مِنْهُ إلى السَّماء؛
إنَّ دُعاءَ الفاني عَنِ النَّفْسِ شَيْءٌ آخَرٌ، ذاكَ الدُّعاءُ لَيْسَ مِنْهُ إنَّهُ قَوْلُ الحاكِم؛

فَنِيَ الدَّاعي وذاكَ الدُّعاءُ يَقولُهُ الحَقُّ، ذاكَ الدُّعاءُ وَتِلْكَ الإجابَةُ مِنَ الله؛
واسِطَةُ المَخْلُوقِ لَيْسَتْ في الوَسَط، والجِسْمُ والرُّوح جاهِلانِ بِذلِكَ التَّضَرُّعِ؛
إنَّ عَبيدَ الحَقِّ رُحَماءُ حُلَماء، لَهُمْ عادَةُ الحَقِّ في إصلاحِ العَمَل؛
راحِمونَ لا يَرْتَشونَ مُعينونَ أشِدَّاء، في المَقامِ العَسيرِ وفي اليَومِ الشَّديد؛
ألا فابْحَثْ عَنْ هَؤلاءِ القَوْمِ أيْ ذا البلاء، ألا فاعْتَبِرْهُمْ غَنيمَةً قَبْلَ البلاء؛
ذلِكَ البَطَلُ خَلَّصَ السَّفينَةَ مِنَ الشِّباكِ ، وَظَنَّ أَهْلُ السَّفينَةِ أنَّ ذاكَ بِجُهْدِهِم؛
أنْ رُبَّما كانَتْ سَواعِدُهُمْ مِنَ الحَذَر، أَطْلَقَتْ مِنَ الفَنِّ سَهْماً أصابَ الهَدَف؛
القَدَمُ أنْجَتِ الثَّعالِبَ مِنْ أنْ تُصادَ، والثَّعالِبُ المَغْرورَةُ ظَنَّتْ ذلِكَ مِنَ الذَّيْل؛
هيَ عاشِقَةٌ للذَّيْلِ ومِنْ العِشْقِ قالَتْ، هذا هُوَ الَّذي أنْقَذَ رُوحَنا في الكمين؛
ثَعْلَبُ احْمِ القَدَمَ مِنَ الحِجارَةِ، مِنْ دونِ قَدَمٍ ما نَفْعُ الذَّيْلِ أيْ عَديمَ الحياء؛
نَحْنُ مِثْلَ الثَّعالِبِ وَقَدَمُنا أيْ كِرام، تُنْجينا مِنْ مِئَةِ نَوْعٍ مِنَ الاِنْتِقام؛
حِيَلَتُنا النَّحيلَةُ لَنا كأنَّها الذَّيْل، رُحْنا عاشِقينَ للذَّيْلِ عَنْ شِمالٍ ويمين؛
قُمْنا بِتَحريكِ الذَّيْلِ مِنَ الاِسْتِدلالِ والمَكْر، حتَّى يَظَلَّ حائراً مِنَّا زَيْدٌ وَبَكْر؛
صِرْنا طالِبينَ لِحَيْرَةِ وإعْجابِ الخَلْقِ، وَمَدَدْنا يَدَ الطَّمَعِ إلى الأُلوهِيَّة؛
حتَّى نَصيْرَ مالِكينَ للقُلوبِ عَنْ خِدْعَةٍ، ولا نرى هذا لأنَّنا واقِعُونَ في حُفْرَة؛
أنتَ في حُفْرَةٍ وبِئْرٍ أيْ مُخادِعُ، فارْفَعِ اليَدَ عَنْ شَوارِبِ الآخَرين؛
إذا وَصَلْتَ إلى بُسْتانٍ عَذْبٍ جَميلٍ، آنَذاكَ خُذْ بِثِيابِ الخَلْقِ وَشُدَّهُم واجذبْهُم؛
أمُقيمَ حَبْسِ الأرْبَعَةِ والخَمْسِ والسِّتّ، اِسْحَبِ الآخَرينَ أيضاً إلى مكانٍ بَديع؛
أي أنتَ كخادِمِ الحِمارِ أنْتَ رَفيقُ الحِمارِ، وَجَدْتَ مَحَلاً للقُبَلِ خُذنا مِعَك؛
ما دامَ لَمْ يُعْطِكَ الحَبيبُ قُدْرَةَ العُبودِيَّةِ، مِنْ أيْنَ انْبَعَثَ فيكَ المَيْلُ للسُّلْطان؛
مَحَبَّةً في أنْ يُقالَ لَكَ مَرْحى، رَبَطْتَ وَتَراً في عُنُقِ روحِك؛
أي ثَعْلَبُ اتْرُكْ حِيْلَةَ الذَّيْلِ هذِه، اجْعَلْ قَلْبَكَ وَقْفاً على أربابِ القُلوب؛

في حِمى الأسَدِ لا يَقلُّ الكَباب، أي ثَعْلَبُ نَحْوَ الجِيْفَةِ لا تُسْرِعْ كَثيراً؛
آنَذاكَ أي قَلْبُ تَصيرُ مَنْظُورَ الحَقّ، إذْ تَذْهَبُ كالجُزْءِ نَحْوَ كُلِّ نَفْسِك؛
الحَقُّ ظَلَّ قائلاً نَظَرُنا إلى القَلْب، لا إلى الصُّورَةِ الَّتي هِيَ ماءٌ وَطين؛
وأنتَ تَظَلُّ تَقولُ أنا أيضاً لي قَلْبٌ، القَلْبُ يكونُ فَوْقَ العَرْشِ لا في الأسْفَلين؛
إنَّ في الوَحْلِ الكَدِرِ لَماءً يقيناً، لكِنْ لا يليقُ أنْ تَتَّخِذَ ذلِكَ الماءَ ماءَ وُضوء؛
ذاكَ لأنَّهُ إذا كانَ الماءُ مَغْلوباً للطِّيْن، لا تَقُلْ عَنْ قَلْبِكَ أنْ هذا قَلْبٌ أيضاً؛
ذلِكَ القَلْبُ الَّذي هُوَ مِنَ السَّماواتِ أعْلى، هُوَ قَلْبُ الأبْدالِ أو قَلْبُ الرَّسول؛
ذاكَ صارَ طاهِراً وَمِنَ الطِّيْنِ صافِياً، وَصارَ داخِلاً في الزِّيادَةَ وَصارَ وافِياً؛
قامَ بِتَرْكِ الطِّيْنِ وَصارَ إلى البَحْر، وتَحَرَّرَ مِنْ سِجْنِ الطِّيْنِ وَصارَ بَحْرِيَّاً؛
ألا إنَّ ماءَنا ظَلَّ مَحبوساً للطِّيْنِ، أيا بَحْرَ الرَّحْمَةِ مِنَ الطِّينِ اجْذِبنا؛
قالَ البَحْرُ أنا أجْذِبُكَ إلى نَفْسي، لكِنَّكَ مَغْرورٌ تَقولُ أنا ماءٌ عَذْبٌ؛
غُرورُكَ يُبقي عَلَيْكَ مَحروماً، قُمْ بِتَرْكِ هذا الخَيالِ وادْخُلْ إليَّ؛
أرادَ ماءُ الطِّينِ أنْ يَذْهَبَ إلى البَحْر، فأمْسَكَ الطِّيْنُ بِقَدَمِ الماءِ وَسَحَبَه؛
فإنْ حَرَّرَ الماءُ قَدَمَهُ مِنْ يَدِ الطِّيْن، بَقِيَ الطِّينُ يابِساً وَصارَ هُوَ مُسْتَقِلاًّ؛
ما هُوَ سَحْبُ الطِّيْنِ للماءِ ذاكَ، إنَّهُ جَذْبُكَ الفواكِهَ المُجَفَّفَةَ والشَّرابَ الصَّافي؛
ومِثْلُ ذلِكَ كُلُّ شَهْوَةٍ في الدُّنيا، أكانَتِ المالَ أمْ كانَتِ العَيْشَ أمْ كانَتِ الطَّعام؛
كُلُّ واحِدَةٍ مِنْها تَجْعَلُكَ سَكْراناً، وحينَ لا تَجِدُ ذاكَ يَضْرِبُكَ الخُمار؛
صارَ خُمارُ الغَمّ هذا دَليلَ ذاكَ، أنَّكَ كُنْتَ سَكْراناً بِذلِكَ المَفقود؛
فلا تَأْخُذْ مِنْ هذا إلاَّ بِقَدْرِ الضَّرورَة، كَيْلا يَصيرَ غالِباً وَيَصيرَ أميراً عَلَيْكَ؛
وَلَقَدْ اعْتَرَضْتَ أنْ أنا صاحِبُ قَلْبٍ، ولا حاجَةَ بي للغَيْرِ وأنا واصِل؛
كذلِكَ الاِعْتِراضِ مِنَ الماءِ في الطِّيْن، أنْ أنا ماءٌ لِماذا أبْحَثُ عَنِ المَدَد؛
ظَنَنْتَ أنَّ قَلْبَكَ هُوَ هذا المُلوَّث، لا جَرَمَ قَدْ رَفَعْتَ قَلْبَكَ مِنْ أَهْلِ القُلوب؛

ذاكَ القَلْبُ أتُجيزُ أنْ يكونَ هذا القَلْبَ، وَقَدْ كانَ قَلْباً عاشِقاً للَّبَنِ والعَسَل؛
لُطْفُ اللَّبَنِ والعَسَلِ عَكْسٌ لِلقَلْب، كُلُّ عَذْبٍ عُذُوبَتُهُ حَصَلَتْ مِنَ القَلْب؛
إذَنْ فالقَلْبُ جَوْهَرٌ والعالَمُ عَرَضٌ، ظِلُّ القَلْبِ حَيْثُما كانَ فَهُوَ للقَلْب غَرَض؛
ذاكَ قَلْبٌ كانَ عاشِقاً للمالِ والجاه، أو خاضِعاً لِهذا الطِّينِ والماءِ الأسْوَد؛
أو كانَ ذا خَيالاتٍ ويَعْبُدُ الخيالات، مِنْ أجْلِ القالِ والقيلِ وكانَ في الظُّلُمات؛
القَلْبُ لَيْسَ إلاَّ ذلِكَ البَحْرَ مِنَ النُّور، القَلْبُ مَوْقَعُ نَظَرِ اللهِ أذلِكَ يَعْمى؛
مِنْ مِئاتِ الأُلوفِ مِنْ خاصٍّ وعامّ، ذلِكَ القَلْبُ يَكونُ في واحِدٍ أيُّهُمْ ذاكَ أيُّهُم؛
أُتْرُكْ فُتاتَ القَلْبِ وابْحَثْ عَنِ القَلْب، حتَّى يَصيرَ ذاكَ الفُتاتُ مِنْهُ مِثْلَ جَبَلٍ؛
القَلْبُ مُحيطٌ في خِطَّةِ الوجودِ، لا زالَ يَنْثُرُ الذَّهَبَ مِنَ الإحسانِ والجود؛
يَنْثُرُ السَّلامَ مِنْ سلامِ الحَقِّ، يَفْعَلُ ذلِكَ مِنْ أجْلِ عالَمِ الإخْتيار؛
كُلُّ مَنْ كانَ مُعِدّاً وطاهِرَ الثَّوب، ذاكَ شَخْصٌ يَصِلُ إلَيْهِ نِثارُ القَلْب؛
ثَوبُكَ ذاكَ الإفْتِقارُ والحُضور، انْتَبِهْ لا تَضَعْ في ثَوبِكَ حِجارَ الفُجور؛
كي لا يَتَمَزَّقَ ثَوبُكَ مِنْ تِلْكَ الحِجار، لِتَعْلَمَ النَّقْدَ الصَّحيحَ مِنَ الألوانِ الكاذِبَة؛
مَلأْتَ ثَوْبَكَ بالحِجارةِ مِنَ الدُّنيا، ومِنْ حِجارَةِ الفِضَّةِ والذَّهَبِ كالأولاد؛
مِنْ خَيالِ الفِضَّةِ والذَّهَبِ ولَمْ يَكُنْ ذاكَ ذَهَباً، ثَوْبُ صِدْقِكَ تَمَزَّقَ وغَمُّكَ زادَ؛
متى تَظْهَرُ الحِجارَةُ حِجارَةً للأولاد، إذا لَمْ يُمْسِكِ العَقْلُ بِثَوْبِهِمْ بِيَدِه؛
شَيْخُ العَقْلِ جاءَ ليسَ ذاكَ الأبْيَضُ الشَّعْر،الشَّعْرُ لا يَحْوي فيهِ البَخْتَ والأمَل؛

إنكارُ تِلْكَ الجَماعَةِ لِدُعاءِ وَشَفاعَةِ الدَّقُوقِيِّ، وانْسِحابُهُمْ واحْتِجابُهُمْ في حِجابِ الغَيْب، وَتَحَيُّرُ الدَّقُوقِيّ أَذَهَبوا في الـهَواءِ أمْ على الأرْض

لَمَّا نَجَتْ تِلْكَ السَّفينَةُ وَأَتَتْ بالمُراد، كانَتْ صلاةُ تِلْكَ الجَماعَةِ بَلَغَتِ التَّمام؛
وَقَعَ الجِدالُ بَيْنَهُمْ بالهَمْسِ، أنْ هذا الفُضولي مَنْ يكونُ بالنِّسْبَةِ لنا أيْ أب؛
كُلُّ واحِدٍ راحَ يَتَحَدَّثُ إلى آخَرَ بالسِّرّ، مُسْتَتِراً مِنْ وراءِ ظَهْرِ الدَّقوقِيّ؛
كُلُّ واحِدٍ قالَ أنا لَمْ أدْعُ الآنَ، بِهذا الدُّعاءِ لا مِنَ الظَّاهِرِ ولا في الباطِن؛
قالَ واحِدٌ كأنَّما إمامُنا هذا مِنَ الألَم، قامَ بالدُّعاءِ والمُناجاةِ مِنَ الفُضول؛
قالَ ذاكَ الآخَرُ أيْ رَفيقُ يَقيناً، إنَّ الأمْرَ يَظْهَرُ لي هكذا تَماماً؛
إنَّهُ كانَ فُضولِيَّاً وَمِنَ الإنْقِباض، قامَ على المُخْتارِ المُطْلَقِ بالإِعْتراض؛
عِنْدَما نَظَرْتُ أنا الدَّقُوقِيُ بَعْدَ ذلِكَ لأرى، ما الَّذي يَقولُ أهْلُ الكَرَمِ أولئكَ؛
لَمْ أَرَ أيَّ واحِدٍ مِنْهُمْ في المَقام، ذَهَبوا جَميعاً مِنَ المقامِ على التَّمام؛
ما وَقَعَ نَظَري الحادُّ على القَوم، لا عَنْ يَسارٍ ولا يَمينٍ ولا أعْلى ولا أسْفَل؛
كانوا كَأَنَّهُمْ الدُّرَرُ وصاروا كأنَّهُمُ الماء، لا أَثَرَ لِقَدَمٍ ولا غُبارَ في الصَّحْراء؛
صاروا إلى قِبابِ الحَقِّ ذَهَبَ الجَميع،إلى أيِّ رَوْضَةٍ تُرى ذَهَبَ ذلِكَ القَطيع؛
بَقيْتُ في التَّحَيُّرِ أنْ هؤلاءِ القَومُ، كَيْفَ غَطَّاهُمُ الحَقُّ عَنْ عُيونِنا؛
صاروا مُخْتَفينَ هكذا عَنْ عَيْنِهِ، كما غاصَتِ الأسماكِ في ماءِ النَّهْر؛
وَظَلَّ سِنينَ في الحَسْرَةِ عَلَيْهِمْ، وَأرْسَلَ الدَّمْعَ الأعْمارَ شَوقاً إلَيْهِمْ؛
أنتَ قُلْتَ رَجُلُ الحَقِّ تَحْتَ النَّظَر، كَيْفَ أتى مَعَ اللهِ بِذِكْرِ البَشَر؛
الحِمارُ مِنْ هُنا نامَ أيْ فُلان، أنْتَ رَأَيْتَ مِنْهُمُ البَشَرِيَّةَ وَلَمْ تَرَ الرُّوح؛
مِنْ هُنا خَرُبَ الأمْرُ أيُّها الرَّجُلُ الخام، لأنَّكَ رَأَيْتَ هؤلاءِ بَشَراً مِثْلَ العَوام؛

أنتَ نَظَرْتَ مِثْلَما نَظَرَ إبليسُ اللَّعين، قالَ أنا مِنَ النَّارِ وآدَمُ مِنَ الطِّيْن؛
أَغْلِقِ عَيْنَ إبليسَ لَحْظَةً واحِدَةً، إلامَ تنظُرُ للصُّورَةِ، إلامَ، إلامَ؛
أي دَقوقِيُّ بِكِلْتا عَيْنَيْكَ كَجَدْوَلَيْن، ابْحَثْ عَنْهُم ولا تَقْطَعِ الأمَلَ مِنْهُم؛
ألا كُنْ باحِثاً فَرُكْنَ الدَّوْلَةِ البَحْث، كُلُّ بَسْطٍ في القَلْبِ كائنٌ في القَبْض؛
قُلْ مُتَخَلِّصاً مِنْ كُلِّ أعْمالِ الدُّنيا، أيْنَ أيْنَ بالرُّوحِ مِثْلَ الفاخِتَة؛
أُنْظُرِ النَّظَرَ الحَسَنَ في هذا أيْ مُحْتَجِب، فَقَدْ رَبَطَ الحَقُّ الدُّعاءَ *بأَسْتَجِبْ*؛
كُلُّ مَنْ صارَ قَلْبُهُ طاهِراً مِنَ الإعْتِلال، دُعاؤهُ ذاكَ يَذْهَبُ حَتَّى *ذي الجلال*؛

عَوْدَةٌ إلى شَرْحِ حِكايَةِ ذلِكَ الطَّالِبِ للرِّزْقِ الحلالِ بلا كَسْبٍ ولا عَناءٍ في عَهْدِ داؤودَ عَلَيْهِ السَّلامُ واستِجابَةُ دُعائه

تَذَكَّرْتُ تِلْكَ الحِكايَةَ وأنَّ ذاكَ الفَقير، كانَ في العَويلِ والنَّحيبِ اللَّيْلَ والنَّهار؛
كانَ يَطْلُبُ مِنَ اللهِ الرِّزْقَ الحَلال، بلا سَعْيٍ ولا أَلَمٍ وَلا كَسْبٍ ولا انتِقال؛
مِنْ قَبْلِ هذا كُنَّا ذَكَرْنا بَعْضَ حالِهِ، لكِنَّ التَّعْويقَ جاءَ وَصارَ خَمْسَةَ أضْعاف؛
سَأُكْمِلُها أيضاً وأيْنَ لها المَهْرَبُ، بِما أنَّ الحِكْمَةَ مِنْ غَيْمِ فَضْلِ الحَقّ تَنْهَمِرُ؛
صاحِبُ الثَّورِ جاءَ ظاهِراً وَقالَ أيْ أنت، أيْ مَنْ صارَ ثَوري رَهينَةَ ظُلْمِكَ؛
اِنْتَبِهْ قُلْ لِماذا ذَبَحْتَ ثَورِي، جِئْ بالإنْصافِ أيُّها الأبْلَهُ الطَّرَّار؛
قالَ أنا كُنْتُ أطْلُبُ قُوْتِي مِنَ الحَقّ، لَقَدْ زَيَّنْتُ القِبْلَةَ بالدُّعاءِ مِنْ ضَراعَتي؛
ذاكَ دُعائي القَديمَ صارَ مُسْتَجاباً، كانَ لي عَطاءً وَذَبَحْتُهُ هاكَ الجَواب؛
صاحِبُ الثَّورِ مِنْ غَضَبٍ أمْسَكَ بِرَقَبَتِه، ووَجَّهَ بِضْعَ لَكَماتٍ لِوَجْهِهِ بِقَبْضَتِه؛

ذهابُ كِلا الخَصْمَيْنِ إلى عِنْدِ داؤودَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلام

وأخَذَ يَجُرُّهُ إلى داؤودَ النَّبِيّ، أنْ تَعالَ أيْ ظالِمُ أيْ مُنْحَرِفُ أيْ غَبِيّ؛
أُتْرُكِ الحجَّةَ والرَّدَّ أيُّها المكَّار، أعِدِ العَقْلَ إلى جِسْمِكَ وتَعالَ مَعَ نَفْسِك؛
أيُّ دُعاءٍ هذا ماذا تَقولُ لا تَسْتَهْزِئْ، بِرَأْسي ولِحْيَتي وَبِنَفْسِكَ أيُّها المُسْتَهْزِئْ؛
قالَ أنا قُمْتُ بالدُّعاءِ إلى الحَقّ، وكَمْ تَجَرَّعْتُ في هذا الأمْرِ مِنَ العَذاب؛
أنا على يَقينٍ أنَّهُ دُعائيَ اسْتَجاب، اضْرِبِ الرَّأْسَ بالحَجَرِ يا مُنْكِرَ الخِطاب؛
قالَ أقْبِلوا واجتَمِعوا جَميعاً يا مُسْلِمين، انْظُروا إلى زُورِ وَجَوْرِ هذا المَهين؛
أَيَجْعَلُ مالي بالدُّعاء مالاً لَهُ، أيُّها المُسْلِمونَ مِنْ أجْلِ الله؛
لو كانَ الأمْرُ هكذا كانَ كُلُّ واحِدٍ في الدُّنيا، يَأْخُذُ الأملاكَ حِقْداً بِدُعاءٍ واحِدٍ؛
لو كانَ الأمْرُ هكذا كانَ المُتَسَوِّلُونَ العُميُ، صاروا أغْنياءَ وصاروا أُمَراء؛
يُمضونَ اللَّيْلَ والنَّهارَ في الدُّعاءِ والثَّناء، يَتَضَرَّعُونَ أعْطِنا الدِّينارَ أيْ اَللهُ؛
إنْ لَمْ تُعْطِ لا شَخْصَ يُعْطِيْ يقيناً، افْتَحْ لَنا هذا الأمْرَ المُغْلَقَ أيْ فَتَّاحُ؛
مَكْسَبُ العُمْيانِ مِنْ ضَراعَةٍ ودُعاء، ولا يَجِدُونَ غَيْرَ لُقْمَةِ الخُبْزِ مِنْ عَطاء؛
الخَلْقُ قالوا هذا المُسْلِمُ يَقولُ الحَقَّ، وبائِعُ الأدْعِيَةِ هذا يَبْحَثُ عَنِ الظُّلْم؛
مَتى كانَ الدُّعاءُ مِنْ أسبابِ المُلْك، ومتى كانَ هذا ضِمْنَ سِلْكِ الشَّريعَة؛
البَيْعُ أو الهِبَةُ أو الوَصِيَّةُ أو العَطاء، أو ما يكونُ مِنْ جِنْسٍ هذا لَكَ مُلْك؛
في أيِّ دَفْتَرٍ يكونُ هذا الشَّرْعُ الجَديد، فَلْتَرُدَّ الثَّوْرَ أو فَاذْهَبْ إلى الحَبْس؛
وَجَّهَ الوَجْهَ إلى جِهَةِ السَّماء، أنْ غَيْرَكَ لا يَعْرِفُ واقِعَتَنا أَحَد؛
أنتَ أَلْقَيْتَ ذاكَ الدُّعاءَ في قَلْبي، أَنْتَ أَشْعَلْتَ داخِلَ قَلْبي مِئاتِ الآمال؛
أنا لَمْ أَكُنْ أدعو بِذاكَ الدُّعاءِ جُزافاً، أنا مِثْلَ يُوسُفَ قَدْ رَأَيْتُ الرُّؤى؛
لَقَدْ رأى يُوسُفُ الكَواكِبَ والشَّمْسَ، ساجِدَةً مِنْ أمامِهِ كَأَنَّها الخَدَم؛

فَكانَ لَهُ اعْتِمادٌ على الحُلُمِ الصَّادِقِ، وَلَمْ يَطْلُبْ غَيْرَ ذاكَ في الجُبِّ والسِّجْن؛
مِنَ الاِعْتِمادِ على ذاكَ لَمْ يَنَلْهُ غَمٌّ، مِنَ العُبودِيَّةِ والملامَةِ والقَليلِ والكثير؛
لَقَدْ كانَ لَهُ اعْتِمادٌ على منامِ نَفسِهِ، كانَ يُشْعِلُهُ مِنْ أمامِ نَفْسِهِ كأَنَّهُ الشَّمْع؛
عِنْدَما ألقَوا بِيُوسُفَ إلى الجُبّ، جاءَ إلى سَمْعِهِ الصَّوتُ مِنَ الإله؛
أنْ سَوفَ تَصيرُ مَلِكاً أيْ بَطَلُ يَوماً، حتَّى تَمْسَحَ في وُجوهِهِم هذا الجَفاءَ؛
قائِلُ هذا النِّداءِ لَمْ يَأْتِ في النَّظَر، لكِنَّ القَلْبَ عَلِمَ القائلَ مِنَ الأَثَر؛
وَقَعَتْ قُوَّةٌ وراحَةٌ واسْتِنادٌ، وَسَطَ الرُّوحِ مِنْ ذلِكَ النِّداء؛
صارَ لَهُ الجُبُّ مِنْ ذلِكَ النِّداءِ الجَليل، رَوْضَةً وَمَحْفَلاً مِثْلَ النَّارِ للخَليل؛
كُلُّ جفاءٍ كانَ يَصِلُ إلَيْه مِنْ بَعْدِ ذلِكَ، كانَ يَتَحَمَّلُهُ بِتِلْكَ القُوَّةِ وَهُوَ مَسْرور؛
مِثْلَما يكونُ ذَوقُ نِداءِ *أَلَسْتُ* ذاكَ، المَوجودُ في قَلْبِ كُلِّ مُؤمِنٍ إلى الحَشْر؛
كي لا يَكونَ لَهُمْ على البلاءِ اعْتِراض، ولا لَهُمْ مِنْ أمْرٍ وَنَهْيِ الحَقّ انقِباض؛
لُقْمَةَ الحِكْمَةِ الَّتي تُسَبِّبُ المَرارَةَ، يَجْعَلُها سائغَةً كَسُكَّرِ الوَرْد؛
آكِلُ سُكَّرِ الوَرْدِ مِنْ دُونِ مُسْتَنَدٍ، يقيءُ اللُّقْمَةَ مِنْهُ مِنَ الإنكار؛
كُلُّ مَنْ رَأى الرُّؤيا مِنْ يَوْمِ أَلَسْت، يَصيرُ سَكْرانَ في طَريقِ الطَّاعات؛
يَحْمِلُ هذا الحِمْل كالجَمَلِ السَّكْرانِ، بلا فُتورٍ بلا خَيالٍ بلا ملال؛
زَبَدُ تَصْديقِهِ مِنْ حَوْلِ فَمِهِ، صارَ شاهِداً على سُكْرِهِ وَمَحَبَّتِه؛
الجَمَلُ مِنَ القُوَّةِ صارَ تَحْتَ الحِمْلِ الثَّقيل، كأَنَّهُ الأَسَد وَلَمْ يَأْكُلْ سِوى القليل؛
عِنْدَهُ مِئَةُ فاقَةٍ مِنَ الشَّوقِ للنَّاقَة، يَظْهَرُ الجَبَلُ أمامَهُ كَخَيْطِ شَعْرَة؛
الَّذي لَمْ يَرَ *في أَلَسْتُ* مِثْلَ تِلْكَ الرُّؤيا، لَنْ يَصيرَ عَبْداً ومُريداً في هذِهِ الدُّنيا؛
ولَوْ صارَ كانَ مُتَرَدِّداً بِمِئَةِ قَلْب، شاكِراً في لَحْظَةٍ وَشاكِياً في سَنَة؛
قَدَمٌ للأمامِ وَقَدَمٌ للخَلْفِ في الدِّيْن، يَمْشي بِمِئَةِ تَرَدُّدٍ وبلا يَقين؛
أنا مَدينٌ بِشَرْحِ هذا شَرحاً جَميلاً، وإنْ كانَ بِكَ عَجَلَةٌ فاسْتَمِعْ مِنْ أَلَمْ نَشْرَحْ؛

بِما أنَّ هذا المَعْنى الثَّقيلَ لا يَمْلِكُ الشَّرْح، سُقِ الحِمارَ إلى جِهَةِ مُدَّعي الثَّور؛

قالَ عَدَّني أعْمىً مِنْ هذا الجُرْمِ ذاكَ الدَّغِلُ، كَمْ قياساً كقياسِ إبليسَ أي الله؛

مَتى قُمْتُ بالدُّعاءِ بِشَكْلٍ أعْمى، مَتى قُمْتُ بالاِسْتِجْداءِ إلاَّ مِنَ الخالِق؛

العُمْيانُ بِهِمْ طَمَعٌ مِنَ الخَلْقِ مِنَ الجَهْل، وطَمَعي مِنْكَ فَمِنْكَ كُلُّ صَعْبٍ سَهْل؛

ذاكَ الواحِدُ عَدَّني أَعْمىً مِنَ العُمْيان، إنَّهُ لَمْ يَرَ فاقَةَ روحي وإخلاصي؛

إنَّ هذا العَمى بي هُوَ عَمى العِشْقِ، إنَّهُ الحُبُّ يُعمي وَيُصِمُّ أيْ حَسَن؛

أعْمىً عَنْ غَيْرِ اللهِ ناظِرٌ إلى الله، أَلا يكونُ هذا مُقْتَضى العِشْقِ قُلْ؛

أنتَ الَّذي تَرى لا تَعْتَبِرْني مِنَ العُمْيان، أنا دائرٌ حَوْلَ دائِرَةِ لُطْفِكَ أيْ مَدار؛

هكذا مِثْلَما لِيُوسُفَ الصِّدِّيق، أَرَيْتَ الرُّؤيا وصارَتْ لَهُ مُتَّكَأً؛

أظْهِرْ لُطْفَكَ لي أيضاً في الرُّؤيا، ذاكَ الدُّعاءُ بلا حَدٍّ مِنّي لَمْ يَكُنْ لَعِباً؛

فإنَّ الخَلْقَ لا يَعْرِفونَ أسراري، وَيَرَوْنَ حَديثي حَديثاً بلا مَعْنى؛

مَعَهُمُ الحَقُّ مَنْ يَعْلَمُ سِرَّ الغَيْب، غَيْرَ علاَّمِ السِّرِّ وَسَتَّارِ العَيْب؛

قالَ الخَصْمُ تَوَجَّهْ إلَيَّ قُلِ الحَقَّ، لِماذا وَجَّهْتَ الوَجْهَ للسَّماءِ أيْ عَمّ؛

تَجيءُ بالوَلَهِ تَرْمي بالخَطَأ، تَدَّعي دَعْوى العِشْقِ وَتَدَّعي دَعْوى القُرْبَة؛

بِأيِّ وَجْهٍ كَمِثْلِ قَلْبِكَ المَيّتِ، قُمْتَ بِتَوجيهِ الوَجْهِ نَحْوَ السَّماوات؛

وَقَعَتْ ضَجَّةٌ في المَدينَةِ مِنْ هذا، وذاكَ المُسْلِمُ طَأطَأَ الوَجْهَ إلى الأرْض؛

أنْ أيْ اللهُ لا تَجْعَلْ هذا العَبْدَ مَفْضوحاً، وإنْ كُنْتُ سَيّئاً لا تُظْهِرْ سِرّي؛

أنتَ تَعْلَمُ أنّي كُنْتُ أَدعُوكَ، في اللَّيالي الطَّويلَةِ بِمِئةِ افتِقار؛

إذا كانَ هذا بِلا قَدْرٍ عِنْدَ الخَلْق، فَهُوَ عِنْدَكَ كَأَنَّهُ السِّراجُ المُضيء؛

سَماعُ داؤودَ عَلَيْهِ السَّلامُ حديثَ كلا الخَصْمَين وسؤالُهُ المُدَّعى عَلَيْه

عِنْدَما خَرَجَ داؤودُ النَّبِيُّ للخارِجِ، قالَ ماذا هُناكَ ما هذِهِ الأحوال؛
المُدَّعي قالَ أيْ نَبِيَّ اللهِ العَدْل، إنَّ ثوري قَدْ دَخَلَ إلى مَنْزِله؛
فَقَتَلَ ثَوري فَسَلْهُ لِماذا، قَتَلَ ثوري قُمْ ببيانِ ما جَرى؛
قالَ لَهُ داؤودُ قُلْ أي أبَا الكَرَم، كَيْفَ أتْلَفْتَ المُلْكَ المُحْتَرَم؛
لا تَقُلْ كلاماً مُشَتَّتاً جِئْ بالحُجَّة،حتَّى تَصيرَ هذهِ الدَّعوى والأمْرُ جِهَةً واحِدَة؛
قالَ أي داؤودُ أنا كُنْتُ سَبْعَ سِنينَ، في الدُّعاءِ وفي السُّؤالِ في اللَّيْلِ والنَّهار؛
طالِباً مِنَ اللهِ هذا أنْ أي الله، أنا أُريدُ المَعاشَ الحلالَ وبلا عَناء؛
الرِّجالُ والنِّساءُ واقِفونَ على شَكايَتي، الأولادُ أيضاً واصِفونَ لِحِكايَتي؛
أنتَ فاسْأَلْ مَنْ تَشاءُ عَنْ هذا الخَبَر، حَتَّى يُنْبِئَكَ عَنْهُ بلا إيذاءٍ ولا ضَرَر؛
واسْأَلْ علانِيَةً واسْأَلْ في السِّرِّ الخَلْق،عَمَّا يقولُ هذا الشَّحَّاذُ ذو الثَّوْبِ الخَلَق؛
مِنْ بَعْدِ هذا الدُّعاءِ جَميعاً وَهذهِ الآهات، رَأَيْتُ ثَوراً في مَنْزِلي دَخَلَ فَجْأَةً؛
أظْلَمَتْ عَيْني لا مِنْ أجْلِ القُوت، بَلْ سُروراً بِما كانَ مِنْ قَبولِ القُنوت؛
فَذَبَحْتُ ذاكَ الثَّوْرَ لأُؤدِّي شُكْرَ ذلِكَ، مِنْ أنَّ اللهَ عالِمَ الغَيْبِ قَدْ سَمِعَ دُعائي؛

حُكْمُ داؤود عَلَيْهِ السَّلامُ على قاتِلِ الثَّور

قالَ داؤودُ دَعْكَ مِنْ هذِهِ الأقاويل، تَكَلَّمْ في هذِهِ الدَّعْوى بحُجَّةٍ شرْعِيَّةٍ؛
أتَرى جائزاً أنَّني بلا حُجَّةٍ، أجْعَلُ في المَدينَةِ سُنَّةً باطِلَةً؛
أأعطاكَ هذا أشْتَرَيْتَ أأنْتَ وارِث، كَيْفَ أخَذْتَ هذا الرَّيْعَ أأنْتَ حارِث؛
الكَسْبُ مِثْلَ الزِّراعَةِ اعْلَمْهُ أي عَمّ، ما لَمْ تَزْرَعْهُ لَنْ يكونَ لَكَ مِنْهُ دَخْل؛

وذاكَ الَّذي زَرَعْتَ وَحَصَدْتَ لَكَ حَقّ، وإلاَّ فإنَّ هذا الظُّلْمَ واقِعٌ عَلَيْكَ بالحَقّ؛
اذْهَبْ ادْفَعْ مالَ المُسْلِمِ لا تُغلِطْ بالقَول،اِذْهَبْ واسْتَدِنْ وادْفَعْ لا تَطْلُبِ الباطِل؛
قالَ أيْ مَلِكُ إنَّ هذا الَّذي تَقولُهُ لي ، هُوَ عَينُ ما يَقولُهُ لي أصْحابُ الظُّلْم؛

تَضَرُّعُ ذلِكَ الشَّخْص مِنْ حُكْمِ داؤود عليهِ السّلام

قامَ بالسُّجودِ وَقالَ أيْ عالِماً بِحُرْقَتي، أَلْقِ في قَلْبِ داؤودَ ذلِكَ النُّور؛
أيْ مُفْضِلاً عَلَيَّ ألْقِ في قَلْبِهِ، ذاكَ الَّذي أَلْقَيْتَ في السِّرِّ في قلبي؛
قالَ هذا وَطَفِقَ بالبُكاءِ والنَّشيج، حتَّى أنَّ قَلْبَ داؤودَ خَرَجَ مِنْ مَوْضعِه؛
قالَ اسْمَعِ الآنَ أيُّها المُطالِبُ بالثَّور، أعْطِني مُهْلَةً لا تَرْفَعْ هَذِهِ الدَّعْوى الآن؛
حتَّى أذْهَبَ إلى جِهَةِ خَلْوَتي في الصَّلاة،وأسْأَلَ عَنْ هذِهِ الأحْوالِ عالِمَ السِّرّ؛
فإنَّ عِنْديَ في الصَّلاةِ طَبْعَ الإلْتِفات، إلى مَعْنى *قُرَّةُ عَيْني في الصَّلاة*؛
نافِذَةُ روحي مِنَ الصَّفاءِ مَفْتوحَةٌ، تَصِلُني رِسالَةُ اللهِ مِنْ غَيْرِ واسِطَة؛
الرِّسالَةُ والمَطَرُ والنُّورُ مِنْ نافِذَتي، تَنْزِلُ في مَنْزِلي مِنْ مَعْدَني؛
جَهَنَّمُ هِيَ ذاكَ المَنْزِلُ بلا نافِذَة، أصْلُ الدِّيْنِ أَيْ عَبْدُ فَتْحُ النَّافِذَة؛
أقِلَّ الضَّرْبَ بالفَأْسِ في كُلِّ أجَمَةٍ تَعال، واسْتَعْمِلِ الفَأْسَ في فَتْحِ النَّافِذَةِ هَيَّا؛
أوَلا تَعْلَمُ أنَّ نُورَ الشَّمْس، صُورَةُ الشَّمْسِ تَخْرُجُ مِنَ الحِجاب؛
النُّورُ الَّذي تَراهُ رآهُ الحَيوان، إذَنْ ما تَكونُ *كَرَّمْنا* بني آدَم؛
أنا مِثْلَ شَمْسٍ غارِقَةٍ وَسَطَ النُّور، أنا لا أعْرِفُ الفَرْقَ بَيْنَ نَفْسي وَبَيْنَ النُّور؛
ذهابي إلى الصَّلاةِ إلى ذاكَ الخلاء،هُوَ مِنْ أجْلِ التَّعْليمِ وَرَسْمِ الطَّريقِ للخَلْق؛
أسيرُ في الاِعْوِجاجِ لِكَي تَسْتَقيمَ الدُّنيا، الحَرْبُ والخِدْعَةُ كانا هذا أيُّها البَطَل؛
لَيْسَ هُناكَ دَسْتورٌ ولولا ذاكَ لَصَببْتَ، وجَعَلْتَ الغُبارَ يَرْتَفِعُ مِنْ بَحْرِ السِّرّ؛
هكذا كانَ يَتَحَدَّثُ داؤودُ على هذا النَّسَق،يُريدُ أنْ يَجْعَلَ عُقولَ الخَلْقِ تَحْتَرِق؛

فَجَذَبَهُ واحِدٌ مِنْ الثَّوبِ حَوْلَ عُنُقِهِ لِلْخَلْف، أنْ لَيْسَ عِنْدي شَكٌّ في وَحْدانِيَّتِه؛
فَعادَ إلى النَّفْسِ وَقَطَعَ الحَديث ، وَأَغْلَقَ الشَّفَةَ وَعَزَمَ على الخَلْوَة؛

ذهابُ داؤودَ للخَلْوَةِ لِيَصيرَ الحَقُّ في ذلِكَ ظاهِراً

ذَهَبَ آنَذاكَ مُسْرِعاً وَقَدْ أغْلَقَ الباب، إلى جِهَةِ المِحْرابِ والدُّعاءِ المُسْتَجاب؛
أبْدى لَهُ الحَقُّ ما أبْدى على التَّمام، وَصارَ واقِفاً على جَزاءِ الإِنْتِقام؛
وفي يَومٍ آخَرَ جاءَ الخُصومُ جُمْلَةً، إلى أمامِ داؤودَ النَّبِيِّ واصطَفُّوا صَفَّاً؛
وَجَرى مِثْلُ ما كانَ جَرى مِنْ قَبْل ، قامَ ذاكَ المُدَّعي سَريعاً بالتَّشْنيعِ الفَظيع؛

حُكْمُ داؤودَ على صاحِبِ الثَّوْرِ أنْ تَنازَلْ عَنْ حَقِّكَ بالثَّوْرِ وَتَشْنيعُ صاحِبِ الثَّوْرِ على داؤودَ عَلَيْهِ السَّلام

قالَ لَهُ داؤودُ اصْمتْ ودَعْ هذا واذْهَبْ، اجْعَلْ هذا المُسْلِمَ مِنْ ثَوْرِكَ في حِلّ؛
كما سَتَرَ اللهُ عَلَيْكَ يا أيُّها الشَّابّ، اِذْهَبْ واصمتْ واعْرِفْ حَقَّ السَّتَّار؛
قالَ واويلي أيُّ حُكْمٍ هذا وإنْصاف، أَتُريدُ أنْ تَشْرَعَ في أمري شَرْعاً جَديداً؛
صِيْتُ عَدْلِكَ سارَ مُنْتَشِراً هكذا حتَّى، صارَتِ مُعَطَّرَةً مِنْهُ الأرْضُ والسَّماء؛
على الكِلابِ العُمْيِ ما جَرى هذا الظُّلْم،مِنْ هذا التَّعَدّي تَفَتَّتَ الصَّخْرُ والجَبَلُ؛
يُطْلِقُ التَّشْنيعَ بِهذِهِ الشَّاكِلَةِ على المَلأ، يَصرُخُ أَقْبِلوا هذا أوانُ الظُّلْمِ أقْبِلوا؛

حُكْمُ داؤودَ على صاحِبِ الثَّوْرِ أنْ أعْطِهِ جُمْلَةَ مالِكَ

بَعْدَ ذَلِكَ قالَ لَهُ داؤودُ أيْ عَنود، اِدْفَعْ لَهُ جُمْلَةَ مالِكَ مُسْرِعاً بلا إبطاء؛
وإلاَّ فإنَّ أمْرَكَ سَيَصيرُ عَسيراً أَخْبَرْتُك، حتَّى لا يَصيرَ ظُلْمُكَ مِنْهُ ظاهِراً؛
فَوَضَعَ التُّرابَ على رَأْسِهِ وَمَزَّقَ ثَوْبَهُ، أنْ في كُلِّ لَحْظَةٍ تَأْتي بِمَزيدِ ظُلْم؛

وَعادَ وانْطَلَقَ مَرَّةً أُخْرى في هذا التَّشْنيع، ومِنْ جَديْدٍ دَعاهُ داؤودُ إلَيْه؛
قالَ لَمَّا لَمْ يَكُنْ لَكَ بَخْتٌ أيْ أعْمى البَخْت، فإنَّ ظُلْمَكَ جاءَ ظاهِراً قَليلاً قَليلا؛
مُلَوَّثٌ وَتَطْلُبُ المَسْنَدَ وَصَدْرَ المَجْلِسَ، أيْ أَسَفاً مِنْ مِثْلِكَ حَمارِ تِبْنٍ وَعَلَف؛
اِذْهَبْ فأولادُكَ وَزَوْجَتُكَ جَميعاً، صاروا عَبيداً لَهُ ولا تَزِدْ في القَول؛
راحَ يَضْرِبُ صَدْرَهُ بِحَجَرٍ بِكِلْتا يَدَيْه، وَيَجْري مِنْ جَهْلِهِ إلى أعْلى وَأسْفَل؛
كما أنَّ الخَلْقَ أيضاً أقْبَلوا بالملامَةِ، فَقَدْ كانوا عَنْ ضَميرِ العَمَلِ مِنْهُ غافِلين؛
الظّالِمَ مِنَ المَظْلومِ مَتى عَرِفَ شَخْصٌ،كانَ مُسَخَّراً للهَوى تَسْخيراً كأنَّهُ قَشَّة؛
الشَّخْص الَّذي عَرِفَ الظّالِمَ مِنَ المَظْلوم، هُوَ مَنْ قَطَعَ رَأْسَ نَفْسِهِ الظَّلوم؛
وإلاَّ فَذاكَ الظّالِمُ مِنَ الدّاخِلِ الَّذي هُوَ النَّفْسُ، خَصْمٌ للمَظْلومينَ منَ الجُنون؛
الكَلْبُ دائماً يَحْمِلُ على المِسْكين، الكَلْبُ ما قَدِرَ يُؤذي المِسكينَ؛
اِعْرِفِ الحَياءَ صِفَةَ الأُسودِ لا الكلاب، الأُسودُ لا تَسْلبُ الصَّيْدَ مِنَ الجيران؛
العامَّةُ قَتَلَةٌ لِلمَظْلومِ عَبَدَةٌ للظّالِم،قَفَزَ مَنْ هُمْ كالكلابِ جِهَةَ داؤودَ مِنَ الكَمين؛
وَجَّهَ الوَجْهَ إلى داؤودَ أولئكَ الفَريق، أنْ أيْ نَبِيَّنا المُجْتَبى أيُّها الشَّفيق؛
إنَّ هذا لا يَجُوزُ مِنْكَ فَهُوَ ظُلْمٌ بَيِّنٌ، لَقَدْ قُمْتَ بِقَهْرِ رَجُلٍ بلا ذَنْبٍ بِهذا الظُّلْمِ؛

عَزْمُ داؤودَ عَلَيْهِ السَّلامُ على دَعْوَةِ الخَلْقِ للصَّحْراءِ لِيَجْعَلَ السِّرَّ ظاهِراً وَيَقْطَعَ جَميعَ الحجَجَ

قالَ أَيْ أصْحابُ جاءَ ذلِكَ الزَّمانُ، الَّذي بِهِ يَصيرُ ذلِكَ السِّرُّ المَكتومُ ظاهِراً؛
اِنْهَضوا جَميعاً لِنَخْرُجَ إلى الخارِجِ، لِتَصيروا واقِفينَ على ذلِكَ السِّرِّ الخَفِيّ؛
إنَّ في الصَّحْراءِ الفُلانِيَّةِ شَجَرَةً عَظيمَةً، أغْصانُها كَثيفَةٌ وكَثيرَةٌ ومُتَشابِكَة؛
راسِخَةُ الجِذْعِ والأغْصانِ راسِخَةُ الجُذور، تَجيئُني مِنْ جُذُورِها رائحَةَ الدَّم؛
سُفِكَ دَمٌ تَحْتَ جِذْعِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ الطَّيِّبَة،قَتَلَ سَيِّداً تَحْتَها هذا المَنْحوسُ البَخْت؛

حِلْمُ اللهِ سَتَرَ ذاك إلى هذا الوَقْت، وفي الآخِرِ مِنْ عَدَمِ شُكْرِ هذا المُحْتال؛
إذْ لَمْ يَكُنْ رأى يَوماً عِيالَ هذا السَّيِّد، لا في النَّوروزِ ولا في مواسِمِ الأعياد؛
لَمْ يُعْطِ لُقْمَةً واحِدَةً لأولئكَ المساكين، لَمْ تَخْطُرْ على ذاكِرَتِهِ الحُقوقُ الأولى؛
إلى الآنَ هذا اللَّعينُ مِنْ أجْلِ ثَوْرٍ، يُريدُ أنْ يُلْقِيَ بابنِ السَّيِّدِ على الأرْض؛
هُوَ قامَ بِرَفْعِ الحِجابِ عَنْ ذَنْبِهِ بِنَفْسِهِ، لولا ذاكَ كانَ غَطَّى وَسَتَرَ جُرْمَهُ الله؛
الكافِرُ والفاسِقُ في هذا الدَّوْرِ الكَلِبِ، يُمَزِّقانِ بُرْدَةَ النَّفْسِ عَنِ النَّفْسِ بالنَّفْس؛
الظُّلْمُ مَسْتورٌ في أسرارِ الرُّوح، يَأتي بالظَّالِمِ يَضَعُهُ أمامَ الخَلْق؛
يقولُ انْظُروا إلَيَّ فَأَنا أمْلِكُ القُرون، اُنظُرُوا إلى ثَوْرِ جَهَنَّمَ شاهِدوهُ في المَلأ؛

شَهادَةُ اليَدِ والقَدَمِ واللِّسان على الظَّالِمِ في الدُّنيا أيْضاً

فَيَدُكَ وَقَدَمُكَ هُنا أيْضاً في الأذى، على ضَميرِكَ يَقومانِ بالشَّهادَة؛
مِثْلَما يكونُ مُوَكَّلاً عَلَيْكَ الضَّميرُ، يَقُولَ لَكَ لا تَقُمْ بإخْفاءِ اعْتِقادِك؛
خاصَّةً في أوانِ الغَضَبِ والجِدال، يَجْعَلُ سِرَّكَ ظاهِراً شَعْرَةً بِشَعْرَة؛
حينَ يَصيرُ مُوكَّلاً بِكَ الظُّلْمُ والجَفاء، أنْ أظْهِرانا أيَّتُها اليَدُ وأيَّتُها القَدَم؛
مِثْلَما يَأخُذُ السَّائِسُ بِطَرَفِ اللِّجام، خاصَّةً وَقْتَ الهَيَجانِ والغَضَبِ والإنْتِقام؛
يَجْعَلُ مِنْ ذلِكَ الشَّخْصِ عَيْنِهِ المُوَكَّلَ، حتَّى يَرْفَعَ لِواءَ السِّرِّ على الصَّحْراء؛
وَهُوَ الَّذي يَسْتَطيعُ أنْ يَخْلُقَ لِيَوْمِ الحَشْر، مُوَكَّلِيْنَ آخَرينَ لأجْلِ النَّشْر؛
أيْ مَنْ أتَيْتَ بِعَشْرَةِ أيدٍ في الظُّلْمِ والحِقْد، جَوْهَرُكَ واضِحٌ لا حاجَةَ بِكَ لِهذا؛
ما مِنْ حاجَةٍ لِتَصيْرَ مَشْهُوراً بالأذى، إنَّهُمْ واقِفونَ على ضَميرِكَ النَّارِيّ؛
نَفْسُكَ في كُلِّ لَحْظَةٍ تُطْلِقُ مِئَةَ شِرارٍ، أنِ انْظُروا إلَيَّ أنا مِنْ أصْحابِ النَّار؛
أنا جُزءُ النَّارِ أنا ذاهِبٌ لكُلِّ نَفْسي، أنا لَسْتُ نُوراً كي أصيرَ جِهَةَ الحَضْرَة؛
هكذا كما هذا الظَّالِمُ الجاحِدُ للحَقّ، أحْدَثَ الكَثيرَ مِنَ الإلْتِباسِ مِنْ أجْلِ ثَور؛

هُوَ أَخَذَ مِنْهُ مِئَةَ ثَوْرٍ وَمِئَةَ بَعير، هذِهِ هِيَ النَّفْسُ فاقْطَعْها أيْ والِد؛
كما أَنَّهُ لَمْ يَقُمْ بالتَّضَرُّعِ إلى اللهِ يَوماً، لَمْ يَجِئْ مِنْهُ يَوماً قَوْلُ يا رَبّ عَنْ أَلَم؛
أنْ أيْ اللهُ قُمْ بإسْعادِ خَصْمي، إنْ كُنْتُ أَحْدَثْتُ لَهُ الضَّرَرَ أَحْدِثْ لَهُ النَّفْع؛
إنْ كُنْتُ خَطَأً قَتَلْتُ فالدِّيَّةُ على العاقِلَة، أنتَ كُنْتَ عاقِلَةَ رُوحي مُنْذُ *أَلَسْت*؛
الحَجَرُ لا يُعْطي بالاِسْتِغْفارِ الدُّرّ،هذا كانَ إنْصافُ النَّفْسِ أيْ ذا الرُّوحِ الحُرّ؛

خُروجُ الخَلْقِ للخارِجِ إلى جِهَةِ تِلكَ الشَّجَرَة

عِنْدَما خَرَجوا للخارِجِ إلى جِهَةِ تِلْكَ الشَّجَرَة،قالَ قَيِّدوا يَدَيْهِ مِنْ خَلْفِهِ بإحكام؛
حَتَّى أَقُومَ بإظْهارِ ذَنْبِهِ وَجُرْمِه، حتَّى أَرْفَعَ لِواءَ العَدْلِ عَلى الصَّحْراء؛
قالَ أيْ كَلْبُ أنْتَ قَتَلْتَ جَدَّهُ، أنتَ غُلامٌ ومِنْ هذا الوَجْهِ صِرْتَ سَيِّداً؛
أَخَذْتَ مالَ سَيِّدِكَ بَعْدَ أنْ قَتَلْتَهُ، فَكَشَفَ اللهُ حالَكَ وَجَعَلَهُ ظاهِراً؛
كانَتِ امْرَأَتُكَ أَمَةً لِذلِكَ السَّيِّد، وَقامَتْ بالغَدْرِ بِمِثْلِ فِعْلِك بالسَّيِّد؛
كُلُّ مَولودٍ مِنْها مِنْ ذَكَرٍ وأُنثى، هُوَ مُلْكٌ للوارِثِ كُلُّهُ جَميعاً؛
أنتَ غُلامٌ كَسْبُكَ وَعَمَلُكَ لَهُ مُلْكٌ، طَلَبْتَ الشَّرْعَ خُذِ الشَّرْعَ واذْهَبْ جَميلا؛
قَتَلْتَ ظُلْماً سَيِّدَكَ العاجِزَ الضَّعيف، ها هُنا كانَ السَّيِّدُ يَصْرُخُ ويَسْتَغيث؛
مِنْ خيالٍ رَأَيْتَ كانَ مُخيفاً، قُمْتَ بإخْفاءِ السِّكِّيْنِ تَحْتَ التُّرابِ على عَجَل؛
الرَّأْسُ لا تَزالُ مَعَ السِّكِّينِ تَحْتَ التُّراب، احْفروا هذِهِ الأَرْضَ هاهُنا هكذا؛
فاسْمُ هذا الكَلْبِ مَنْقوشٌ على السِّكِّين، فَعَلَ مَعَ سَيِّدِهِ كُلَّ هذا المَكْرِ والضَّرَر؛
قاموا بالحَفْرِ وَحِيْنَ شَقُّوا الأَرْض، وَجَدوا فيها تِلْكَ السِّكِّيْنَ وذلِكَ الرَّأْس؛
وَقَعَتِ الوَلْوَلَةُ بَيْنَ الخَلْقِ ذلِكَ الزَّمانَ، وكُلُّ واحِدٍ شَقَّ عَنْ وَسَطِهِ الزُّنَّار؛
مِنْ بَعْدِ ذاكَ قالَ لَهُ أيْ مُسْتَنْصِفُ تَعال،قُمْ بِأَخْذِ حَقِّكَ مِنْ ذلِكَ الأَسْوَدِ الوَجْه؛

حُكْمُ داؤودَ عَلَيْهِ السَّلامُ بالقَصاصِ بالدَّمّ، مِنْ بَعْدِ إلزامِهِ الحُجَّة

أمَرَ بالقَصاصِ مِنْهُ بِتِلْكَ السِّكِّيْن، متى كانَ لَهُ خلاصٌ بالمَكْرِ مِنْ عِلْمِ الحَقّ؛
رَغْمَ أنَّ حِلْمَ الحَقِّ يَقومُ بالمُواساة، لكِنَّهُ إذا جاوَزَ الأمْرُ الحَدَّ يَقُومُ بالإظْهار؛
الدَّمُ لا يَنامُ ويَقَعُ في كُلِّ قَلْبِ المَيْلُ، للبَحْثِ وللتَّفْتيشِ لِلْكَشْفِ عَنِ المُشْكِل؛
بِمُقْتَضى حُكْمِ رَبِّ الدِّين، يَطْلَعُ مِنْ ضَميرِ هذا وذاك؛
أنْ فُلانُ ذاكَ كَيْفَ هُوَ ما حالُهُ ما خَبَرُهُ، هكذا كما نَبَتَ الزَّرْعُ مِنَ الرَّوْض؛
غَلَيانُ الدَّمِ ذلِكَ التِّكْرارُ للسُّؤالات، وإثارَةُ القُلوبِ والبَحْثُ والاِسْتِقْصاء؛
عِنْدَما صارَ سِرُّ الفِعْلِ مِنْهُ ظاهِراً، مُعْجِزَةُ داؤودَ صارَتْ فاشِيَةً وَمُضاعَفَةً؛
جاءَ الخَلْقُ جُمْلَةً مَكشوفي الرَّأس، وَضَعوا الرَّأْسَ على الأرْضِ في سُجود؛
لَقَدْ كُنَّا جَميعاً عُمياً في الأصْل، ورأيْنا مِنْكَ مِئةَ نَوعٍ مِنَ العَجائب؛
كلامُ الحَجَرِ إلَيْكَ جاءَ مَشْهُوراً، أنْ خُذْني مَعَكَ مِنْ أجْلِ غَزْوِ طالوت؛
جِئتَ بِمِقْلاعٍ وَثلاثَةِ حِجَارٍ، ضَرَبْتَ بِها مِئَةَ ألْفِ رَجُلٍ؛
حَجَرُكَ صارَ مِئَةَ ألْفِ قِطْعَةٍ، كُلُّ قِطْعَةٍ سَفَكَتْ دَمَ واحِدٍ مِنَ الخُصوم؛
الحَديدُ في يَدِكَ لانَ كالشَّمْع، نَسْجُ الدُّروعِ مِنْكَ مَعْلومٌ؛
للجِبالِ مَعَكَ رَسائلٌ كُلُّ جَبَلٍ شَكور، كُلُّ جَبَلٍ مُقْرِئٌ يَقْرَأُ مَعَكَ الزَّبور؛
مِئةُ ألْفِ عَيْنِ قَلْبٍ انْفَتَحَتْ، الغَيْبُ صارَ مِنْ نَفَسِكَ حاضِراً؛
والأقْوى مِنْ كُلِّ ذلِكَ أنَّ هذا دائم، عَطاءُ الحَياةِ مِنْكَ سَرْمَدِيٌّ قائم؛
رُوحُ جُمْلَةِ المُعْجِزاتِ هذِهِ، وَهَبَ المَيْتَ حياةَ الأبَد؛
صارَ الظَّالِمُ مَقْتولاً وَصارَ العالَمُ حَيَّاً، كُلُّ واحِدٍ عادَ مُجَدَّداً وصارَ عَبْداً لله؛

فِي بيانِ أَنَّ نَفْسَ الآدَمِيّ بِمَنْزِلَةِ ذاكَ القاتِلِ الَّذي صارَ مُدَّعِياً لِلثَّوْرِ وأَنَّ ذاكَ القاتِلَ للثَّوْرِ هُوَ العَقْل، وداؤودُ الحَقُّ أو الشَّيْخُ النَّائبُ عَنِ الحَقِ الَّذي بِقُوَّتِهِ وَعَوْنِهِ يَكونُ قَتْلُ الظَّالِمِ وَيكونُ الغِنى بِرِزْقٍ بلا كَسْبٍ ولا حِساب

أُقْتُلِ النَّفْسَ قُمْ بإحياءِ العالَم، السَّيِّدُ مَقْتولٌ فاجْعَلْهُ حَيَّاً؛
مُدَّعي الثَّورِ ذاكَ نَفْسُكَ أنتَ فانْتَبِهْ، جَعَلَتْ مِنَ النَّفْسِ سَيِّداً وَعَظيماً؛
قاتِلُ الثَّورِ ذاكَ عَقْلُكَ أنتَ فاذْهَبْ، لا تَكُنْ لِقاتِلِ ثَوْرِ البَدَنِ مِنْكَ مُنْكِراً؛
العَقْلُ أسيرٌ وَظَلَّ يَطْلُبُ مِنَ الحَقّ، رِزْقاً بلا تَعَبٍ وَنِعْمَةً على طَبَق؛
رِزْقُهُ بلا تَعَبٍ مَوقوفٌ على ماذا، مَوقوفٌ على قَتْلِ الثَّوْرِ فذلِكَ أَصْل؛
النَّفْسُ تَقولُ لَكَ كَيْفَ قَتَلْتَ ثَوري، ذلِكَ لأنَّ ثَوْرَ النَّفْسِ هُوَ صُورَةُ البَدَن؛
اِبْنُ السَّيِّدِ هُوَ العَقْلُ الَّذي ظَلَّ بلا غِذاء، النَّفْسُ القاتِلَةُ صارَتْ سَيِّداً وعَظيماً؛
الرِّزْقُ بلا تَعَبٍ أَتَعْرِفُ ما يكون، إنَّهُ قُوْتُ الأرواحِ وأرزاقُ الأنبياء؛
لكِنَّهُ مَوقوفٌ على التَّضْحِيَةِ بالثَّوْر، الكَنْزُ تَحْتَ الثَّورِ يا أَيُّها الباحِثُ المُدَقِّق؛
لَيْلَةَ الأمْسِ أَكَلْتُ شَيْئاً لولاهُ أَعْطَيْتُكَ الزِّمام، زِمامَ الفَهْمِ وأَفْهَمْتُكَ على التَّمام؛
لَيْلَةَ الأمْسِ أَكَلْتُ شَيْئاً خُرافَةٌ، كُلُّ شَيْءٍ يَجيءُ مِنْ مَنْزِلٍ خَفِيّ؛
لِماذا نَجْعَلُ العَيْنَ مَرْبوطَةً بالأسْباب، إذا كُنَّا تَعَلَّمْنا الغَمْزَ مِنْ حِسانِ العُيون؛
فإنَّ لِهذِهِ الأسْبابِ أسْباباً أُخَر، لا تَنْظُرْ هذا السَّبَبَ اجْعَلْ إلى ذاكَ النَّظَر؛
فالأنبياءُ قَدْ أَتَوا بِقَطْعِ الأسباب، وَقَدْ وَصَلَتْ مُعْجِزاتُهُمْ إلى كَيوان؛
بلا سَبَبٍ قاموا بِشَقِّ البَحْر، بلا زِراعَةٍ وَجَدوا غِلالَ القَمْح؛
صارَتْ الرِّمالُ مِنْ سَعْيِهِمْ دَقيقاً، صارَ صُوفُ الماعِزِ إذْ سَحَبوهُ حريراً؛
جُمْلَةُ القُرْآنِ في قَطْعِ السَّبَب، عِزُّ الدَّرْويشِ وَهَلاكُ أبي لَهَب؛

الطَّيْرُ الأبابيلِيُّ ألقى حَصاتَيْنِ أو ثلاثاً، على الجَيْشِ الحَبَشِيّ الضَّخْمِ فَكَسَرَه؛
أوْقَعَ الفِيْلَ مُثَقَّباً بثُقوبٍ كَثيرةٍ، حَجَرٌ ألقى بِهِ طائرٌ يُحَلِّقُ في الأعْلى؛
اِضْرِبْ بِذَنَبِ البَقَرَةِ الذَّبيحَةِ القَتيل، لِيَصيرَ حَيَّاً في اللَّحْظَةِ ذاتِها في الكَفَن؛
مَقْطوعَ الحَلْقِ يَنْهَضُ مِنْ مَوْضِعِ نَفْسِهِ،يَطْلُبُ دَمَ نَفْسِهِ مِنْ قاتِلِهِ ومُريقِ دَمِه؛
هكذا القُرآنُ مِنَ البِدايَةِ للتَّمام، رَفْضٌ للأسْبابِ والعِلَلِ والسَّلام؛
كَشْفُ هذا لَيسَ بالعَقْلِ مُزيْدِ التَّعْقيد، قُمْ بالعُبوديَّةِ حَتَّى يَصيرَ لَكَ ظاهِراً؛
قَيْدَاً للمَعْقولاتِ جاءَ الفَلْسَفِيّ، فارِسَ عَقْلِ العَقْلِ جاءَ الصَّفِيّ؛
عَقْلُ عَقْلِكَ لُبٌّ وَعَقْلُكَ قِشْرٌ، مَعِدَةُ الحَيَوانِ دائماً تَطْلُبُ القِشْر؛
طالِبُ اللُّبِّ لَهُ مِنَ القِشْرِ مِئةُ ملال، اللُّبُّ جاءَ للخَيِّرينَ حلالَ حَلال؛
مَعَ أنَّ قِشْرَ العَقْلِ يجيءُ بِمِئةِ بُرْهان، العَقْلُ الكُلِّيُّ لا يَخْطُو خُطْوَةً بلا إيقان؛
العَقْلُ يُسَوِّدُ كُلَّ كِتابٍ ودَفْتَر، عَقْلُ العَقْلِ يَمْلأُ الآفاقَ بالقَمَر؛
مِنْ سَوادٍ وَمِنْ بياضٍ فارِغ، نُورُ قَمَرِهِ على القَلْبِ والرُّوحِ بازِغ؛
السَّوادُ والبياضُ هذانِ إذا وَجَدا القَدْر، فمِنْ ضياءٍ شَعَّ كالنَّجْمِ مِنْ لَيْلَةِ القَدْر؛
قِيْمَةُ الهَمْيانِ والكيسِ تأتي مِنَ الذَّهَب، الهَميانُ والكِيْسُ أبتَرانِ بلا ذَهَب؛
قَدْرُ البَدَنِ كذلِكَ كانَ مِنَ الرُّوح، وَقَدْرُ الرُّوحِ كانَ مِنْ ضياءَ الحَبيب؛
لَو كانَتِ الرُّوحُ بلا ضِياءٍ تَحْيا، ما كانَ قالَ عَنِ الكافِرينَ أنَّهُمْ مَوتى؛
ألا فَقُلْ فالنَّاطِقَةُ تَشْرَعُ جَدْوَلاً، يَجْري بِهِ الماءُ مِنْ بَعْدِنا قُروناً؛
رَغْمَ أنَّ كُلَّ قَرْنٍ أَقْبَلَ بِمَقالٍ، إلاَّ أنَّ مَقالَ السَّالِفينَ كانَ عَوناً؛
أَلَيْسَ كانَتِ التَّوراةُ والإنْجيلُ والزَّبور، شاهِدَ صِدْقٍ للقُرآنِ أَيْ شَكُور؛
اُطْلُبِ القُوْتَ بلا تَعَبٍ وبلا حَسيب، وَسَيأتيكَ جَبْرَائيلُ بالتُّفَّاحِ مِنَ الجَنَّة؛
بَلْ يَجْلِبُ لَكَ الرِّزْقَ مِنْ مالِكِ الجَنَّة، بلا صُداعِ البُسْتانِيّ وبِلا عَذابِ الزَّرْع؛
لأنَّ نَفْعَ الخُبْزِ في ذلِكَ الخُبْزِ عَطاؤهُ، أعْطاكَ ذاكَ النَّفْعَ بلا واسِطَةِ القِشْر؛

صُورَةُ الخُبْزِ كالسُّفْرَةِ والذَّوقُ خَفِيّ، الخُبْزُ بلا سُفْرَةٍ نَصيبُ الوَلِيّ؛
مَتى تَجِدُ رِزْقَ الرُّوحِ بِسَعْيٍ وبَحْثٍ، إلاَّ بِعَدْلٍ مِنَ الشَّيْخِ الَّذي هُوَ لِكَ داؤود؛
النَّفْسُ لَمَّا رَأَتْكَ تَخْطو مَعَ الشَّيْخ، صارَتْ مُطيعَةً لَكَ راغِمَةً مَقْهُورَةً؛
صاحِبُ ذلِكَ الثَّوْرِ هَدَأَ ذلِكَ الوَقْتَ، الَّذي صارَ فيهِ مُدْرِكاً مِنْ نَفَسِ داؤود؛
العَقْلُ يَغْلِبُ في الصَّيْدِ إذا كانَ الشَّيْخُ، لَكَ عَوناً في ذاكَ على كَلْبِ النَّفْس؛
النَّفْسُ أفْعى بِمِئَةِ قُوَّةٍ واحْتيال، وَجْهُ الشَّيْخِ زُمُرَّدٌ يَقْتَلِعُ مِنْها العَيْن؛
إذا أرَدْتَ تَجْعَلَ صاحِبَ الثَّوْرِ ضَعيفاً، خِزْهُ كالحِمارِ تِلْكَ الجِهَةَ أيْ حَرون؛
فإذا ما صارَ إلى جِوارِ وَلِيِّ الله، قَصُرَ لِسانُهُ الَّذي يقيسُ مِئَةَ ذِراع؛
لَهُ مِئَةُ لِسانٍ كُلُّ لِسانٍ بِمِئَةِ لُغَة، تَزويرُهُ وَحِيَلُهُ لا تَجيءُ تَحْتَ صِفَة؛
مُدَّعِي الثَّوْرِ هُوَ النَّفْسُ الفَصيحَة، جاءَتْ بِمِئَةِ ألْفِ حُجَّةٍ كُلُّها غَيْرُ صَحيحَة؛
خَدَعَتْ كُلَّ المَدينَةِ ما عَدا المَلِك،لَمْ تَسْتَطِعْ قَطْعَ الطَّريقِ على المَلِكِ المُدْرِك؛
النَّفْسُ مَعَها التَّسْبيحُ والمَصْحَفُ باليَمين، والخَنْجَرُ والسَّيْفُ تَحْتَ كُمِّ الثَّوب؛
لا تُصَدِّقِ المَصْحَفَ والنِّفاقَ مِنْها، ولا تَكُنْ لَها رَفيقَ سِرٍّ ولا قَريناً؛
أخَذَتْكَ إلى الحَوْضِ مِنْ أجْلِ الوُضوء، وَألْقَتْ بِكَ إلى قَعْرِ ذاكَ الحَوْض؛
العَقْلُ نُورانِيٌّ وَطالِبٌ للخَيْر، كَيْفَ صارَتْ النَّفْسُ الظُّلْمانِيَّةُ غالِبةً لَه؛
ذلِكَ لأنَّ عَقْلَكَ في المَنْزِلِ غَريب، والكَلْبُ على بابِ بَيْتِهِ أَسَدٌ مَهِيب؛
فانْتَظِرْ إلى أنْ تَذْهَبَ الأُسُودُ إلى الآجام، وهذِهِ الكِلابُ العُمْيُ تَفِرُّ إلى هُناك؛
مَكْرُ النَّفْسِ والبَدَنِ لا يَعْرِفُهُ عوامُّ البَلَد،إنَّهُ لا يَصيرُ مَقْهُوراً إلاَّ بِوَحْيِ القَلْب؛
كُلُّ ما كانَ مِنْ جِنْسِهِ كانَ لَهُ عَوناً، إلاَّ أنْ يَكونَ داؤودُ الَّذي كانَ لَكَ شَيْخاً؛
لَقَدْ صارَ مُبَدَّلاً وَلَمْ يَبْقَ مِنْ جِنْسِ الجَسَد، كُلُّ مَنْ جَعَلَهُ الحَقُّ في مَقامِ القَلْب؛
الخَلْقُ جُمْلَةً عِلَّةٌ في الكَمين، مُعينُ العِلَّةِ عِلَّةٌ على اليَقين؛
كُلُّ خَسيسٍ قامَ بادِّعاءِ أنَّهُ داؤود، وكُلُّ مَنْ كانَ بلا تَمْييزٍ أمْسَكَ بِهِ بالكَفّ؛

لَقَدْ سَمِعَ مِنَ الصَّيَّادِ أَنْغامَ الطُّيُور، فقامَ الطَّيْرُ الأَبْلَهُ إلى تِلْكَ الجِهَةِ بالمَسير؛
لا يَعْرِفُ النَّقْدَ مِنَ النَّقْلِ مَنْ كانَ غَوِيًّا، ألا فاهْرَبْ مِنْهُ وَلَو كانَ مَعْنَوِيًّا؛
المُطْلَقُ والمُقَيَّدُ لَدَيْهِ واحِدٌ، وَلَو قامَ بادِّعاءِ اليَقينِ هُوَ في شَكٍّ؛
مِثْلُ هذا الشَّخْصِ وَلَو كانَ ذَكِيّاً مُطْلَقاً، إذا لَمْ يَكُنْ لَهُ هذا التَّمييزُ كانَ أَحْمَقاً؛
ألا اهْرَبْ مِنْهُ كما يَهْرَبُ الغَزالُ مِنَ الأَسَد،لا تُسْرِعْ إِلَيْهِ أيُّها العالِمُ الشُّجاع؛

فرار عيسى عَلَيْهِ السَّلام إلى الجَبَلِ مِنَ الحَمْقى

كانَ عيسى مَرْيَمَ يَهْرُبُ إلى الجَبَل، كما لَو أَنَّ أَسَداً كانَ يَهُمُّ بِأَنْ يُريقَ دَمَه؛
جَرى واحِدٌ خَلْفَهُ وقالَ لَهُ خَيْراً، لا شَخْصَ خَلْفَكَ لِماذا تَجْري كالطَّيْرِ؛
وهُوَ يَجري بِسُرْعَةٍ وذاكَ يَجْري مَعَهُ، حتَّى أَنَّهُ مِنَ السُّرْعَةِ لَمْ يَرُدَّ الجَواب؛
إلى مَيْدانٍ وَمَيْدانَيْنِ يَجْري خَلْفَ عِيسى، ثُمَّ إنَّهُ نادى عيسى بِجِدِّ الجِدّ؛
أنْ مِنْ أَجْلِ مَرْضاةِ الحَقِّ قِفْ لَحْظَةً، فَأَنا مِنْ هُروبِكَ هذا في مُشْكِل؛
مِمَّ تَهْرَبُ تِلْكَ النَّاحِيَةَ أيْ كَريم،لا أَسَدَ خَلْفَكَ ولا خَصْمَ ولا خَوفَ ولا خَطَر؛
قالَ أنا هارِبٌ مِنَ الأَحْمَقِ اذْهَبْ، أنا أُحَرِّرُ نَفْسي فلا تَكُنْ لي قَيْداً؛
قالَ أخيراً أَلَسْتَ أَنْتَ ذاكَ المَسيح،الَّذي صارَ صَحيحاً مِنْكَ الأَصَمُّ والأَعْمى؛
قالَ بلى، قالَ أَلَسْتَ ذاكَ المَلِكَ، الَّذي هُوَ مأوى طلاسِمِ الغَيْب؛
إذا قَرَأْتَ تِلْكَ الطَّلاسِمَ على مَيْت، وَثَبَ كأنَّهُ الأَسَدُ يَطْلُبُ الصَّيْد؛
قالَ بلى أنا ذاكَ قالَ أَلَسْتَ أَنْتَ، مَنْ يَجْعَلُ مِنَ الطِّيْنِ الطَّيْرَ أيْ حَسَنَ الوَجْه؛
قالَ بلى قالَ إذَنْ أيْ روحاً طاهِرَةً، أنتَ تَفْعَلُ ما تُريدُ فَمِمَّ خَوْفُك؛
بِمِثْلِ هذا البُرْهانِ لَكَ في الدُّنيا، لا يَليقُ بِكَ أنْ تَهْرَبَ مِنَ العَبيد؛
قالَ عيسى بالذَّاتِ الطَّاهِرَةِ للحَقّ، مُبْدِعِ البَدَنِ خالِقِ الرُّوحِ في السَّبْق؛
بِحُرْمَةِ ذاتِهِ وَصِفاتِهِ الطَّاهِرَة، الَّتي الفَلَكُ مِنْها مُمَزَّقُ الجَيْب؛

لَقَدْ قَرَأْتُ تِلْكَ الرِّقى والاِسْمَ الأَعْظَمَ،على الأَصَمِّ والأعْمى فصارا صَحيحَيْن؛
قَرَأْتُها على جَبَلِ الصَّخْرِ فانْشَقّ، مَزَّقَ الخِرْقَةَ على البَدَنِ إلى السُّرَّة؛
قَرَأْتُها على البَدَنِ المَيّتِ فعادَ حَيَّاً، قَرَأْتُها على اللاّشَيْءَ فَصارَ شَيْئاً؛
وقَرَأْتُ ذلِكَ على قَلْبِ الأحْمَقِ بِوُدّ، مئاتِ ألوفِ المَرَّاتِ فَلَمْ يَجِدْ شِفاءً؛
صارَ صَخْراً صَلْداً وَما آبَ مِنْ ذلِكَ الطَّبْع،صارَ رَمْلاً لا يَنْبُتُ بِهِ أيُّ زَرْع؛
قالَ ما الحِكْمَةُ في أنَّ اِسْمَ الحَقّ، نَفَعَ هُناكَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ هُنا ذلِكَ النَّفْع؛
ذلِكَ الدَّاءُ داءٌ وهذا داءٌ، لِماذا، كانَ دَواءً لِذاكَ وَلَمْ يكُنْ دواءً لِهذا؛
قالَ داءُ الحُمْقِ قَهْرٌ مِنَ الله، المَرَضُ والعَمى لَيْسا قَهْراً بَلْ ابْتِلاء؛
الاِبْتِلاءُ أَلَمٌ يَجيءُ بالرَّحْمَة، الحُمْقُ مَرَضٌ يَجيءُ بالجِراح؛
ذاكَ موسومٌ بِمَيْسَمٍ مَخْتومٌ عَلَيْهِ بِخَتْمٍ،لا حِيْلَةَ مِنْ أجْلِهِ تَجيءُ في مُتَناوَلِ اليَد؛
اِهْرَبْ مِنَ الحَمْقى كما هَرَبَ عِيسى، كَمْ أراقَتْ صُحْبَةُ الأَحْمَقِ مِنَ الدِّماء؛
قليلاً قليلاً يَسْرقُ الهَواءُ الماءَ، وهكذا يَسْرقُ الأَحْمَقُ مِنْكَ الدِّيْنَ؛
يَسْرقُ مِنْكَ الحَرارَةَ وَيُعْطيكَ البُرودَة، مِثْلَ ذاكَ الَّذي يَضَعُ مِنْ تَحْتِهِ حَجَرَاً؛
فرارُ عيسى ذاكَ لَمْ يَكُنْ مِنَ الخَوْف، إنَّهُ آمِنٌ وَذاكَ كانَ مِنْ أجْلِ التَّعْليم؛
الزَّمْهَريرُ لَوْ مَلأَ الآفاق ، أيُّ غَمٍّ لِتِلْكَ الشَّمْسِ ذات الإشْراق؛

قَصَّةُ أهْلِ سَبَأ وَحَماقَتُهُم وَعَدَمُ تَأثيرِ نَصيحَةِ الأنبياءِ في الحَمْقى

تَذَكَّرْتُ قِصَّةَ أهْلِ سَبَأَ وَكَيْفَ صارَتْ، مِنْ نَفَسِ الأَحْمَقِ الصَّبا لَهُمْ وباءً؛
قَومُ سَبَأَ أقاموا في مَدينَةٍ كبيرَةٍ جِدَّاً، اِسْتَمِعْ إلى تِلْكَ الحِكايَةِ مِنَ الأولاد؛
فالأولادُ يأتُونَ بالحَكايا ويُدْرِجونَ،في حَكاياهُمْ الكثيرَ مِنَ الأسرارِ والنَّصائح؛
يُورِدونَ أنواعَ الهَزْلِ في الحَكايا، فابْحَثْ عَنِ الكَنْزِ في جَميعِ هذِهِ الخَرابات؛
كانَ هُناكَ مَدينَةٌ عَظيمَةٌ جِدَّاً وَضَخْمَةٌ، ولكِنَّها كانَتْ بِقَدْرِ كأسٍ لا أكْثَر؛

عَظيمَةٌ جِدَّاً واسِعَةٌ جِدَّاً طويلَةٌ جِدَّاً، وجَسيمَةٌ جِدَّاً ومُتداخِلَةٌ كَأَنَّها البَصَل؛

مجْموعٌ فيها سُكانُ عَشْرَةٍ مِنَ المُدُنِ، لكِنَّهُمْ جُمْلَةً ثلاثَةُ أنفارٍ غيْرُ طاهِرين؛

فيها مِنَ الخَلْقِ والخلائقِ ما لا عَدّ لَهُ،لكِنَّهُمْ جُمْلَةً أولئكَ الثَّلاثَةُ أنفارِ الأخوام؛

إنَّ رُوحَاً لَمْ تَسْعَ في طَريقِ الحَبيب،إنْ تَكُنْ بالآلافِ لَيْسَتْ غَيْرَ نِصْفِ بَدَن؛

واحِدٌ كانَ حادَّ النَّظَرِ أعْمى البَصَر،عَمِيَ عَنْ سُلَيْمانَ وَرأى آثارَ أَقْدَامِ النَّمْل؛

وذاكَ واحِدٌ حادُّ السَّمْعِ وَأَصَمُّ مُحْكَمٌ، لا كَنْزَ فيهِ بِمِثْقالِ حَبَّةِ شَعيرٍ مِنْ ذَهَب؛

وذاكَ واحِدٌ عارٍ مِنَ الثِّيابِ جُثَّةٌ مَفْتُوحَةٌ، لكِنَّ أذيالَ رِدائهِ كانَتْ طَويلَةً جِدَّاً؛

قالَ الأعْمى أنا أرى جَيْشاً قادِماً،إنّي أراهُمْ وأعْرِفُ أيَّ قَومٍ هُمْ وكم عَدَدُهُم؛

قالَ الأَصَمُّ حَقَّاً لَقَدْ سَمِعْتُ أصْواتَهُم، وَسَمِعْتُ ما يقولونَ ظاهِراً وفي الخَفاء؛

قالَ ذاكَ العاري أنا خائفٌ مِنْ هذا، وأنْ يَقْطَعوا شَيْئاً مِنْ ذَيْلِ ثَوبي الطَّويل؛

قالَ الأعْمى هاهُمُ اقْتَرَبوا كَثيراً، هيَّا فَلْنَهْرَبْ قَبْلَ أنْ نُبْلى بالجِراحِ والأسْرِ؛

قالَ الأَصَمُّ حَقَّاً إنَّها مَشْغَلَةٌ، إنَّها تَقْتَرِبُ أكْثَرَ يا أصْدِقاءُ أسْرِعوا؛

قالَ ذاكَ العاري أخافُ على ثَوبي، يُقْطَعَ مِنْهُ مِنَ الطَّمَعِ ولا أكونَ في أمان؛

تَرَكوا تِلْكَ المَدينَةَ وَخَرَجوا خارِجاً، ذَهَبوا مُنْهَزِمينَ لِلرّيْفِ وَدَخَلوا في قَرْيَةٍ؛

وَجَدوا في تِلْكَ القَرْيَةِ طائراً سَميناً، لكِنَّهُمْ لَمْ يَجِدوا ذَرَّةَ لَحْمٍ عَلَيْهِ ولا حَوْلَه؛

طائراً مَيّتاً يابِساً وَمِنْ نَقْرِ الغِربان، صارَتْ عِظامُهُ واهِيَةً كَبَيْتِ العَنْكَبوت؛

أكَلوا مِنْ ذلِكَ الطَّيْرِ كَأَنَّهُ صَيْدُ أَسَدٍ، كُلُّهُمْ شَبِعَ مِنَ الأكْلِ مِنْهُ وصارَ كالفيل؛

الثَّلاثَةُ أَكَلوا مِنْ ذلِكَ وَصاروا سِماناً، صاروا كَثَلاثَةِ فيلَةٍ كَبيرَةٍ جِدَّاً جِدَّاً؛

هكذا حَتَّى صارَ كُلُّ شابٍّ مِنْهُمْ مِنَ السِّمَن، لا تَتَّسِعُ لَهُ مِنَ الضَّخامَةِ الدُّنيا؛

بِذاكَ السِّمَنِ وَسَبْعَةِ أطْرافٍ ضَخْمَةٍ، خَرَجوا سِراعاً مِنْ شِقِّ البابِ وَمَضَوا؛

طَريقُ مَوْتِ الخَلْقِ طَريقٌ غَيْرُ مَرئيّ، طَريقٌ بلا مكانٍ لا يَجيءُ في النَّظَر؛

القَوافِلُ فيهِ تَقْتَفي آثار القوافِلِ، في عَجَبٍ كَيْفَ تَخْتَفي تِلْكَ في ذلِكَ الطَّريق؛
لَوْ أنَّكَ فَتَّشْتَ البابَ لم تَجِدْ ذلِكَ الشِّقّ،خافٍ بإحكامٍ وَكَمْ يَتِمُّ عَبْرَهُ مِنْ زَفاف؛

شَرْحُ ذاكَ الأعْمى حادِّ النَّظَر وَذاكَ الأَصَمّ حادِّ السَّمْع
وذاكَ العاري طَويل الذَّيْل

الأَصَمُّ هُوَ الأمَلُ الَّذي سَمِعَ مَوْتَنا، وَلَمْ يَسْمَعْ مَوْتَ نَفْسِهِ وَلَمْ يَرَ نَقْلَ نَفْسِه؛
الأعْمى هُوَ الحِرْصُ الَّذي رأى عُيوبَ الخلقِ،شَعْرَةً بِشَعْرَةٍ وَقالَها عَيْباً عَيْباً؛
ومِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ لَمْ تَرَ عَيْنُهُ العَمياءُ، ذَرَّةً واحِدَةً رَغْمَ أنَّهُ باحِثٌ عَنِ العَيْب؛
وَالعاري الَّذي خافَ أنْ يُمَزِّقَ النَّاسُ ثَوْبَهُ،ومَتى مَزَّقَ النَّاسُ ثَوبَ مَيْتٍ عارٍ؛
هُوَ رَجُلُ الدُّنيا المُفْلِسُ والخائفُ، الَّذي لا يَمْلِكُ شَيْئاً وَيَخافُ أنْ يُسْرَقَ؛
لَقَدْ جاءَ عُرْياناً وراحَ عُرياناً، وكَبِدُهُ تَدْمى مِنْ الغَمّ أنْ يُسْرَقَ؛
وَقْتَ مَوْتِهِ ومِئاتُ المَناحاتِ مِنْ أمامِهِ،تَجيءُ رُوحُهُ تَضْحَكُ مِنْ هذا الخَوْف؛
ذلِكَ الزَّمانَ عَلِمَ أنَّهُ كانَ بلا ذَهَبِ الغَنِيّ، كما عَلِمَ أنَّهُ كانَ بلا فَنِّ الذَّكِيّ؛
مِثْلَ طِفْلٍ امْتَلأَ حِضْنُهُ مِنْ قَطَعِ الآجُرّ، ويَرْتَجِفُ على ذلِكَ كَأَنَّهُ رَبُّ مال؛
فَلَوْ أنَّكَ أخَذْتَ قِطْعَةً مِنْهُ لَبَكى، وَلَوْ أعَدْتَ لَهُ تِلْكَ القِطْعَةَ ثانِيَةً لَضَحِك؛
لَمَّا لَمْ يَكُنْ للطِّفْلِ مِنَ العِلْمِ دِثار، لَمْ يَكُنْ لِبُكائِهِ ولا لِضَحِكِهِ اعْتِبار؛
الغَنِيُّ لَمَّا رأى العارِيَةَ مُلْكاً، راحَ عاشِقاً لِذاكَ المالِ الكاذِب؛
رأى في المَنامِ أنَّهُ يَمْلِكُ المال، فَخافَ أنْ يَخْتَطِفَ اللِّصُّ الجَوال؛
عِنْدَما أنْهَضَهُ مِنْ النَّومِ فارِكُ أُذُنٍ،جاءَتْهُ السُّخْرِيَةُ مِنْ ذلكَ الخَوْفِ مِنْ نَفْسِه؛
وَمِثْلُ ذلِكَ خَوْفُ هؤلاءِ العُلَماء، الَّذينَ لَهُمْ عَقْلُ وَعِلْمُ هذِهِ الدُّنيا؛
في شَأْنِ هؤلاءِ العُلَماءِ ذَوِي الفُنون، قالَ اللهُ في النَّبأ *لا يَعْلَمون*؛
كُلُّ واحِدٍ مِنْهُمْ يَخافُ مِنْ سَرِقَةِ شَخْصٍ لَهُ، يَظُنُّ نَفْسَهُ يَمْلِكُ الكَثيرَ مِنَ العِلْم؛

يَقُولُ إنَّهُمْ يَسْرِقونَ مِنّي الوَقْتَ، وَهُوَ نَفْسُهُ لا يَمْلِكُ الوَقْتَ النَّافِع؛
يَقُولُ قَدْ عَطَّلَني عَنْ عَمَلي الخَلْق، وَرُوحُهُ غارِقَةٌ في البَطالَةِ إلى الحَلْق؛
العاري خائفٌ أنْ سَيَأخُذُونَ ثَوبي، كَيْفَ أُحَرِّرُ مِنْ قَبضاتِهِم ذُيُولَ ثَوبي؛
مِئاتِ أُلوفِ الفُصولِ عَلِمَ مِنَ العُلوم، وَلَيْسَ لَهُ عِلْمٌ بِرُوحِ نَفْسِهِ ذلِكَ الظَّلُوم؛
وَصارَ لَهُ عِلْمٌ بِخاصِّيَّةِ كُلِّ جَوْهَر، لكِنَّهُ في عِلْمِ جَوْهَرِ نَفْسِهِ كالحِمار؛
أنْ أنا أَعْلَمُ ما يَجوزُ وما لا يَجوز، ألا تَعْلَمُ أنَّكَ نَفْسَكَ جائزٌ يا عَجوز؛
تَعْلَمُ أنْ هذا جائزٌ وذاكَ غَيْرُ جائزٍ، لِتَرَ النَّفْسَ جَيّداً أأنتَ جائزٌ أمْ غَيْرُ جائز؛
تَعْرِفُ قَيْمَةَ كُلِّ بِضاعَةٍ كم تكون، ولا تَعْرِفُ قيمَةَ نِفْسِكَ مِنَ الحُمْق؛
لَقَدْ عَلِمْتَ السُّعُودَ وَعَلِمْتَ النُّحوس، وَلَمْ تَنْظُرْ إلى النَّفْسِ أَأَنْتَ سَعْدٌ أمْ نَحْس؛
رُوحُ جُمْلَةِ العُلومِ هيَ أنْ تكون، تَعْلَمُ في يَومِ الدِّيْن مَنْ تكون؛
لَقَدْ عَلِمْتَ أُصولَ الدِّيْنِ تِلْكَ ولكِنْ، أُنْظُرْ إلى أَصْلِ نَفْسِكَ هَلْ هُوَ حَسَن؛
أُصُولُ نَفْسِكَ أفْضَلُ مِنَ الأُصُولَيْن،اِعْرِفْ أَصْلَ نَفْسِكَ يا أيُّها الرَّجُلُ العَظيم؛

صِفَةُ رَغَدِ عَيْشِ أهْلِ سَبَأ وَعَدَمُ شُكْرِهِم

أهْلُ سَبَأَ أولئكَ كانوا سَيّئي الأصْل، كانوا يَجْفَلُونَ مِنْ أسبابِ اللِّقاء؛
أَعْطاهُمْ ضِياعاً وبساتينَ ومراعيَ كَثيرَةً، عَنْ يَمينٍ وَيسارٍ مِنْ أجْلِ الفَراغ؛
مِنْ كَثْرَةِ ما كانَ يَسْقُطُ مِنَ الثِّمار، كانَتْ مَعابِرُ الطُّرُقِ تَضيقُ على العُبَّار؛
كانَ نِثارُ الفاكِهَةِ يَمْلأُ الطَّريقَ،مِنْ كَثْرَةِ الفاكِهَةِ كانَ عابِرُ الطَّريقِ في عَجَب؛
كانَتِ السَّلَّةُ على الرَّأْسِ في ظِلالِ أشْجارِهِم،تَمْتَلِئُ بلا قَصْدٍ مِنْ نِثارِ الفاكِهَة؛
كانَتْ تِلْكَ الفاكِهَةُ تَنْتَثِرُ مِنَ الرِّيْحِ، كم مِنْ حُجُورٍ امْتَلأَتْ مِنْ تِلْكَ الفاكِهَةِ؛
كانَتِ العناقيدُ الضَّخْمَةُ تَتَدَلّى إلى أسْفَل، فَتَقَعُ على رَأْسِ المارّ وعلى وَجْهِه؛
رَجُلُ المَوقدِ لِكَثْرَةِ ما مَلَكَ مِنْ ذَهَب،كانَ يَعْقِدُ على وَسَطِهِ النِّطاقَ مِنَ الذَّهَب؛

كانَ الكَلْبُ يَدوسُ تَحْتَ قَدَمِهِ الفَطائرَ،وكانَ مُتْخَماً مِنَ الغِذاءِ ذِئْبُ الصَّحْراء؛
المُدُنُ والقُرى أمِنَتْ مِنَ الذِّئْبِ واللِّصّ،التَّيْسُ لَمْ يَكُنْ يخافُ مِنَ الذِّئْبِ القَوِيّ؛
وَلَو قُمْتُ بِشَرْحِ وَتِعْدادِ نِعَمِ القَوم، الَّتي كانَتْ في زِيادَةٍ تَزيدُ يَوماً عَنْ يَوم؛
جاءَ ذلِكَ مانِعاً لِكَثيرٍ مِنَ الكلامِ المُهِمّ، وَقَدْ جاءَت الأنبياءُ لَنا بالأمْرِ *فاسْتَقِمْ*؛

مَجيءُ الأنبياءِ مِنَ الحَقّ لِنَصيحَةِ أَهْلِ سَبَأ

ثلاثَةَ عَشَرَ نَبِيَّاً جاؤوا إلى هُناك، صاروا جَميعاً مُرْشِدينَ لِهؤلاءِ الضَّالّيْن؛
أنْ قَدْ زادَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْكُمْ فَأَيْنَ الشُّكْر، إذا كانَ مَرْكَبُ الشُّكْرِ قَدْ نامَ فَحَرِّكوا؛
شُكْرُ المُنْعِمِ قَدْ جاءَ واجِباً في العَقْل، أو يَفْتَحَ عَلَيْكُمْ بابَ الغَضَبِ إلى الأَبَد؛
ألا فانْظُرُوا الكَرَمَ فإنَّ شَخْصاً رأى الكَرَم،كانَ شاكِراً لِمِثْلِ هذِهِ النِّعْمَةِ كَثيراً؛
وَهَبَ الرَّأْسَ فالشُّكْرُ يَطْلُبُ سَجْدَةً، وَهَبَ القَدَمَ فالشُّكْرُ يَطْلُبُ قَعْدَةً؛
قالَ القَوْمُ شُكْرَنا أَخَذَ الغُول، كُلُّنا مِنَ الشُّكْرِ وَالنِّعْمَةِ مَلول؛
نَحْنُ صِرْنا مَهْمُومينَ مِنْ كَثْرَةِ العَطاء، لا طَاعَةَ تَجيءُ لَذيذَةً لَنا ولا خَطاء؛
نَحْنُ لا نَطْلُبُ النِّعَمَ والبَساتين، نَحْنُ لا نَطْلُبُ الأسبابَ والفَراغ؛
قالَتِ الأنبياءُ إنَّ في قُلُوبِكُمْ عِلَّةً، تَكُونُ في مَعْرِفَةِ الحَقّ آفَةً؛
النِّعْمَةُ مِنْهُ صارَتْ عِلَّةً للجَميع، مَتى صارَ الطَّعامُ قُوَّةً للمَريض؛
كَمْ مِنْ عَذْبٍ أتى إلَيْكَ أيْ مُصِرّ، فصارَ كُلُّهُ غَيْرَ عَذْبٍ وصارَ صافيهِ كَدِراً؛
أنتَ صِرْتَ عَدُوّاً لِهذِهِ الطَّيِّبات، فَصارَ كُلُّ ما وَقَعَتْ عَلَيْهِ كَفُّكَ غَيْرَ طَيِّب؛
كُلُّ مَنْ صارَ لَكَ مُحِبَّاً وَصَديقاً، صارَ في نَظَرِكَ حَقيراً ووَضِيعاً؛
وَكُلُّ مَنْ كانَ لَكَ مُفارِقاً، صارَ عِنْدَكَ عَظيماً جِدّاً وَمُحْتَرَماً؛
هذا أيْضاً مِنْ تَأْثيرِ ذلِكَ المَرَض، سُمُّهُ سَرى في جَميعِ مَنْ عامَلَك؛
يَجِبُ أنْ تَقومَ بِدَفْعِ تِلْكَ العِلَّةِ سَريعاً، فإنَّ السُّكَّرَ مَعَ تِلْكَ العِلَّةِ يَظْهَرُ حَدَثاً؛

كُلُّ جَميلٍ أتاكَ صارَ غَيْرَ جَميلٍ، لَو جاءَكَ ماءُ الحَياةِ صارَ ناراً؛
تِلْكَ الصِّفَة كيمياءُ المَوْتِ والبلاء، يَصيرُ المَوْتُ مِنْ حياتِكَ تِلْك عافِيَة؛
كَمْ مِنْ غِذاءٍ يَصيرُ مِنْهُ حَيَّاً القَلْب، عِنْدَ ما جاءَ إلى بَدَنِكَ صارَ مُتَعَفِّناً؛
كَمْ مِنْ عَزيزٍ ذي دَلالٍ صارَ عِياناً،حينَ صارَ لَكَ عياناً صارَ عِنْدَكَ وَضيعاً؛
صداقَةُ العَقْلِ مَعَ العَقْلِ مِنَ الصَّفاء، إذا زادَتْ زادَ في كُلِّ لَحْظَةٍ الولاء؛
صداقَةُ النَّفْسِ مَعَ كُلِّ نَفْسٍ دَنِيَّةٍ، اعْلَمْ يَقيناً تَقِلُّ لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ؛
ذلِكَ لأنَّ النَّفْسَ تَدُورُ حَولَ عِلَّةٍ، تَجْعَلُ المَعْرِفَةَ سَريعاً فاسِدَةً؛
إنْ أَرَدْتَ ألاَّ يَصيرَ الصَّديقُ غَداً عَدُوَّاً،اِجْعَلِ الصَّداقَةَ مَعَ العاقِلِ وَمَعَ العَقْل؛
ما دُمْتَ مِنْ سُمومِ النَّفْسِ ذا عِلَّةٍ، كُلَّ ما تأخُذُهُ يَصيرُ للمَرَضِ آلَةً؛
لَوْ أخَذْتَ جَوْهَراً لَصارَ لَكَ حَجَراً،أو حَصَلْتَ على مَحَبَّةِ قَلْبٍ لَصارَتْ حَرْباً؛
وَلَوْ حَصَلْتَ على نُكْتَةٍ بِكْرٍ لَطيفَةٍ،لَتَحَوَّلَتْ بَعْدَ إدراكِها إلى مَمْجوجَةٍ وَكَثيفَة؛
أنْ أنا سَمِعْتُ هذا كَثيراً وَصارَ قَديماً، قُلْ شَيْئاً آخَرَ غَيْرَ ذلِكَ يا أيُّها العَضُد؛
ولَوْ نِلْتَ شَيْئاً آخَرَ غَضَّاً وَمقالاً جَديداً،صِرْتَ في غَدٍ مِنْ ذلِكَ مَلولاً وَنَفُوراً؛
فَقُمْ بِدَفْعِ العِلَّةِ فالعِلَّةُ تَصيرُ طَبْعاً، وكُلُّ حَديثٍ قَديمٍ يصيرُ عِنْدَكَ جَديداً؛
حَتَّى أنَّ ذلِكَ القَديمَ يُورِقُ وَرَقاً جَديداً،يَتَفَتَّحُ مِنَ القَديمِ مِئاتُ العناقيدِ الكَبيرَة؛
نَحْنُ أطِبَّاءٌ تلاميذُ الحَقّ، رآنا البَحْرُ المُحيطُ *فانْفَلَقْ*؛
الأطِبَّاءُ الطَّبيعيُّونَ أولئكَ آخَرون، يَنْظُرونَ إلى القَلْبِ مِنْ طَريقِ النَّبْض؛
نَحْنُ نَنْظُرُ لِلقَلْبِ حَسَناً بلا واسِطَة، نَحْنُ مِنَ الفراسَةِ نَنْظُرُ منْ مَنْظَرٍ عالٍ؛
أولئكَ أطِبَّاءُ الغِذاءِ والثِّمار، لَهُمْ اعْتِمادٌ على الرُّوحِ الحَيَوانِيّ؛
نَحْنُ أطِبَّاءُ الفِعالِ والمَقال، مُلْهِمُنا شُعاعُ نُورِ الجَلال؛
أنْ مِثْلُ هذا الفِعْلِ يَكُونُ لَكَ نافِعاً، ومِثْلُ ذاكَ الفِعْلِ يَكُونُ للطَّريقِ قاطِعاً؛
مِثْلُ هذا القَوْلِ يَجْعَلُكَ تَتَقَدَّمُ، ومِثْلُ ذاكَ القَوْلِ يَجْلبُ لَكَ الضَّرَر؛

أولئكَ الأَطِبَّاءُ لَهُمْ مِنَ البَوْلِ دَليل، والدَّليلُ لَنا وَحْيُ الجَليل؛
يَدَ المُكافاةِ لا نَطْلُبُ مِنْ شَخْصٍ، كَمْ كَثُرَتْ لَنا أيادي المُكافاةِ مِنَ الحَقّ؛
أيُّها المَرْضى بِمَرَضِ النَّاسُورِ تَعالوا، نَحْنُ الدَّواءُ للمَرضى واحِداً بَعْدَ واحِدٍ؛

طَلَبُ القَومِ المُعْجِزَةَ مِنَ الأنبياء

قالَ القَومُ أيَّتُها الجَماعَةُ مِنْ كُلِّ مُدَّعٍ، أيْنَ الشَّاهِدُ لَكُمْ على عِلْمِ الطِّبِّ والنَّفْع؛
ما دُمْتُمْ مِثْلَنا مُقَيَّدينَ بالنَّومِ والأكْل، كونوا مِثْلَنا في القُرى وارْتَعُوا مِثْلَنا؛
ما دُمْتُمْ مِثْلَنا أُسارى للماءِ والطِّيْن، متى سَتَصطادونَ طُيورَ عَنْقاءِ القُلوب؛
حُبُّ الجاهِ والعَظَمَةِ كانَ لَكُمُ الدَّافِعَ، مِنْ ذلِكَ اعْتَبَرْتُمْ أنْفُسَكُمْ مِنَ الأنبياء؛
نَحْنُ لا نُريدُ مِثْلِ هذَا الغُرُورِ والكَذِب، يَقَعُ في آذانِنا وَنَسْقُطَ في المَخيض؛
قالَتِ الأنبياءُ هذا مِنْ تِلْكَ العِلَّة، أساسُ العَمى حِجابٌ على الرُّؤيَة؛
سَمِعْتُمْ دَعْوانا وأنتُمْ مَعَ ذلِك، لا تَرَونَ هذا الجَوْهَرَ في يَدِنا؛
إنَّ امْتِحانَ الخَلْقِ هُوَ هذا الجَوْهَرُ، وَنَحْنُ نُديرُهُ مِنْ حَوْلِ العُيون؛
كُلُّ مَنْ قالَ أيْنَ الشَّاهِدُ قَوْلُهُ شاهِدٌ، أنَّهُ لَمْ يرَ الجَوْهَرَ وأنَّهُ في حَبْسِ العمى؛
الشَّمْسُ جاءَتْكَ بالخِطابِ أنِ انْهَضْ، فإنَّ النَّهارَ قَدْ طَلَعَ فَقُمْ وأقِلَّ العِناد؛
فَقُلْتَ لها أيَّتُها الشَّمْسُ أيْنَ الشَّاهِدُ، فقالَتْ لَكَ أيْ أعْمى اطْلُبِ البَصَرَ مِنَ الله؛
كُلُّ مَنْ يَطْلُبُ السِّراجَ في النَّهارِ المُضيء، عَيْنُ الطَّلَبِ مِنْهُ بلاغٌ على عَماه؛
وما دُمْتَ لَمْ تَرَ أخَذَ بِكَ الظَّنُّ، أنَّهُ الصَّباحُ وأنَّكَ في الحِجاب؛
لا تَجْعَلْ عَماكَ مِنْ هذا المَقالِ فاشِياً، وَكُنْ صامِتاً وَكُنْ بانتِظارِ الفَضْل؛
فَقَولُكَ أيْنَ النَّهارُ في وَسَطِ النَّهار، يَجْعَلُ مِنْكَ مَفْضوحاً أيْ طالِبَ النَّهار؛
الصَّبْرُ والصَّمْتُ جَذُوبانِ للرَّحْمَة،هذِهِ الإشارَةُ على البَحْثِ إشارَةٌ على العِلَّة؛
لِكَيْ يَأتِيَكَ مِنَ الحَبيبِ جَزاءُ *أنْصِتُوا*، ويَجيءَ إلى رُوْحِكَ اقْبَلْ *أنْصِتُوا*؛

لِئلاَّ تَكُونَ نَكساً أمامَ هذا الطَّبيب،ضَعْ على الأَرْضِ الذَّهَبَ والرَّأْسَ أي لَبيب؛
وكُنْ بائعاً زائِدَ الكلامِ وَكُنْ مُشْتَرِياً، بَذْلَ الرُّوحِ وَبَذْلَ الجاهِ وَبَذْلَ الذَّهَب؛
حتَّى يَصيرَ فَضْلُهُ ذاكِراً للثَّناءِ عَلَيْك، وَيَصيرَ الفَلَكُ حاسِداً لِما لَكَ مِنَ الجاه؛
حينَ تَجْعَلُ الأَطِبَّاءَ في نَظَرِ القَلْبِ دَوماً،تَرى نَفْسَكَ وَتَصيرُ مِنْ نَفْسِكَ خَجِلاً؛
دَفْعُ هذا العَمى لَيْسَ في يَدِ الخَلْق، لكِنَّ مِنَ الهُدى إكْرامَ الأَطِبَّاءِ؛
كُونوا لِهؤلاءِ الأَطِبَّاءِ العَبيدَ بالرُّوح، لِتَصيروا مُضَمَّخيْنَ بالمِسْكِ وبالعَنْبَر؛

اتِّهامُ القَوْمِ للأنبياء

قالَ القَوْمُ هذا هُوَ الرِّياءُ والمَكْر، مَتى كانَ للهِ نائِباً مِنْ زَيْدٍ وَبَكْر؛
رَسُولِ المَلِكِ يَجِبُ أنْ يَكُونَ مِنْ جِنْسِه،أيْنَ الماءُ والطِّيْنُ وأيْن خالِقُ الأفلاك؛
لَقَدْ أكَلْنا دِماغَ الحِمارِ لَو جَعَلْنا بَعُوْضَةً، مِنْ مِثْلِكُم مَحْرَمَ أسْرارِ طائِرِ الهَما؛
أيْنَ الهَما وأيْنَ البَعُوضَةُ أيْنَ الطِّيْنُ وَأَيْنَ الله،ما تَكونُ الذَّرَّةُ مِنْ شَمْسِ الفَلَك؛

حِكايَةُ الأرانِبِ الَّتي أَرْسَلَتْ أَرْنَباً بِرِسالَةٍ إلى الفيل أنْ قُلْ أنا رَسولُ قَمَرِ السَّماءِ إِلَيْك، أنْ كُنْ في حَذَرٍ مِنْ عَيْنِ الماءِ هذِه، تماماً كما ذُكِرَ في كِتابِ كليلَة وَدِمْنَة

اِعْلَمْ هذا شَبيهاً بِما قالَ أرْنَبٌ، أنا رَسُولٌ لِلقَمَرِ وأنا قَرينٌ للقَمَر؛
مِنْ قَطيعِ الفِيَلَةِ على تِلْكَ العَيْنِ للماءِ الزُّلال،كانَتْ جُمْلَةُ الوُحوشِ في الوَبال؛
كانتِ الوُحوشُ مَحْرومَةً بَعيدَةً عَنِ العَيْن،فقامَتْ بالحِيْلَةِ إذْ لَمْ تَكُنْ لَها القُدْرَة؛
وَنادى مِنْ رَأْسِ الجَبَلِ أرنَبٌ كبيرُ السِّنّ،إلى جِهَةِ الفِيَلَةِ في لَيْلَةِ غِرَّةِ الهِلال؛
أنْ أيْ مَلِكَ الفِيَلَةِ تَعالَ في الرَّابِعِ عَشْرَ، حتَّى تَجِدَ في عَيْنِ الماءِ هذا الدَّليل؛
أيْ شاهَ الفِيَلَةِ أنا رَسُولٌ إلَيْكَ قِف،ما على الرُّسُلِ مِنْ قَيْدٍ وزَجْرٍ ولا غَضَب؛

القَمَرُ يَقولُ لَكُمْ مَعْشَرَ الفِيْلَةِ اذْهَبوا، عَيْنُ الماءِ تِلْكَ لنا فارْتَحِلوا عَنْها جَميعاً؛
وإلاَّ فَسَوفَ أجْعَلُكُمْ عُمياناً لِظُلْمِكُم، قَدْ أبْلَغْتُكُمْ وأَلْقَيْتُ هذا الحِمْلَ عَنْ كاهِلي؛
فقُولوا بِتَرْكِ هذِهِ العَيْنِ واذْهَبوا عَنْها، حتَّى تكونوا آمِنينَ مِنْ ضَرْبِ سَيْفي؛
إلَيْكَ إشارَةً أنَّ الماءَ في تِلْكَ الْعَيْن، يَصيرُ مُضْطَرِباً حِيْنَ يَطْلبُ الفِيْلُ الماء؛
في تِلْكَ اللَّيْلَةِ الفُلانِيَّةِ احْضَرْ أيُّها المَلِكُ الفِيْل، حَتَّى تَجِدَ في الماءِ هذا الدَّليل؛
عِنْدَما مَرَّتْ سَبْعٌ وَخَمْسٌ مِنَ الشَّهْر، جاءَ الفيلُ المَلِكُ وَبَدَأَ يَشْرَبُ مِنَ العَيْن؛
وَقَعَ خَرْطُومُ الفيلِ بالماءِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَصارَ مُضْطَرِباً الماءُ واضْطَرَبَ القَمَر؛
ظَنَّ الفِيْلُ أنَّهُ المَقْصُودُ بِذَلِكَ الخِطاب،لَمَّا قامَ القَمَرُ داخِلَ العَيْنِ بالاِضْطِراب؛
نَحْنُ لَسْنا مِنْ تِلْكَ الفِيَلَةِ الحَمْقى أيْ جَماعَةُ،حتَّى نَخافَ مِنْ اضْطِرابِ القَمَر؛
قالَتْ لَهُمُ الأنْبياءُ آهٍ فإنَّ نَصيحَةَ الرُّوح ، جَعَلَتْ قَيْدَكُمْ أقْوى يا أيُّها السُّفهاء؛

جَوابُ الأنبياءِ على طَعْنِهِم وَضَرْبِهِمْ مَثَلاً لَهُم

أيْ أسَفاً أنَّ الدَّواءَ في مَرَضِكُم، صارَ سُمَّ قَهْرٍ جاذِباً لأرواحِكُم؛
هذا السِّراجُ زادَ تِلْكَ العَيْنَ ظُلْمَةً، ما دامَ اللهُ قَدْ نَصَبَ حِجابَ الغَضَب؛
أيَّةَ رِئاسَةٍ نَرْجُو أنْ تَكُونَ لَنا مِنْكُم، والرِّئاسَةُ أتَتْنا زائِدَةً مِنَ السَّماء؛
أيَّ شَرَفٍ وَجَدَ مِنَ السَّفينِ بَحْرُ الدُّرِّ، خاصَّةً سَفينٍ كانَ مَمْلوءاً مِنْ البَعْر؛
أيْ أَسَفاً أنَّ تِلْكَ العَيْنَ العَمْياءَ والطَّخْياء، قَدْ ظَهَرَتْ بِها الشَّمْسُ ذَرَّةً صَغيرَة؛
مِنْ آدَميٍّ كانَ بلا مِثالٍ ولا نَديد، ما رَأَتْ عَيْنُ إبليسَ غَيْرَ الطِّيْن؛
عَيْنُ المَجْنونَ أَرَتْهُ الرَّبيعَ الشِّتاءَ، فَنَفَرَ مِنْ ذلِكَ الطَّرَفِ الَّذي كانَ مَنْزِلاً لَه؛
أيْ كَمْ مِنْ بَخْتٍ كانَ مُقْبِلاً تَدْريجاً،إلى مَنْ هُوَ بلا بَخْتٍ فَرَجَعَ عَنِ الطَّريق؛
أيْ كَمْ مِنْ مَعْشُوقٍ جاءَ غَيْرَ مَعْروفٍ،أمامَ سَيِّئِ بَخْتٍ لا يَعْرِفُ لُعْبَةَ العِشْق؛
الَّذي أعْطى العَيْنَ هذا الغَلَطَ حِرْمانُنا، وهذا المُقَلِّبُ للقَلْبِ هُوَ سُوءُ القضاء؛

عِنْدَما صارَ الصَّنَمُ مِنَ الصَّخْرِ قِبْلَةً لَكُم، صارَتِ اللَّعْنَةُ والعَمى ظُلَّةً لَكُمْ؛
أَحَجَرُكُمْ قَدْ يكونُ شَريكاً لِلحَقّ، ولا يَكُوْنَ العَقْلُ والرُّوحُ مَحْرَمَ سِرِّ الحَقّ؛
البَعُوْضَةُ مَيْتَةً صارَتْ للهَما الشَّريك، كَيْفَ لا تَصيرُ حَيَّةً مَحْرَمَ سِرِّ المَليك؛
أمْ لَعَلَّ البَعُوضَةَ المَيْتَةَ مِنْ بَرْئِكُم، وَأَنَّ البَعُوضَةَ الحَيَّةَ مِنْ بَرْءِ الله؛
أنتُمْ عاشِقونَ للنَّفْسِ وَلِما صَنَعَتِ النَّفْس،ذَنَبُ الأفْعى في المَذْهَبِ تابِعٌ للرَّأْس؛
لِيْسَ في ذلِكَ دَوْلَةٌ وَنِعْمَة، ولا في ذلِكَ راحَةٌ وَلَذَّةٌ؛
ذَنَبُ الأفْعى ذاكَ كانَ دائراً حَوْلَ الرَّأْس،ذانِكَ رَفيقانِ كُلٌّ مِنْهُما لائقٌ بالآخَر؛
مِثْلَ ذلِكَ قالَ الحَكيمُ الغَزْنَوِيُّ، في *كِتابِ إلهي* إنْ كُنْتَ تَسْمَعُ جَيِّداً؛
كُنْ قَليلَ الفُضولِ في حُكْمِ القَدَر، فَقَدْ جاءَ جِسْمُ الحِمارِ مُلائماً لأُذُنِ الحِمار؛
لَقَدْ جاءَتْ مُتَناسِبَةً الأعْضاءُ والأبْدان، لَقَدْ جاءَتِ الأوصافُ مُناسِبَةً للأرواح؛
وَصْفُ كُلِّ رُوحٍ لا بُدَّ أنْ يَكونَ مُتَناسِباً، بلا شَكٍّ مَعَ الرُّوحِ الَّتي بَرَأَ الحَق؛
بِما أنَّهُ جَعَلَ الصِّفَةَ قَرينَةَ الرُّوح، اعْرِفْها مُناسِبَةً لها تناسُبَ العَيْنِ والوَجْه؛
غَدَتِ الأوصافُ مُناسِبَةً في حُسْنٍ وقُبْح، ومُناسِبَةً الحُروفُ الَّتي كَتَبَ الحَقّ؛
العَيْنُ والقَلْبُ ما *بَيْنَ إصْبَعَيْن*، كالقَلَمِ في يَدِ الكاتِبِ *أيْ حُسَيْن*؛
إصبَعُ لُطْفٍ وَإِصْبَعُ قَهْرٍ وما بَيْنَهُما، قَلَمُ القَلْبِ بِقَبْضٍ وَبَسْطٍ مِنْ هذا البَنان؛
أيْ قَلَمُ انْظُرْ إنْ كُنْتَ إجلالِيّاً، أنتَ ما بَيْنَ إصْبَعَيْ مَنْ تكون؛
جُمْلَةُ قَصْدِكَ وَحَرَكَتِكَ مِنْ هذا الإصْبَع، فَرْقُكَ على مُفْتَرَقِ الطُّرُقِ مَجْمَع؛
هذِهِ الحُروفُ حالاتُكَ مِنْ نَسْخِه، عَزْمُكَ وَفَسْخُكَ مِنْ عَزْمِهِ وَفَسْخِه؛
لا طَريقَ غَيْرَ الإفْتِقارِ وَغَيْرَ التَّضَرُّعِ، وما كُلُّ قَلَمٍ بِمُدْرِكٍ لِهذا التَّقَلُّب؛
هذا القَلَمُ عَلِمَ وَلكِنْ على قَدْرِ نَفْسِهِ، أظْهَرَ في الخَيْرِ والشَّرِّ قَدْرَ نَفْسِه؛
إنَّ ذاكَ الَّذي جُعِلَ مُعَلَّقاً على الأرْنَبِ والفيل، ظَلَّ إلى الأزَلِ مُخالَطاً بالحِيَل؛

بيانُ أنَّهُ ما كُلُّ شَخْصٍ يَصِلُ إلى ضَرْبِ المَثَلِ خاصَّةً في الأمْرِ الإلهيّ

متى تَصِلُ إلَيْكُمْ صِناعَةُ هذِهِ الأمْثال، وإرسالُها جِهَةَ تِلْكَ العَتَبَةِ الطّاهِرَة؛
إنَّ ضَرْبَ المَثَلِ هُوَ لِتِلْكَ الحَضْرَة، الّتي هِيَ في عِلْمِ السِّرِّ والجَهْرِ آيَة؛
ما عِلْمُكَ بِسِرِّ الشَّيْءِ حَتّى وَأنْتَ أقْرَعٌ، تَضْرِبُ المَثَلَ عَنْ جَديلَةٍ وَعَنْ وَجْه؛
تِلْكَ الّتي رآها مُوسى عَصاً لَمْ تَكُنْ عَصاً، لَقَدْ كانَتْ حَيَّةً وسِرُّها فَتَحَ الفَم؛
مَلِكٌ كَهذا كَيْفَ لا يَعْلَمُ سِرَّ عُوْد، أنتَ ما تَعْلَمُ مِنْ سِرِّ هذِهِ الشِّباكِ والحُبوب؛
ما دامَتْ عَيْنُ موسى غَلِطَتْ في المَثَلْ، كَيْفَ يكونُ لِفَأْرٍ فُضولِيٍّ مُدَّخَل؛
لَقَدْ جَعَلَ ذلِكَ المِثالَ لَكَ كالأفْعى، حَتّى يَقْتَلِعَ في الجَوابِ جُزْءَ جُزْئِكَ؛
أورَدَ هذا المِثالَ إبليسُ اللَّعين، حتّى صارَ مَلْعُونَ الحَقِّ إلى يَومِ الدِّيْن؛
أورَدَ هذا المِثالَ قارُونُ مِنَ اللَّجاج، فَخَسَفَ في الأرْضِ مَعَ العَرْشِ والتّاج؛
اِعْرِفْ مِثالَكَ هذا مِثْلَ الغُرابِ والبوم،صارَتْ وَضيعَةً مِنْهُما مِئَةٌ مِنَ القَبائل؛

ضَرْبُ الأمْثالِ للاسْتِهْزاءِ مِنْ قِبَلِ قَوْمِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ زَمانَ صُنْعِهِ السَّفينَة

نُوحُ كانَ يَصْنَعُ سَفينَةً وَسَطَ البادِيَة، أغارَ عَلَيْهِ مِئَةُ قائلِ مَثَلٍ للسُّخْرِيَة؛
أَنْ يا لَهُ مِنْ جاهِلٍ أبْلَهٍ يَصْنَعُ سَفينَةً، في وَسَطِ صَحْراءَ لَيْسَ بِها بِئرُ ماء؛
واحِدٌ كانَ يَقُولُ أيْ سَفينَةُ انْطَلِقي،وواحِدٌ كانَ يَقُولُ فَلْتَصْنَعْ لَها الجَناحَ أيْضاً؛
وهُوَ كانَ يَظَلُّ يَقُولُ هذا بِأَمْرِ الله،وهذا لَنْ يَصيرَ مَنْقُوصاً بِهذِهِ الخُزَعْبَلات؛

حِكايَةُ ذلِكَ اللِّصّ الَّذي سَأَلُوهُ ما تَفْعَلُ مُنْتَصَفَ

اللَّيْلِ عِنْدَ أصْلِ هذا الجِدارِ، قالَ أَقْرَعُ الطَّبْل

اِسْتَمِعْ لِهذا المَثَلَ فَلَيْلَةً كانَ لِصٌّ عَنيد، يَحْفِرُ حُفْرَةً وَسَطَ أَصْلِ جِدار؛
واحِدٌ نِصْفُ مُسْتَيْقِظٍ عَليلٌ، كانَ يَسْمَعُ طَقْطَقَتَهُ البَطيئة؛
صَعَدَ على السَّطْحِ وَخَفَضَ الرَّأْسَ للأسْفَلِ، قالَ لَهُ أنْتَ في أَيِّ عَمَلٍ أيْ أَبّ؛
خَيْراً يكونُ مَنْ تَكُونُ ما تَفْعَلُ وَسَطَ اللَّيْل، قالَ أنا أقْرَعُ الطَّبْلَ يا أَيُّها السَّنِيّ؛
قالَ أنتَ في أيّ عَمَلٍ قالَ أقْرَعُ الطَّبْل، قالَ فَأَيْنَ صَوْتُ الطَّبْلِ يا أبا السُّبُل؛
قالَ غَداً تَسْمَعُ هذا النِّدا، صَرْخَةً واحَسْرَتا واوَيْلَتا؛
ذاكَ كَذِبٌ واعْوِجاجٌ وَصُنْعٌ مُصْطَنَع، وَأَنْتَ لا تَعْرِفُ سِرَّ ذاكَ الاِعْوِجاج؛

الجَوابُ لذلِكَ المَثَلِ الَّذي قالَهُ المُنْكِرونَ عَنْ

حَمْلِ الأرْنَبِ الرِّسالَةَ للفيل مِنْ قَمَرِ السَّماء

سِرَّ ذلِكَ الأرْنَبِ اعْرِفْهُ الشَّيطانَ الفُضولِيَّ،الَّذي جاءَ إلى أمامِ نَفْسِكَ رَسولاً؛
حَتَّى جَعَلَ النَّفْسَ الحَمْقاءَ مَحْرومَةً، مِنْ ماءِ الحَياةِ الَّذي شَرِبَ مِنْهُ الخِضْر؛
لَقَدْ جَعَلْتَ مَعْناها مَقْلُوباً، وَنَطَقْتَ بالكُفْرِ فاسْتَعِدَّ للعَقاب؛
قُلْتَ بالاضْطِرابِ للقَمَرِ في الماءِ الزُّلال، حتَّى أخافَ ابنُ آواكَ الأفيال؛
جِئْتَ بِقِصَّةِ الأرْنَبِ والفيلِ والماء، وَخَشْيَةِ الفِيَلَةِ مِنَ القَمَرِ في الاِضْطِراب؛
أَيُّ شَبَهٍ لِهذا أخيراً أيْ عُمْيانُ أخْوام، مَعَ قَمَرٍ صارَ يَطْلُبُهُ الخاصُّ والعام؛
أيُّ قَمَرٍ وأَيَّةُ شَمْسٍ وَأَيُّ فَلَكٍ، وَأَيَّةُ عُقولٍ وَأَيَّةُ نُفوسٍ وَأَيُّ مَلَك؛
إنَّهُ شَمْسٌ لِشَمْسِ الشَّمْس، ماذا أَقُولُ أَمْ أنا في نَوم؛
غَضَبُ أولئكَ المُلوكِ أيُّها الضَّالُّون،قَلَبَ مِئاتِ ألوفِ المُدُنِ رَأْساً على عَقِب؛

الجَبَلُ مِنْهُ يَنْفَطِرُ إلى مئاتِ الأشْطار، والشَّمْسُ مِنْهُ طائفَةٌ كحِمارِ الطَّاحُون؛
غَضَبُ الرِّجالِ أيْبَسَ سَحاباً، غَضَبُ القُلوبِ جَعَلَ العَوالِمَ خَراباً؛
فانْظُروا أَيْ مَيِّتين بلا حُنُوط، إلى مَوْضَعِ العِقابِ بِمَدينَةِ لُوط؛
الفيلُ نَفْسُهُ ما يكونُ وثلاثَةُ طُيُورٍ طائِرَةٍ، قامَتْ بِدَقّ عِظامَ تِلْكَ الأفيالِ دَقّاً؛
أضْعَفُ الطُّيُورِ الطَّيْرُ الأبابيلِيّ، وَمَزَّقَ الفيلَ تَمْزيقاً لا يَقْبَلُ الرَّفْو؛
مَنْ هُوَ ذاك الَّذي ما سَمِعَ بِطُوفانِ نُوح، أو بِمَصافِّ جَيْشِ فِرْعَونَ والرُّوح؛
أرواحُهُمُ انكَسَرَتْ وَسالَتْ تَحْتَ الماء، ذَرَّةً ذَرَّةً راحَ يُفَتِّتُها الماء؛
أينَ مَنْ لَمْ يَسْمَعْ بِأحْوالِ ثَمود، وبِتِلْكَ الصَّرْصَرِ الَّتي اخْتَطَفَت قَوْمَ هُود؛
اِفْتَحِ العَيْنَ مَرَّةً على أمْثالِ تِلْكَ الفِيَلَة، الَّتي كانَتْ في الوَغى قَتَّالَةَ الفِيَلَة؛
أمثالُ أولئكَ مِنْ كُلِّ فيلٍ وَمَلِكٍ ظَلوم، تَحْتَ غَضَبِ القَلْبِ دائماً في رُجوم؛
يَذْهَبُونَ مِنْ ظُلْمَةٍ إلى ظُلْمَة، حتَّى الأَبَدِ بلا غَوْثِ رَحْمَة؛
كأنَّكُمْ لَمْ تَسْمَعُوا بالإسْمِ الحَسَنِ والقَبيح، الجَميعُ رَأَوا وَأَنْتُمْ لَمْ تَرَوا؛
تَجيءُ لَمْ تَرَ المَرئِيَّ ولكِنَّ المَوْتَ، يَقُومُ بِفَتْحِ عَيْنِكَ الفَتْحَ الجَميل؛
العالَمُ كانَ مَمْلوءاً بالشَّمْسِ وبالنُّور، فكَيْفَ تَذْهَبُ في ظُلْمَةٍ كَأَنَّها القَبْر؛
تأتي بلا نَصيْبٍ مِنْ ذلِكَ النُّورِ العَظيم، تَصيرُ مُغْلَقَ النَّافِذَةِ عَنِ البَدْرِ الكَريم؛
لَقَدْ نَزَلْتَ مِنَ القَصْرِ إلى البِئْرِ، ما هُوَ الذَّنْبُ لِلعَوالِمِ الواسِعَة؛
الرُّوحُ الَّتي بَقِيَتْ تَحْتَ وَصْفِ ذِئْبٍ، مِنْ أَيْنَ لها أنْ ترى وَجْهَ يُوسُف؛
لَحْنُ داوُودَ وَصَلَ إلى الصَّخْرِ والجَبل، وقَلَّما سَمِعَتْهُ أُذُنُ قُساةِ القُلوبِ أولئك؛
طُوبى للعَقْلِ وَطُوبى للإنْصاف، كُلَّ زَمانٍ *وَاللهُ أَعْلَمُ بِالرَّشاد*؛

صَدِّقُوا رُسْلاً كِراماً يا سَبا صَدِّقُوا رُوحاً سَباها مَنْ سَبا

صَدِّقُوهُمْ هُمْ شُموسٌ طالِعَهْ يُؤمِنُوكُمْ مِنْ مَخازي القارِعَهْ

صَدِّقُوهُمْ هُمْ بُدُورٌ زاهِرَهْ قَبْلَ أَنْ يَلْقَوْكُمْ بالسَّاهِرَه

صَدِّقُوهُمْ هُمْ مصابيحُ الدُّجى أكْرِمُوهُمْ هُمْ مفاتيحُ الرَّجا

صَدِّقُوا مَنْ لَيْسَ يَرْجُوْ خَيْرَكُمْ لا تَضِلُّوا لا تَصُدُّوا غَيْرَكُمْ

خَلِّ العَرَبِيَّةَ وَلْنَقُلْ بالفارِسِيَّة، كُنْ هِنْدِيَّ ذاكَ التُّرْكِيِّ أيُّها الماءُ والطِّين؛

اِسْمَعُوا شُهَداءَ المُلوك ، لَقَدْ صَدَّقَتِ السَّماواتُ فَصَدِّقُوا؛

معْنى الحَزْمِ وَمِثالُ الرَّجُلِ الحازِم

أوِ انْظُروا في حالِ الأوَّلين، أوْ طِيْروا بِحَزْمٍ إلى جِهَةِ الآخِرَة؛

كانَ الحَزْمُ في تَدْبيرَيْنِ للاِحْتِياط، أنْ تَأْخُذَ مِنَ الاِثْنَيْنِ بالأبْعَدِ عَنِ الخُباط؛

قالَ واحِدٌ في هذا الطَّريقِ بَطُوْلِ سَبْعَةِ أيَّام، رَمْلٌ حارِقٌ للقَدَمِ ولا ماء؛

وقالَ واحِدٌ آخَرُ هذا كَذِبٌ، اِمْضِ ففي كُلِّ لَيْلَةٍ تَرى نَبْعاً جارياً؛

الحَزْمُ يَكُونُ في أنْ تَأْخُذَ الماء، حتَّى تَنْجُوَ مِنَ الخَوْفِ وَتَكُونَ على صَواب؛

فإنْ وَجَدْتَ في الطَّريقِ الماءَ أَرِقْ هذا، وإنْ لَمْ يَكُنْ فآهِ على الرَّجُلِ العَنيد؛

يا أبْناءَ الخَليفَةِ اعْمَلُوا العَدْل، أَعْمِلُوا الحَزْمَ مِنْ أجْلِ يَومِ المِيعاد؛

مِنْ ذلِكَ العَدُوِّ الَّذي حَمَلَ لأبيكُمُ الحِقْد، وَشَدَّهُ مِنْ عِلِّيِّيْنَ إلى جِهَةِ سِجِّين؛

وَقَتَلَ شاهَ الشَّطْرَنْجِ الَّذي هُوَ القَلْب، أخْرَجَهُ مِنَ الجَنَّةِ وجَعَلَهُ مُسَخَّراً للآفات؛

لَقَدْ أمْسَكَ مِنْهُ بالوَثاقِ في مَواقِعَ عَديدَةٍ، حتَّى رَماهُ للقَتْلِ وَهُوَ شاحِبُ الوَجْه؛

فَعَلَ مِثْلَ هذا مَعَ مِثْلِ ذلِكَ البَطَل، فلا تَرَوْهُ سَهْلاً وَضَعيفاً أيُّها الآخَرُون؛

لَقَدْ خَطَفَ الزِّيْنَةَ والتَّاجَ بِمَهارَةٍ خَطْفاً، عَنْ أُمِّنا وعَنْ أبينا ذلِكَ الحَسُودُ؛

وتَرَكَهُما هُناكَ عارِيَيْنِ ذَلِيْلَيْنِ ضَعِيْفَيْن، وَظَلَّ آدَمُ سِنينَ في البُكاءِ والنَّحيب؛

إلى أنْ نَبَتَ مِنْ دَمْعِ عَيْنِهِ النَّبْتُ، أنْ لِماذا هذا الثَّبْتُ في جَرِيدَةِ النَّفْي؛

أنْتَ فخُذْ القِياسَ على فِعْلِ هذا الطَّرَّار، وكَيْف اقْتَلَعَ مِنْ هذا العَظيمِ اللِّحْيَة؛

فَالحَذَرَ مِنْ شَرِّهِ يا عابَدي الطِّيْن، اضْرِبُوهُ على الرَّأْسِ بِسَيْفِ لا حَوْل؛

فإنَّهُ دائماً يَراكُمْ مِنَ الكَمين، وَأَنْتُمْ لا تَرَوْنَهُ ألا فاحْذَرُوه؛
الصَّيَّادُ دائماً يَنْثُرُ الحُبوب، الحُبُوبُ ظاهِرَةٌ والدَّغِلُ مُخْتَفٍ؛
حَيْثُما رَأَيْتُمْ الحَبَّةَ كُونوا على حَذَر، كيْ لا تُقَيّدَ جَناحَكُمْ وَقَوادِمَكُمْ الشِّباك؛
فإنَّ ذلِكَ الطَّائرَ الَّذي تَرَكَ الحَبَّةَ، أَكَلَ مِنَ الصَّحْراءِ حَبَّةً بلا تَزوير؛
كانَ قانِعاً بِتِلْكَ الحَبَّةِ وَفَرَّ مُسْرِعاً عَنِ الشِّباك،لَمْ تُقَيِّدِ الشِّباكُ جَناحَهُ وَقَوادِمَه؛

وَخامَةُ عَمَلِ ذلِكَ الطَّائرِ الَّذي قامَ بِتَرْكِ الحَزْمِ مِنَ الحِرْصِ والهَوى

حَطَّ طائرٌ على جِدارٍ وَقَعَدَ هُناك، وَعَقَدَ النَّظَرَ على حَبَّةٍ في الشِّباك؛
يُلْقي بالنَّظْرِ مَرَّةً جِهَةَ الصَّحْراء، ويَشُدُّهُ الحِرْصُ فَيُلقي بالنَّظْرِ جِهَةَ الحَبَّة؛
الجِدالُ ما بَيْنَ هذا النَّظَرِ وَذاكَ النَّظَر، جَعَلَهُ فَجْأَةً خالِياً مِنَ العَقْل؛
لكِنَّ طائراً تَرَكَ ذاكَ التَّرَدُّدَ، وعادَ عَنْ ذلِكَ النَّظَرِ وَجَعَلَ النَّظَرَ للصَّحْراء؛
سَعيدُ الرِّيْشِ والجَناحِ بَخٍ بَخٍ لَه، حَتَّى أَنَّهُ صارَ إماماً لِجُمْلَةِ الأحْرار؛
كُلُّ مَنْ جَعَلَ مِنْهُ مُقْتَدىً لَهُ نَجا، وَجَلَسَ في مقامِ الحُرِّيَّةِ والأَمْن؛
ذلِكَ لأنَّ قَلْبَهُ جاءَ إمامَ الحازِمين، إلى أنْ صارَتِ الأيْكُ لَهُ مَنْزِلاً والبَساتين؛
الحَزْمُ راضٍ عَنْهُ وَهُوَ راضٍ عَنِ الحَزْم،هكذا افْعَلْ إنْ كُنْتَ ذا تَدْبيرٍ وَعَزْم؛
وَقَعْتَ في شِباكِ الحِرْصِ مَرَّاتٍ، وأَعْطَيْتَ حَلْقَكَ للقَطْعِ مَرَّاتٍ؛
لُطْفُ التَّوَّابِ ذاكَ حَرَّرَك، قَبِلَ مِنْكَ تَوْبَتَكَ وأَسْعَدَك؛
قالَ إنْ عُدْتُمْ كَذا عُدْنا كَذا نَحْنُ زَوَّجْنا الفِعالَ بالجَزا
عِنْدَما أَحْمِلُ معي زَوْجَاً فإنَّ زَوْجَهُ، تأتي مُسْرِعَةً في إِثْرِهِ لا جَرَمْ؛
لَقَدْ شَفَعْنا هذا العَمَلَ بالأَثَرْ، إذا وَصَلَ زَوْجٌ وَصَلَ زَوْجُهُ الآخَر؛
إذا خَطَفَتْ غارَةٌ مِنَ الزَّوْجَةِ الزَّوْج، تأتي الزَّوْجَةُ في إِثْرِهِ تَطْلُبُه؛
أَتَيْتَ نَحْوَ هذي الشِّباكِ مَرَّةً أُخْرى، لَقَدْ أَلْقَيْتَ بالغُبارِ داخِلَ عَيْنِ التَّوْبَة؛

وَعادَ فَحَلَّ عُقْدَتَكَ تِلْكَ ذلِكَ التَّوّاب،قالَ هَيّا اهْرَبْ لا تَجْعَلِ الوَجْهَ هذِهِ الجِهَة؛
وَحِيْنَ عادَتْ فَراشَةُ النِّسْيانِ مِنْ جَديد، سَحَبَتْ رُوحَكَ إلى جِهَةِ النّار؛
فَتَوَقَّفي يا فَراشَةَ النِّسْيانِ والشَّكّ، أُنْظُري إلى جَناحِكِ المُحْتَرِقِ مَرَّةً واحِدَة؛
ما دُمْتَ نَجَوْتَ فَشُكْرُ ذلِكَ يَكُونُ، أنْ لا تَسيرَ مُلْتَوياً إلى جِهَةِ تِلْكَ الحَبَّة؛
ما دُمْتَ تَقُولُ الشُّكْرَ فإنَّهُ يَهَبُ لَكَ، رِزْقاً بلا شِباكٍ وبلا خَوْفٍ مِنْ عَدُوّ؛
شُكْراً لِتِلْكَ النِّعْمَةِ مِنْ كَوْنِهِ حَرَّرَكَ، صارَ واجِباً عَلَيْكَ أنْ تَذْكُرَ نِعْمَةَ الحَقّ؛
فَكَمْ وَسَطَ الأوجاعِ وَكَمْ داخِلَ البَلاءِ، قُلْتَ أَعْطِني نَجاةً مِنَ الشِّباكِ أي الله؛
كَيْ أَقُوْمَ بالخِدْمَةِ الحَسَنَةِ وَأَعْمَلَ الإحْسان،وَأَجْعَلَ الغُبارَ داخِلَ عَيْنِ الشَّيْطان؛

حِكايَةُ نَذْرِ الكِلابِ في كُلِّ شِتاءٍ أنْ عِنْدَما يَجيءُ الصَّيْفُ سَنَبْني بَيْتاً لِأَجْلِ الشِّتاء

الكَلْبُ صارَتْ عِظامُهُ في الشِّتاءِ مُجْتَمِعَةً، آذاهُ لَسْعُ البَرْدِ وكادَ أنْ يُمَزِّقَه؛
قالَ أنا بِهذا القَدْرِ مِنَ البَدَنِ الَّذي عِنْدي، يَجِبُ عَلَيَّ أنْ أبنِيَ بَيْتاً مِنَ الحَجَر؛
عِنْدَما يَجيءُ الصَّيْفُ سَوْفَ أبني بِيَدي، بَيْتاً مِنَ الحَجَرِ أَتَّقي بِهِ البَرْد؛
لَمّا أتى الصَّيْفُ ومِنْ سَعَةِ الصَّيْفِ، صارَتْ عِظامُهُ مُسْتَرْخِيَةً والجِلْدُ نَضِراً؛
قالَ لِنَفْسِهِ إذْ رأى نَفْسَهُ ضَخْماً هكذا، أيُّ مَنْزِلٍ سَوْفَ يَتَّسِعُ لَكَ أيُّها الفاضِل؛
لَقَدْ صارَ سَميناً وَمَدَّ القَدَمَ في الظِّلّ، جَمِيْلَ المَنْظَرِ كَسُولاً مُتَهَوِّراً بَليداً؛
قالَ لَهُ القَلْبُ فَلْتَبْنِ بَيْتاً أيْ عَمّ، قالَ مَتى يَتَّسِعُ لي مَنْزِلٌ قُلْ؛
عِظامُ حِرْصِكَ في وَقْتِ الألَمِ، تَتَداخَلُ تَتَفَتَّتُ مِنَ الإنْطِواء؛
تَقُولُ مِنَ التَّوْبَةِ في الشِّتاءِ سَأَبني مَسْكَناً، يَكُونُ في الشِّتاءِ لي ملاذاً؛
لَمّا ذَهَبَ الألَمُ وَصِرْتَ بِذلِكَ الحِرْصِ الكَبير،فاتَكَ نَفْعُ البَيْت كما فاتَ الكَلْب؛
شُكْرُ النِّعْمَةِ يَكُونُ خَيْراً مِنَ النِّعْمَة، مَتى مَضى مُحِبُّ الشُّكْرِ نَحْوَ النِّعْمَة؛

الشُّكْرُ رُوحُ النِّعْمَةِ والنِّعْمَةُ كأنَّها الجِلْد، لأنَّ الشُّكْرَ يَأْخُذُكَ إلى دِيارِ الحَبيب؛
النِّعْمَةُ تأتيكَ بالغَفْلَةِ والشُّكْرُ انتِباه، كُنْ صائدَ النِّعْمَةِ بِشِباكِ شُكْرِ الشَّاه؛
شُكْرُكَ النِّعْمَةَ يَجْعَلُ مِنْكَ سَيِّداً مَليءَ العَيْن، حَتَّى تُؤثِرَ الفَقيرَ بِمِئَةِ نِعْمَة؛
وَتَأْكُلَ حَتَّى تَشْبَعَ مِنْ طعامِ وَنَقْلِ الحَقّ، إلى أنْ يَذْهَبَ مِنْكَ النَّهَمُ والإنْكِسارُ؛

مَنْعُ المُنْكِرينَ لِلأنبياءِ عَلَيْهِم السَّلام
مِنَ النَّصيحَةِ وإيرادِ الحُجَّةِ بِحُجَّةِ الجَبْر

قالَ القَوْمُ أيُّها النَّاصِحُونَ كَفى، قَوْلُكُمْ لَو كانَ في المَدينَةِ شَخْصٌ كَفى؛
وَضَعَ القِفْلَ على قُلوبِنا الحَقّ، ما لِشَخْصٍ على الخالِقِ السَّبْق؛
ذاكَ المُصَوِّرُ صَوَّرَ صُوَرَنا هكذا، هذا بالجِدالِ لَنْ يَصيرَ شَيْئاً آخَر؛
تَقُوْلُ للحَجَرِ كُنْ ياقُوتاً مِئةَ عام، وَتَقُولُ للقَديمِ كُنْ جَديداً مِئَةَ عام؛
تَقُولُ للتُّرابِ خُذْ صِفاتِ الماء، وتَقُولُ للماءِ كُنْ عَسَلاً أو لَبَناً؛
خالِقُ الأفلاكِ خالِقُ الأفلاكِيّين، خالِقُ الماءِ والتُّرابِ والتُّرابِيّين؛
أعْطى السَّماءَ الدَّوَرانَ والصَّفاء، أعْطى الماءَ والطِّيْنَ الكُدُوْرَةَ والنَّماء؛
مَتى تَقْدِرُ تَقْبَلُ الكُدُوْرَةَ السَّماء، متى يَقْدِرُ الماءُ والطِّيْنُ على شِراءِ الصَّفاء؛
جَرَتِ القِسْمَةُ لِكُلِّ واحِدٍ طَريق،مَتى صارَ الجَبَلُ عَنْ طَريقِ الجَهْدِ مِثْلَ قَشَّة؛

جَوابُ الأنبياءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ على الجَبْرِيّين

قالَتِ الأنبياءُ حَقَّاً لَقَدِ ابْتَدَعَ الخالِقُ، مِنَ الأوصافِ أوصافاً لا يُمْكِنُ أنْ تُقاوَمَ؛
كما أنَّهُ ابْتَدَعَ كذلِكَ أوصافاً عارِضَةً، يَصيرُ رَضِيَّاً مِنْها الشَّخْصُ المَبْغُوض؛
فلا طائِلَ مِنْ قَوْلِكَ للصَّخْرِ كُنْ ذَهَباً، وثَمَّةَ طَريقٌ لِقَوْلِكَ للنُّحاسِ صِرْ ذَهَباً؛
الرَّمْلُ مِنْ قَوْلِكَ لَهُ كُنْ وَرْداً عاجِز، وَقَوْلُكَ للتُّرابِ صِرْ وَرْداً جائز؛

فَأَمْراضٌ مُسْتَعْصِيَةٌ لا حِيْلَةَ لها، تِلْكَ مِنْ أمْثالِ العَرَجِ والفَطَسِ والعمى؛
وَأَمْراضٌ يُسْطاعُ تَدْبيرُها وَتَقْبَلُ العِلاج،تِلْكَ مِنْ أمْثالِ اللَّقْوَةِ وَأَوجاعِ الرَّأْس؛
هذِهِ الأدْوِيَةُ رُكِّبَتْ مِنْ أجْلِ الائتِلاف،الأمْراضُ والأَدْوِيَةُ لَيْسَتْ مِنَ الجُزاف؛
لا بَلْ إنَّ أغْلَبَ الأمْراضِ لها تَدْبير،تَصِلُ إلى ذلِكَ حينَ تَبْحَثُ عَنْ ذلِكَ بِجِدّ؛

تِكْرارُ الكافِرينَ لِحُجَجِ الجَبْر

قالَ القَوْمُ أيْ جَماعَةُ مَرَضُنا هذا، لَيْسَ مِنْ قَبيلِ المَرَضِ الَّذي يَقْبَلُ الدَّواء؛
سِنينَ تَقومونَ بالسِّحْرِ وَتَقولونَ النُّصْحَ، وَقَيْدُنا مِنْ ذلِكَ كُلَّ لَحْظَةٍ أَقوى؛
لَو كانَ هذا المَرَضُ مِمَّا يَقْبَلُ الدَّواءَ، كانَتْ زالَتْ مِنْهُ ذَرَّةٌ واحِدَةٌ أخيراً؛
إذا كانَ السَّدُّ لا يَدْخُلُ الماءُ للكَبِد، لَوْ شَرِبْتَ البَحْرَ لَذَهَبَ مكاناً آخَر؛
لا جَرَمَ تَأْخُذُ اليَدُ والقَدَمُ الوَرَمَ ، ولا يَكْسِرُ ذلِكَ الإسْتِقاءُ العَطَش؛

جَوابُ الأنبياءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ لَهُمْ مِنْ جَديد

قالَتِ الأنبياءُ إنَّ القُنُوطَ سَيِّئٌ، وإنَّ الفَضْلَ والرَّحْمَةَ مِنَ الباري بلا حَدّ؛
مِنْ مِثْلِ هذا المُحْسِنِ لا يَليقُ اليَأْسُ، أمْسِكوا باليَدِ بِذُيولِ سَرْجِ هذِهِ الرَّحْمَة؛
أيْ كَمْ مِنْ عَمَلٍ كانَ صَعْباً أوَّلُه، ثُمَّ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ انْفَتَحَ وَزالَتْ شِدَّتُه؛
مِنْ بَعْدِ اليَأْسِ كَمْ مِنْ آمالٍ كثيرَةٍ، مِنْ بَعْدِ الظُّلْمَةِ كَمْ مِنْ شُموسٍ كثيرَةٍ؛
لأفْتَرِضْ أنَّكُمْ صِرْتُمْ قُساةً كالحِجارَة،وَجَعَلْتُمُ الأقْفالَ على الأُذُنِ وعلى القَلْب؛
نَحْنُ لَيْسَ لنا شُغْلٌ بالقَبُولِ مِنْكُمْ أَبَداً، أمْرُنا هُوَ التَّسْليمُ وَتَنْفيذُ الأمْرِ وَحَسْب؛
هُوَ الَّذي أمَرَنا بالقيامِ بِهذِهِ الخِدْمَة، لَيْسَ لنا أنْ نَقُوْلَ هذا القَوْلَ مِنْ أنْفُسِنا؛
نَحْنُ جَعَلْنا الرُّوحَ لأمْرِهِ على الدَّوام، لَوْ طَلَبَ مِنَّا أنْ نَحْرُثَ الرَّمْلَ حَرَثْناه؛
لَيْسَ لِرُوحِ النَّبِيِّ مِنْ رَفيقٍ سِوى الحَقّ،لا شُغْلَ لها بِالقَبُوْلِ وَالرَّدِّ مِنَ الخَلْق؛

أجْرُ تَبْليغِ رِسالاتِهِ لَنا مِنْه، مِنْ أجْلِ الحَبيبِ صِرْنا لَكُمْ أعْداءً وَسَيِّئي وُجُوه؛
نَحْنُ غَيْرُ مَلُولينَ على هذِهِ الأَعْتاب، كَيْ نَقِفَ مِنْ بُعْدِ الطَّريقِ في كُلِّ مكان؛
الَّذي يَسْقُطُ وَيَمَلُّ هُوَ ذلِكَ الشَّخْصُ، الَّذي كانَ مِنْ فِراقِ الحَبيبِ في الحَبْس؛
مَحبوبُنا وَمَطْلُوبُنا مَعَنا حاضِرْ، في نِثارِ رَحْمَتِهِ الرُّوْحُ شَاكِرْ؛
في قَلْبِنا حَقْلُ الشَّقائِقِ وَرَوْضُ الوَرْد، ما لِلْهَرَمِ والذُّبُولِ مِنْ طَريقٍ هُناك؛
إنَّنَا دوماً نَضِرُونَ يافِعُونَ لَطيفُون، وَظَريفُون جَميلُونَ ضَاحِكُونَ طَريفُونَ؛
المِئَةُ عامٍ والسَّاعَةُ الواحِدَةُ عِنْدَنا واحِدٌ، ومُنْفَكٌّ عَنَّا الطَّويلُ والقَصير؛
الطُّولُ والقِصَرُ للأجْسامِ يَكُونان، الطُّوْلُ والقِصَرُ في الرُّوْحِ أَيْنَ يَكُونان؛
ثلاثُمائةِ وَتِسْعُ سِنينَ أهْلِ الكَهْف، عِنْدَهُمْ يَوْمٌ واحِدٌ بِلا هَمٍّ وَلَهْف؛
وَذلِكَ الوَقْتَ يُريهِمْ يَوماً واحِداً أيضاً، إذا عادَتِ الأرواحُ للبَدَنِ مِنَ العَدَم؛
حَيْثُ لا لَيْلَ وَنَهارَ مَعَ الشَّهْرِ والعام، متى يَكُونُ عَجْزٌ وَهَرَمٌ وَملال؛
في بُسْتانِ العَدَمِ إذْ أنْتَ مِنْ دُوْنِ النَّفْسِ، سَكْرانَ مِنْ راووقِ لُطْفِ الله؛
مَنْ لَمْ يَذُقْ لَمْ يَدْرِ وَلَمْ يَعْرِفِ الطَّعْم، مَتى أدْرَكَ الجُعَلُ أنْفاسَ الوَرْدِ بالْوَهْم؛
لَيْسَ ذاكَ بالمَوهومِ وَلَو كانَ مَوهُوماً، لكانَ صارَ مِثْلَ المَوهُوماتِ مَعْدُوماً؛
جَهَنَّمُ كَيْفَ تَجيءُ بالجَنَّةِ بالوَهْم، لَنْ يَطْلَعَ الوَجْهُ الحَسَنُ مِنَ الخِنْزيرِ أَبَداً؛
ألا لا تَقْطَعِ الحَلْقَ يا أيُّها العَظيم، وَقَدْ وَصَلَتْ مِثْلُ هذِهِ اللُّقْمَةِ إلى الفَم؛
قَدْ قَطَعْنا حَتَّى النِّهايَةِ الطُّرُقَ العَسيرَة، قَدْ جَعَلْنا الطُّرُقَ لأهْلِها سَهْلَةً ويَسيرَة؛

تِكرارُ الاِعْتِراضِ مِنَ القَوْمِ على تَرَجّي الأنبياءِ عَلَيْهِمُ السَّلام

قالَ القَومُ وَلَو كُنْتُمْ بِأَنْفُسِكُمُ السَّعْد، أنتُمْ لَنا مُرْتَدُّونَ وَنَحْسٌ وَضِدّ؛
كانَتْ رُوحُنا فارِغَةً مِنْ هذِهِ الأفْكار، حتَّى أَلْقَيْتُمْ بِنا في الغَمِّ وفي العَناء؛
سُرُورُ اجْتِماعِنا الَّذي كانَ والاِتِّفاق، صارَ مِنْ فَأْلِكُمُ القَبيحِ مِئَةَ افْتِراق؛

كُنَّا بَبَّغاواتٍ تَأكُلُ السُّكَّرَ والنَّقْل، وَصِرْنا مِنْكُمْ طُيوراً تُفَكِّرُ بالمَوْت؛
في كُلِّ مَكانٍ حِكايَةُ غَمٍّ تَفَتَّحَتْ مِنْكُمْ، في كُلِّ مكانٍ نِداءُ مُسْتَنْكِرٍ مِنْكُمْ؛
في كُلِّ مَكانٍ في العالَمِ مِنْكُمْ فَأْلٌ بَذِيّ، في كُلِّ مَكانٍ مَسْخٌ وَنكالٌ وَمَأْخَذ؛
لَكُمْ في المِثال القِصَّةُ والفَأْلُ ، إثارَةُ الغَمِّ لَكُمْ مُشْتَهىً؛

جَوابُ الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلام لَهُم

قالَتِ الأنبياءُ الفَأْلُ القَبيحُ والسَّيِّئُ، كانَ لَهُ مَدَدٌ مِنْ وَسَطِ أرواحِكُمْ؛
لَو كُنْتَ نائماً في المَكانِ الخَطيرِ، وكانَتْ أفْعى تَقْصِدُ إلَيْكَ مِنْ جِهَةِ الرَّأْس؛
وجاءَ رَجُلٌ رَحيمٌ فَنَبَّهَكَ قائلاً، اِنْهَضْ سَريعاً وإلاَّ لَدَغَتْكَ الأفْعى؛
أَتَقُولُ لَهُ لِماذا تَضْرِبُ لي فَأْلَ السُّوء، أيُّ فَأْلٍ اِنْهَضْ وانْظُرْ في النُّور؛
أنا أقُومُ بِتَحْريرِكَ مِنْ فَأْلِ السُّوء، وآتي بِكَ سالِماً إلى جِهَةِ المَنْزِل؛
كذلِكَ النَّبِيُّ الَّذي قامَ بالتَّنْبيهِ مِنَ الخَفِيّ، قَدْ رأى ذلِكَ الَّذي لَمْ يَرَهُ أهْلُ العالَم؛
إذا قالَ لَكَ الطَّبيبُ لا تَأْكُلِ الحِصْرَم، إنَّهُ مُضِرٌّ وَيُسَبِّبُ الهَيَجانَ والشَّرّ؛
أَتَقُولُ لَهُ كَيْفَ تَضْرِبُ لي فَأْلَ السُّوء، إذَنْ فَأَنْتَ تُؤثِمُ النَّاصِحَ بِهذا؛
وَلَو أنَّ مُنَجِّماً قالَ لَكَ لا تَقُمْ اليَوْمَ، بِمِثْلِ ذلِكَ العَمَلِ أبَداً ولا تَطْلُبْ لَهُ سَبَبَاً؛
تَشْتَريهِ وَقَدْ رَأَيْتَ كَذِبَ المُنَجِّم، مِئا المَرَّاتِ وجاءَ صادِقاً في مَرَّةٍ أو مَرَّتَيْن؛
نُجُومُنا هذِهِ أَتَتْ صَحيحَةً بلا خِلاف، فَكَيْفَ بَقِيَتْ عَنْكَ مَحْجُوبَةً في غِلاف؛
ذاكَ الطَّبيبُ وذاكَ المُنَجِّمُ مِنَ الظَّنّ، قاما بِتَنْبيهِكَ وَنَحْنُ مِنَ العِيان؛
نَحْنُ نَرى الدُّخانَ وَنَرى النَّارَ مُقْبِلَةً، مِنْ بَعيدٍ في حَمْلَةٍ جِهَةَ المُنْكِرين؛
وأنتَ تَقُولُ اصْمتْ عَنْ هذا المَقال، فَمَقالُكَ أذىً لَنا وَقالُكَ شُؤمُ فال؛
أيْ مَنْ لَمْ تَسْمَعْ نُصْحَ النَّاصِحين، فالُ شُؤمِكَ مَعَكَ حَيْثُما ذَهَبْت؛
كانَتْ أفْعى تَسيرُ على ظَهْرِكَ، وَهُوَ رآها مِنْ على السَّطْحِ وَنَبَّهَك؛

فَقُلْتَ لَهُ اصْمُتْ لا تَسَبّبْ لِيَ الغَمّ، فقالَ لَكَ اسْعَدْ قَدْ مَضى ذلِكَ الكلام؛
ولَمَّا قامَتِ الأفْعى بِلَدْغِ رَقَبَتِكَ، وصارَتْ جُمْلَةُ بَحْثِكَ عَنِ السَّعادَةِ مَرارَةً؛
قُلْتَ لَهُ ما دامَ الأَمْرُ كانَ حَقّاً أيْ فُلان، لِمَ لَمْ تَقُمْ بِشَقِّ الثَّوْبَ وَأَنْتَ تَصْرُخُ؛
أو لِماذا لَمْ تَرْمِني بِحَجَرٍ مِنْ أعْلى، لِتُظْهِرَ لِيَ الشَّرَّ شَرّاً بِشَكْلٍ جِدّيّ؛
قالَ ذلِكَ لأنَّكَ كُنْتَ مِنْ قَولي مُتَأَذّياً، فَقُلْتَ لَوْ فَعَلْتَ لَجَعَلْتَني سَعيداً جِدّاً؛
قالَ لَكَ لَقَدْ فَعَلْتُ المُروءَةَ بالنُّصْح، حَتَّى أُخَلِّصَكَ مِنْ هذا القَيْدِ الشَّديد؛
لكِنَّكَ لَمْ تَعْرِفْ ذاكَ حَقّاً مِنَ اللُّؤم، فَقَدْ كُنْتَ بَنَيْتَ الأساسَ للطُّغْيانِ والظُّلْم؛
لَقَدْ كانَ هذا طَبْعَ اللّئامِ الدَّنِيّ، اللَّئيمُ يَعْمَلُ لَكَ السُّوءَ مَهْما عَمِلْتَ لَهُ الخَيْر؛
فاجْعَلِ النَّفْسَ مُنْحَنِيَةً مِنْ هذا الصَّبْر، فإنَّها لَئيمَةٌ وَغَيْرُ لائقَةٍ بالإحْسان؛
إذا عَمِلْتَ لِكَريمِ الإحْسانَ كانَ بِهِ جَديراً،ويُعْطي عِوَضاً عِنِ الواحِدِ سَبْعَمائة؛
وإذا عامَلْتَ اللَّئيمَ بالقَهْرِ والجَفاء، صارَ عَبْداً لَكَ وَصارَ كَثيرَ الوَفاء؛
فإنَّ الكافِرينَ يُجازُونَ النِّعْمَةَ بالجَفاء ، لكِنَّهُمْ في جَهَنَّمَ يُنادُونَ يا رَبَّنا؛

حِكْمَةُ خَلْقِ جَهَنَّمَ ذلِكَ العالَمِ وَسِجْنِ هذا العالَم
لِيَكُونا مَعْبَداً لِلْمُتَكَبّرين أنْ *ائتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهَاً*

فاللّئامُ في الجَفاءِ يَصيرُونَ ذَوي صَفاء، وإذا رَأَوا الوَفاءَ صاروا ذَوي جَفاء؛
اللّئامُ مَسْجِدُ الطَّاعاتِ لَهُمْ جَهَنَّم، القَيْدُ لِقَدَمِ الطَّائرِ الوَحْشِيّ الفَخّ؛
السّجْنُ جاءَ صَوْمَعَةَ اللِّصِ واللَّئيمِ، كِلاهُما في السِّجْنِ على ذِكْرِ الحَقّ مُقيم؛
ما دامَتِ العِبادَةُ هِيَ المَقْصُودُ مِنَ البَشَر، صارَ مَحَلَّ عِبادَةِ المُعانِدينَ سَقَر؛
الآدَمِيُّ لَهُ القُدْرَةُ على كُلِّ عَمَلٍ، لكِنَّ المَقْصُودَ مِنْهُ كانَ هذِهِ الخِدْمَة؛
فاقْرَأْ *ما خَلَقْتُ الجِنَّ والإنْس*، فلا مَقْصُودَ مِنَ العالَمِ إلاَّ العِبادَة؛
رَغْمَ أنَّ المَقْصُودَ مِنَ الكِتابِ هُوَ ذَلِكَ الفَنّ،لَوْ جَعَلْتَ مِنْهُ وِسادَةً صارَ كذلِك؛

لكِنَّ المَقْصُودَ مِنْهُ لَمْ يَكُنِ الوِسادَةَ، بَلْ كانَ العِلْمَ والمَعْرِفَةَ والإرشادَ والنَّفْع؛
لَوْ أنَّكَ جَعَلْتَ مِنَ السَّيْفِ مِسْماراً، كُنْتَ اخْتَرْتَ على الظَّفَرِ إدْباراً؛
المَقْصُودُ مِنَ البَشَرِ العِلْمُ والهُدى، لكِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ مَعْبَداً؛
مَعْبَدُ الرَّجُلْ الكَريمِ *أكْرَمْتَهُ*، مَعْبَدُ الرَّجُلِ اللَّئيمِ *أَسْقَمْتَهُ*؛
فاضْرِبِ اللُّؤماءَ حَتَّى يَخْضَعُوا، وَأَعْطِ الكُرَماءَ حَتَّى يُثْمِروا؛
لا جَرَمَ الحَقُّ خَلَقَ كِلا المَسْجِدَيْن، النَّارُ لأولئكَ والمَزيدُ لِهَؤلاء؛
لَقَدْ أقامَ مُوسى في القُدْسِ باباً صَغيراً، لِيَدْخُلَ مِنْهُ القَوْمُ خاضِعينَ وفي عَناء؛
الدُّخُولُ مِنَ البابِ الصَّغيرِ خاضِعين،كانَ جَهَنَّمَ لأولئك الجَبَّارِينَ والمُتَكَبِّرِينَ؛

في بيانِ أنَّ الحَقَّ تَعالى جَعَلَ المُلوكَ سَبَباً لإخْضاعِ الجَبَّارينَ الَّذينَ لا يَخْضَعُونَ للحَقّ، كما فَعَلَ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ إذْ بَنى باباً صَغيراً في سُوْرِ القُدْسِ لِيَجْعَلَ جَبَّارِي بَني إسرائيلَ يَدْخُلُونَ راكِعين،
أُدْخُلوا البَابَ سُجَّداً وَقُوْلُوا حِطَّةٌ

كما خَلَقَ الحَقُّ مِنَ اللَّحْمِ والعَظْمِ، باباً صَغيراً مُتَمَثِّلاً بالمُلوك؛
لِيَقُومَ أهْلُ الدُّنيا بالسُّجُودِ لَهُم، بِما أَنَّهُمْ أعْداءُ السُّجُودِ لِذي الكِبرياء؛
وَجَعَلَ المِحْرابَ لَهُمْ مِنَ الرَّوْثِ، واسْمُ ذاكَ المِحْرابِ الأميرُ والقَهْرَمان؛
لَمْ يليقُوا بِهذا المَحْضَرِ المُطَهَّر، أنْتُمْ قَصَبٌ خالٍ والطَّاهِرُونَ قَصَبُ سَكَّر؛
هؤلاءِ الأخِسَّاءُ لِتِلْكَ الكِلاب خاضِعُونَ، عارٌ على الأَسَدِ أنْ يكونوا لَهُ أتْباعاً؛
القِطُّ مُتَرَصِّدُ كُلِّ ذي طَبْعِ فَأْرٍ، مَنْ هُوَ الفَأْرُ لِيَخافَ مِنَ الأُسُود؛
إنَّ خَوْفَهُمْ كانَ مِنْ كِلابِ الحَقّ، مَتى كانَ لَهُمْ الخَوْفُ مِنْ شَمْسِ الحَقّ؛
رَبِّيَ الأَعْلى وِرْدُ أولئكَ العُظَماء، *رَبُّ أدْنى* لائقٌ بِهؤلاءِ البُلَهاء؛
لَيْسَ الفَأْرُ مَنْ يخافُ الأُسُودَ في المَصافّ، بَلْ الغَزالُ الجَميلُ مِسْكِيُّ النَّافِجَة؛

فامْضِ أيْ جائعُ لِمَنْ هُوَ أكْثَرُ مِنْكَ جُوعاً، واعْتَبِرْهُ لَكَ سَيّداً وَوَلِيَّ نِعْمَة؛
أقْصِرْ فَلَوْ أنّي تَمادَيْتُ أكْثَرَ بالشَّرْح، صارَ غاضِباً الأميرُ وَقَدْ عَلِمَ أنَّهُ كذلِك؛
حاصِلُ هذا أنِ اعْمَلِ السُّوءَ أيْ كَريم، مَعَ اللِّئامِ إلى أنْ يَخْضَعَ اللَّئيم؛
مَعَ النَّفْسِ اللَّئيمَةِ إنْ تَفْعَلِ الإحْسان، تَفْعَلِ النَّفْسُ ما يَفْعَلُ اللِّئامُ مِنَ الكُفْران؛
مِنْ هذا السَّبَبِ كانَ أهْلُ المِحْنَةِ شاكِرين، وَكانَ أهْلُ النِّعْمَةِ طاغينَ وماكِرين؛
الطَّاغي لابِسُ القَباءِ المُطَرَّزِ بالذَّهَب، الشَّاكِرُ صاحِبُ العَباءَةِ ذُو النَّصَب؛
الشُّكْرُ مَتى كانَ نامِياً مِنَ الأمْلاكِ والنِّعَم،الشُّكْرُ كانَ نامِياً مِنَ البَلْوى والسَّقَم؛

قِصَّةُ عِشْقِ الصُّوفِيّ لِسُفْرَةٍ خالِيَة

رأى الصُّوفيُّ يَوماً سُفْرَةً عُلِّقَتْ بِمِسْمار، فراحَ يَدُورُ حَوْلَها وَيُمَزِّقُ الثِّياب؛
رافِعاً الصَّوْتَ أنْتِ لِمَنْ لا غِذاءَ لَهُ الغِذاء، أنْتِ للقُحْطِ والآلامِ خَيْرُ دَواء؛
لَمَّا صارَ دُخانُهُ وَهَيَجانُهُ شَدِيْدَيْن، كُلُّ مَنْ كانَ صُوفِيَّاً هُناكَ صارَ لَهُ مُعيناً؛
راحُوا يَصْرُخُونَ سَيِّئُ الطَّعْمِ مُرٌّ مُخيف، وصارَ بَعْضُهُمْ سكارى بلا وَعْي؛
ما يَكُونُ هذا قالَ للصُّوفِيّ فُضُولِيٌّ، إنَّ السُّفْرَةَ مُعَلَّقَةٌ وَخالِيَةٌ مِنَ الخُبْز؛
قالَ لَهُ اذْهَبْ أيْ صُورَةً بلا مَعْنى، أُطْلُبِ الوُجُودَ فَأنْتَ لَسْتَ عاشِقاً؛
عِشْقُ الخُبْزِ بلا خُبْزٍ غِذاءُ العاشِق، قَيْدُ الوُجُودِ لَيْسَ قَيْداً لِمَنْ هُوَ صادِق؛
العاشِقُونَ لا شُغْلَ لَهُمْ بالوُجُود، العاشِقُونَ لَهُمْ رِبْحٌ بلا رَأْسُمال؛
العاشِقُونَ يَطيرونَ حَوْلَ العالَمِ بلا جَناح، ويَخْطِفُونَ الكُرَةَ مِنَ المَيْدانِ بلا يَد؛
ذاكَ الفَقيرُ الَّذي وَجَدَ رائِحَةً مِنَ المَعْنى، حاكَ الزَّنْبيلَ وَهُوَ مَقْطُوعُ اليَد؛
العاشِقُونَ نَصَبُوا الخَيْمَةَ في العَدَم، هُمْ كالعَدَمِ لَوْنٌ واحِدٌ وَنَفْسٌ واحِدَة؛
الرَّضيعُ متى عَرِفَ طَعْمَ اللَّحْمِ، الجِنِّيُّ يَأْخُذُ مِنَ الرَّائِحَةِ اللَّحْمَ والشَّحْم؛
مَتى شَمَّ رائحَةً مِنْ رَوائِحِهِ الآدَمِيّ، وَطَبيعَةُ الآدَمِيّ ضِدَّ طَبيعَةِ الجِنِّيّ؛

ذاكَ الجِنّيُّ جاذِبٌ للرَّائِحَةِ يَجِدُ مِنها، ما لا تَجِدُهُ أَنْتَ مِنْ مِئَةِ مَنّ طَعامٍ لَذيذ؛
ماءُ النّيْلِ ذاكَ صارَ دَماً للقِبْطِيّ، وكانَ ماءً لِذاكَ الجَميلِ السِّبْطِيّ؛
وَصارَ البَحْرُ جادَةً للإسرائيلِيّيْن، كما كانَ مَوْضِعَ غَرَقٍ للفَرْعُونِيّيْن؛

اخْتِصاصُ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ بِتَذَوُّقِ جامِ الحَقّ

مِنْ وَجْهِ يُوْسُف وَشَمّ ريحِ الحَقِّ مِنْ ريحِ يُوسُف

وحِرْمانُ إِخْوَتِهِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ كِلا الاثْنَيْن

ذاكَ الَّذي رأى يَعْقُوبُ مِنْ وَجْهِ يُوسُف، كانَ خاصَّاً بِهِ وَلَمْ يُدْرِكْهُ الإخْوان؛
هذا مِنْ عِشْقِهِ لَهُ يُلْقي بِنَفْسِهِ في الجُبّ، وَذاكَ مِنَ الحِقْدِ عَلَيْهِ يَحْفِرُ لَهُ الجُبّ؛
سُفْرَتُهُ أمامَ هذا خالِيَةٌ مِنَ الخُبْز، وأمامَ يَعْقُوبَ مَلأى بِما هُوَ مُشْتَهى؛
الوَجْهُ غَيْرُ المَغْسُولِ لا يَرى وَجْهَ الحُور، لا صَلاةَ، قالَ، إلاَّ بالطَّهُور؛
العِشْقُ يَكُونُ اللَّحْمَ والدَّسَمَ للأرواح، الجُوعُ مِنْ هذا الوَجْهِ قُوْتُ الأرواح؛
جُوْعُ يُوسُفَ كانَ لِيَعْقُوبَ ذاك، تَصِلُ إِلَيْهِ ريحُ خُبْزِهِ مِنْ مكانٍ بَعيد؛
ذاكَ الَّذي جاءَ مُسْرِعاً يَحْمِلُ القَميص، لَمْ يَكُنْ يَجْدُ فيهِ ريحَ قَميصِ يُوسُف؛
وذاكَ البَعيدُ مِئَةَ فَرْسَخٍ عَنْ ذلِكَ المَكان، كانَ يَجِدُ الرِّيْحَ لأنَّهُ كانَ يَعْقُوب؛
أيْ كَمْ مِنْ عالِمٍ مِنَ العِلْمِ بلا نَصيب، ذاكَ شَخْصٌ حافِظُ عِلْمٍ وَلَيْسَ بِحبيب؛
المُسْتَمِعُ يَجِدُ مِنْهُ أَثَراً في المَشَامّ، رَغْمَ أَنَّ المُسْتَمِعَ كانَ مِنْ جِنْسِ العَوامّ؛
ذلِكَ لأنَّ القَميصَ في يَدِهِ عارِيَة، مِثْلَما تَكُونُ في يَدِ النَّخَّاسِ الجارِيَة؛
الجارِيَةُ لَيْسَ لَها مَعْنىً عِنْدَ النَّخَّاس، لَقَدْ وَضَعَ اليَدَ عَلَيْها مِنْ أَجْلِ المُشْتَري؛
عَطاءُ الرِّزْقِ قِسْمَةُ الحَقّ، ما كانَ لِواحِدٍ لا يَجِدُ الطَّريقَ لآخَر؛
ذاكَ خَيالٌ جَميلٌ صارَ لِواحِدٍ بُسْتاناً، وهذا خَيالٌ قَبيحٌ قَطَعَ الطَّريقَ لآخَر؛
اللهُ هُوَ الَّذي جَعَلَ مِنْ خيالٍ بُسْتاناً، ومِنْ خيالٍ آخَرَ جَحيماً وَفِرْناً مُذيباً؛

فهُناكَ مَنْ عَرِفَ الطَّريقَ إلى جِنانِه، وهُناكَ مَنْ عَرِفَ مَواضِعَ مواقِدِ نارِه؛
حارِسُ القَلْبِ ما رأى في المَجال، مِنْ أيِّ رُكْنٍ مِنَ القَلْبِ طَلَعَ الخَيال؛
لَوْ رَأَيْتَ مَطْلَعَهُ مِنَ الاِحْتِيال، سَدَدْتَ الطَّريقَ على كُلِّ فاسِدِ خَيال؛
مَتى تَصِلُ هُناكَ مِنَ الجاسُوسِ القَدَم، وَقَدْ كانَ مِرْصاداً وفي قِفْلِ العَدَم؛
فَأَمْسِكْ رِداءَ فَضْلِهِ بالكَفِّ كالأعْمى، هكذا كانَ قَبْضُ الأعْمى أيْ حاكِمَ البَلَد؛
رِداؤهُ هُوَ أمْرُهُ وَقَرارُهُ، مَنْ كانَتْ رُوْحُهُ تَقِيَّةً حَسَنُ البَخْت؛
ذاكَ واحِدٌ في رَوْضٍ أخْضَرَ وَجَدْوَلِ ماء،وَذاكَ واحِدٌ إلى جِوارِهِ في العَذاب؛
وَهُوَ في عَجَبٍ مِمَّ لَذَّةُ هذا، وَذاكَ في عَجَبٍ في حَبْسِ مَنْ هذا؛
يَقُوْلُ لِمَ أنْتَ يابِسٌ والعُيُونُ كَثيرَة، ولِماذا أنْتَ شاحِبٌ وَهاهُنا مِئَةُ دَواء؛
يا جَليساً هَيَّا ادْخُلْ في الرِّياض، يا عَزيزي أنا لا أقْدِرُ على الدُّخُول؛

حِكايَةُ الأميرِ وَغُلامِهِ الَّذي كانَ مُوْلَعاً بالصَّلاةِ
وكانَ يَجِدُ أُنْساً عَظيماً بالصَّلاةِ ومُناجاةِ الحَقّ

احتاجَ الأميرُ إلى الحَمَّامِ في السَّحَرِ، فنادى يا سَنْقَرُ اسْتَيْقِظِ ارْفَعِ الرَّأْس؛
خُذِ الطَّاسَ والمَنْديلَ وَحَجَرَ الطِّيْنِ مِنْ أَلْتُوْن،لِنَذْهَبَ للحَمَّامِ أي أنتَ بلا بَديل؛
فَأَخَذَ سَنْقَرُ الطَّاسَ والمَنْديلَ في الحال، وَسارَ مُسْرِعاً مَعَهُ جَنْباً إلى جَنْب؛
وَكانَ في الطَّريقِ مَسْجِدٌ وأذانُ الصَّلاة، دَخَلَ في أُذُنِ سَنْقَرَ وَهُوَ في المَلأ؛
وَحَيْثُ أنَّ سَنْقَرَ كانَ مُوْلَعاً بالصَّلاةِ جِدَّاً، قالَ يا أميري أيا مُكْرِمَ العَبْد؛
أَنْتَ فاصْبِرْ بُرْهَةً عِنْدَ هذا الدُّكَّان، حَتَّى أُؤَدِّيَ الفَرْضَ وَأَقْرَأَ *لَمْ يَكُنْ*؛
وحينَ خَرَجَ الإمامُ والقَوْمُ للخارِجِ، وَصاروا فارِغينَ مِنَ الصَّلاةِ والأوراد؛
بَقِيَ سَنْقَرُ إلى قُرابَةِ الضُّحى هُناك، وَظَلَّ أميرُ سَنْقَرَ زَمَناً بانتِظارٍ وبِتَرَقُّب؛
قالَ أيْ سَنْقَرُ لِماذا لا تَخْرُجُ خارِجاً، قالَ إنَّ ذا الفُنونِ لا يَتْرُكُني؛

اِصْبِرْ قليلاً سآتي سَريعاً أيْ سَنِيّ، لَسْتُ بالغافِلِ وَكلامُكَ في أُذُنَيّ؛
سَبْعَ مَرَّاتٍ يُنادِيْهِ الرَّجُلُ وَيَصْبِرُ، إلى أنْ صارَ عاجِزاً عَنْ تَحَمُّلِ خِداعِه؛
وكانَ الجَوابُ يَجيءُ مِنْهُ كُلَّ مَرَّةٍ، إنَّهُ لا يَدَعُني إلى الآنَ أخْرُجُ أيْ مُحْتَرَم؛
قالَ أخيراً ما بَقِيَ في المَسْجِدِ شَخْصٌ، مَنْ ذا الَّذي يَمْنَعُكَ وَمَنْ يُبْقيكَ جالِساً؛
قالَ إنَّهُ ذاكَ الَّذي قَيَّدَكَ في الخارِجِ، وقامَ بِتَقييدي أنا أيْضاً في الدَّاخِلِ؛
الَّذي لَمْ يَسْمَحْ لَكَ بالدُّخُولِ للدَّاخِلِ، هُوَ الَّذي لَمْ يَسْمَحْ لي بالخُروجِ للخارِجِ؛
مَنْ مَنَعَكَ أنْ تَخْطُوَ إلى هذِهِ الجِهَة، هُوَ مَنْ قَيَّدَ قَدَمَ السَّالِكِ بِهذِهِ الجِهَة؛
البَحْرُ لا يَأْذَنُ للأسماكِ بالخُروجِ مِنْهُ،البَحْرُ لا يَأذَنُ لِسُكَّانِ البَرّ بالدُّخُولِ فيه؛
الماءُ أَصْلُ السَّمَكِ والتُّرابُ أصْلُ الحَيَوان، الحِيْلَةُ والتَّدْبيرُ هُنا لا يَنْفَعان؛
القِفْلُ شَديدٌ هُنا والفاتِحُ الله، فاجْعَلِ اليَدَ في التَّسْليمِ وفي الرِّضا؛
لَو صارَتِ الذَّرَّاتُ ذَرَّةً ذَرَّةً مفاتيح، هذا الفَتْحُ لا يَكُونُ إلاَّ مِنَ الكِبْرياء؛
حينَ يَصيرُ تَدْبيرُ النَّفْسِ مَنْسِيَّاً لَك، تَجِدُ فَتى البَخْتِ ذاكَ مِنْ شَيْخِك؛
حينَ تَصيرُ ناسِياً نَفْسَكَ يُذَكِّرُونَك ، صِرْتَ عَبْداً وآنَذاكَ يُحَرِّورنَك؛

يَأْسُ الأنبياء مِنْ قَبُولِ المُنْكِرين،

قَوْلُهُ *حَتَّى إذا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ*

قالَتِ الأنبياءُ كَمْ مِنَ الخاطِرِ وَكَم، نُعْطي الوَعْظَ والنُّصْحَ لِهذا وَذاك؛
كَمْ ضَرَبْنا على الحَديدِ البارِدِ مِنَ الغَيّ، إلامَ النَّفْخُ في هذا القَفَصِ وَحَتَّام؛
تَحَرُّكُ الخَلْقِ كائنٌ مِنَ القَضاءِ والقَدَر، وَحِدَّةُ الأسنانِ مِنْ حُرْقَةِ المَعِدَة؛
النَّفْسُ الأولى مَضَتْ لِلنَّفْسِ الثَّانِيَة، السَّمَكَةُ تَعَفَّنَتْ مِنَ الرَّأْسِ لا مِنَ الذَّيْل؛
لكِنْ اعْلَمْ هذا وَسُقْ الحِمارَ مُسْرِعاً كالسَّهْم، ما دامَ الحَقُّ قالَ بَلِّغْ فلا مَناص؛
أنتَ لا تَعْلَمُ مَنْ تَكُونُ مِنَ الاِثْنَيْن، أَأَنْتَ مِنَ الغارِقينَ في السَّفَرِ أمِ النَّاجين؛

فَإنْ قُلْتَ ما دُمْتُ لا أعْرِفُ مَنْ أكُون، أنا لا أُريدُ السَّفَرَ في السَّفينَةِ واليَمّ؛
اِكْشِفْ لي أنا في أيَّةِ فِرْقَةٍ مِنَ الفِرَق، أأَنا في هذِهِ السَّفينَةِ ناجٍ أمْ إلى غَرَق؛
أنا لا أُريدُ سُلُوْكَ هذا الطَّريقِ بالظَّنّ، على أمَلِ الوُصولِ لِليابِسَةِ كالآخَرين؛
فَلَنْ تَكُونَ لَكَ بِذلِكَ تِجارَةٌ أَبَداً، ذلِكَ لأنَّ سِرَّ هذينِ الطَّريقَيْنِ في الغَيْب؛
التَّاجِرُ خائفُ الطَّبْعِ زُجاجِيُّ الرُّوح، ما نالَ في الطَّلَب رِبْحاً ولا خَسارَة؛
لا بَلْ هُوَ خاسِرٌ لأنَّهُ ضَعيفٌ وَمَحْروم، إنَّما يَجِدُ النُّورَ مَنْ يَأْكُلُ النَّار؛
بِما أنَّ كُلَّ الأعْمالِ قائِمَةٌ على الرَّجاء، الأولى أنْ تَجِدَ الخَلاصَ بِفِعْلِ الدِّيْن؛
وما مِنْ دَسْتُورٍ هُنا يكونُ لِقَرْعِ بابٍ ، إلاَّ بابَ الرَّجاءِ *واللهُ أعْلَمُ بالصَّواب*؛

بيان في أنَّ إيمانَ المُقَلِّدِ خَوْفٌ وَرَجاء

داعي كُلِّ حِرْفَةٍ الأمَلُ والرَّجاء، مَعَ أنَّ الرِّقابَ صارَتْ مِنَ السَّعْيِ كالمغْزَل؛
يَذْهَبُ المَرْءُ في الصَّباحِ إلى الدُّكَّان، يَظَلُّ يَوْمَهُ يَجْري بأمَلِ وَرَجاءِ الرِّزْق؛
رُبَّما لا يَكُونُ لَكَ رِزْقٌ فَعلامَ تَجْري، بِكَ خَوْفُ الحِرمانِ فَكَيْفَ تَكُونُ قَوِيَّاً؛
كَيْفَ لَمْ يَجْعَلْكَ واهِناً في الطَّلَبِ والبَحْث،خَوفُ حِرْمانِ الأَزَلِ بِكَسْبِ الطَّعام؛
تَقُولُ رَغْمَ أنَّ خَوْفَ الحِرْمانِ أمامي، خَوْفُ الحِرْمانِ يَكُونُ أكْثَرَ في الكَسَل؛
فإنَّ لي في السَّعيِ أَمَلاً أكْثَرَ، وإنَّ لي في الكَسَلِ مَزيداً مِنَ الخَطَر؛
إذَنْ فَلِماذا في أَمْرِ الدِّيْنِ أيْ سَيِّئَ الظَّنّ، آخِذٌ بِثَوْبِكَ خَوْفُ الخُسْرانِ هذا؛
أمْ أنَّكَ لَمْ تَرَ أَهْلَ بازارِنا، ومِنْ أيِّ شَيْءٍ يَكسبُ الأنبياءُ والأولياء؛
أيُّ مَنْجَمٍ ظَهَرَ لَهُمْ بِتَرْكِ هذا الدُّكَّان،كَيْفَ حَصَلُوا على النَّفْعِ في هذا البازار؛
النَّارُ صارَتْ مُطيعَةً لَهُمْ كأنَّها الخَلْخال، البَحْرُ صارَ طائِعاً لَهُم كأنَّهُ الحَمَّال؛
الحَديدُ صارَ لَيِّناً لَهُمْ كأنَّهُ الشَّمْع، الرِّيْحُ صارَتْ مَحْكُومَةً لَهُمْ كأنَّها العَبْد؛

بيان أنَّ الرَّسُولَ عَلَيْهِ السَّلامُ قالَ إنَّ للهِ تَعالى أوْلياءَ أخْفِياء

قَومٌ آخَرُونَ يسيرُونَ في خَفاءٍ شَديد، لَيْسُوا بَيْنَ الخَلْقِ ظاهِرينَ مَشْهُورين؛
إنَّهُمْ مالِكُونَ لِكُلِّ هذا وَعَيْنُ أيِّ شَخْصٍ، ما وَقَعَتْ نَفساً واحِداً على عَظَمَتِهِم؛
كرامَتُهُمْ في حَرَمٍ وهُمْ أَيْضاً في حَرَم،كما أنَّ الأبْدالَ لَمْ يَسْمَعُوا باسْمِهِمْ أَبَداً؛
أو أنَّكَ لا تَعْرِفُ مَكْرُماتِ الله، الَّذي يَدْعُوكَ أنْ أقْبِلْ إلى هذِهِ الجِهَة؛
إنَّ جِهاتِ العالَمِ السِّتَّ كُلَّها إكْرامُه، في كُلِّ طَرَفٍ حَيْثُما نَظَرْتَ أعْلامُه؛
فإذا ما قالَ لَكَ كريمٌ ادْخُل في النَّار ، أُدخُلْ فيها سَريعاً ولا تَقُلْ إنَّها حارِقَة؛

حِكايَةُ إلْقاءِ أَنَسْ (رض) لِمَنْديلٍ في تَنُّورٍ مُشْتَعِلٍ بالنَّار وَعَدَمُ احْتِراقِ المَنْديل

عَنْ أَنَسٍ بْنِ مالِكٍ جاءَ، أنَّ شَخْصاً جاءَهُ وَصارَ ضَيْفاً عَلَيْه؛
وَهُوَ مَنْ رَوى الحِكايَةَ أنْ بَعْدَ الطَّعام، رأى أنَسُ مِنْديلَ المائِدَةِ أصْفَرَ اللَّوْن؛
مُخالَطاً بالدَّسَمِ فقالَ أيْ خادِمَة، أَلْقِيْهِ في النَّارِ واتْرُكِيْهِ بُرْهَةً مِنَ الزَّمَن؛
فَأَلْقَتْهُ تِلْكَ العارِفَةُ بِأَمْرِ المَنْديل، في تِلْكَ اللَّحْظَةِ في تَنُّوْرٍ امْتَلأَ بالنَّار؛
الضِّيْفانُ جُمْلَةً صاروا مِنْ ذلِكَ حيارى،بانتِظارِ أنْ يَخْرُجَ مِنَ المَنْديْلِ دُخان؛
مِنْ بَعْدِ ساعَةٍ واحِدَةٍ أخْرَجَتْهُ مِنَ التَّنُّور، نَظيفاً وَأَبْيَضَ زالَتْ عَنْهُ الأوساخ؛
فَقالَ القَوْمُ أيُّها الصَّحابِيُّ العَزيز، كَيْفَ لَمْ يَحْتَرِقْ وَكَيْفَ صارَ مُنَقَّىً أَيْضاً؛
قالَ ذلِكَ لأنَّهُ بِمَنْديلِ المائِدَةِ هذا، طالَما مَسَحَ المُصْطَفى يَدَهُ وَفَمَه؛
أيُّها القَلْبُ الخائفُ مِنَ النَّارِ والعَذاب، عَلَيْكَ بالاِقْتِرابِ مِنْ تِلْكُما اليَدِ والشَّفَة؛
إنْ كانَ أعْطى مِثْلَ هذا الجَمادِ مِثْلَ هذا التَّشْريف، ماذا سَيَفْتَحُ لِرُوحِ العاشِق؛
ما دامَ جَعَلَ قِطْعَةَ طينِ الكَعْبَةِ قِبْلَةً،صِرْ أي عَزيزُ تُرابَ الرِّجالِ في النِّزال؛

مِنْ بَعْدِ ذلِكَ قالوا لِتِلْكَ الخادِمَة، لَمْ تُحَدِّثينا بِكُلِّ ما جَرى لَكِ مَعَ هذا؛
كَيْفَ أَلْقَيْتِ ذاكَ عَنْ قَوْلِهِ مُسْرِعَةً، على فَرَضِ أَنَّهُ كانَ في طَلَبِ الأَسْرار؛
مِثْلَ هذا المَنْديلِ ذا القِيْمَةِ للمائِدَة، كَيْفَ أَلْقَيْتِ في النَّارِ أَيَّتُها السَّيِّدَة؛
قالَتْ إنَّ لي اعْتِماداً على الكُرَماء، أنا غَيْرُ يائسَةٍ مِنْ إكْرامِ الكُرَماء؛
ماذا يَكُونُ المَنْديلُ وَلَوْ قالَ لي، أُدخُلي وَسَطَ عَيْنِ النَّارِ بلا نَدَمٍ؛
لأَلْقَيْتُ نَفْسي بِها مِنْ كَمالِ الاِعْتِماد، إنَّ لي في عِبادِ اللهِ أَمَلاً كَثيراً؛
لأَلْقَيْتُ رَأْسي لا مَنْديلَ المائِدَةِ هذا، اعْتِماداً على كُلِّ كريمٍ عالِمٍ بالأَسْرار؛
أَلْقِ نَفْسَكَ في هذا الإكسيرِ أي أخُ،لا يكُنْ صِدْقُ الرَّجُلِ أَقَلَّ مِنَ صِدْقِ امَرْأَة؛
إنَّ قَلْبَ رَجُلٍ كانَ أَقَلَّ مِنْ المَرْأَة، يكُونُ ذاكَ القَلْبَ الَّذي هُوَ أَقَلُّ مِنَ المَعِدَة؛

قِصَّةُ نَجْدَةِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلامُ لِرَكْبٍ مِنَ العَرَبِ قَعَدُوا مِنَ الجُوْعِ والعَطَشِ وَأَسْلَمُوا القَلْبَ للمَوْتِ وَقَدْ أَخْرَجَتِ الجِمالُ والخَلْقُ أَلْسِنَتَها

جَماعَةٌ مِنَ العَرَبِ في ذلِكَ الوادي، يَبِسَتْ مِنْها القِرَبُ مِنْ انْقِطاعِ المَطَر؛
ظَلُّوا قاعِدينَ وَسَطَ تِلْكَ البادِيَة، بانتِظارِ المَوْتِ في رَكْبِ القافِلَة؛
وإذا بالمُصْطَفى مُغيثِ الكَوْنَيْن، ظَهَرَ فَجْأَةً مِنَ الطَّريقِ مِنْ أَجْلِ العَوْن؛
رأى هُناكَ قافِلَةً كَبيرَةً جِدّاً، على حَرارَةِ الرَّمْلِ والطَّريقِ الشَّاقِّ والصَّعْب؛
جِمالُهُمْ كانَتْ مُعَلَّقَةً أَلْسِنَتُها، والخَلْقُ على الرَّمْلِ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ انْتَثَرُوا؛
جاءَتْهُ رَحْمَةٌ وَقَالَ اذْهَبُوا سَريعاً، لِيَمْضِ بَعْضُ الأَعْوانِ جِهَةَ تِلْكَ الكُثْبان؛
هُناكَ عَبْدٌ أَسْوَدُ مُقْبِلٌ بِبَعيرٍ عَلَيْهِ قِرْبَةٌ، يَحْمِلُها إلى سَيِّدِهِ مُسْرِعاً يَجِدُّ السَّيْر؛
آتُوني بِذَلِكَ الجَمَّالِ الأَسْوَدِ والجَمَل، جِيْئوا بِهِما إلَيَّ مُسْرِعِينَ عَنْ أَمْري؛
فَجاءَ أولئكَ الطَّالِبُونَ نَحْوَ الكُثْبان، وَمِنْ بَعْدِ ساعَةٍ رَأَوا الأَمْرَ كما ذُكِر؛

رَأَوا عَبْداً أَسْوَدَ يسيرُ مَعَ جَمَلٍ، وَراوِيَةً مَمْلُوءَةً بالماءِ كَهَدِيَّةِ الصَّحْراء؛

لَمَّا قالُوا لَهُ أَقْبِلْ إلى هذِهِ الجِهَةِ مَعَنا، فَقَدْ دَعاكَ فَخْرُ البَشَرِ خَيْرُ الْوَرى؛

قالَ لا أعْرِفُهُ ولا أعْرِفُ مَنْ يَكُون، قالوا ذلِكَ الَّذي وَجْهُهُ قَمَرٌ وَطَبْعُهُ سُكَّر؛

بَعْدَ أنْ عَرَّفُوهُ لَهُ بِكُلِّ أنْواعِ التَّعاريف، قالَ لا بُدَّ أنْ يَكُونَ هُوَ ذلِكَ الشَّاعِر؛

الَّذي جَعَلَ جَماعَةً يَتْبَعُونَهُ مِنَ السِّحْر، وأنا لَنْ آتِيَ إلى جِهَتِهِ نِصْفَ شِبْر؛

فقامُوا بِسَحْبِهِ وَأَتَوا بِهِ ذلِكَ الطَّرَف، وَهُوَ يَقُوْمُ بالصُّراخِ والتَّشْنيعِ والشَّتْم؛

وَلَمَّا سَحَبُوهُ إلى أمامِ ذاكَ العَزيز، قالَ اشْرَبُوا الماءَ وارْتَوُوا مِنْهُ أيْضاً؛

شَرِبوا مِنْ تِلْكَ القِرْبَةِ وارْتَوَوا جَميعاً، شَرِبَتِ الجِمالُ وَكُلُّ شَخْصٍ مِنَ الماء؛

مَلأَ الرَّاوِياتِ والقِرَبَ مِنْ تِلْكَ الرَّاوِيَة، غُيُومُ الفَلَكِ مِنْهُ ظَلَّتْ غائِرَةً وحائِرَةً؛

رَأى الشَّخْصُ ذاكَ وَكَمْ مِنْ تِلْكَ الرَّاوِيَة، بَرُدَ مِنْ حَريقٍ وَبَرُدَتْ مِنْ هاوِيَة؛

ورَأى أَنَّ مِنْ قِرْبَةٍ واحِدَةٍ مِنَ الماء، امْتَلأتْ قِرَبٌ كثيرَةٌ بِغَيْرِ اضْطِراب؛

كانَتْ قِرْبَتُهُ حِجاباً وكانَ مَوْجُ الفَضْل، يَصِلُ مِنْ أمْرِهِ مِنْ بَحْرِ الأصْل؛

الماءُ مِنْ غَلَيانِهِ يَصيرُ هَواءً، وذاكَ الهَواءُ يصيرُ مِنَ البُرُودَةِ ماءً؛

بَلْ بلا أسْبابٍ وخارِجاً عَنْ هذِهِ الحِكَم، جَعَلَ الماءَ يَجْري تَكْويناً مِنَ العَدَم؛

أنْتَ مِنْ طُفُولِيَّةٍ عِنْدَما رَأَيْتَ الأسباب، بَقِيْتَ مُلْتَصِقاً بالسَّبَبِ مِنَ الجَهْل؛

فَكُنْتَ بالأسْبابِ عَنِ المُسَبِّبِ غافِلاً، إلى جِهَةِ الحُجُبِ مِنْ ذاكَ مائلاً؛

حينَ ذَهَبَتِ الأسْبابُ رُحْتَ تَضْرِبُ الرَّأْس، وتُرَدِّدُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرى رَبَّنا رَبَّنا؛

فَقالَ لَكَ الرَّبُّ اذْهَبْ إلى السَّبَب، كَيْفَ تَذَكَّرْتَ مِنْ صُنْعي أيْ عَجَب؛

قالَ بَعْدَ الآنَ أنْظُرُ إلَيْكَ دائماً، ولا أنْظُرُ جِهَةَ السَّبَبِ وَتِلْكَ الدَّمْدَمَة؛

فَقالَ لَهُ أنْتَ مِمَّنْ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا، أيْ مَنْ أنْتَ في التَّوْبَةِ وفي الميثاقِ واهٍ؛

لكِنَّني لَنْ أنْظُرَ لِذاكَ وَسَأَقُومُ بالرَّحْمَة، رَحْمَتي شامِلَةٌ وَمَدارِيَ الرَّحْمَة؛

لَنْ أنْظُرَ إلى سُوءِ عَهْدِكَ وَأُعْطِيْكَ، مِنَ الكَرَمِ هذِهِ اللَّحْظَةَ ما دُمْتَ تَدْعُوني؛

صارَ أَهْلُ القافِلَةِ مِنْ أَمْرِهِ حَيارى، يا مُحَمَّدُ ما هذا أيْ مَنْ لَكَ طَبْعُ البَحْرِ؛
جَعَلْتَ مِنَ القِرْبَةِ الصَّغيرَةِ مُجَرَّدَ حِجابٍ،أغْرَقْتَ أَيْضاً الكُرْدَ وَأَيْضاً العَرَبَ؛

مَلْءُ قِرْبَةِ ذاكَ الغُلامِ بالماءِ عَنْ مُعْجِزَةٍ، وَجَعْلُ
ذاكَ الغُلامَ الأسْوَدَ أَبْيَضَ الوَجْهِ بإذْنِ اللهِ تَعالى

أيْ غُلامُ انْظُرِ الآنَ لِقِرْبَتِكَ مَلأى، حَتَّى لا تَقُولَ في الشِّكايَةِ القَبيحَ والحَسَنَ؛
ذلَكَ الأَسْوَدُ صارَ حَيْرانَ مِنْ بُرْهانِهِ، وَراحَ يَثْبُتُ مِنَ اللاَّمكانَ إيمانُه؛
رأى عَيْنَ ماءٍ تَسيلُ مِنَ الهَواءِ، ورأى قِرْبَتَهُ حِجاباً لِفَيْضِ ذلِكَ الماءِ؛
مَزَّقَ الحُجُبَ أيْضاً مِنْ ذلِكَ النَّظَرِ، حَتَّى رأى عَيْنَ ماءِ الغَيْبِ المَعينِ؛
مَلأَ العَيْنَيْنِ بالماءِ تِلْكَ اللَّحْظَةَ الغُلامِ، صارَ في غَفْلَةٍ عَنِ السَّيِّدِ وَعنِ المقامِ؛
تَوَقَّفَتْ عَنِ السَّيْرِ في الطَّريقِ يَداهُ وَقَدَماه، لَقَدْ رَمى الزَّلْزَلَةَ في رُوْحِهِ الإلهِ؛
ثُمَّ عادَ وَأَطْلَقَهُ لأجْلِ المَصْلَحَةِ ثانِيَةً، أنِ ارْجِعْ ثانِيَةً لأهْلِكَ أيُّها المُسْتَفيدِ؛
لَيْسَ هذا وَقْتَ الحَيْرَةِ الحَيْرَةُ أمامَكَ،انْطَلِقْ في الطَّريقِ الآنَ مُسْرِعاً بِمهارَةٍ؛
وَضَعَ يَدَيِ المُصْطَفى على وَجْهِهِ وَقامَ، بِتَقْبيلِهِما القُبُلاتِ الكَثيرَةَ مِنَ العِشْقِ؛
أَمَرَّ المُصْطَفى في تِلْكَ اللَّحْظَةِ يَدَهُ المُبارَكَةَ، مَسَحَ بِها وجْهَهُ وَجَعَلَهُ مُبارَكاً؛
صارَ ذاكَ الزَّنْجِيُّ مَولودُ الحَبَشِ أبْيَضَ، كأنَّهُ البَدْرُ وَصارَ لَيْلُهُ نَهاراً مُضيئاً؛
صَارَ يُوسُفِيَّاً في الجَمالِ وفي الدَّلالِ، قالَ الآنَ امْضِ إلى قَرْيَتِكَ وَقُلِ الحالَ؛
فَراحَ يسيرُ سَكْرانَ بلا رَأْسٍ ولا قَدَم، ولا يَعْرِفُ في مَسيرِهِ اليَدَ مِنَ القَدَمِ؛
ثُمَّ أَقْبَلَ بالقِرْبَتَيْنِ مَمْلُوءَتَيْنِ بالماءِ، إلى جِهَةِ سَيِّدِهِ مِنْ نواحي القافِلَةِ؛

رُؤيَةُ السَّيِّدِ غُلامَهُ أبْيَضَ اللَّوْن وإنكارُهُ إيَّاهُ وَقَوْلُهُ لَهُ قَدْ قَتَلْتَ غُلامي وَحَقَّ عَلَيْكَ القِصاصُ واللهُ أوْقَعَكَ في يَدي

السَّيِّدُ وَهُوَ يراهُ مِنْ بَعيدٍ ظَلَّ حَيْرانَ، ومِنَ التَّحَيُّرِ دعا إلَيْهِ أهْلَ تِلْكَ القَرْيَة؛

أنْ هذِهِ راوِيَتُنا وَهذا جَمَلُنا، فأَيْنَ هُوَ عَبْدُنا الزِّنْجِيُّ الجَبين؛

هذا الواحِدُ المُقْبِلُ مِنْ بَعيدٍ كَأَنَّهُ البَدْر،النُّوْرُ مِنْ وَجْهِهِ على نُورِ النَّهارِ فائق؛

فَأَيْنَ هُوَ غُلامُنا أمْ تاهَ في الطَّريق، أمْ أنَّ ذِئباً وَصَلَ إلَيْهِ وَصارَ مَقْتُولاً؛

لَمَّا وَصَلَ إلَيْهِ قَالَ لَهُ مَنْ تَكُونُ، هَلْ أنتَ مِنْ أبناءِ اليَمَنِ أمْ أنتَ تُرْكِيّ؛

قُلْ ما الَّذي فَعَلْتَ بِغُلامي وَقُلْ بِصِدْقٍ، إنْ كُنْتَ قَتَلْتَهُ أَبِنْ ذاكَ وَدَعِ الحِيْلَة؛

قالَ لَوْ كُنْتُ قَتَلْتُهُ كَيْفَ كُنْتُ آتيك، كَيْفَ آتي بِقَدَمِ نَفْسي إلى حَتْفِ نَفْسي؛

قالَ إذَنْ أيْنَ غُلامي قالَ هاأنَذا، يَدُ فَضْلِ اللهِ جَعَلَتْني أَبْيَضَ اللَّون؛

قالَ ما الَّذي تَقُولُ أيْنَ غُلامي قُلْ، إنَّكَ لَنْ تَنْجُوَ مِنِّي إلاَّ بالصِّدْق؛

قالَ أنا أقُوْلُ لَكَ الأسْرارَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الغُلام، جَمِيْعَها سِرَّاً سِرَّاً على التَّمام؛

لِتَعْلَمَ أنِّيْ لا أزالُ في الوُجُود، رَغْمَ طُلوعِ الصُّبْحِ مِنْ لَوْنِيَ الأسْوَدِ كاللَّيْل؛

صارَ لَوني لَوناً آخَرَ والرُّوحُ الطَّاهِرَةُ، فارِغَةٌ مِنَ اللَّوْنِ والأرْكانِ والتُّراب؛

أضاعَنا سَرِيعاً عارِفُو الأبْدان، شارِبو الماءِ مِنَ العَيْنِ تَرَكُوا القِرَبَ والدِّنان؛

عارِفُو الرُّوحِ مِنَ الأعْدادِ فارِغُون، في بَحْرٍ بلا كَمٍّ ولا كَيْفٍ غارِقُون؛

صِرْ رُوحاً واعْرِفِ الصَّديْقَ مِنَ الرُّوح، كُنْ رَفيقاً للرُّؤيَةِ لا اِبْناً للقِياس؛

لَمَّا جَعَلَ المَلَكَ والعَقْلَ في عِقالٍ واحِدٍ، صارا على صُوْرَتَيْنِ لِأجْلِ الحِكْمَة؛

ذلِكَ المَلَكُ أخَذَ الرِّيْشَ والجَناحَ كالطَّيْر،هذا العَقْلُ تَرَكَ الجَناحَ وأخَذَ العَظَمَة؛

لا جَرَمَ كِلا الإثْنَيْنِ جاءَ نَاصِراً للآخَر،كِلاهُما حَسَنُ الوَجْهِ وكُلٌّ يُعينُ الآخَر؛

كانَ المَلَكُ كما كانَ العَقْلُ لِلْحَقِّ واجِداً، كِلا الإثْنَيْنِ كانَ لآدَمَ مُعيناً وَساجِداً؛

والنَّفْسُ والشَّيْطانُ كانا مِنَ الأزَلِ واحِداً، وكِلاهُما كانَ لآدَمَ عَدُوّاً وحاسِداً؛
ذاكَ الَّذي رأى آدَمَ بَدَناً فَرَّ مِنْه، وَذاكَ الَّذي رآهُ نُوراً مُؤتَمَناً انْحَنى لَه؛
مِنْ هذا كانَ ذانِكَ الاِثْنانِ بِعَيْنَيْنِ مُضيئتَيْن، وهذانِ الاِثْنانِ لَمْ يَرَيا غَيْرَ طِيْن؛
هذا البَيانُ الآنَ عاجِزٌ كالحِمارِ في الثَّلْج، قِراءَةُ الإنجيلِ على اليَهُودِ لا تليق؛
مَتى يُمْكِنُ الحَديثُ للشِّيْعَةِ عَنْ عُمَر، مَتى يُمْكِنُ العَزْفُ على العُوْدِ لِلأَصَمّ؛
لَوْ كانَ في زاوِيَةٍ مِنَ القَرْيَةِ شَخْصٌ، لَكانَتِ الأصْواتُ الَّتي أحْمِلُها كَثيرة؛
فالحَجَرُ والطِّيْنُ يَصيرانِ ناطِقَيْن ، لِمُسْتَحِقّ الشَّرْحِ وَشارِحَيْنِ راسِخَيْن؛

بيان أنَّ كُلَّ ما أعْطى الحَقُّ تَعالى وَخَلَقَ مِنَ السَّماواتِ والأرَضِيْنَ والأعْيانِ والأعْراضِ كانَ باسْتِدْعاءِ الحاجَةِ وَيَجِبُ أنْ يَكُونَ المَرْءُ مُحْتاجاً للشَّيْءِ لِيُعْطاه، *أمَّنْ يُجيبُ المُضْطَرَّ إذا دَعاهُ* الاِضْطِرارُ شاهِدٌ على الاِسْتِحْقاق

تِلْكَ الحاجَةُ وذلِكَ الألَمُ مِنْ مَرْيَمَ، جَعَلا مِثْلَ ذلِكَ الطِّفْلِ يَشْرَعُ في الكلام؛
جُزْءٌ مِنْها مِنْ دُونِها تَكَلَّمَ لِأجْلِها، أجْزاؤكَ جُزْءاً جُزْءاً ذاتُ كلامٍ في السِّرّ؛
اليَدُ والقَدَمُ تَصيرانِ شاهِداً عَلَيْكَ أيْ سالِكُ، كَمْ تَمُدُّ اليَدَ والقَدَمَ إلى المُنْكَر؛
وإنْ لَمْ تَكُنْ مُسْتَحِقّاً للشَّرْحِ والكلام، ناطِقَةُ النَّاطِقِ شاهَدَتْكَ وَنامَت؛
كُلُّ ما ظَهَرَ جاءَ لأجْلِ مُحْتاج، كَيْ يَجِدَ الطَّالِبُ الشَّيْءَ الَّذي يَبْحَثُ عَنْه؛
إنْ كانَ الحَقُّ تَعالى خَلَقَ السَّماوات، إنَّما خَلَقَها لأجْلِ دَفْعِ الحاجات؛
حَيْثُما كانَ المَرَضُ ذَهَبَ إلَيْهِ الدَّواء، حَيْثُما كانَ الفَقْرُ ذَهَبَ إلَيْهِ الغِذاء؛
حَيْثُما كانَ مُشْكِلٌ ذَهَبَ إلَيْهِ الجَواب، حَيْثُما كانَ سَفينٌ ذَهَبَ إلَيْهِ الماء؛
أقِلَّ البَحْثَ عَنِ الماءِ قَدِّمِ العَطَشَ، كَيْ يَفيضَ لَكَ الماءُ مِنْ أعْلى وَأسْفَلَ؛
لَوْ لَمْ يُوْلَدِ الطِّفْلُ الصَّغيرُ رَقيقَ حَلْق،مَتى كانَ صارَ دارَّاً لَهُ اللَّبَنُ مِنَ الثَّدي؛

فاذْهَبْ في الأنجادِ واذْهَبْ في الأوهاد، لِتَصيرَ عَطْشاناً وَرَهيناً للحَرارَة؛
بَعْدَ ذلِكَ مِنْ صَوْتِ زَنْبُورِ الهَواء، أُطْلُبْ صَوْتَ الماءِ أي عَظيمُ واشْرَبْ؛
لا يَكُنِ احْتياجُكَ أَقَلَّ مِنْ احْتياجِ الحَشيش، إنَّهُ يُمْسِكُ بالماءِ وَيَجْذِبُهُ إلَيْه؛
أنتَ تَسْعى للماءِ وَتَقُومُ بِجَرِّه، إلى جِهَةِ الزَّرْعِ اليابِسِ لِيَجِدَ بِهِ النُّضْرَة؛
فلْتَسْحَبْ لِزَرْعِ الرُّوحِ كُلَّ جَوْهَرٍ مُضْمَر، فَغَيْمُ الرَّحْمَةِ مَمْلُوءٌ بِماءِ الكَوْثَر؛
حتَّى *سَقاهُمْ رَبُّهُمْ* يَأتِي الخِطاب ، كُنْ ظامِئاً *واللهُ أعْلَمُ بالصَّواب*؛

مَجيءُ تِلْكَ المَرْأَةِ الكافِرَةِ بِطِفْلٍ رَضيعٍ إلى أمامِ المُصْطَفى عَلَيْهِ السَّلام وَنُطْقُهُ كَعيسى بِمُعْجِزاتِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِه

ثُمَّ إنَّ امْرَأَةً مِنَ الكافِرينَ مِنْ تِلْكَ القَرْيَة، جاءَتْ تَجْري جِهَةَ النَّبِيّ للامْتِحان؛
تَقَدَّمَتِ المَرْأَةُ في خِمارٍ أمامَ النَّبِيّ، في حِضْنِها طِفْلٌ صَغيرٌ بِعُمْرِ شَهْرَيْن؛
الطِّفْلُ قالَ *سَلَّمَ اللهُ عَلَيْك يا رَسُولَ اللهِ قَدْ جِئْنا إلَيْك*
أُمُّهُ مِنَ الغَضَبِ قالَتْ لَهُ اصْمتْ، مَنْ ذا الَّذي ألْقى بِهذِهِ الشَّهادَةِ في أُذُنَيْك؛
مَنْ عَلَّمَكَ هذا أيُّها الطِّفْلُ الصَّغيرُ، حَتَّى صارَ لِسانُكَ جارِياً في الطُّفُولَة؛
قالَ عَلَّمَنيهُ الحَقُّ ثُمَّ جَبرائيل، أنا في البَيانِ مَعَ جَبرائيلَ رَسُول؛
قَالَتْ فَأَيْنَ هُوَ قالَ فَوْقَ رَأْسِكِ، لا تُبْصِرينَهُ فاجْعَلي النَّظَرَ إلى أعْلى؛
هُوَذا واقِفٌ على رَأْسِكِ جَبرائيل، هُوَ لي في مِئَةِ وُجْهَةٍ دليل؛
قالَتْ فَهَلْ تَراهُ قالَ أَجَلْ، هُوَ فَوْقَ رَأْسِكِ كَبَدْرٍ مُنيرٍ اكْتَمَلْ؛
يُعْطيني المَعارِفَ في وَصْفِ الرَّسُول، يَرْفَعُني بِتِلْكَ المَعارِفِ مِنَ السُّفُول؛
فقالَ لَهُ الرَّسُولُ أيْ طِفْلاً رَضيعاً، ما اسْمُكَ أعِدِ القَوْلَ كُنْ مُطيعاً؛
قالَ اِسْمي عِنْدَ الحَقِّ عَبْدُ العَزيز، وَعِنْدَ هذِهِ الجماعَةِ السَّيِّئَةِ عَبْدُ العُزَّى؛

أنا مِنْ عُزَّى مُطَهَّرٌ ونافِرٌ وَبَرِيءٌ، وَحَقِّ الَّذي أعْطاكَ هذِهِ النُّبُوَّة؛

الطِّفْلُ ذُو الشَّهْرَيْنِ كأنَّهُ البَدْر، أعْطى الدَّرْسَ بالِغاً كَأَصْحابِ الصَّدْر؛

آنَذاكَ وَصَلَتْ مِنَ الجَنَّةِ ريحُ حُنُوط، وَأَدْرَكَ أنْفُ الأُمِّ والطِّفْلِ تِلْكَ الرِّيْح؛

قالا تَسْليمُ الرُّوحِ على رائِحَةِ هذا الحُنُوط، خَيْرٌ لَنا مِنْ خَوْفِ السُّقُوط؛

ذلِكَ الشَّخْصُ الَّذي كانَ مُعَرِّفاً للحَقّ، قالَ لَهُ الجامِدُ والنَّامي مِئةَ مَرَّةٍ صَدَق؛

وذلِكَ الشَّخْصُ الَّذي كانَ اللهُ لَهُ حافِظاً، تَصيرُ الأطيارُ والأسْماكُ لهُ حارِساً؛

خَطْفُ العُقاب لِنَعْلِ المُصْطَفى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلام وَحَمْلُهُ في الهَواءِ، وَقَلْبُهُ، وَسُقُوطُ حَيَّةٍ سَوْداءَ مِنَ النَّعْل

كانوا في هذا الأمْرِ إذْ سَمِعَ المُصْطَفى، نِداءَ الصَّلاةِ قادِماً مِنْ جِهَةِ العُلا؛

طَلَبَ ماءً وَقامَ بِتَجْديدِ الوُضُوءِ، غَسَلَ الوَجْهَ واليَدَيْنِ مِنْ ذلِكَ الماءِ البارِد؛

غَسَلَ القَدَمَيْنِ وسارَ صَوْبَ النَّعْل، فاخْتَطَفَ النَّعْلَ مِنْهُ خاطِفٌ للنَّعْل؛

مَدَّ يَداً للنَّعْلِ ذاكَ الحَسَنُ الخِطاب، فاخْتَطَفَ النَّعْلَ مِنْ يَدِهِ العُقاب؛

حَمَلَ النَّعْلَ في الهَواءِ كَأَنَّهُ الرِّيْح، ثُمَّ قَلَبَهُ وَجَعَلَهُ نَكْساً فَسَقَطَتْ مِنْهُ حَيَّة؛

سَقَطَتْ مِنَ النَّعْلِ حَيَّةٌ سَوداء، مِنْ تِلْكَ العِنايَةِ صارَ العُقابُ مُريدَ خَيْرٍ لَه؛

ثُمَّ عادَ العُقابُ بِتِلْكَ النَّعْلَ مِنْ جَديدٍ، قالَ هاكَ خُذْهُ وامْضِ نَحْوَ الصَّلاة؛

مِنْ ضَرُورَةٍ فَعَلْتُ قِلَّةَ الأَدَب، وأنا المَكْسُورُ القَرْنِ مِنَ الأدَب؛

الوَيْلُ لِمَنْ خَطا بِغَيْرِ حَياء، بِلا ضَرُورَةٍ أعطاهُ الهَوى الفَتْوى؛

فَشَكَرَهُ الرَّسُولُ وقالَ نَحْنُ رَأَيْنا الجَفاءَ، في هذا وكانَ في ذاتِهِ الوَفاء؛

خَطَفْتَ النَّعْلَ صِرْتُ مُخالَطاً بالهَمّ، صِرْتُ في غَمٍّ جَلَبْتَ لِيَ الغَمّ؛

رَغْمَ أنَّ اللهَ أظْهَرَ لي كُلَّ غَيْب، كانَ القَلْبُ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ مَشْغُولاً بالنَّفْس؛

قالَ العُقاب بَعيدٌ عَنْكَ تَصِلُ الغَفْلَةُ إلَيْكَ، رُؤيَتي ذاكَ الغَيْبَ هِيَ عَكْسٌ مِنْك؛

رُؤيتي الحَيَّةَ في النَّعْلِ مِنَ الهَواء، لَيْسَتْ مِنِّيْ بَلْ عَكْسٌ مِنْكَ أيْ مُصْطَفى؛
العَكْسُ النُّورانِيُّ كانَ كُلُّهُ ضِياءً، العَكْسُ الظَّلْمانِيُّ كانَ كُلُّهُ كَدَراً؛
عَكْسُ عَبْدِ اللهِ كانَ نُوراً كُلُّهُ، عَكْسُ الأجْنَبِيِّ كانَ عَمىً كُلُّهُ؛
اعْرِفْ عَكْسَ كُلِّ شَخْصٍ أيْ عَزيزُ،انْظُرْ إلى جِوارِ جِنْسٍ مَنْ تُريدُ الجُلوس؛

وَجْهُ أخْذِ العِبْرَةِ مِنْ هذِهِ الحِكايَة والعِلْمُ يقيناً أنْ إنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً

تِلْكَ القِصَّةُ عِبْرَةٌ لَكَ أيْ عَزيز، حتَّى تكُونَ راضِياً مِنْ حُكْمِ الله؛
حَتَّى تَكُونَ ذكِيًّاً وحَسَنَ الظَّنّ، إذا رَأَيْتَ واقِعَةً سَيِّئَةً فَجْأَةً؛
الآخَرونَ مِنْ خَوْفِ ذاك صاروا صُفْراً، أنتَ كوَرْدٍ ضاحِكٍ في النَّفْعِ والضُّرّ؛
لَوْ نَزَعْتَ أوراقَ الوَرْدةِ وَرَقَةً وَرَقَةً، ما تَرَكَتِ الضُّحْكَةَ ولا صارَتْ مُنْثَنِيَةً؛
قالَتْ لِماذا أَقَعُ في الغَمِّ مِنَ الشَّوْك، أنا أجْعَلُ الضُّحْكَةَ تَطْلَعُ مِنَ الشَّوك؛
كُلُّ شَيْءٍ جَعَلَكَ مَهْجُوراً مِنَ القَضاء، كُنْ على يَقينٍ أنَّهُ اشتراكَ مِنَ البلاء؛
ما التَّصَوُّف قالَ وُجْدانُ الفَرَحْ في الفُؤادِ عِنْدَ إتيانِ التَّرَحْ؛
اعْرِفْ عِقابَهُ ذاكَ مِثْلَ ذاكَ العُقابِ، الَّذي خَطَفَ تِلْكَ النَّعْلَ مِنْ حُسْنِ الطَّبْع؛
حتَّى يُنْجِيَ قَدَمَهُ مِنْ لَدْغَةِ الأفْعى، أي ما أسْعَدَ العَقْلَ الَّذي هُوَ بلا غُبار؛
قالَ لا تَأْسَوا على ما فاتَكُمْ إنْ أتى السّرحانُ أَرْدى شاتَكُم؛
إنَّ في ذاكَ البلاءِ دَفْعاً لِبلايا عِظام، وإنَّ في ذاكَ الضُّرِّ مَنْعاً لأضْرارٍ جِسام؛

طَلَبُ ذلِكَ الرَّجُلِ مِنْ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ أنْ يُعَلِّمَهُ لِسانَ البَهائمِ والطُّيُور

ذاكَ رَجُلٌ شابٌّ قالَ لِمُوسى، أيْ مُوسى عَلِّمْني لِسانَ الحَيَوانات؛
لَعَلَّ في أصْواتِ الحَيَواناتِ والوُحُوشِ، عِبْرَةً تَحْصَلُ لي تُفيدُني في ديني؛
فإنَّ ألْسِنَةَ بَني آدَمَ كُلَّها جَميعاً، هِيَ في طَلَبِ الماءِ وطَلَبِ الخُبْزِ والدَّمْدَمَة؛

رُبَّما كانَ للحَيَواناتِ وَجَعٌ آخَرٌ، وَلَها آنَذَاكَ تَدْبيرٌ مِنْهُ خَلاصٌ؛
قالَ مُوسى اذْهَبْ واتْرُكْ هذا الهَوَس، هذا بِهِ خَطَرٌ جَمٌّ لَكَ مِنْ أمامٍ وَخَلْف؛
أُطْلُبِ العِبْرَةَ واليَقَظَةَ مِنَ الله، لا مِنَ الكِتابِ وَالمَقالِ وَالحُرُوفِ وَالشِفاه؛
صارَ الرَّجُلُ أَشَدَّ طَلَباً مِنْ ذلِكَ المَنْع، إنَّ الرَّجُلَ يَصيرُ أكْثَرَ رَغْبَةً في المَنْع؛
قالَ أيْ مُوسى نُورُكَ عِنْدَما شَعَّ، كُلُّ شَيْءٍ أيَّاً كانَ وَجَدَ مِنْكَ النُّور؛
وَتَتْرُكُني هكذا مَحْروماً مِنْ هذا المُراد، هذا غَيْرُ لائقٍ بِلُطْفِكَ أيْ جَواد؛
أنتَ قائمُ مَقامِ الحَقِّ هذا الزَّمان، أنا أصيرُ يائساً إنْ كُنْتَ تَمْنَعُني الآن؛
قالَ مُوسى يا رَبِّ هذا الرَّجُلُ السَّليم، كأنَّما صارَ مُسَخَّراً للشَّيْطانِ الرَّجيم؛
إذا أنا عَلَّمْتُهُ صارَ أمْرُهُ إلى الوَبال،وإنْ لَمْ أُعَلِّمْهُ صارَ قَلْبُهُ إلى سُوءِ الحال؛
قالَ أيْ مُوسى عَلِّمْهُ فَنَحْنُ، مِنَ الكَرَمِ لا نَرُدُّ أَبَداً الدُّعاء؛
قالَ يا رَبِّ لكِنَّهُ يَصيرُ نادِماً، وَسَوْفَ يَعَضُّ اليَدَيْنِ وَيُمَزِّقُ الثِّياب؛
القُدْرَةُ لَيْسَتْ لائقَةً بِكُلِّ شَخْصٍ، خَيْرُ أساسٍ للتَّقْوى هُوَ العَجْز؛
مِنْ هُنا جاءَ الفَقْرُ فَخْرَ الخالِدين، مَنْ لا تَصِلُ أَيْديهِمْ ظَلُّوا مُتَّقِيْن؛
مِنَ الغِنى صارَ ذاكَ الغَنِيُّ مَرْدوداً، مِنَ القُدْرَةِ صارَ صَبْرُهُ حَصيداً؛
العَجْزُ والفَقْرُ للآدَمِيِّ أمان، مِنْ بلاءِ نَفْسٍ مَليئةٍ بالحِرْصِ والأحْزان؛
ذلِكَ الغَمُّ يَجيءُ مِنْ فُضُولِ الآمال، مِنْ ذلِكَ الطَّبْعِ صارَ ذاكَ صَيْدَ الأغْوال؛
آكِلُ الطِّيْنِ ذاكَ لَهُ رَغْبَةٌ بالطِّيْن ، لا يَهْضِمُ سُكَّرَ الوَرْدِ ذاكَ المَسْكين؛

مَجيءُ الوَحْيِ مِنَ الحَقِّ تَعالى إلى مُوسى
أنْ عَلِّمْهُ الشَّيْءَ الَّذي يَطْلُبُ أو بَعْضاً مِنْه

قالَ الحَقُّ أعْطِهِ ما يَلْزِمُه، أطْلِقْ يَدَهُ بِذاك الاخْتيار؛
الاِخْتيارُ جاءَ مِلْحَ العِبادَةِ، لَولاهُ دارَ مُرْغَماً هذا الفَلَك؛

وكانَ دَوَرانُهُ بلا أجْرٍ ولا عِقاب، الاِخْتيارُ جاءَ فَضْلاً عِنْدَ الحِساب؛
العالَمُ جُمْلَةً أتى بالتَّسْبيح، لَيْسَ بِذاكَ التَّسْبيحِ الجَبْرِيِّ المَأجُور؛
أعْطِهِ السَّيْفَ باليَدِ حَرِّرْهُ مِنَ العَجْزِ، لِيَروحَ غازِياً أو يَرُوحَ قاطِعَ طَريق؛
كَرَّمْنا بَني آدَمَ كانَتْ مِنَ الاِخْتيار، نِصْفُهُمْ صارَ نَحْلَ عَسَلٍ وَنِصْفُهُم حَيَّات؛
المُؤمِنونَ كالنَّحْلِ مَنْجَمُ عَسَلٍ، الكافِرُونَ كالحَيَّاتِ مَنْجَمُ سُمّ؛
المُؤمِنُ امْتَصَّ طَيِّبَ الرَّحيقِ مِنَ النَّبات، حَتَّى صارَ كالنَّحْلِ رِيْقُهُ حَياة؛
الكافِرُ شَرِبَ الشُّرْبَةَ مِنَ الصَّديد، مِنْ قُوَّتِها ظَهَرَ السُّمُّ فيهِ أيْضاً؛
أَهْلُ إلهامِ الإلهِ عَيْنُ الحَياة، أهْلُ تَسْويلِ الهَوى سُمُّ المَمات؛
المَدْحُ والثَّناءُ والإعْجابُ في الدُّنيا، مِنَ الاِخْتيارِ والحِفاظِ على الإدراك؛
العرابيدُ جُمْلَةً إذا صاروا في السِّجْن، صارُوا مُتَّقينَ وزُهَّاداً وَدُعاةَ حَقّ؛
عِنْدَما ذَهَبَتِ القُدْرَةُ صارَ كاسِداً العَمَل، اِنْتَبِهْ قَبْلَ أنْ يَأْخُذَ رَأْسَمالِكَ الأجَل؛
قُدْرَتُكَ رَأْسُمالِكَ للرِّبْحِ ألا انْتَبِهْ، حافِظْ على وَقْتِ القُدْرَةِ وانْظُرْ؛
الآدَمِيُّ فارِسٌ على جَوادِ *كَرَّمْنا*، مُمْسِكٌ بِعنانِ الاِخْتيارِ بالكَفّ؛
عادَ مُوسى فأعْطاهُ النَّصيحَةَ عَنْ مَحَبَّةٍ، أنْ مُرادُكَ هذا سَيَجْعَلُك أصْفَر وَجْه؛
أُتْرُكْ هذِهِ التِّجارَةَ وَخَفْ مِنَ الحَقّ، فالشَّيْطانُ أعْطاكَ مَكْراً مِنْ أجْلِ الدَّرْس؛

قَناعَةُ ذلِكَ الطَّالِبِ بِتَعَلُّمِ لِسانِ الطُّيورِ الأهْلِيَّةِ والكِلاب وإجابَةُ مُوسى عَلَيْهِ السَّلام

قالَ كَفى نُطْقُ الكَلْبِ فَهُوَ على الباب، وَنُطْقُ الطَّائرِ المَنْزِلِيِّ فَهُوَ أهْلُ جَناح؛
قالَ مُوسى ها أنْتَ تَعْلَمُ فامْضِ قَدْ وَصَلَكَ، نُطْقُ هذَيْنِ وَصارَ لَك ظاهِراً؛
وَمَعَ طُلُوعِ الفَجْرِ مِنْ أجْلِ الاِمْتِحان، ظَلَّ واقِفاً مُنْتَظِراً على العَتَبَة؛
نَفَضَتِ الخادِمَةُ السُّفْرَةَ وَسَقَطَ مِنْها، قِطَعٌ مِنَ الخُبْزِ البائتِ مِنْ آثارِ الزَّاد؛

فاخْتَطَفَ ذلِكَ ديكٌ كَأَنَّهُ الغَنيمَة، قالَ الكَلْبُ لَقَدْ عَمِلْتَ لنا ظُلْماً فاذْهَبْ؛
أَنْتَ قادِرٌ على أكْلِ حُبُوبِ القَمْحِ وأنا، عاجِزٌ عَنْ أكْلِ الحُبُوبِ في الوَطَن؛
القَمْحَ والشَّعيرَ وَبَقِيَّةَ الحُبُوب، تَقْدِرُ تأكُلُ وأنا لا أقْدِرُ أيْ طَرُوب؛
خُبْزُ الشِّفاهِ هذا قِسْمَتُنا مِنَ الطَّعام ، وَأَنْتَ تَخْتَطِفُ هذا القَدْرَ مِنَ الكِلاب؛

جوابُ الدِّيْكِ للكَلْب

فقالَ لَهُ الدِّيْكُ اهْدَأْ ولا تَغْتَمّ، فاللهُ سَيُعْطِيْكَ عِوَضاً عَنْ هذا شَيْئاً آخَر؛
فإنَّ حِصانَ هذا السَّيِّدِ سَوْفَ يَمُوتُ غَداً، يَومَ غَدٍ كُلْ حتَّى تَشْبَعَ ولا تَحْزَنْ؛
فإنَّ مَوْتَ الحِصانِ يكونُ عِيْداً للكَلْب، والطَّعامُ فيهِ وافِرٌ بلا جُهْدٍ ولا كَسْب؛
فَباعَ الرَّجُلُ الحِصانَ لَمَّا سَمِعَ ذلِكَ، فصارَ الدِّيْكُ عِنْدَ الكَلْبِ أصْفَرَ الوَجْه؛
في يَومٍ آخَرَ كذلِكَ قامَ باخْتِطافِ الخُبْز، ذلِكَ الدِّيْكُ وقامَ الكَلْبُ بالتَّشَدُّقِ عَلَيْهِ؛
أنْ أيُّها الدِّيْكُ المُخادِعُ كَمْ هذا الكَذِب، أنتَ ظالِمٌ وأنتَ كاذِبٌ وأنتَ بلا أدَب؛
أيْنَ الحِصانُ الَّذي قُلْتَ أنَّهُ سَيَمُوت، أنتَ مُنَجِّمٌ أعْمىً ومَحرومٌ مِنَ الصِّدْق؛
فقالَ لَهُ ذلِكَ الدِّيْكُ ذو الخَبَر، لَقَدْ ماتَ حِصانُهُ في مكانٍ آخَر؛
قامَ بِبَيْعِ الحِصانِ وَفَرَّ مِنَ الخُسْران، ألقى على الآخَرينَ بِذلِكَ الخُسْران؛
لكِنَّ بَغْلَهُ في غَدٍ سَوْفَ يَصيرُ نافِقاً، وتِلْكَ نِعْمَةٌ سَتَكُونُ قَصْراً على الكِلاب؛
سَريعاً قامَ بِبَيْعِ البَغْلِ ذاكَ الحَريص،وَجَدَ مِنَ الغَمِّ والخَسارَةِ آنَذاكَ المَحيص؛
في اليَومِ الثَّالِثِ قالَ الكَلْبُ لِذلِكَ الدِّيْك، أنْتَ أميرُ الكاذِبينَ على طَبْلٍ وكُوس؛
قالَ لَقَدْ باعَ بَغْلَهُ سَريعاً، وَغَداً سَوْفَ يَنْزِلُ المُصابُ بِغُلامِه؛
وَعِنْدَما يَمُوتُ غُلامُهُ سَيَقُومُ الأَقْرِباءُ، بِإلقاءِ الخُبْز للكلابِ وَلِكُلِّ طالِب؛
سَمِعَ هذا وقامَ بِبَيْعِ ذاكَ الغُلام، وَنَجا مِنْ هذا الخُسْرانِ وَتَهَلَّلَ وَجْهُه؛
وَقامَ بالشُّكْرِ وَأَظْهَرَ السُّرُورَ أنْ أنا، نَجَوْتُ مِنْ ثلاثِ واقِعاتٍ في الزَّمَن؛

مُنْذُ أنْ تَعَلَّمْتُ لِسانَ الطَّيْرِ والكَلْب، أَغْلَقْتُ عَنِّي عَيْنَ سُوءِ القَضاء؛
في اليَومِ الآخَرِ قالَ ذاكَ الكَلْبُ المَحْرُوم،أيُّها الدِّيْكُ الهاذِرُ في اثْنَتَيْنِ وواحِدَة؛

خَجَلُ الدِّيْكِ أمامَ الكَلْبِ بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِ في الوُعُودِ الثَّلاثَة

كَمْ وَكَمْ كانَ مِنْكَ مِنْ كَذِبٍ وَمَكْر، ما طارَ مِنْكَ غَيْرُ الكَذِبِ مِنَ الوَكْر؛
قالَ بَعيدٌ عَنِّي وَعَنْ جِنْسيَ الكَذِبُ، نَحْنُ مُبَرَّؤونَ مُمْتَحَنونَ مِنَ الكَذِب؛
نَحْنُ الدِّيَكَةُ مِثْلَ المُؤَذِنِ صادِقُون،نَحْنُ أيْضاً رُقَباءُ للشَّمْسِ ولِلوَقْتِ مُتَحَرُّون؛
نَحْنُ للشَّمْسِ مِنَ الباطِنِ مُراقِبُون، حتَّى وَلَوْ وَضَعْتَ فَوْقَنا الطَّسْتَ مَنْكُوساً؛
مُراقِبُو الشَّمْسِ مِنَ البَشَرِ الأولياءُ، الواقِفُونَ على أسْرارِ الله؛
جَعَلَ الحَقُّ أَصْلَنا كَفيلَ نِداءِ الصَّلاة، أَعْطاهُ هَدِيَّةً للآدَمِيِّ في السَّفينَة؛
لَوْ جَرى مِنَّا أذانٌ بِغَيْرِ وَقْتٍ، مِنْ السَّهْوِ كانَ ذاكَ مَقْتَلاً لَنا؛
قَوْلُنا حَيَّ على الفلاح بِغَيْرِ الوَقْت، يَجْعَلُ مِنْ دَمِنا المَهْدُورَ وَالمُباح؛
المَعْصُومُ وَالمُطَهَّرُ مِنَ الغَلَط، ذاكَ دِيْكُ رُوحِ الوَحْيِ فَقَطْ؛
غُلامُهُ ذاكَ ماتَ عِنْدَ المُشْتَري، كُلُّ الخَسَارَةِ وَقَعَتْ بِذاكَ المُشْتَري؛
لَقَدْ هَرَّبَ مالَهُ ولكِنَّهُ، أراقَ دَمَ نَفْسِهِ ولا حِيْلَةَ لِنَجاتِه؛
خَسارَةٌ واحِدَةٌ تَدْفَعُ خَساراتٍ، جِسْمُنا ومالُنا لأرواحِنا الفِداء؛
أمامَ المُلُوكِ عِنْدَ إنْزالِ العِقاب، تَدْفَعُ المالَ وَتَشْتَري الرَّأْس؛
فَكَيْفَ في القَضاءِ صِرْتَ أعْجَمِيّاً ، تَهْرَبُ بالمالِ مِنَ الحَكَمِ العَدْل؛

إخْبارُ الدِّيْكِ بِمَوْتِ السَّيِّد

لكِنَّهُ في غَدٍ سَوْفَ يَمُوتُ يَقيناً، وَسَوْفَ يَذْبَحُ الوارِثُ الثَّوْرَ وَيَحِنُّ حَنيناً؛
صاحِبُ المَنْزِلِ سَوْفَ يَمُوتُ ويَمْضي، يَومَ غَدٍ يَصِلُكَ الطَّعامُ الدَّسِمُ واللَّذيذُ؛

قِطَعَ الخُبْزِ وَقِطَعَ اللَّحْمِ والطَّعام، سَيَجِدُ في هذا المَنْزِلِ الخاصُّ والعامّ؛
الثَّورُ المَذْبُوحُ ورقائقُ الخَبْز، سَتُوَزَّعُ على الكِلابِ والسَّائلينَ بِسَخاء؛
كانَ مَوتُ الحِصانِ والبَغْلِ والغُلام، دَفْعَ سُوْءِ قَضاءٍ عَنْ هذا المَغْرورِ الخام؛
لَقَدْ فَرَّ مِنْ خَسارَةِ المالِ وَمِنْ وَجَعِ ذاك، إنَّهُ جَعَلَ مالَهُ يَزيدُ وسَفَكَ دَمَه؛
رِياضاتُ الدَّراويشِ هذِهِ لِماذا، لأنَّ البلاءَ على البَدَنِ بَقاءٌ للأرواح؛
كَيْ يَحْصَلَ على بَقاءِ النَّفْسِ السَّالِك، جَعَلَ مِنَ البَدَنِ السَّقيمَ الهالِك؛
متى تَتَحَرَّكُ اليَدُ بالإيثارِ والعَمَل، ما لَمْ تَرَ مِنْ عَطاءِ الرُّوحِ البَدَل؛
ذاكَ الَّذي أعْطى بلا أمَلِ النَّفْع، إنَّما هُوَ اللهُ، ذاكَ اللهُ، ذاكَ الله؛
أوْ وَلِيُّ الحَقِّ المُتَصِفُ بِصِفاتِ الحَقّ،الَّذي صارَ نُوْراً وأخَذَ الضِّياءَ المُطْلَق؛
فَهُوَ غَنِيٌّ وَغَيْرُهُ جُمْلَةً فَقير، متى قالَ خُذْ بلا عِوَضٍ الفَقير؛
ما لَمْ يَجِدِ الطِّفْلُ أنَّ هُناكَ تُفَّاحاً، سَوْفَ لَنْ يُفْلِتَ البَصَلَ الفاسِدَ مِنَ اليَد؛
هذا البازارَ كُلُّهُ لِهذا الغَرَض، الجَميعُ جالِسُونَ في الحَوانِيتِ بِأَمَلِ العِوَض؛
يَقُومونَ بِعَرْضِ مِئةِ متاعٍ جَميل، وهُمْ بِداخِلِ قُلُوبِهِمْ دائرونَ على العِوَض؛
لَنْ تَسْمَعَ سلاماً واحِداً أيْ رَجُلَ الدِّيْن، لا يَأْخُذُ في الآخِرِ مِنْكَ بِكُمِّ الثَّوب؛
وَلَنْ تَسْمَعَ مِنْ الخاصِّ وَالعامّ، سَلاماً بلا طَمَعٍ أي أخي والسَّلام؛
إلاَّ سَلامَ الحَقِّ ألا فاطْلُبْ ذاك، مَنْزِلاً مَنْزِلاً ومَكاناً مَكاناً وحَيَّاً حَيَّاً؛
مِنْ فَمِ الآدَمِيِّ عَذْبِ المَشام، سَمِعْتُ رِسالَةَ الحَقِّ وَسَمِعْتُ السَّلام؛
سلامُ الباقينَ هذا على عَبيرِ ذاك،لا زِلْتُ أشْرَبُ مِنْهُ بالقَلْبِ أحلى مِنَ الرُّوح؛
مِنْ ذلِكَ السَّلامِ مِنْهُ صارَ سلامَ الحَقّ، فَقَدْ أَشْعَلَ النَّارَ في الأهْلِ والعِيال؛
مَيِّتٌ عَنِ النَّفْسِ وَصارَ حَيَّاً بالرَّبّ، مِنْ ذلِكَ صارَتْ أَسْرارُ الحَقِّ في شَفَتَيْه؛
مَوْتُ البَدَنِ في الرِّياضَةِ حَياة، عَذابُ هذا البَدَنِ للرُّوحِ ثَبَات؛
كانَ واضِعاً الأُذُنَ ذاكَ الرَّجُلُ الخَبيث ، وكانَ يَسْمَعُ مِنْ دِيكِهِ ذلِكَ الحَديث؛

جَرْيُ ذاكَ الشَّخْصِ نَحْوَ مُوسى مُستَغيثاً

عِنْدَما سَمِعَ خَبَرَ مَوْتِهِ مِنَ الدِّيْك

لَمَّا سَمِعَ هذا راحَ يَركُضُ مُسرِعاً يَضْطَرِبُ، ذَهَبَ إلى بابِ مُوسى كَليمِ اللهِ؛
يَمْسَحُ الوَجْهَ بالتُّرابِ مِنَ الخَوْف، أنْ لَبِّ اسْتِغاثَتي أنقِذْني مِنْ هذا أي كليم؛
قالَ اذْهَبْ وَقُمْ بِبَيْعِ النَّفْسَ وانْجُ، ما دُمْتَ صِرْتَ أُسْتاذاً اقْفِزْ مِنَ البِئْرِ؛
قُمْتَ بإلقاءِ الخَسارَةِ على المُسْلِمين، وَمَلأتَ الكِيْسَ والهَمْيانَ كِلَيْهِما بالمال؛
أنا رَأَيْتُ هذا القَضاء في هذِهِ الآجُرَّة، كما يكُونُ لَكَ ظاهِراً عِياناً في المِرْآة؛
العاقِلُ رأى الآخِرَ في الأوَّلِ بالقَلْب، مَنْ رأى في الآخِرِ مُقِلٌّ مِنَ العِلْمِ؛
عادَ وَتَضَرَّعَ أنْ أيْ حَسَنَ الخِصال،لا تَضْرِبْني على الرَّأْسِ لا تُسَوِّدْ وَجْهي؛
جاءَ هذا مِنِّي وَقَدْ كُنْتُ غَيْرَ لائقٍ، اِجْعَلِ العَطاءَ لِسُوءِ فِعْلي حُسْنَ الجَزاء؛
قالَ انْطَلَقَ السَّهْمُ مِنَ الإبْهامِ أيْ وَلَد، لَيْسَ سُنَّةً أنْ يَعُوْدَ راجِعاً إلى اليَد؛
لكِنَّني سَأَطْلُبُ مِنَ الحاكِمِ المَنَّان، أنْ تَأْخُذَ مَعَكَ الإيمانَ ذاكَ الزَّمان؛
ما دُمْتَ أخَذْتَ مَعَكَ الإيمانَ أَنْتَ حَيٌّ، ما دُمْتَ ذَهَبْتَ مَعَ الإيمانِ أَنْتَ خالِدٌ؛
في تِلْكَ اللَّحْظَةِ تَغَيَّرَ حالُ ذلِكَ السَّيِّد، وهاجَتْ مَعِدَتُهُ وأحْضَروا لهُ الطَّسْت؛
كانَ اضْطِرابَ المَوْتِ لا هَيْضَةَ الطَّعام، ما نَفْعُ القَيْءِ أيْ سَيِّئَ البَخْتِ الخام؛
حَمَلَهُ أرْبَعَةُ أَشْخاصٍ جِهَةَ الوَثاق، يُحَرِّكُ السَّاقَ يَضعُ السَّاقَ على السَّاق؛
نُصحَ مُوسى لَمْ تَسْمَعْ قُمْتَ بالاِسْتِهْزاء،عَرَّضْتَ نَفْسَكَ لِضَرْبِ سَيْفِ البولاد؛
السَّيْفُ لا يَصيبُهُ الخَجَلُ مِنْ روحِكَ، ذاكَ جَزاؤكَ يا أيُّها الأخ ذاكَ لَك؛

دُعاءُ مُوسى لِذلِكَ الشَّخْصِ أنْ يَرُوحَ بالإيمانِ مِنَ الدُّنيا

ذاكَ السَّحَرَ دَخَلَ مُوسى في المُناجاةِ، أنْ أيْ اللهُ لا تَأخُذْهُ مَقْطُوعَ الإيمان؛
أعْطِهِ العَفْوَ المَلَكِيَّ كُنْ لَهُ راحِماً فقَدْ، كانَ مِنْهُ سَهْوٌ وكانَ ذا لَجاجَةٍ وَغُلُوّ؛
قُلْتُ لَهُ هذا العِلْمُ غَيْرُ لائقٍ بِكَ، فظَنَّ قَولي هذا واهِياً وَظَنَّهُ دَفْعاً لَه؛
ذلِكَ الشَّخْصُ الَّذي مَدَّ يَدَهُ للأفْعى، جَعَلَتْ يَدُهُ تِلْكَ مِنَ العَصا أفْعى؛
ذاكَ لائقٌ بِهِ تَعَلُّمُ سِرِّ الغَيْب، فهُوَ قادِرٌ على أنْ يَخيطَ شَفَتَيْهِ عَنِ الكلام؛
لَيْسَ أَهْلاً لِلبَحْرِ إلاَّ طائرُ الماء، كُنْ فاهِماً واللهُ أعْلَمُ بالصَّواب؛
لَقَدْ ذَهَبَ في البَحْرِ وَلَمْ يَكُنْ طائرَ ماء ، فصارَ غَريقاً فَخُذْ بِيَدِهِ أيْ وَدُود؛

إجابَةُ الحَقّ تعالى دُعاءَ مُوسى عَلَيْهِ السَّلام

قالَ نَعَمْ قَدْ وَهَبْتُهُ الإيمان، وَلَوْ طَلَبْتَ أحْيَيْتُهُ لَكَ الآن؛
بَلْ لأَعَدْتُ أحياءَ جَميعَ الأمْواتِ، مِنْ أجْلِكَ مِنْ تُرابِ القُبُورِ هذا الأوان؛
قالَ مُوسى هذا عالَمُ فَناء، فابْعَثْهُ في ذاكَ العالَمِ حَيْثُ الضِّياء؛
فإنَّ محَلَّ الفَناءِ لَمَّا لَمْ يَكُنْ عالَماً، عَوْدَةُ العارِيَةِ إلَيْهِ لَيْسَتْ كَثيرَةَ النَّفْع؛
فانْشُرْ عَلَيْهِمُ رَحْمَةً وافْعَلِ الآن، في المَنْزِلِ الخَفِيِّ مِنْ *لَدَيْنا مُحْضَرُون*؛
لِتَعْلَمَ أنَّ الخَسارَةَ في الجِسْمِ والمال، تَكُونُ نَفْعاً للرُّوحِ وَنَجاةً مِنَ الوَبال؛
فَكُنْ مُشْتَرِياً الرِّياضَةَ بالرُّوح، اِجْعَلِ البَدَنَ في الخِدْمَةِ تَظْفَرْ بالرُّوح؛
وإنْ جاءَتْكَ الرِّياضَةُ مِنْ غَيْرِ اخْتِيار، ضَعِ الرَّأْسَ شُكْراً أيْ مَنْ نِلْتَ المُراد؛
إذا أعْطاكَ الحَقُّ تِلْكَ الرِّياضَةَ كُنْ شاكِراً،أنْتَ لَمْ تَعْمَلْ وَجَذَبَكَ عَنْ أمْرِ كُن؛

حِكايَةُ تِلْكَ المَرْأَةِ الَّتي لَمْ يَكُنْ يَعيشُ لَها وَلَدٌ وَبَكَتْ وَجاءَ الجَوابُ أنْ ذاكَ عِوَضُ الرِّياضَةِ مِنْكِ وَهُوَ لَكِ بِمقامِ جِهادِ المُجاهِدين

تِلْكَ امْرَأَةٌ كانَتْ تَلِدُ كُلَّ عامٍ وَلَداً، فلا يَعِيْشُ مِنَ العُمْرِ أكْثَرَ مِنْ سِتَّةِ شُهُور؛
كانَ يَمُوتُ بَعْدَ ثلاثَةِ أو أرْبَعَةِ شُهُور،فَتَحِنُّ المَرْأَةُ الحَنينَ أنِ الغَوْثَ أَيْ الله؛
تِسْعَةُ شُهُوْرِ حَمْلٍ وثلاثَةُ شُهُورِ فَرَح، نِعْمَتي أسْرَعُ زَوالاً مِنْ قَوْسِ قُزَح؛
قامَتِ المَرْأَةُ بالنّحيبِ عِنْدَ رِجالِ اللهِ، مِنْ أَلَمِ النَّذيرِ شاكِيَةً لله؛
عِشْرونَ وَلَداً ذَهَبُوا هكذا في القَبْر، وَقَعَتْ نارُ الحَرارَةِ بِأرواحِهِمْ؛
إلى أنْ أظْهَرَ لَها لَيْلَةً الجَنَّة، خَضْراءَ جَميلَةً باقِيَةً بلا ضِنَّة؛
قُلْتُ جَنَّةً عَنْ تِلْكَ النِّعْمَةِ بلا كَيْف، لأنَّها أصْلُ النِّعَمِ وَمَجْمَعُ الجِنان؛
وإلاَّ ما مَحَلُّ الجَنَّة مِنْ *لا عَيْنٌ رَأَتْ*، ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِنُورِ الغَيْبِ السِّراج؛
لا يُوْجَدُ مِثْلٌ لِذاكَ ذاكَ كانَ مِثالاً، يَحْمِلُ العَبيرَ لِذاكَ الَّذي كانَ حَيْراناً؛
الحاصِلُ تِلْكَ المَرْأَةُ رَأَتْ ذاكَ وَسَكِرَتْ، تِلْكَ الضَّعيفَةُ مِنْ ذلِكَ التَّجَلِّي فُقِدَتْ؛
رَأَتْ اِسْمَها مَكْتُوباً على قَصْرٍ، عَلِمَتْ تِلْكَ المَحْبُوبَةُ المَسْلَكِ أنَّ ذاكَ لَها؛
بَعْدَ ذلِكَ قالُوا أنَّ هذِهِ النِّعْمَةَ لَها، ذلِكَ لأنَّها لَمْ تَكُنْ تَلْعَبُ بالرُّوحِ إلاَّ بِصِدْق؛
يَجِبُ عَلَيْكَ القِيامُ بالكَثيرِ مِنَ الخِدْمَةِ، كَيْ تَكُونَ لائقاً لِتُطْعَمَ مِنْ ذاكَ الطَّعام؛
بِما أنَّكِ كُنْتِ ذاتَ كَسَلٍ في الاِلْتِجاء، أعْطاكِ اللهُ عِوَضاً تِلْكَ المَصائِب؛
قالَتْ يا رَبِّ إلى مِئَةِ عامٍ وَأَكْثَر، أعْطِني مِثْلَ هذا أرِقْ مِنِّي دَمي؛
في تِلْكَ الجَنَّةِ عِنْدَما تَقَدَّمَتْ قَليلاً قَليلاً، رَأَتْ فيها أولادَها أولئكَ جَميعاً؛
قالَتْ لَقَدْ ضاعَ مِنِّيْ وَلَمْ يَضِعْ مِنْكَ، لا شَخْصَ دُونَ نَظَرِ الغَيْبِ صارَ إنساناً؛
أنتَ لَمْ تَقُمْ بالفَصْدِ وَسالَ الدَّمُ الزَّائِدُ، مِنْ أنْفِكَ كَيْ يُحَرِّرَ رُوحَكَ مِنَ الحُمَّى؛

لُبُّ كُلِّ ثَمَرَةٍ أفْضَلُ مِنْ القِشْرِ، اِعْرِفِ البَدَنَ القِشْرَ والحَبيبَ لُبَّ القِشْر؛
اللُّبُ يَمْلِكُ الجَمالَ أخيراً آدَميٌّ ، اُطْلُبْ ذاكَ لحْظَةً إنْ كانَ لَكَ ذاكَ النَّفَس؛

دُخُولُ حَمْزَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في القِتالِ بلا دِرْع

أَخِيْراً حِيْنَ كانَ حَمْزَةُ يَرِدُ في الصَّفّ، كانَ يَرِدُ سَكْرانَ في الغَزْوِ بلا دِرْعٍ؛
يَخْطُو إلى الأمامِ عارِيَ الصَّدْر، يَضْربُ بالسَّيْفِ في وَسَطِ الصَّفِّ؛
سَأَلَهُ الخَلْقُ أنْ أيْ عَمَّ الرَّسُول، أيْ كاسِرُ أَيْ أسَدَ الصَّفِّ أيْ شاهَ الفُحُول؛
أَلَمْ تَكُنْ مِنْ كِتابِ الله قَرَأْتَ، لا تُلْقُوا بأَيْديكُمْ إلى التَّهْلُكَة؛
لِمَ تُلْقي بالنَّفْسِ للتَّهْلُكَة، أَنْتَ بِهذا الشَّكْلِ في المَعْرَكَة؛
إذْ كُنْتَ شابَّاً قَوِيَّ الجِسْمِ شَديْدَ النَّزْع، لَمْ تَكُنْ تَذْهَبُ لِلصَّفِّ بلا دِرْع؛
وحينَ صِرْتَ شَيْخاً ضَعيفاً وَمُنْحَنِياً، صِرْتَ تَتَرَدَّى بأَرْدِيَةٍ لا أُبالي؛
كاللاَّمُبالي أنتَ بالسَّيْفِ والسِّنان، تُظْهِرُ القَتْلَ والضَّرْبَ والاِمْتِحان؛
السَّيْفُ لا يَرعى حُرْمَةَ الشَّيْخ، متى كانَ للسَّيْفِ وللرُّمْحِ تَمْييز؛
على هذا النَّسَقِ المُغْتَمُّونَ بلا خَبَر ، راحُوا يُسْدُونَ لَهُ النَّصيحَةَ مِنَ الغِيَر؛

جَوابُ حَمْزَةَ للخَلْق

قالَ حَمْزَةُ أنا عِنْدَما كُنْتُ شابَّاً، كُنْتُ أرى المَوْتَ وَداعاً لِهذا العالَم؛
متى ذَهَبَ الشَّخْصُ عَنْ رَغْبَةٍ إلى المَوْت، مَتى تَقَدَّمَ الشَّخْصُ عارِياً للأَفْعى؛
لكِنْ أنا الآنَ مِنْ نُوْرِ مُحَمَّدٍ، لَمْ أَعُدْ مُشْتَرِياً لِهذِهِ المَدينَةِ الفانِيَة؛
مِنْ خارِجِ الحِسِّ في مُعَسْكَرِ الشَّاه، أرى الجَيْشَ مَمْلُوءاً مِنْ نُوْرِ الإله؛
الخيامَ بالخِيامِ والأطْنابَ بالأطْناب، الشُّكْرُ أنْ أَيْقَظَني مِنَ النَّومِ الإله؛
ذاكَ الَّذي يرى المَوْتَ تَهْلُكَة، يَتَمَسَّكُ باليَدِ بِأَمْرِ *لا تُلقُوا*؛

وَذاكَ الَّذي عِنْدَهُ المَوْتُ فَتْحُ باب، تَجيءُ لَهُ *سارِعُوا* في الخِطاب؛
الحَذَرَ أيْ ناظِري المَوْتِ بارِعُوا، العَجَلَ أيْ ناظِري الحَشْرِ سارِعُوا؛
الصَّلا أيْ ناظِري اللُّطْفِ اِفْرَحُوا، البلا أيْ ناظِري القَهْرِ اِتْرَحُوا؛
كُلُّ مَنْ رأى يُوسُفَ جَعَلَ الرُّوحَ فِدا، كُلُّ مَنْ رأى الذِّئبَ رَجَعَ مِنَ الهُدى؛
مَوتُ كُلِّ واحِدٍ مِنْ لَوْنِهِ أيْ وَلَد، عِنْدَ العَدُوِّ عَدُوٌّ وَعِنْدَ الحَبيبِ حَبيب؛
المِرْآةُ جَميلَةُ اللَّونِ أمامَ التُّرْكِيّ، والمِرْآةُ زِنْجِيَّةُ اللَّوْنِ أمامَ الزِّنْجِيّ؛
الَّذي يخافُ مِنَ المَوْتِ في الفِرار، ذاكَ خائفٌ مِنَ النَّفْسِ أيْ عَزيزُ اصْحُ؛
إنَّ وَجْهَكَ القَبيحُ لا جَبينَ المَوْت، حياتُكَ مِثْلَ الشَّجَرَةِ والمَوتُ أوراقُها؛
الأوراقُ جَميلَةً أمْ قَبيحَةً طَلَعَتْ مِنْكَ، كُلُّ مُضْمَرٍ مِنْكَ مِنْ حَسَنٍ وَقَبيحٍ؛
إنْ آلَمَتْكَ الأشْواكُ أنتَ الَّذي زَرَعْت، أَوْ كُنْتَ في الحَريرِ أنْتَ الَّذي نَسَجْت؛
اِعْلَمْ أنَّ أيَّ فِعْلٍ لَمْ يَكُنْ مِنْ لَوْنِ الجَزاء، ما مِنْ خِدْمَةٍ لها نَفْسُ لَونِ العَطاء؛
أجْرُ عُمَّالِ الأجْرِ لا يَكُونُ شَبيهاً بالعَمَل، فَذاكَ عَرَضٌ وهذا جَوْهَرٌ وَثابِتٌ؛
ذاكَ كُلُّهُ شَقاءٌ وَجُهْدٌ وَعرَق، وَهذا كُلُّهُ فِضَّةٌ وَذَهَبٌ وَطَبَق؛
إذا أتَتْ إلَيْكَ مِنْ مكانٍ تُهْمَة، وَدَعا مَظْلُوم عَلَيْكَ فَأَنْتَ في مِحْنَة؛
وأنتَ تَظَلُّ قائلاً أنا نَجيبٌ، أنا لَمْ أَضَعْ تُهْمَةً على شَخْص؛
أنْتَ عَمِلْتَ ذَنْباً بِشَكْلٍ آخَر، زَرَعْتَ حَبَّةً مَتى أَشْبَهَ البِذارُ الثَّمَر؛
هُوَ زَنى وجُوْزِيَ مَئَةَ ضَرْبَةٍ بِعُود، قالَ أنا متى قُمْتُ بِضَرْبِ شَخْصٍ بِعُود؛
لَيْسَ جَزاءً لِذاكَ الزِّنا هذا البلاء، العُودُ مَتى أَشْبَهَ الزِّنا في الخَلاء؛
الحَيَّةُ مَتى أَشْبَهَتِ العَصا أي كَليم، الألَمُ متى أَشْبَهَ الدَّواءَ أيْ حَكيم؛
أنتَ مكانَ تِلْكَ العَصا ماءَ المَني، حينَ أَلْقَيْتَ كانَ ذاكَ الشَّخْصُ السَّني؛
صارَ ماؤكَ صَديقاً أوْ صارَ حَيَّةً، فكَيْفَ يَكونُ مِنْكَ العَجَبُ مِنْ تِلْكَ العَصا؛
لا يُشابِهُ الماءُ ذلِكَ الوَلَدَ أَبَداً، لا يُشابِهُ قَصَبُ السُّكَّرِ القَنْدَ أبَداً؛

إذا كانَ الرَجُلُ العامِلُ ذا سُجُودٍ أو رُكُوع، صارَ سُجُودُهُ في ذلِكَ العالَمِ جَنَّة؛
عِنْدَما طارَ مِنْ فَمِهِ حَمْدُ الحَقّ، جَعَلَ رَبُّ الفَلَقِ مِنْهُ طائِرَ الجَنَّة؛
حَمْدُكَ وَتَسْبيحُكَ لا يُشْبِهانِ الطَّائر، رَغْمَ أَنَّ نُطْفَةَ الطَّائِرِ ريحٌ وَهَواء؛
إذا طَلَعَ مِنْ يَدِكَ الإيثارُ والزَّكاة، صارَتِ اليَدُ في تِلْكَ الجِهَةِ النَّخْلَ والنَّبات؛
ماءُ صَبْرِكَ صارَ جَدْوَلَ ماءِ الخُلْد، جَدْوَلُ لَبَنِ الخُلْدِ عَطْفُكَ والوُدّ؛
ذَوْقُ الطَّاعَةِ صارَ جَدْوَلَ عَسَل، سُكْرُكَ والشَّوقُ صارا جَدْوَلَ خَمْرٍ تَأَمَّلْ؛
هذِهِ الأسبابُ لا تُشابِهُ تِلْكَ الآثار، لا شَخْصَ يَعْرِفُ كَيْفَ أُقيمَتْ ذاكَ المَكان؛
بِما أَنَّ هذِهِ الأَسْبابَ كَانَتْ بِأَمْرِك، الأَنْهارُ الأَرْبَعَةُ صارَتْ بِأَمْرِك؛
إلى أيِّ طَرَفٍ ما شِئتَ أجْرَيْتَها، كَيْفَما كانَتْ تِلْكَ الصِّفَةُ تَفْعَلُ مِثْلَها؛
مِثْلَ المَنِيّ مِنْكَ الَّذي هُوَ بِأَمْرِك، النَّسْلُ مِنْ ذاكَ جاءَ سَريعاً بِأَمْرِك؛
يَجْري على أمْرِكَ ابنُكَ الجَديد، أنْ أنا جُزْءُكَ الَّذي جَعَلْتَ مُرْتَهَناً؛
تِلْكَ الصِّفَةُ في هذا العالَم كانَتْ بِأَمْرِكَ، كما هِيَ تِلْكَ الأَنْهارُ الجارِيَةُ بِأَمْرِك؛
تِلْكَ الأشجارُ تَقُومُ بِإنْفاذِ أَمْرِك، إذْ تِلْكَ الأَشْجارُ مُثْمِرَةٌ مِنْ صِفاتِك؛
كما هِيَ بِأَمْرِكَ هاهُنا هذِهِ الصِّفات، تكُونُ بِأَمْرِكَ هُناكَ تِلْكَ المُجَازاة؛
إذا طَلَعَ مِنْ يَدِكَ ضَرْبٌ على مَظْلوم، صارَ ذاكَ شَجَرَةً طَلَعَ مِنْها الزَّقُّوم؛
إذا أَشْعَلْتَ نارَكَ في القُلُوبِ مِنْ غَضَب، تكُونُ قَدْ جِئْتَ لِنارِ جَهَنَّمَ بالحَصَبْ؛
كما كانَتْ نارُكَ حارِقَةً هُنا، يكُونُ ذاكَ المَولودُ مِنْها حارِقاً هُناكَ؛
نارُكَ هُنا تَقُومُ بِقَصْدِ الخَلْق، النَّارُ المَولُودَةُ مِنْها هُناكَ قاصِدَةٌ للخَلْق؛
وَتِلْكَ الأَقْوالُ مِنْكَ كالعقارِبِ والحَيَّات، صارَتْ عَقارِبَ وَحَيَّاتٍ تَأْخُذُ بِك؛
أَبْقَيْتَ الأولياءَ هُنا بالإِنْتِظار، صارَ في القِيامَةِ قَريناً لَكَ الإِنْتِظار؛
الوُعُودُ مِنْكَ أَنْ في غَدٍ وَبَعْدَ غَدٍ، صارَتْ انتِظارَ حَشْرِكَ الْوَيْلُ لَك؛
بَقيْتَ في ذلِكَ اليَوْمِ الطَّويلِ بالإِنْتِظار، في الحِسابِ والشَّمْسُ تَصْهَرُ الرُّوح؛

فَقَدْ كُنْتَ تُبْقي السَّماءَ تَنْتَظِر، تَزْرَعُ بِذْرَةَ غداً سَأَذْهَبُ في الطَّريق؛
غَضَبُكَ صارَ بِذْرَةَ نارِ السَّعير، هَيَّا أطْفِئْ نارَكَ هذِهِ فَهِيَ فَخّ؛
إطْفاءُ هذِهِ النَّارِ لا يَكُونُ إلاَّ بالنُّور، *نُورُكَ أطْفَأَ نارَنا نَحْنُ الشَّكُور*؛
إذا كُنْتَ بلا نُورٍ وَكُنْتَ تَقُومُ بالحِلْم، فإنَّ نارَكَ حَيَّةٌ ولكِنَّها في الرَّماد؛
ذاكَ كانَ تَكَلُّفاً وَذاكَ كانَ قِناعاً، هذِهِ النَّارُ لا تُطْفَأُ بِغَيْرِ نُوْرِ الدِّيْن؛
ما لَمْ تَرَ نُوْرَ الدِّيْنِ لا تَكُنْ في أمان، فالنَّارُ المَخْفِيَّةُ سَتَصيرُ يَوماً ظاهِرَةً؛
واعْرِفِ النُّورَ ماءً فالتَصِقْ بالماء، لا تَخَفْ مِنَ النَّارِ ما دُمْتَ تَمْلِكُ الماء؛
فالماءُ يَقْتُلُ النَّارَ لأنَّ النَّارَ مِنَ الطَّبْع، قامَتْ بإحْراقِ نَسْلِهِ وأبنائِه؛
فاذْهَبْ جِهَةَ طُيُورِ الماءِ تِلْكَ بِضْعَةَ أيَّامٍ، حَتَّى تَقُومَ بِشَدِّكَ إلى ماءِ الحَياة؛
الطَّائِرُ التُّرابِيُّ والطَّائرُ المائيُّ بالبَدَنِ شبيهان، لكِنَّهُما كالماءِ والزَّيْتِ ضِدَّان؛
كُلُّ واحِدٍ مِنْهُما عَبْدٌ لأَصْلِ نَفْسِهِ، قُمْ بالاِحْتياطِ فَهُما مُتَشابِهان؛
هكذا الوَسْوَسَةُ وَوَحْيُ *أَلَسْت*، كلاهُما مَعقُولانِ لكِنِ الفَرْقُ مَوجُود؛
كلاهُما دَلاَّلانِ في بازارِ الضَّمير، وكُلٌّ مِنْهُما مادِحٌ مَتاعَهُ أيْ أمير؛
إذا كُنْتَ صَرَّافَ قَلْبٍ اعْرِفْ فِكَرَك، فَرِّقْ ما بَيْنَ الفِكْرَتَيْنِ كالنَّخَّاس؛
إنْ كُنْتَ لا تَعْرِفُ تَمييز الفِكْرَتَيْنِ مِنْ ظَنّ، قُلْ لا خِلاَبَةَ ولا تُسْرِعْ ولا تُقْدِمْ؛

حِيْلَةٌ في دَفْعِ الغُبْنِ في البَيْعِ والشِّراء

ذاكَ واحِدٌ مِنَ الصَّحابَةِ قالَ للرَّسُول، أنا دائماً في البُيوعِ قَرينٌ للغُبْن؛
مَكْرُ كُلِّ شَخْصٍ باعَني أو اشْتَرى مِنِّي، يكُونُ كَأنَّهُ السِّحْرُ ويُضِلُّني الطَّريق؛
قالَ في بَيْعٍ تَخشى فيهِ مِنَ الغِرار، اِشْتَرِطْ لِنَفْسِكَ ثلاثةَ أيَّامٍ مِنَ الاِختيار؛
فالتَّأنِّي مِنَ الرَّحْمنِ على اليقين، كما أنَّ التَّعْجيلَ مِنَ الشَّيْطانِ اللَّعين؛
إذا ألْقَيْتَ أمامَ الكَلْبِ لُقْمَةً مِنَ الخُبْز، فإنَّهُ يَشُمُّها أوَّلاً ثُمَّ يَأكُلُها أيْ مُعْتَني؛

هُوَ شَمَّ الرَّائِحَةَ بالأنْفِ نَحْنُ مَعَنا العَقْل، نَحْنُ نَشُمُّها أيْضا بالعَقْلِ المُنْتَقِد؛
بالتَّأَنّيْ صارَتْ مَوجُودَةً مِنَ الله، في سِتَّةِ أيَّامٍ الأرْضُ والأفلاك؛
وإلاَّ فإنَّهُ قادِرٌ مِنْ *كُنْ فَيَكُون*، على إيجادِ مِئةِ أرْضٍ وَمِئَةِ فَلَك؛
خَلَقَ الآدَميَّ شَيْئاً فَشَيْئاً ذلِكَ الهُمام، في أرْبَعينَ عاماً صارَ رَجُلاً على التَّمام؛
رِغْمَ أنَّهُ كانَ قادِراً في نَفَسٍ واحِدٍ، على أنْ يُطَيِّرَ مِنَ العَدَمِ خَمْسينَ شَخْصاً؛
عيسى كانَ قادِراً مِنْ دُعاءٍ واحِدٍ، أنْ يَجْعَلَ المَيّتَ يَنْهَضُ بلا تَوَقُّفٍ؛
خالِقُ عيسى كانَ قادِراً على أنْ، يأْتِيَ بالخَلْقِ جُمْلَةً بلا تَوَقُّفٍ أفْواجاً؛
هذا التَّأَنّيْ كانَ مِنْ أجْلِ تَعْليمِك، أنْ يَجِبُ الطَّلَبُ بِالتَّأَنّي وَمِنْ دُونِ انْقِطاع؛
فالجَدْوَلُ الصَّغيرُ الَّذي يَكُونُ دائِمَ الجَرَيان، لا يَصيرُ نَجِساً ولا يَكُونُ آسِناً؛
مِنْ هذا التَّأَنّيْ يُولَدُ الإقْبالُ والسُّرور، هذا التَّأَنّيْ بَيْضَةُ دَوْلَةٍ كالطُّيُور؛
الطَّائرُ متى شابَهَ البَيْضَةَ أيْ عَنيد، رَغْمَ أنَّهُ يَخْرُجُ مِنْها ظاهِراً للوجود؛
فاصْبِرْ حَتَّى تَصيرَ أجْزاؤكَ كالبُيُوض، تُوْلَدُ مِنْها الطُّيُورُ في النِّهايَة؛
بَيْضَةُ الحَيَّةِ رَغْمَ أنَّها تُشْبِهُ الشَّبَهَ الكَبير، بَيْضَةَ العُصْفُورِ بَيْنَهُما فَرْقٌ كبير؛
وَبِذْرَةُ الإجاصِ وَبِذْرَةُ التُّفَّاح، بَيْنَهُما فُروقٌ رغمَ أنَّهُما مُتَشابِهتانِ أي عَزيز؛
الأوراقُ لها اللَّونُ نَفْسُهُ في النَّظَر، والأثْمارُ كُلُّ ثَمَرٍ يكونُ مِنْ نَوْعٍ آخَر؛
الأوراقُ شَبيهَةٌ بالأجْسام، وكُلُّ رُوْحٍ تَحيا بِسَقْيٍ آخَر؛
الخَلْقُ يَمْضُونَ للبازارِ مُتَشابِهين، وذاكَ واحِدٌ مَسرورٌ وذاكَ واحِدٌ في أَلَم؛
نَحْنُ نَمْضي في المَوْتِ مُتَشابِهين، نِصْفٌ في الخُسرانِ ونِصُفٌ مُلُوكٌ عِظام؛

وفاةُ بلال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في سُرور

حينَ وَقَعَ لَوْنُ المَوْتِ على وَجْهِ بلال، وَصارَ بِلالُ مِنَ الضَّعْفِ كالهِلال؛
نَظَرَت إلَيْهِ زَوْجَتُهُ قالَتْ واحَرَب، فقالَ لها بِلالُ لا لا واطَرَب؛

كُنْتُ لِلآنَ في حَرَبٍ مِنَ الحَياة، أنْتِ ما عِلْمُكِ عنْ سُرورِ المَوتِ ما يكون؛
كانَ يَقُولُ هذا وَوَجْهُهُ أثناءَ هذا القَوْل، كانَ يَتَفَتَّحُ نَرْجِساً وأوراداً وَشقائقَاً؛
ضياءُ وَجْهِهِ وَعَيْنُهُ المُمْتَلِئَةُ بالأنوار، كانا يَقُومانِ بالشَّهادَةِ على قَوْلِه؛
كُلُّ أَسْوَدِ قَلْبٍ كانَ يراهُ أَسْوَدَ اللَّون، لِماذا جاءَ إنْسانُ العَيْنِ أَسْوَدَ اللَّون؛
لِلْخَلْقِ بلا بَصيرَةٍ كانَ أَسْوَدَ وَجْه، لِذَوي البَصيْرَةِ كانَ مِرْآةَ القَمَر؛
مَنْ ذا الَّذي رأى إنْسانَ عَيْنِكَ، في الدُّنيا غَيْرُ زائدي النَّظَرِ مِنَ البَشَر؛
مادامَ لَمْ يَرَهُ غَيْرُ إنسانِ العَيْن، مَنِ الَّذي أَدْرَكَ لَوْنَهُ غَيْرَهُ إذَنْ؛
فالجَميعُ غيرَهُ إذَنْ جاؤوا مُقَلِّدين، في صِفاتِ إنسانِ العَيْنِ العالي؛
قالَتْ زَوْجَتُهُ الفِراقَ أيْ حَسَنَ الخِصال، قالَ لا لا بلِ الوِصالَ الوِصال؛
قالَتْ زَوْجَتُهُ اللَّيْلَةَ تَذْهَبُ للغُرْبَةِ، وَتَصيرُ غائباً عَنِ الأهْلِ والأُسْرَة؛
قالَ لا لا بَلِ اللَّيْلَةَ روحي، تَصِلُ مِنَ الغُرْبَةِ وَتَصيرُ في الوَطَن؛
قالَتْ فَأَيْنَ نَرى وَجْهَكَ نَحْنُ، قالَ في حَلْقَةِ أهْلِ خاصَّةِ الله؛
حَلْقَتُهُ الخاصَّةُ مُرْتَبِطَةٌ بِكِ، إنْ جَعَلْتِ النَّظَرَ لأعْلى لا إلى أسْفَل؛
جَوْهَرَةُ الخاتَمِ في تِلْكَ الحَلْقَةِ، يَشِعُّ مِنها النُّورُ مِنْ رَبِّ العالَمين؛
قالَتْ أَسَفاً صارَ هذا المَنْزِلُ خَراباً، قالَ انْظُري إلى القَمَرِ لا تَنْظُري للغَيْم؛
جَعَلَهُ خراباً لِيَجْعَلَهُ مَعْمُوراً أكْثَرَ، فَقدْ كانَ قَومي كَثيرينَ والمَنْزِلُ مُخْتَصَر؛

حِكْمَةُ خَرابِ البَدَنِ بالمَوْت

أنا مِثْلَ آدَمَ كُنْتُ أوَّلاً حَبيسَ الكَرْب، نَسْلُ رُوحي الآنَ مَلأَ الشَّرْقَ والغَرْب؛
كُنْتُ سائلاً بِهذا المَنْزِلِ كأنَّهُ البِئْر، وَصِرْتُ مَلِكاً وَيَجِبُ للمَلِكِ القَصْر؛
المُلُوكَ لَهُم مِنَ القُصُورِ مَأْنَسٌ، المَيْتُ يكفيهِ القَبْرُ مَنْزِلاً ومَكاناً؛
هذا العالَمُ جاءَ ضَيِّقاً على الأنبياء، ذَهَبوا كالمُلُوكِ في اللاَّمَكان؛

هذا العالَمُ أظْهَرَ عَظَمَةً للمَوتى، عَظيمٌ جِدَّاً بالظَّاهِرِ وضَيّقٌ جِدَّاً بالمَعْنى؛
لَوْ لَمْ يَكُنْ ضَيّقاً مِمَّ هذا الصُّراخ، وَلِماذا انْحَنى كُلُّ مَنْ طالَ فيهِ عُمْرُه؛
زَمَنَ النَّوْمِ انْظُرِ الرُّوحَ إذْ صارَ حُرَّاً، كَيْفَ صارَ في ذلِكَ المَكانِ سَعيداً؛
تَحَرَّر الظَّالِمُ ثانِيَةً مِنْ ظُلْمِ الطَّبيعَة، الرَّجُلُ المَسْجُونُ قَفَزَ مِنْ سِجْنِ الفِكْر؛
هاتانِ الأرْضُ والسَّماءُ الوَاسِعَتانِ جِدَّاً، جاءتا ضَيِّقَتَيْنِ جِدَّاً في أثْناءِ المُناخ؛
جاءَتا رِباطاً ضَيّقاً جِدَّاً على العَيْن،ضَحِكُهُما جُمْلَةً بُكاءٌ وفَخْرُهُما جُمْلَةً عار؛

تَشْبيهُ الدُّنيا الواسِعَةِ بالظَّاهِرِ والضَّيّقَةِ بالمَعْنى، وَتِشْبيهُ المَوْتِ بالخلاصِ مِنْ هذا الضِّيْق

إنَّها كالحَمَّامِ الَّذي صارَ حارَّاً مِنَ النَّار، يضيقُ بِهِ رُوحُكَ وَيصيرُ كليلاً؛
رَغْمَ أنَّ الحَمَّامَ عَريضٌ جِدَّاً وَطَويل، رُوْحُكَ ضَيّقٌ مِنْ حرارَتِهِ تِلْكَ وَكليل؛
ما لَمْ تَخْرُجْ للخارِجِ لا يَنْفَتِحُ قلبُك، ولا تُجْديكَ نَفْعاً إذَنْ سَعَةُ مَنْزِلِك؛
لَوْ لَبِسْتَ نَعْلاً ضَيِّقَةً أيْ غَوي، ورُحْتَ ماشِياً في صحراءَ واسِعَة؛
صارَتْ تِلْكَ الصَّحْراءُ الواسِعَةُ ضَيِّقَةً، وجاءَتْ الصَّحْراءُ والمفازَة لَكَ سِجْناً؛
كُلُّ مَنْ رآكَ مِنْ بَعيدٍ قالَ، تَفَتَّحْتَ في تِلْكَ الصَّحْراءِ كَزَهْرَةِ الشَّقائقِ الغَضَّة؛
وهُوَ لا يَعْلَمُ أنَّكَ مِثْلَ الظَّالِمين، مِنَ الخارِجِ في الرَّوْضِ والرُّوحُ في الأنين؛
نَوْمُكَ خَلْعُكَ لِتِلْكَ النَّعْلِ عَنْكَ، لِتَكُونَ رُوحُكَ حُرَّةً مِنَ البَدَنِ لِزَمَنٍ؛
النَّومُ مُلْكٌ للأولياءِ أيْ فُلان، أولئكَ مِثْلَ أصْحابِ الكَهْفِ في العالَم؛
إنَّهُمْ يَرَوْنَ الأحْلامَ وما ثَمَّةَ نَوْمٌ، يَذْهَبونَ داخِلينَ في العَدَمِ وما ثَمَّةَ باب؛
فالمَنْزِلُ ضَيّقٌ والرُّوحُ فيهِ مَحْنِيٌّ، اجْعَلْهُ خراباً لِتَبْنِيَ قَصْرَ المُلوك؛
أنا مَحْنِيٌّ مِثْلَ الجَنينِ في الرَّحِم، صِرْتُ ذا تِسْعَةِ شُهُورٍ حانَ الاِنْتِقالُ المُهِمّ؛
لَوْ لَمْ يَكُنْ أَلَمُ المَخاضِ يَقَعُ لأُمّي، كُنْتُ بَقيتُ في هذا السِّجْنِ وَسَطَ النَّار؛

أُمُّ الطَّبْعِ مِنّي مِنْ أَلَمِ مَوْتِ النَّفْس، تَفْتَحُ الطَّريقَ لِتُحَرِّرَ الحَمَلَ مِنَ الشَّاة؛
لِيَرْتَعِيَ ذلِكَ الحَمَلُ في الصَّحْراءِ الخَضْراء، افْتَحِ الرَّحِمَ صارَ قَوِيَّاً الحَمَل؛
أَلَمُ الوِلادَةِ رَغْمَ أَنَّهُ أَلَمٌ للحامِلِ، كانَ للجَنينِ بِمَثابَةِ كَسْرٍ للسِّجْن؛
الحامِلُ باكِيَةٌ في الوِلادَةِ *أَيْنَ المَناص*، وذاكَ الجَنينُ ضاحِكٌ قَدْ دنا *الخَلاص*؛
كُلُّ ما هُوَ تَحْتَ الفَلَكِ أُمَّهات، مِنْ جَمادٍ وَمِنْ بَهيمَةٍ وَمِنْ نَبات؛
وَكُلُّهُمْ عَنْ أَلَمِ الغَيْرِ غافِلُون، إلاَّ الأشْخاصُ النُّبَهاءُ والكامِلُون؛
العارِفُ بِقَليلِ الشَّعْرِ في مَنْزِلِ الآخَرين، متى يَعْرِفُ كثيفَ الشَّعْرِ بِمَنْزِلِه؛
صاحِبُ القَلْبِ ذاكَ كانَ عَالِماً بحالِكَ، أنتَ لَسْتَ ذا عِلْمٍ بِحالِ نَفْسِكَ أيْ عَمّ؛

بيانُ أنَّ كُلَّ غَفْلَةٍ وَغَمٍّ وَكَسَلٍ وَظُلْمَةٍ جَميعاً مِنَ البَدَنِ الَّذي هُوَ أَرْضِيٌّ وَسُفْلِيّ

الغَفْلَةُ مِنَ البَدَنِ فإذا صارَ البَدَنُ رُوحاً، لا بُدَّ لَهُ مُطْلَقاً أنْ يَرى الأسرار؛
إذا خَرَجَتِ الأرْضُ مِنْ جَوِّ الفَلَك، فلا لَيْلَ ولا ظِلَّ كائنٌ لي وَلَك؛
حَيْثُما كانَ ظِلٌّ وَلَيْلٌ أو مكانٌ لِظِلّ، كانَ مِنَ الأرْضِ لا مِنَ الأفلاكِ والقَمَر؛
كما أنَّ الدُّخانَ المُنْعَقِدَ كانَ مِنَ الحَطَب، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ النِّيْرانِ الَّتي تَسْتَعِر؛
وَقَعَ الوَهْمُ في الخَطَأِ وفي الغَلَط، والعَقْلُ هُوَ الَّذي يَكُونُ في الإصابَةِ فَقَط؛
كُلُّ ثِقَلٍ وَكَسَلٍ يَكونُ مِنَ البَدَن، الرُّوحُ مِنَ الخِفَّةِ دائماً في طَيَران؛
الوَجْهُ الأحْمَرُ مِنْ غَلَبَةِ الدِّماء، والوَجْهُ الأصْفَرُ مِنْ حَرَكَةِ الصَّفْراء؛
والوَجْهُ الأبْيَضُ كانَ مِنْ قُوَّةِ البَلْغَم، وقَدْ يَكُونُ مِنَ السَّوْداءِ الوَجْهُ الأدْهَم؛
إنَّهُ خالِقُ الآثارِ في الحَقيقَة، لكِنَّ أَهْلَ الظَّاهِرِ لَمْ يَرَوا سِوى العِلَّة؛
الألبابُ الَّتي لا تَكُونُ في جِوارِ القُشُور، لا شُغْلَ لها بالطَّبيبِ ولا بالعِلَّة؛
عِنْدَما يُوْلَدُ ابْنُ آدَمَ الوِلادَةَ الثَّانِيَة، يَضَعُ قَدَمَهُ على مَفْرَقِ العِلَل؛

لا تَكُونُ ديناً لَه العِلَّةُ الأولى، وليسَ للعِلَّةِ الجُزْئِيَّةِ حِقْدٌ عَلَيْه؛
يطيرُ مُحَلِّقاً كالشَّمْسِ في الأُفُق، مَعَ عَرُوسِ الصِّدْقِ والصُّوْرَةُ الخَيْمَة؛
لا بَلْ خارِجاً عَنِ الأُفُقِ وَعَنِ الأفلاك، بلا مكانٍ على مِثالِ الأرواحِ والنُّهى؛
بَلْ إنَّ عُقُولَنا ظِلالٌ لَهُ، تَسْقُطُ مِثْلَ الظِّلالِ على قَدَمِه؛
المُجْتَهِدُ أيْنَما كانَ عارِفاً بالنَّصّ، في تِلْكَ الصُّوْرَةِ لا يُفَكِّرُ بالقِياس؛
عِنْدَما لا يَجيءُ النَّصُّ في صُوْرَة ، يُظْهِرُ هُناكَ مِنَ القِياسِ عِبْرَةً؛

تَشْبيهُ النَّصِّ بالقِياس

النَّصُّ يَقيناً وَحْيُ الرُّوحِ القُدْسِيّ، وذاكَ القياسُ تَحْتَهُ العَقْلُ الجُزْئِيّ؛
العَقْلُ أَخَذَ الإدراك والرِّفْعَة مِنَ الرُّوح، متى تكونُ الرُّوحُ واقِعَةً تَحْتَ نَظَرِه؛
الرُّوحُ كانَ لها على العَقْلِ تَأْثير، مِنْ ذلِكَ الأثَرِ صارَ للعَقْلِ تَدْبير؛
إذا صَدَّقَتْ فيكَ الرُّوحُ مِثْلَ نُوح، أيْنَ اليَمُّ والسَّفينَةُ وَأَيْنَ طُوفانُ نُوح؛
العَقْلُ ظَنَّ الأَثَرَ رُوحاً ولكِنْ، نُوْرُ الشَّمْسِ بَعيدٌ جِدًّا عَنْ قُرْصِ الشَّمْس؛
مِنْ ذلِكَ صارَ السَّالِكُ فَرِحَاً بالقُرْص، حتَّى يُلْقى بِهِ مِنْ نُوْرِهِ إلى القُرْص؛
ذلِكَ لأنَّ هذا النُّوْرَ في السَّافِل، لا يَدُوْمُ اللَّيْلَ والنَّهارَ بَلْ آفِل؛
وذاكَ الَّذي لَهُ المكانُ وَسَطَ القُرْص، يكُونُ غارِقاً في ذلِكَ النُّوْرِ دائماً؛
لا السَّحابُ قَطَعَ لَهُ طَرِيقاً ولا الغُروب، تَحَرَّرَ مِنَ الفِراقِ وَمِنْ شَقِّ الجُيوب؛
شَخْصٌ كهذا كانَ أَصْلُهُ مِنَ الأَفْلاك، أو غَدا مُبَدَّلاً إذا كانَ أَصْلُهُ مِنَ التُّراب؛
ذلِكَ أنَّ التُّرابِيَّ لا قُدْرَةَ لَهُ على أَنْ، يَقَعَ عَلَيْهِ شُعاعُهُ ذاكَ إلى الأبَد؛
إذا وَقَعَ ضَياءُ الشَّمْس دائماً على تُراب، صارَ مُحْتَرِقاً فلا يجيءُ مِنْهُ ثَمَر؛
الكَوْنُ في الماءِ دائماً شُغْلُ السَمَكَة، مِنْ أيْنَ للحَيَّةِ أنْ تَكُونَ رَفيقَةَ السَّمَكَة؛
لكِنَّ الأفاعي ذواتُ فُنونٍ في الجِبال، تَفْعَلُ وَسَطَ هذا اليَمّ ما تَفْعَلُ الأسْماك؛

حَتَّى وَلَوْ فَتَنَتْ بِمَكْرِها الخَلْق، غَمُّها مِنَ البَحْرِ جاءَ فاضِحاً لَها؛
الأسْماكُ في هذا اليَمّ مِلْؤها الفُنون، تَجْعَلُ الحَيَّةَ مِنْ سِحْرِها سَمَكَة؛
أسماكُ قَعْرِ بَحْرِ الجلال، بَحْرُها مَمْزوجٌ بالسِّحْرِ الحَلال؛
مِنْ قُدْرَتِها صارَ حالاً المُحال، النَّحْسُ ذَهَبَ هُناكَ وَصارَ حُسْنَ فال؛
لَوْ قُمْتُ بالتَّكَلُّمِ إلى القِيامَةِ بِهذا الكلام ، مَرَّتْ مِئَةُ قِيامَةٍ وَلَمْ يَصِلْ للتَّمام؛

آدابُ المُسْتَمِعينَ والمُريدينَ عِنْدَ فَيْضِ الحِكْمَةِ مِنْ لِسانِ الشَّيْخ

تِكْرارُ هذا الحديثِ على المَهْمومينَ، عِنْدي حُصُولٌ على عُمُرٍ جَديد؛
الشَّمْعُ أَفْضَلُ مِنَ البَرْقِ المُكَرَّر، التُّرابُ يَصيرُ ذَهَباً مِنَ الضِّياءِ المُكَرَّر؛
لَو كانَ بَيْنَ آلافِ الطَّالِبينَ واحِدٌ مَلول، تَوَقَّفَ عَنْ أداءِ الرِّسالَةِ الرَّسُول؛
الرُّسُلُ يَتَحَدَّثُونَ بِضَميرِ السِّرّ، إنَّهُمْ يَطْلُبُونَ مُسْتَمِعاً بِطَبْعِ إسرافيل؛
عِنْدَهُمْ نَخْوَةٌ وَكِبْرُ المُلُوك، ويختارونَ مِنْ أَهْلِ العالَمِ العَبيد؛
ما لَمْ تَكُنْ مَعَهُمْ حافِظاً للأدَب، كَيْفَ لَكَ أنْ تَكُونَ لائقاً بِرِسالَتِهِم؛
مَتى يُوصِلونَ تِلْكَ الرِّسالَةَ إلَيْك، إنْ لَمْ تَكُنْ أمامَهُمْ راكِعاً ومُنْحَنِياً؛
كُلُّ أدَبٍ مِنْ آدابِهِم رَضِيّ، لأنَّهُ جاءَ مِنْ مكانٍ عَلِيّ؛
لَيْسوا شَحَّاذِيْنَ فَعَنْ كُلِّ خِدْمَة، أيْ مُزَوِّرُ لَهُمْ عَلَيْكَ مِنَّة؛
لكِنْ مَعَ مَنْ هُمْ بلا رَغْبَةٍ أيْ ضَمير، أُنْثُرْ صَدَقَةَ السُّلْطانِ ولا تَمْنَعْها؛
اِنْطَلِقْ بالجَوادِ أيْ رَسُولَ السَّماء، لا تَنْظُرْ للمَلُولينَ وَطُفِ العالَم؛
مُبارَكٌ ذلِكَ التُّرْكِيُّ الَّذي قامَ بالعِناد، قَفَزَ بِحِصانِهِ في خَنْدَقِ النَّار؛
فَأَخَذَتِ الحَرارَةُ بالفَرَسِ وانْطَلَقَ هكذا، يَجِدُّ السَّيْرَ قاصِداً أَوْجَ السَّماء؛
العَيْنُ عَنِ الغَيْرِ والغَيْرِيَّةِ مَخيطَةٌ، كأنَّهُ النَّارُ أحْرَقَتِ الأَخْضَر واليابِس؛

إذا ما عابَهُ نادِمٌ عَيْباً، أَشْعَلَ النَّارَ في النَّدامَةِ أَوَّلاً؛
النَّدَمُ نَفْسُهُ لَمْ يَطْلَعْ مِنَ العَدَم ، عِنْدَما رأى حَرارَةَ صاحِبِ القَدَم؛

مَعْرِفَةُ كُلِّ حَيَوانٍ رائِحَةَ عَدُوِّ نَفْسِه وَحَذَرُ وَبَطالَةُ وَخَسارَةُ

ذلِكَ الشَّخْصِ الَّذي هُوَ عَدُوٌّ لِشَخْصٍ لا يُمْكِنُ الحَذَرُ مِنْهُ

ولا يُمْكِنُ الفرارُ مِنْهُ ولا تُمْكِنُ مُقابَلَتُه

الحِصانُ رَغْمَ أَنَّهُ حَيَوانٌ يَعْرِفُ، صَوْتَ ورائِحَةَ الأَسَدِ إلاَّ فيما نَدَر؛
بَلْ إنَّ كُلَّ حَيٍّ يَعْرِفُ عَدُوَّ نَفْسِه، بِنَفْسِهِ مِنَ الإشارَةِ وَمِنَ الأَثَر؛
الخَفَّاشُ لا يَخْرُجُ طائراً في النَّهار،يَخْرُجُ في اللَّيْلِ يَطْلُبُ القُوتَ كاللُّصُوص؛
صارَ الخَفَّاشُ أَكْثَرَ حِرْماناً مِنَ الجَميع، لَمَّا صارَ فاشِياً أَنَّهُ عَدُوٌّ للشَّمْس؛
فَهُوَ لا يَسْتَطيعُ طَعْنَها في المَصافِّ، ولا يَسْتَطيعُ إبْعادَها بِاللِّعان؛
الشَّمْسُ متى تَرْجِعُ وتُديرُ الظَّهْرَ، مِنْ أَجْلِ غُصَّةِ وَقَهْرِ الخَفَّاش؛
الشَّمْسُ في غايَةِ اللُّطْفِ والكَمال، متى كانَ الخَفَّاشُ لَها مانِعَ طَريق؛
عادِ على حَدِّ نَفْسِكَ إنْ كُنْتَ مُتَّخِذاً عَدُوَّاً، لِيَكُونَ مُمْكِناً أنْ يَكُونَ لَكَ أسيراً؛
القَطْرَةُ إذا عانَدَتِ البَحْرَ المُحيط، تَكُونُ بَلْهاءَ وَحَمْقاءَ وَتَقْتَلِعُ لِحْيَةَ نَفْسِها؛
حِيْلَتُها لا تَصِلُ أَبْعَدَ مِنَ الشَّارِب، فَمَتى تُمَزِّقُ حَلْقَةَ حُجْرَةِ القَمَر؛
لَقَدْ كانَ هذا العِتابُ لِعَدُوِّ الشَّمْس، يا أَيُّها العَدُوُّ لِشَمْسِ الشَّمْس؛
أَيْ عَدُوَّاً لِشَمْسٍ مِنْ عَظَمَتِها، تَرْتَعِدُ الشَّمْسُ وَتَرْتَعِدُ الكَواكِب؛
أَنْتَ لَسْتَ عَدُوَّها بَلْ عَدُوَّ نَفْسِك، أَيُّ غَمٍّ للنَّارِ إذا صِرْتَ لَها حَطَباً؛
العَجَبُ أنْ تَصيرَ مِنْ حَرْقِكَ ناقِصَةً، أَوْ أنْ تَصيرَ مِنْ أَلَمِ حَرْقِكَ مَغْمُومَةً؛
رَحْمَتُهُ لَمْ تَكُنْ رَحْمَةَ آدم، رَحْمَةُ آدَمَ مَمْزوجَةً بالغَمّ؛

رَحْمَةُ المَخْلُوقِ مَمْزُوجَةٌ بالغُصَّة، رَحْمَةُ الحَقِّ مُبَرَّأَةٌ مِنَ الغَمِّ والغُصَّة؛
رَحْمَةً بلا كَيْفٍ اعْرِفْها أيْ أب، لَيْسَ يَجيءُ في الوَهْمِ مِنْها سِوى الأَثَر؛

الفَرْقُ بَيْنَ مَعْرِفَةِ شَيْءٍ عَنْ وَهْمٍ وَتَقليدٍ
وَبَيْنَ مَعْرِفَةَ ماهِيَّةِ ذلِكَ الشَّيْء

آثارُ وَثِمارُ رَحْمَتِهِ ظاهِرَةٌ، لكِنْ مَتى عَرِفَ ماهِيَّتَها غَيْرُه؛
أَبَداً ماهِيَّاتِ أوصافِ الكَمال، ما عَرِفَ شَخْصٌ إلاَّ بالآثارِ والمِثال؛
الطِّفْلُ لا يَعْرِفُ ماهِيَّةَ الجِماع، إلاَّ أنْ تَقُولَ لَهُ هُوَ لَكَ بِمَثابَةِ الحَلْوى؛
ومتى كانَتْ ماهِيَّةُ لَذَّةِ الجِماع، مِثْلَ ماهِيَّاتِ الحَلْوى أيْ مُطاع؛
لكِنْ عَمِلَ لَكَ النِّسْبَةَ مِنْ وَجْهِ اللَّذَّة، ذلِكَ العامِلُ لأنَّكَ شَبيهٌ بالطِّفْل؛
حَتَّى يَعْرِفَ الطِّفْلُ ذلِكَ مِنَ المِثال، ما دامَ لا يَعْرِفُ الماهِيَّةَ وَعَيْنَ الحال؛
فإنْ قُلْتَ أعْلَمُ كانَ غَيْرَ بَعيد، وإنْ قُلْتَ لا أعْلَمُ لَمْ يَكُنْ كَذِباً وَزُوراً؛
إذا قالَ شَخْصٌ أَتَعْرِفُ نُوحاً، رَسُولَ الحَقِّ ذاكَ وَنُوْرَ الرُّوح؛
فَقُلْتَ كَيْفَ لا أعْرِفُ ذاكَ القَمَر، الَّذي هُوَ أَشْهَرُ مِنَ الشَّمْسِ وَمِنَ القَمَر؛
والأولادُ الصِّغارُ في الكُتَّاب، والأئِمَّةُ جُمْلَةً في المِحْراب؛
قَرَأُوا اِسْمَهُ في القُرْآنِ الصَّريح، وَرَوَوا قِصَّتَهُ مِنَ الماضي الفَصيح؛
أَنْتَ صادِقٌ بِمَعْرِفَتِهِ مِنْ وَجْهِ الوَصْف، رَغْمَ أَنَّ ماهِيَّةَ نُوحٍ كانَتْ بِلا كَشْف؛
وإنْ قُلْتَ مِنْ أَيْنَ لي أنْ أعْرِفَ نُوحاً هذا، إنَّما يَعْرِفُهُ مَنْ كانَ مِثْلَهُ أَيْ فَتى؛
أنا نَمْلَةٌ عَرْجاءُ لا أعْرِفُ الفِيْل، متى كانَ للذُّبابَةِ أنْ تَكونَ عَليمَةً بإسرافيل؛
هذا الحَديثُ مِنْ ذلِكَ الوَجْهِ أَيْضاً صَحيحٌ، فَأَنْتَ بالماهِيَّةِ لا تَعْرِفُهُ أيْ فُلان؛
العَجْزُ عَنْ إدراكِ الماهِيَّةِ أَيْ عَمّ، حالَةُ العامَّةِ فلا تَقُلْ مُطْلَقاً؛
ذلِكَ أنَّ الماهِيَّاتِ وَسِرَّ سِرِّ ذاك، تَكونُ عِياناً أمامَ أعْيُنِ الكامِلين؛

أيُّ شَيْءٍ أبْعَدُ عَنِ الفَهْمِ والاِسْتِبْصار، مِنْ سِرِّ الحَقِّ وَذاتِهِ في الوُجُود؛
ما دامَ ذاكَ لَمْ يَبْقَ مَخْفِيّاً عَنِ المُحْرِمين،الذَّاتُ والوَصْفُ ما كانا لِيَبْقَيا خَفِيَّيْن؛
عَقْلُ البَحْثِ قالَ هذا بَعيد، أقِلَّ السَّمْعَ هذا مُحالٌ بلا تَأويل؛
قالَ القُطْبُ نِسْبَةً لَكَ أَيْ واهِيَ الحال، كُلُّ ما جاءَ فَوْقَ حالِكَ مِنَ المُحال؛
الواقِعاتُ الَّتي انْفَتَحَتْ لَكَ الآن، أَلَمْ تَكُنْ ظَهَرَتْ لَكَ أَوَّلاً مِنَ المُحال؛
ما دامَ حَرَّرَكَ مِنَ السُّجُونِ العَشْرَةِ الكَرَم، لا تَجْعَلْ نَفْسَكَ بالتِّيْهِ حَبيسَ الظُّلَم؛

الجَمْعُ والتَّوفيقُ ما بَيْنَ نَفْيِ وإثْباتِ شَيْءٍ مِنْ وَجْهِ النِّسْبَةِ واخْتِلافِ الجِهَة

نَفْيُ ذلِكَ الشَّيْءِ وإثْباتُهُ جائزان، إذا صارَتِ الجِهَةُ مُخْتَلِفَةً فالنِّسْبَةُ اثْنَتان؛
ما رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ مِنْ نِسْبَةٍ، نَفْيٌ وَإثْباتٌ والاِثْنانِ مُثْبَتان؛
فَأَنْتَ قَدْ رَمَيْتَ ما دامَ ذاكَ تَمَّ بِيَدِك، وَأَنْتَ ما رَمَيْتَ فَقُوَّةُ الحَقِّ قَدْ فَعَلَتْ؛
فَقُوَّةُ ابْنِ آدَمَ كانَ لَها حَدٌّ، مَتَى كانَ لِقَبْضَةٍ مِنَ التُّرابِ أنْ تَكْسِرَ الجَيْش؛
القَبْضَةُ قَبْضَتُكَ والرَّمْيُ مِنَّا، مِنْ هاتَيْنِ النِّسْبَتَيْنِ النَّفْيُ والإثْباتُ جائزان؛
يَعْرِفُونَ الأنبيا أَضْدادُهُمْ مِثْلَما لَمْ يَشْتَبِهْ أولادُهُمْ
يَعْرِفُونَهُ كما يَعْرِفُونَ أبناءَهُم، بِمِئَةِ دَليلٍ وَمِئَةِ علامَةٍ المُنْكِرُون؛
لكِنْ يُخْفُونَ ذاكَ مِنْ غَيْرَةٍ وَحَسَدٍ، وَيُظْهِرونَ أَنْفُسَهُمْ على أنَّهُمْ لا يَعْلَمُون؛
ما داموا يَعْرِفُونَ كَيْفَ في مَكانٍ آخَر، قالَ *لا يَعْرِفُهُمْ غَيْري فَذَرْ*؛
إنَّهُمْ كامِنونَ تَحْتَ قِبابي، لا يَعْرِفُهُمْ مِنَ الامْتِحانِ إلاَّ الله؛
فَخُذْ بالنِّسْبَةِ هذا الأمْرَ المَفْتُوح، أنْتَ عارِفٌ وَغَيْرُ عارِفٍ بِنُوح؛

مَسْأَلَةُ فَناءِ وَبَقاءِ الدَّرْويش

قالَ قائلٌ لَيْسَ في العالَمِ دَرْويش، لَو كانَ هُناكَ دَرْويشٌ فذاكَ لَيْسَ بِدَرْويش؛
كانَ دَرويشاً مِنْ وَجْهِ بَقاءِ ذاتِهِ، ولَمْ يَكُنْ لأنَّ وَصْفَهُ صارَ في وَصْفِ هُو؛
مِثْلَ شُعْلَةِ الشَّمْعِ تَشْتَعِلُ أمامَ الشَّمْس، مَوجُودَةٌ وَغَيْرُ مَوجُودَةٍ في الحِساب؛
هِيَ مَوْجُودَةٌ بِالذَّاتِ فإنَّكَ إذا، جَعَلْتَ عَلَيْها القِطْنَ احْتَرَقَ مِنْ ذلِكَ الشَّرَر؛
وهِيَ غَيْرُ مَوجُودَةٍ فلا تَهَبُكَ الضِّياء، الشَّمْسُ أفْنَتْها وَأَدْخَلَتْها الفَناء؛
إذا أَلْقَيْتَ أوقِيَةً مِنَ الخَلّ، في مائتَيْ مَنٍّ شَهْدٍ وكانَ لَها حَلّ؛
لا يَكُونُ للشَّهْدِ طَعْمُ الخَلّ إذا ذُقْتَهُ، ولكِنْ إذا وَزَنْتَه زادَ بالوَزْنِ أُوقِيَةً؛
غابَ غَزالٌ عَنِ النَّفْسِ أمامَ الأسَد، وُجودُهُ صارَ مَحْجُوباً في وُجُودِ الأسَد؛
هذا قِياسُ النَّاقِصينَ في أمْرِ الرَّبّ، إنَّهُ مِنْ هَيَجانِ العِشْقِ لا مِنْ تَرْكِ الأدَب؛
نَبْضُ العاشِقِ يَنْبُضُ بلا أَدَب، يَضَعُ النَّفْسَ مِنْهُ في كَفَّةِ الشّاه؛
لا شَخْصَ أَقَلُّ مِنْهُ أَدَباً في العالَمَيْن، ولا شَخْصَ أَكْثَرُ مِنْهُ أَدَباً في العالَمَيْن؛
اِعْرِفِ الوِفاقَ بالنِّسْبَةِ أيْضاً أيْ مُنْتَجَب، هذا ضِدَّانِ مُؤَدَّبٌ وبلا أَدَب؛
يكونُ بلا أَدَبٍ إنْ نَظَرْتَ في الظَّاهِر، فَقَدْ كانَتْ دَعْوى العِشْقِ مِنْهُ مُقارَنَة؛
وإذا نَظَرْتَ في الباطِنِ أَيْنَ دَعْواه، وَقَدْ فَنِيَ أمامَ السُّلطانِ هُوَ وَدَعْواه؛
ماتَ زَيْدٌ، زَيْدٌ وإنْ كانَ فاعِلاً، إلاَّ أنَّهُ لَيْسَ فاعِلاً فَقَدْ كانَ عاطِلاً؛
هُوَ مِنْ وَجْهِ النَّحْوِ اللَّفْظِيّ فاعِل، لكِنَّهُ المَفْعُولُ والمَوْتُ لَهُ القاتِل؛
كَيْفَ كانَ فاعِلاً وَقَدْ صارَ هكذا مَقْهُوراً، والفاعِلِيَّةُ جُمْلَةً صارَتْ بَعيدَةً عَنْه؛

قَصَّةُ وَكيلِ صَدْرِ العالَمِ الَّذي صارَ مُتَّهَماً وَهَرَبَ مِنْ بُخارى مِنَ الخَوْفِ على الرُّوح، وَسَحَبَهُ العِشْقُ عائداً بِالوَجْهِ، فَأَمْرُ الرُّوحِ سَهْلٌ على العاشِقين

عَبْدٌ لِصَدْرِ العالَمِ في بُخارى، صارَ مُتَّهَماً فاخْتَفى عَنْ صَدْرِ العالَم؛
لِعَشْرِ سِنينَ ظَلَّ هائماً، تارَةً في خُراسانَ تارَةً في الجِبالِ تارَةً في الصَّحْراء؛
مِنْ بَعْدِ عَشْرِ سِنينَ مِنَ الاِشْتياق، صارَ بلا طاقَةٍ مِنْ أيَّامِ الفِراق؛
قالَ لَمْ يَبْقَ لي على الفِراقِ صَبْرٌ، متى استطاعَ أنْ يُخْمِدَ الخَلاعَةَ صَبْر؛
هذِهِ الأراضي مِنَ الفِراقِ تَصيرُ مالِحَةً، وَيَصيرُ الماءُ أَصْفَرَ وَأَسْوَد وَعَفِناً؛
الرِّيْحُ واهِبَةُ الرُّوحِ صارَتْ وَباءً، والنَّارُ صارَتْ رَماداً وَصارَتْ هَباءً؛
الرَّوْضُ كالجَنَّةِ صارَ دارَ المَرَض، تَتَناثَرُ الأوْراقُ مِنْهُ صَفْراءَ في الحَرَض؛
العَقْلُ الدَّرَّاكُ مِنْ فِراقِ الأصْحاب، مِثْلَ رامٍ على القَوسِ مَكْسُورِ القَوْس؛
جَهَنَّمُ مِنَ الفُرقَةِ صارَتْ هكذا حارِقَة، الشَّيْخُ مِنَ الفِراقِ صارَ هكذا يَرْتَجِفُ؛
لَوْ تَحَدَّثْتُ كَيْفَ يَكُونُ الشَّرارُ مِنَ الفِراق، للقِيامَةِ كانَ واحِداً مِنْ مِئَةِ أَلْف؛
في شَرْحِ حَرْقِهِ أقِلَّ الكلام، قُلْ رَبِّ سَلِّمْ رَبِّ سَلِّمْ والسَّلام؛
كُلُّ شَيْءٍ صِرْتَ مَسْروراً مِنْهُ في الدُّنيا، فكِّرْ في فِراقِهِ ذلِكَ الزَّمان؛
مِمَّا سُرِرْتَ مِنْهُ كَمْ كانَ سُرَّ شَخْصٌ، وأخيراً أَفْلَتَ مِنْ يَدِهِ وَصارَ كالرِّيْح؛
ومِنْكَ سَيُفْلِتُ أيضاً فلا تَرْبِطْ بِهِ القَلْب، مِنْ قَبْلِ أنْ يُفْلِتَ مِنْكَ أَفْلِتْ أَنْتَ مِنْه؛

ظُهُورُ رُوحِ القُدُسِ بِصُوْرَةِ آدَمِيٍّ لِمَرْيَم في وَقْتِ العُرْيِ والغُسْل والتِجاؤها للحَقِّ تَعالى

قُلْ كَمَرْيَمْ قَبْلَ فَوْتِ المُلْكِ مِنْكْ قَوْلَ *إنَّ العَوْذَ بالرَّحْمنِ مِنْكْ*

رَأَتْ مَرْيَمُ صُورَةً واهِبَةً للحَياةِ، تَهَبُ الرُّوحَ تَسْلبُ القَلْبَ في الخلاء؛

ظَهَرَ أمامَها على وَجْهِ الأرْض، كالقَمَرِ والشَّمْسِ ذاكَ الرُّوحُ الأمين؛

طَلَعَ جَميلاً مِنَ الأرْضِ بلا نِقاب، كما تَطْلَعُ شَمْسُ الشَّرْقِ مِنَ الحِجاب؛

وَقَعَ الاِخْتِلاجُ في أعْضاءِ مَرْيَم، كانَتْ عارِيَةً وَخَشِيَتْ مِنَ الفَساد؛

رَأَتْ صُوْرَةً كَصُوْرَةِ يُوسُفَ لَوْ عَايَنْتَها، قَطَّعْتَ اليَدَ مِنَ الحَيْرَةِ كَفِعْلِ النِّسْوة؛

كانَ مِثْلَ وَرْدَةٍ طَلَعَتْ أمامَها مِنَ التُّراب، مِثْلَ خَيالٍ أطَلَّ بالرَّأْسِ مِنَ القَلْب؛

فصارَتْ غائبَةً عَنِ النَّفْسِ وفي الغِيابِ، قالَتْ مَرْيَمُ أنا مُلْتَجِئةٌ إلى حِمى الله؛

كانَ مِنْ عادَةِ تِلْكَ الطَّاهِرَةِ الجَيْب، حَمْلُ المَتاعِ في الاِنْكِسارِ إلى الغَيْب؛

عِنْدَما رَأَتِ الدُّنيا مُلْكاً غَيْرَ ذي قَرار، جَعَلَتْ مِنْ تِلْكَ الحَضْرَةِ الملاذَ بِحَزْم؛

حتَّى تَكُونَ لَها حِصْناً وَقْتَ المَوْت، فَلا يَجِدُ طَرِيقَ المَقْصَدِ إلَيْهِ الخَصْم؛

لَمْ تَجِدْ أفْضَلَ مِنْ ملاذِ الحَقّ مِنْ حِصْن، اخْتارَتِ البَيْتَ بِجِوارِ ذلِكَ الحِصْن؛

رَأَتْ تِلْكَ الغَمَزاتِ الحارِقَةَ للعَقْل، الَّتي تَصيرُ مِنها الأكْبادُ مَخيطَةً بالسِّهام؛

الشَّاهُ والجَيْشُ مِنْها في آذانِهِمُ الحَلَق، مُلُوكُ المُلوكِ الواعِيْنَ مِنْها بلا وَعْي؛

مِئاتُ أُلُوفِ المُلُوكِ مَمْلُوكُها بِرِقّ، مِئاتُ أُلُوفِ البُدُورِ مَكْسُورُها بِدَقّ؛

الزُّهْرَةُ لا جُرْأَةَ لَها على التَّنَفُّسِ أمامَها، العَقْلُ الكُلِّيُّ إذْ رآها قَطَعَ النُّطْق؛

وأنا المَخيطُ في المَكانِ ما أقُولُ، مَحَلُّ النَّفَسِ مِنْهُ أَحْرَقَ مَوْضِعَ النَّفَسِ مِنِّي؛

دُخانُ تِلْكَ النَّارِ مِنِّي دَليلي أنا عَلَيْه، بَعيْدٌ عَنْ ذلِكَ الشَّاهِ *باطِلٌ ما عَبَّرُوا*؛

ما مِنْ شَيْءٍ يَكُونُ لِتِلْكَ الشَّمْسِ الدَّليل، خلا أنْ يَكُونَ نُوْرُ الشَّمْسِ المُسْتَطيل؛

ما يَكُونُ الظِّلُّ حَتَّى يَكُونَ لَها الدَّليل، إنَّهُ لَكافٍ لَهُ أنْ يَكُونَ لَها الذَّليل؛
هذِهِ الجلالَةُ دليلٌ في الدِّلالَةِ صادِق، جُمْلَةُ الإدراكاتِ خَلْفَهُ وَهُوَ سابِق؛
جُمْلَةُ الإدراكاتِ على حُمُرٍ عُرْج، وهُوَ فارِسٌ جَوادُهُ الرِّيْحُ طائرٌ كالسَّهْم؛
إذا فَرَّ ذلِكَ الشَّاهُ لا شَخْصَ يَجِدُ غُبارَهُ،وإنْ فَرُّوا أخَذَ عَلَيْهِمُ الطَّريقَ أمامَهُم؛
جُمْلَةُ الإدراكاتِ مِنْهُ بلا قَرار، الوَقْتُ وَقْتُ المَيْدانِ لا وَقْتُ الجام؛
ذاكَ طائرٌ طارَ كالبازِ في الوَهْم، وَذاكَ واحِدٌ يَخْرِقُ المَعْبَرَ كالسَّهْم؛
وذاكَ واحِدٌ كالسَّفينَةِ ذاتِ الشِّراع، وذاكَ واحِدٌ في تَراجُعٍ كُلَّ زَمان؛
عِنْدَما يَظْهَرُ لَها مِنْ بَعيدٍ الصَّيْد، تَحْمِلُ تِلْكَ الطُّيُورُ جُمْلَةً وَتَزيد؛
وعِنْدَما يَخْتَفي تَصيرُ حَيْرى، وَتَطيرُ نَحْوَ كُلِّ خَرابَةٍ كالبُوم؛
مُنْتَظِرَةً بِعَيْنٍ مُغْلَقَةٍ وَعَيْنٍ مَفْتُوحَةٍ،حتَّى يَصيرَ ظاهِراً ذلِكَ الصَّيْدُ ذُو الدَّلال؛
وإذا ما طالَ انتِظارُها قالَتْ مِنَ الملال، عَجَباً أَكانَ ذلِكَ صَيْداً أمْ هُوَ خَيال؛
كانَتِ المَصْلَحَةُ أنْ تَكُونَ لَها ساعَة، تأخُذُ بِها القُوَّةَ والقُدْرَةَ مِنَ الرَّاحَة؛
لَوْ لَمْ يَكُنْ هُناكَ لَيْلٌ لكانَ الخَلْقُ، مِنَ الحِرْصِ يُحْرِقُونَ أنْفُسَهُم مِنَ الحَرَكَة؛
مِنَ الهَوَسِ وَمِنْ حِرْصِ تَكْديسِ النَّفْع، كانَ كُلُّ شَخْصٍ أَحْرَقَ بَدَنَهُ حَرْقاً؛
جاءَ اللَّيْلُ مِثْلَ كَنْزٍ مِنَ الرَّحْمَة، لِيَتَحَرَّروا مِنْ حِرْصِ النَّفْسِ ساعَة؛
عِنْدَما يَجيءُ لَكَ القَبْضُ أَيْ سالِك، لا تُشْعِلِ النَّارَ في القَلْبِ ذاكَ لَكَ صلاح؛
فَفي البَسْطِ والفَتْحِ يَكُونُ الإنفاق، والخَرْجُ لا بُدَّ لَهُ مِنْ دَخْلٍ مِنَ الاِعْتِداد؛
لَو كانَ فَصْلُ الصَّيْفِ مُلازِمَ البُسْتان، وَقَعَ حَريقُ الشَّمْسِ مِنْهُ في البُسْتان؛
وَأَحْرَقَتِ الشَّمْسُ مَنْبِتَهُ مِنَ الجَذْرِ وَالجِذْع،فلا يَعُودُ لِذلِكَ القَديمِ مِنْ جَديدٍ يَنْع؛
شَهْرُ الشِّتاءِ عابِسُ الوَجْهِ لكِنَّهُ مُشْفِق، والصَّيْفُ ضاحِكٌ ولَكِنَّهُ مُحْرِق؛
عِنْدَما يَجيئُكَ القَبْضُ فَلْتَرَ البَسْطَ فيه، اسْتَبْشِرْ ولا تُظْهِرِ التَّقْطيبَ في الجَبين؛
الأطفالُ ضاحِكُونَ والعارِفُونَ عابِسُون، الغَمُّ في الكَبِدِ والرِّئَةُ في السُّرُور؛

عَيْنُ الطِّفْلِ كالحِمارِ في المَعْلَفِ، عَيْنُ العاقِلِ في الحِسابِ الأخير؛
ذا في المَعْلَفِ رأى السَّمْنَ في العَلَف،وَذا رأى مِنَ القَصَّابِ في الآخِرِ التَّلَف؛
ذاكَ العَلَفُ مُرٌّ أعْطاهُ القَصَّاب، وَنَصَبَ الميزانَ سَلَفاً لِلَحْمِنا؛
امْضِ وكُلِ الحِكْمَةَ طَعاماً فاللهُ، أعْطاكَهُ بلا غَرَضٍ مِنْ مَحْضِ العَطاء؛
فَهِمْتَهُ الخُبْزَ أيْ سالِكُ وَلَمْ تَفْهَمْهُ الحِكْمَة، حِيْنَ قالَ لَكَ الحَقُّ *كُلُوا مِنْ رِزْقِهِ*؛
رِزْقُ الحَقِّ كانَ حِكْمَةً في المَرْتَبَة، ذاكَ لا يَأخُذُ بِكَ في الحَلْقِ في العاقِبَة؛
أَغْلِقْ هذا الفَمَ يَنْفَتِحْ لَكَ فَمٌ، يَكُونَ فَماً آكِلاً لِلُقَمِ السِّرّ؛
إذا قَطَعْتَ عَنْ بَدَنِكَ لَبَنَ الشَّيْطان، تَأْكُلُ في فِطامِهِ كثيراً مِنَ النِّعَم؛
شَرَحْتُهُ كَغَلْيِ الأَتْراكِ نِصْفَ خام، اسْمَعْهُ مِنَ الحَكيمِ الغَزْنَوِيِّ على التَّمام؛
قالَ شَرْحَ هذا في *كِتابِ إلهي*، حَكيمُ الغَيْبِ ذاكَ وَفَخْرُ العارِفين؛
كُلِ الغَمَّ وَدَعْ أكْلَ خُبْزِ المُزيدينَ لِلغَمّ، فالعاقِلُ يَأكُلُ الغَمَّ كالطِّفْلِ يَأكُلُ السُّكَّر؛
سُكَّرُ السُّرورِ ثَمَرَةُ بِستانِ الغَمّ، هذا الفَرَحُ جُرْحٌ وذاكَ الغَمُّ مَرْهَم؛
إذا رَأَيْتَ الغَمَّ فاحْتَضِنْهُ بِعِشْق، مِنْ قِمَّةِ الرَّبْوَةِ انْظُرْ إلى دِمَشْق؛
العاقِلُ مِنَ العِنَبِ يَرى الخَمْرَ دائماً، العاشِقُ مِنَ المَعْدُومِ يَرى الشَّيْءَ دائماً؛
أَوَّلَ أمْسِ كانَ الحَمَّالُونَ يَتَشاجَرُون، لا تَحْمِلْ هذا الحِمْلَ أنا أحْمِلُهُ كالأسَد؛
كانُوا يَرَوْنَ مِنْ ذلِكَ التَّعَبِ النَّفْع، فَيَخْطِفُ الواحِدُ ذاكَ الحِمْلَ مِنَ الآخَر؛
أيْنَ أجْرُ الحَقِّ وَأَيْنَ أجْرُ مَنْ بِلا رَأْسمال، ذا أعْطاكَ كَنْزاً أجْراً وذاكَ فِلْساً؛
كَنْزاً مِنَ الذَّهَبِ إذا نِمْتَ تَحْتَ الحَصى، يَكُونُ مَعَكَ ولا يَكُونُ مَيِّتَ الحَصى؛
يَقْدِمُ جَنازَتَكَ تِلْكَ يَسيرُ مُسْرِعاً، يَصيرُ لَكَ في القَبْرِ والغُرْبَةِ مُؤنِساً؛
مِنْ أجْلِ نَوْمِ المَوْتِ مُتْ هذِهِ اللَّحْظَةَ، حَتَّى تَصيرَ مَملوكاً للعِشْقِ السَّرْمَدِيّ؛
الصَّبْرُ يرى مِنْ حِجابِ الاجْتِهاد، جَديلَةَ وَجُلَّنارَ وَجْهِ المُراد؛
الغَمُّ كالمِرآةِ مِنْ أمامِ المُجْتَهِد، يَظْهَرُ وَجْهُ الضِّدِّ في هذا الضِّدّ؛

بَعْدَ ضِدِّ الأَلَمِ سَيُظْهِرُ الوَجْهَ، الضِّدُّ الآخَرُ أيْ الفَتْحُ والمُرادُ والشَّأْن؛
فَلْتَرَ هذينِ الوَصْفَيْنِ في قَبْضَةِ يَدِك، بَعْدَ قَبْضِ اليَدِ يَجيءُ البَسْطُ يَقيناً؛
فإنَّ قَبْضَةَ اليَدِ لَوْ ظَلَّتْ دائماً في قَبْضٍ، أو كانَتْ في بَسْطٍ دائماً كانَتْ مُعْتَلَّةً؛
مِنَ الوَصْفَيْنِ لها عَمَلٌ وَمَكْسَبٌ مُنَظَّم، مِثْلَما كِلا الحالَينِ لِجَناحِ الطَّائِرِ مُهِمّ؛
حِيْنَ صارَتْ مَرْيَمُ مُضْطَرِبَةً للحْظَةٍ،كانَتْ كما تَكُونُ الأسْماكُ على الأرْض؛

قَوْلُ رُوحِ القُدُسِ لِمَرْيَم أنْ أنا رَسُولُ الحَقِّ إلَيْكِ
لا تَضْطَرِبي ولا تَتَخَفَّيْ مِنِّي فإنَّ هذا هُوَ الأمْر

صاحَ بِها ذاكَ المَظْهَرُ للكَرَم، لا تَنْفِري مِنِّي أنا رَسُولُ الحَضْرَة؛
لا تُعانِدي أعِزَّةً ذَوي فَخارٍ، لا تَسْحَبي النَّفْسَ مِنْ طَيِّبينَ مُحْرِمين؛
يَقُولُ هذا وَذُبالَةُ النُّوْرِ الطَّاهِرِ، تَخْرُجُ مِنْ شَفَتَيهِ مُتَّصِلَةً إلى السَّماك؛
تَهْرُبينَ مِنْ وُجُودي إلى العَدَم، أنا في العَدَمِ مَلِكٌ وَصاحِبُ عَلَم؛
صُورَتي مِنْ هذِهِ الجِهَةِ أمامَ السَّيِّدَة، وَمَشْغَلي وَبُنياني كلاهُما في العَدَم؛
مَرْيَمُ انْظُري أنا صُورَةٌ مُشْكِلَة، أنا أيضاً هِلالٌ وأنا أيْضاً خَيالٌ في القَلْب؛
إذا جاءَ خَيالٌ إلى قَلْبِكِ وَأقامَ، حَيْثُما تَهْرُبينَ فإنَّهُ يكونُ مَعَكِ؛
إلاَّ خَيالٌ عارِضٌ باطِل، إنَّهُ مِثْلَ الصُّبْحِ الكاذِبِ آفِل؛
أنا كالصُّبْحِ الصَّادِقِ مِنْ نُورِ الرَّبّ، لا يَحُومُ حَوْلَ نَهاريَ اللَّيْلُ أبَداً؛
يا ابْنَةَ عِمْرانَ لا تَقُولي *لا حَوْلَ*، أنا جِئْتُ إلى هذا الطَّرَفِ مِنْ *لا حَوْلَ*؛
كانَ لي الأصْلُ والغِذاءُ لا حَول، كانَ لي نُورُ لا حَولَ قَبْلَ القَوْل؛
تَطلُبينَ المَلاذَ مِنِّي تَلُوذينَ بالحَقّ، أنا مُصَوَّرُ ذاكَ المَلاذِ في السَّبْق؛
أنا ذلِكَ المَلاذُ الَّذي لَكِ بِهِ الخَلاص، أنْتِ قُلْتِ *أعُوذُ* وأنا *أعُوذُ* تِلْك؛
لا آفَةَ تَكُونُ أسْوَأَ مِنْ عَدَمِ المَعْرِفَة،أنتِ مَعَ الحَبيبِ ولا تَعْرِفينَ لُعْبَةَ العِشْق؛

تَظُنّيْنَ الحَبيبَ مِنَ الأغْيارِ، تُعطِينَ السُّرُورَ اِسْمَ الغَمّ؛
هذا النَّخْلُ الَّذي هُوَ لُطْفُ حَبيبِنا، إذا صِرنا لُصُوصاً صارَ مَشْنَقَةً لَنا؛
هذهِ الجَديلَةُ المِسْكِيَّةُ هِيَ جَديلَةُ أميرِنا، حِيْنَ نَصيرُ بِلا عَقْلٍ تَصيرُ زَنْجِيرَنا؛
هذا اللُّطْفُ الَّذي يسيلُ مِثْلَ النّيْلِ، عِنْدَما نَكُونُ فراعينَ يصيرُ لنا مِثْلَ الدَّمّ؛
الدَّمُ يَقُولُ أنا ماءٌ فلا تُرِقْني، أنا يُوسُفُ وَأَنا لَكَ ذِئبٌ أي مُعانِد؛
ألا تَرى أنَّ الصَّديقَ الحَليمَ، إذا صِرْتَ عَدُوَّهُ صارَ لَكَ كالحَيَّة؛
لَحْمُهُ وَشَحْمُهُ لَمْ يَصيرا شَيْئاً آخَر ، لَقَد كانَ هكذا لكِنَّ هذا لَمْ يَكُنْ مَنْظُوراً؛

عَزْمُ ذلِكَ الوَكيلِ على الرُّجُوعِ إلى بُخارى مِنَ العِشْقِ على هَيْئَةِ مَنْ لا يُبالي

أُتْرُكْ شَمْعَ مَرْيَمَ مُشْتَعِلاً، فذاكَ المُحْتَرِقُ ذاهِبٌ إلى بُخارى؛
إنَّهُ في الجَزَعِ الشَّديدِ في وَطيسٍ حامٍ، يُوَجِّهُ الوَجْهَ لاجِئاً إلى صَدْرِ العالَم؛
بُخارى هذِهِ كانَتْ مَنْبَعَ العِلْم، كانَ يُقالُ لِكُلِّ ذي عِلْمٍ بُخارِيّ؛
أمامَ الشَّيْخِ أنتَ في بُخارى، لا تَنْظُرْ باحْتِقارٍ إلى بُخارى؛
جَزْرُهُ وَمَدُّهُ العَسيران لِغَيْرِ خاضِعٍ، لا يَفْتَحانِ الطَّريقَ لِبُخارى قَلْبِه؛
أي ما أسْعَدَ ذلِكَ الَّذي *ذَلَّتْ نَفْسُه*، والوَيْلُ لِذلِكَ الشَّخْصِ الَّذي *يُرْدي رَفْسُه*؛
فُرْقَةُ صَدْرِ العالَمِ في رُوْحِهِ، هَدَّتْ أرْكانَهُ قِطْعَةً قِطْعَة؛
قالَ لأنْهَضَنَّ وَلأذْهَبَنَّ إلى هُناكَ، أكونُ كافِراً إنْ أنا أخَذْتُ طَرِيقاً آخَر؛
لأمْضِيَنَّ إلى هُناكَ وأقَعَنَّ أمامَهُ، أمامَ ذلِكَ الصَّدْرِ ذي الفِكْرِ الجَميل؛
وأقُولُ ألْقَيْتُ رُوْحَ نَفْسي أمامَكَ، أحْيِنا أوْ اذْبَحْنا كما تُذْبَحُ الشّاة؛
الذَّبْحُ والمَوْتُ قُدَّامَكَ أيْ قَمَر، أفْضَلُ مِنَ العَيْشِ مَلِكاً في مكانٍ آخَر؛
لَقَدْ جَرَّبْتُ أكْثَرَ مِنْ آلافِ المَرَّات، فَما طابَ لِيَ مِنْ دُونِكَ عَيْشُ الحَياة؛

غَنِّ لي يا مُنْيَتي لَحْنَ النُّشور أُبْرُكي يا ناقَتي تَمَّ السُّرُور

ابْلَعي يا أَرْضُ دَمْعي قَدْ كَفى اشْرَبي يا نَفْسُ وِرْداً قَدْ صَفا

عُدْتَ يا عِيْدي إِلَيْنا مَرْحَبا نِعْمَ ما رَوَّحْتِ يا ريحَ الصَّبا

قالَ أيْ أصْحابُ أنا ماضٍ الوَداع، إلى ذلِكَ الصَّدْرِ والأميرِ المُطاع؛ فأنا لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ أصيرُ مُحْتَرِقاً، أنا ذاهِبٌ هُناكَ وَلْيَكُنْ ما يكون؛ رَغْمَ أنَّ القَلْبَ صَخْرٌ قاسٍ، إنَّ روحي تَسيرُ عَزْمَ بُخارى؛ إلى مَسْكَنِ المَحْبوبِ وَمَدينَةِ مَلِكي ، فَذاكَ عِنْدَ العاشِقِ حُبُّ الوَطَن؛

سُؤالُ مَعْشُوقٍ لِعاشِقِهِ المُغْتَرِبِ أنْ أيَّةَ مَدينَةٍ مِنَ المُدُنِ وَجَدْتَ أجْمَلَ وأكْثَرَ ازْدِحاماً وأكْثَرَ احْتِشاماً وأكْثَرَ نِعْمَةً وأكْثَرَ شَرْحاً للقَلْب

قالَ مَعْشُوقٌ لِعاشِقٍ أي فَتى، أنتَ رَأيْتَ كَثيراً مِنَ المُدُنِ في الغُرْبَة؛ أيَّةَ مَدينَةٍ مِنَ المُدُنْ رَأَيْتَ أجْمَلَ، قالَ تِلْكَ المَدينَةَ الَّتي كانَ فيها المَحبوب؛ حيثُما كانَ مَلِكي كانَ واسِعاً لِيَ البِساط، سَعَةَ الصَّحْراءِ وَلَوْ كانَ سَمَّ الخِياط؛ حَيْثُما كانَ يُوسُفُ مُوْجُوداً كَأَنَّهُ البَدْر ، جَنَّةٌ وَلَوْ كانَ مِنَ الجُبِّ في القَعْر؛

مَنْعُ الرِّفاقِ لَهُ مِنَ العَوْدَةِ إلى بُخارى وَتَهْديدُهُ وَقَوْلُهُ لا أُبالي

قالَ لَهُ ناصِحٌ أيْ غافِلُ، فَكِّرْ بالعاقِبَةِ إنْ كُنْتَ ذا فَنّ؛ أُنْظُرْ بالعَقْلِ مِنَ خَلْفٍ وَمِنْ أمام، لا تُحْرِقِ النَّفْسَ كما تَفْعَلُ الفَراشَة؛ إذا كُنْتَ ذاهِباً إلى بُخارى أنْتَ مَجْنُون، يَلِيْقُ بِكَ الزَّنْجيرُ وَتَلِيْقُ بِكَ السُّجُون؛ إنَّهُ يَمْضَغُ الحَديدَ عَلَيْك مِنَ الغَضَب،إنَّهُ يَبْحَثُ عَنْكَ بِعِشْرِينَ مِنَ الجَواسيس؛ إنَّهُ يَشْحَذُ السِّكِّيْنَ يَحِدُّها لِأجْلِك، إنَّهُ كَلْبُ قُحْطٍ وَأَنْتَ كيسُ دَقيق؛

قَدْ نَجَوْتَ وَفَتَحَ اللهُ لَكَ الطَّرِيق، فَكَيْفَ وَقَعَ لَكَ أنْ تَذْهَبَ جِهَةَ السِّجْن؛
لَوْ كانَ خَلْفَكَ عَشْرةُ مُوَكَّلينَ مُخْتَلِفين، لَوَجَبَ بالعَقْلِ أنْ تَخْتَفِيَ عَنْهُمْ جَميعاً؛
وَحَيْثُ لا مُوَكَّلَ عَلَيْكَ مِنْ شَخْص، لِمْ صارَ مُغْلَقاً لَكَ الأمامُ والخَلْف؛
العِشْقُ الخَفِيُّ جَعَلَهُ الأسير، المُوَكَّلُ لا يَرى ذَلِكَ النَّذير؛
كُلُّ مُوَكَّلٍ لَهُ مُوَكَّلٌ بِهِ مُخْتَفٍ، وإلاَّ مِمَّ هُوَ في قَيْدِ كَلْبِ الطَّبْع؛
غَضَبُ شاهِ العِشْقِ أقامَ بِرُوْحِهِ، رَبَطَهُ بالمُوَكَّلِ وَسَوادِ الوَجْه؛
يَضْرِبُهُ أنْ هَيَّا اضْرِبْهُ، صُراخي مِنْ أولئكَ المُوَكَّلينَ المُخْتَفين؛
كُلُّ مَنْ تراهُ يسيرُ في خُسْران، يسيرُ مَعَ المُوَكَّلِ رَغْمَ أنَّهُ وَحيد؛
لَو كُنْتَ واقِفاً على وُجُودِهِ صَرَخْتَ،وَصِرْتَ إلى أمامِ سُلْطانِ السَّلاطينِ ذاك؛
وَنَثَرْتَ على الرَّأْسِ التُّرابَ أمامَ الشَّاه،كي تجِدَ الأمانَ مِنَ الشَّيْطانِ المَخُوف؛
رَأَيْتَ نَفْسَكَ أميراً أيْ أَقَلَّ مِنْ نَمْلَة، مِنْ ذلِكَ لَمْ تَرَ ذلِكَ المُوَكَّلَ فَأَنْتَ أعْمى؛
صِرْتَ مَغْرورَ الرِّيْشِ الكَاذِبِ والجَناح، ريشٍ وجَناحٍ يَجُرَّانِ نَحْوَ الوَبال؛
ذو الجَناحِ الخَفيفِ أخَذَ الطَّريقَ للأعلى، فإنْ تَلَوَّثَ بالطِّيْنِ صارَ حامِلَ أَثْقال؛

قَوْلُ العاشِقِ لا أُبالي للنَّاصِحِ والعاذِلِ مِنْ صَميمِ العِشْقِ

قالَ أيْ ناصِحُ اصْمتْ كَمْ وَكَم، أقِلَّ النُّصْحَ فالقَيْدُ شَديدٌ وَمُحْكَم؛
إنَّ قَيْدي مِنْ نُصْحِكَ أَشَدُّ إحْكاماً، إنَّ عالِمَكَ غَيْرُ عالِمٍ بالعِشْق؛
ذلِكَ الطَّرَفُ الَّذي بِهِ العِشْقُ يَزيدُ الألَم، أبو حَنيفَةَ والشَّافِعِيُّ لَمْ يَدْرُسا بِه؛
لا تُهَدِّدْني بِالقَتْلِ فأنا، ظامِئٌ لِدَمِ نَفْسي وَعَطْشان؛
العاشِقُونَ كُلَّ لَحْظَةٍ لَهُمْ مَوْت، مَوْتُ العُشَّاقِ لَيْسَ مِنْ نَوْعٍ واحِد؛
العاشِقُ لَهُ مائتا رُوحٍ مِنْ رُوحِ الهُدى، وَيَجْعَلُ المائَتَيْنِ في كُلِّ لَحْظَةٍ فِدى؛
ويَأْخُذُ عنْ كُلِّ رُوحٍ عَشْرَةً عِوَضاً، *عَشْرَةَ أمْثالَها* اقْرَأْ مِنَ نَبِيِّ الهُدى؛

لَوْ أراقَ ذلِكَ الحَبيبُ دَمي، أَنْثُرُ الرُّوحَ راقِصاً عِنْدَ قَدَمِه؛

أنا اخْتَبَرْتُ المَوْتَ في الحياة، حِيْنَ أَتَحَرَّرُ مِنَ الحَياةِ أجِدُ الثَّبات؛

أُقْتُلوني أُقْتُلوني يا ثِقات إنَّ في قَتْلي حَياةً في حَياة

يا مُنيرَ الخَدِّ يا رُوْحَ البقا اِجْتَذِبْ رُوحي وَجُدْ لي باللِّقا

لي حَبيبٌ حُبُّهُ يَشْوي الحَشا لَوْ يشا يَمْشي على عَيني مَشى

العَرَبِيَّةُ أجْمَلُ وَقُلْ بالفارِسيَّة، فإنَّ للعِشْقِ مِئَةَ لُغَةٍ أُخْرى؛

عَبيرُ ذاكَ الحَبيبِ إذا طار، جُمْلَةُ اللُّغاتِ مِنْهُ تَحْتار؛

أَقْصِرْ أتى ذِكْرُ الحَبيبِ في الخِطاب، اِسْتَمِعْ واللهُ أعْلَمُ بالصَّواب؛

إذا تابَ العاشِقُ فَعِنْدَ ذاكَ فَخَفْ، فَهُوَ على المَشْنَقَةِ يُعْطي الدَّرْسَ كالعَيَّارِيْن؛

رَغْمَ أنَّ هذا العاشِقَ يَذْهَبُ لبُخارى، فهُوَ لا يَذْهَبُ إلى دَرْسٍ ولا إلى أُسْتاذ؛

المُدَرِّسُ للعاشِقين حُسْنُ الحَبيب، الدَّفْتَرُ والدَّرْسُ والسَّبْقُ وَجْهُ الحَبيب؛

صامِتُونَ وَتِكْرارُ نَعَراتِهِم، يَصِلُ إلى عَرْشِ وَتَخْتِ مَحْبوبِهِم؛

دَرْسُهُمُ الوَجْدُ والحَلْقَةُ والزَّلْزَلَة، لا زياداتٌ وَبابٌ وَسلْسَلَة؛

سلسلَةُ هؤلاءِ القومِ ضَفيرَةُ المِسْك، والمَسْأَلَةُ الدَّوْرُ لكِنْ حَوْلَ الحَبيب؛

مَسْأَلَةَ الكِيْسِ إنْ سَأَلَكَ شَخْصٌ، قُلْ كَنْزُ الحَقِّ لا تَسَعُهُ الأكياس؛

وإنْ جَرى الخَلْعُ والمُباراةُ لَحْظَةً، لا تَنْظُرْ بالسُّوءِ إلى ذِكْرِ بُخارى يَجْري؛

ذِكْرُ كُلِّ شَيْءٍ يُعْطي خاصِّيَّةً، ذلِكَ لأنَّ كُلَّ صِفَةٍ تَمْلِكُ ماهِيَّةً؛

في بُخارى أنْتَ في الفَضائلِ بالِغ، ومِنْ ذاكَ إذْ أَنْتَ خاضِعُ الوَجْهِ فارِغ؛

ذلِكَ البُخاريُّ لا يَمْلِكُ غُصَّةَ العِلْم، إنَّهُ يَخْتارُ النَّظَرَ إلى شَمْسِ البَصَر؛

كُلُّ مَنْ وَجَدَ الطَّريقَ بالبَصَر في الخَلْوَة، لا يَطْلِبُ مِنَ العُلومِ الآلَةَ والوَسيلَة؛

ما دامَ صارَ نَديمَ كأسِ جَمالِ الرُّوح، يُصيبُهُ الغَمُّ مِنَ الأخبارِ والعِلْم؛

الرُّؤيَةُ كانَتْ غالِباً سابِقَةً على العِلْمِ،مِنْ ذلِكَ كانَتِ الدُّنيا مَسَلَّطَةً على العامَّة؛
ذلِكَ لأنَّـهُمْ يَرَوْنَ الدُّنيا عِياناً ، وذلِكَ العالَمَ يَعْلَمُونَهُ ديناً؛

تَوَجُّهُ ذلِكَ العَبْدِ العاشِق إلى بُخارى

وَجَّهَ الْوَجْهَ ذلِكَ العاشِقُ إلى بُخارى، خافِقَ القَلْبِ يسكبُ الدَّمْعَ حُرْقَةً دَماً؛
كانَتِ الرِّمالُ المُفْعَمَةُ أمامَهُ كالحَرير، كانَ ماءُ جَيْحُونَ عِنْدَهُ كالغَدير؛
كانَتِ الصَّحْراءُ مِنْ أمامِهِ كالخَميلَةِ، يَسْقُطُ مِنْ الضَّحِكِ كَأَنَّهُ يَقْطِفُ الوَرْد؛
القَنْدُ في سَمَرْقَنْدَ لكِنَّ شَفَتَهُ، وَجَدَتْهُ مِنْ بُخارى فَصارَتْ مَذْهَبَه؛
أي بُخارى كُنْتِ تَزيدينَ في العَقْل، لكِنَّكِ مِنِّي خَطَفْتِ الدِّيْنَ والعَقْل؛
باحِثٌ عَنِ البَدْرِ صِرْتُ كالهِلال، باحِثٌ عَنِ الصَّدْرِ صِرْتُ في صَفِّ النِّعال؛
عِنْدَما رأى سَوادَ بُخارى ذاكَ ظاهِرا، صارَ بياضٌ في سَوادِ غَمِّهِ ظاهِرا؛
وَقَعَ ساعَةً مُمَدَّداً على الأرْضِ مَغْشِيَّاً عَلَيْه،طارَ عَقْلُهُ مُحَلِّقاً في بُستانِ السِّرّ؛
صَبُّوا على رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ ماءَ الوَرْد، كانوا غافِلين عَنْ ماءِ وَرْدِ عِشْقِه؛
هُوَ كانَ قَدْ رأى بُستاناً خَفِيَّاً، أَخَذَتْهُ غارَةُ العِشْقِ وَقَطَعَتْهُ عَنْ النَّفْس؛
أنْتَ أيْ مَغْبُونُ لَسْتَ لائقاً بِهذا النَّفَس، لَسْتَ مَقْروناً بالسُّكَّرِ رَغْمَ أنَّكَ قَصَبَة؛
فإنَّ مَتاعَ عَقْلِكَ مَعَكَ وَأَنْتَ عاقِل ، إنَّكَ عَنْ *جُنوداً لَمْ تَرَوْها* غافِل؛

دُخُولُ ذلِكَ العاشِقِ غَيْرِ المُبالي بُخارى
وَتَحْذيرُ الرِّفاقِ لَهُ مِنْ إظْهارِ نَفْسِه

دَخَلَ إلى بُخارى طَرِباً وجَزْلان، إلى عِنْدِ مَعْشُوقِهِ وَدارِ الأمان؛
طارَ في الأثيرِ مِثْلَ ذاكَ السَّكْران، ضَمَّهُ القَمَرُ إلَيْهِ قائلاً عانِقْني؛
كُلُّ مَنْ رآهُ في بُخارى قالَ انْهَضْ، لا تَجْلِسْ وَاهْرَبْ قَبْلَ أنْ تَصيرَ ظاهِرا؛

فَذاكَ الشَّاهُ الغَضْبانُ باحِثٌ عَنْك، حَتَّى يُطْفِئَ حِقْدَ عَشْرِ سِنين مِنْ رُوْحِك؛
اللهَ اللهَ لا تَسْعَ في دَمِ النَّفْس، لا تَتَّكِئْ على حَديثِ وَخِداعِ النَّفْس؛
كُنْتَ حارسَ صَدْرِ العالَمِ والنَّجيب، والمُعْتَمَدَ والمُهَنْدِسَ والأُسْتاذَ والأريب؛
وَقُمْتَ بالغَدْرِ وَهَرَبْتَ مِنَ الجَزاء، كَيْفَ تَعَلَّقْتَ بَعْدَ النَّجاةِ بالبلاء؛
هَرَبْتَ مِنَ البلاءِ بِمِئةٍ مِنَ الحِيَل، فَجاءَ بِكَ إلى هُنا البَلَهُ أوِ الأجَل؛
القَضاءُ حمَّقَ العَقْلَ والعاقِلَ، أيْ مَنْ عَقْلُكَ كَسَرَ عُطارِد؛
مِنْ نَحْسِ الأرْنَبِ أنْ يَكُونَ طالِبَ الأَسَد، أيْنَ ذكاؤُكَ وَعَقْلُكَ وَأَيْنَ أَرَبُك؛
كَمْ مِئاتٍ مِنْ ألاعِيْبِ القَضَا قِيْلَ إنْ جاءَ القَضا ضاقَ الفَضَا
مِئَةُ طَريقٍ وَمَخْلَصٍ عَنْ يَسارٍ وَيَمين، أُغْلِقَتْ مِنَ القَضاءِ فذاكَ ثُعْبانٌ مُبين؛

جوابُ العاشِقِ للعاذِلينَ والمُهَدِّدين

قالَ أنا مُسْتَسْقٍ يَجْذبُني الماء، رَغْمَ عِلْمي أنَّ الماءَ يَقْتُلُني؛
ما مِنْ مُسْتَسْقٍ يَهْربُ مِنَ الماء، وَلَوْ مائتَي مَرَّةٍ قَتَلَهُ الماء؛
وَلَوْ أوْرَمَ الماءُ بَطْني وَيَدي، عِشْقُ الماءِ لَنْ يَقِلَّ مِنِّي؛
أقولُ وَقْتَ أُسْأَلُ عَنْ داخِلي، لَيْتَ البَحْرَ كانَ جارِياً في داخِلي؛
قُلْ لِقِرْبَةِ بَطْني تَمَزَّقي مِنْ مَوْجِ الماءِ، إنِّي إنْ أمُتْ يَكُنْ مُسْتَطاباً لِيَ المَوت؛
إنَّني حَيْثُما رَأَيْتُ جَدْوَلَ ماءٍ، يجيئُني الحَسَدُ أنْ لَيْتَني كُنْتُ مَكانَه؛
اليَدُ مِثْلَ الدَّفِّ والبَطْنُ مِثْلَ الطَّبْل، وأنا أَقْرَعُ طَبْلَ عِشْقِ الماءِ كالوَرْد؛
لَوْ أراقَ دَمي ذلِكَ الرُّوحُ الأمين، شَرِبْتُ دَمي جُرْعَةً جُرْعَةً كالأرْض؛
أشْرَبُ الدَّمّ مِثْلَ الأرْضِ وَمِثْلَ الجَنين، ذا شُغْلي مُنْذُ صِرْتُ مِنَ العاشِقين؛
أغلي كما تَغْلي القِدْرُ مِنَ النَّارِ في اللَّيْل، أجْرَعُ الدَّمَ كالرَّمْلِ نَهاراً إلى اللَّيْل؛
أنا نادِمٌ لأنَّني قُمْتُ بالمَكْر، قُمْتُ بالهُروبِ مِنْ مُرادِ غَضَبِه؛

قُلْ سُقْ غَضَبَكَ إلى رُوْحِيَ السَّكْران، العاشِقُ جامُوسٌ وَهذا عِيْدُ القُربان؛
البَقَرَةُ سَواءً نامَتْ وَسَواءً أكَلَتْ، إنَّما تُرَبَّى مِنْ أجْلِ العِيْدِ والذَّبْح؛
اِعْلَمْ أنَّ بَقَرَةَ مُوسى أعْطَتْني الرُّوح، أنا جُزْءاً جُزْءاً حَشْرٌ لِكُلِّ حُرّ؛
بَقَرَةُ مُوسى إذْ صارَتْ قُرْباناً، أَقَلُّ جُزْءٍ مِنْها صارَ حَياةَ للمَقْتول؛
نَهَضَ ذلِكَ القَتيلُ مِنَ المَكان مِنَ الأذى، مِنْ خِطابِ *اضرِبُوْهُ بِبَعْضِهَا*؛
يا كِراماً اِذْبَحُوا هذا البَقَرْ إنْ أَرَدْتُمْ حَشْرَ أَرْواحِ النَّظَر
مِتُّ عَنِ الجَمادِ وَصِرْتُ نامِياً، مِتُّ عَنِ النَّماءِ صِرْتُ حَيَواناً؛
مِتُّ عَنِ الحَيَوانِ صِرْتُ آدَمِيّاً، ما الخَوفُ إذَنْ متى نَقَصْتُ مِنَ المَوت؛
حَمْلَةً أُخْرى أمُوتُ عَنِ البَشَر، لآخُذَ مِنَ الملائكةِ الرِّيْشَ والجَناح؛
ومِنَ المَلَكِ واجِبٌ لِيَ البَحْثُ، عَن *كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إلاَّ وَجْهَه*؛
أصيرُ قُرْباناً مِنَ المَلَكِ مَرَّةً أُخْرى، وأصيرُ ذلِكَ الَّذي لا يَجيءُ في الوَهْم؛
صِرْتُ عَدَماً العَدَمُ كالأرْغَنُون، قائلٌ *إنَّا إلَيْهِ راجِعُون*؛
اِعْلَمِ المَوْتَ ذاكَ اتِّفاقَ أُمَّة، فَماءُ الحَياةِ مُخْتَفٍ بالظُّلْمَة؛
اِمْضِ كَزَهْرَةِ النَّيْلوفر هذا الطَّرَف، كُنْ حَريصاً كالمُسْتَسْقي واطْلُبِ المَوت؛
مَوْتُهُ الماءُ وَهُوَ باحِثٌ عَنِ الماء، كَيْ يَشْرَبَ *واللهُ أعْلَمُ بالصَّواب*؛
أيْ عاشِقاً مَغْبوناً مُلَوَّثَ اللُّبَّادِ بالعار، يَهْرَبُ خَوْفاً على الرُّوحِ مِنَ الأحِبَّة؛
أُنْظُرْ إلى مِئاتِ آلافِ الأرْواحِ تُصَفِّقُ، لِسَيْفِ عِشْقِهِ أَيْ عاراً على النِّساء؛
رَأَيْتَ جَدْوَلاً اسكُبِ إناءَكَ في الجَدْوَل،متى كانَ للماءِ أنْ يَهْرُبَ مِنَ الجَدْوَل؛
ماءُ الإبريقِ عِنْدَما يَصيرُ في ماءِ الجَدْوَل، يصيرُ مَمْحوّاً فيهِ وَيَصيرُ جَدْوَلاً؛
يَصيرُ وَصْفُهُ فانِياً وَتَصيرُ ذاتُهُ باقِيَةً، بَعْدَ ذلِكَ لا يَنْقُصُ ولا يُلاقي السُّوء؛
سَوْفَ أُعَلِّقُ نَفْسي على نَخْلِهِ ، عُذْراً لِما كانَ مِنّي مِنَ الفِرارِ مِنْه؛

وُصولُ ذلِكَ العاشِقِ إلى مَعْشُوقِ نَفْسِه وَقَدْ غَسَلَ اليَدَ مِنْ رُوْحِ نَفْسِه

في سُجُودٍ على الوَجْهِ والرَّأْسِ كَالكُرَة، صارَ إلى ذلِكَ الصَّدْرِ بِعَيْنٍ باكِيَة؛
الخَلْقُ رُؤوسُهُم في الهَواءِ ويَنْتَظِرونَ، أنْ يُعَلِّقَهُ على المَشْنَقَةِ أوْ أنْ يحرِقَه؛
ها هُوَ الزَّمانُ يُظْهِرُ لِهذا الأحْمَقِ الآن، سُوءَ بَخْتِهِ في الزَّمانِ دُفْعَةً واحِدة؛
لَقَدْ رأى كالفَراشَةِ الشَّرَرَ نُورا، فَوَقَعَ فيهِ مِنْ الحُمُقِ وَتَرَكَ الرُّوح؛
لكِنَّ شَمْعَ العِشْقِ لَيْسَ كذلِكَ الشَّمْعِ، إنَّهُ ضِياءٌ في ضِياءٍ في ضِياء؛
إنَّهُ على العَكْسِ مِنْ شُمُوعِ النَّار، كُلُّهُ الجَمالُ وَالخَيْرُ وَيُظْهِرُ النَّار؛

صِفَةُ ذلِكَ المَسْجِدِ الَّذي كانَ قاتِلاً للعُشّاق وذلِكَ العاشِقِ اللامُبالي الباحِثِ عَنِ المَوت وَقَدْ نَزَلَ ضَيْفاً فيه

اِسْتَمِعْ لِهذِهِ الحِكايَةِ أيْ حَسَنَ الخُطى، كانَ هُناكَ مَسْجِدٌ في طَرَفِ مَدينَةِ رَي؛
مِنَ الخَوْفِ لَمْ يَنَمْ فيهِ لَيْلَةً شَخْصٌ، إلاَّ وَصارَ أولادُهُ في تِلْكَ اللَّيْلَةِ يتامى؛
كَمْ غَريباً ذَهَبَ فِيْهِ مِنْ عَوَرٍ، غارَ في القَبْرِ كما تَغُور النُّجُومُ في الصُّبْح؛
أيْقِظِ النَّفْسَ جَيِّداً مِنْ هذا انْتَبِه، أَقْبَلَ الصُّبْحُ أَقْصِرْ مِنَ النَّوم؛
قالَ شَخْصٌ إنَّ بِهِ جِنّاً غاضِبَةً، مُقيمَةً تَقْتُلُ الضَّيْفَ بِسَيفٍ مُثَلَّم؛
وذاكَ آخَرُ قالَ سِحْرٌ وَطِلَّسْم، إنَّهُ الرَّصَدُ العَدُوُّ للرُّوحِ والخَصْم؛
وَذاكَ آخَرُ قالَ إنَّ بِهِ نُقوشاً ظاهِرَةً، على بابِهِ أنْ أيُّها الضَّيْفُ هُنا لا تَبْقَ؛
لا تَنَمْ هُنا اللَّيْلَ إنْ كُنْتَ مُحْتاجاً للرُّوح، إنَّ المَوتَ هاهُنا ناصِبٌ لَكَ الكمين؛
ذاكَ واحِدٌ قالَ أَغْلِقوهُ بالقِفْلِ ليلاً، اقْطَعُوا الطَّرِيقَ على الغافِلِ أنْ يَدْخُلَ إلَيْه؛

مَجيءُ ضَيْفٍ إلى ذلِكَ المَسْجِد

حَتَّى أتى ضَيْفٌ إلَيْهِ في وَقْتِ اللَّيْل، وكانَ قَدْ سَمِعَ بِذاكَ الصِّيْتِ العَجيب؛
جاءَ للتَّجْرِبَةِ لِيَقُومَ بالإمْتِحان، فَقَدْ كانَ زائدَ الرُّجُولَةِ وَنافِراً مِنَ الحَياة؛
قالَ إلامَ أَحْمِلُ هذِهِ الرَّأْسَ والمَعِدَة، اِفْتَرِضْ أنَّ حَبَّةً ذَهَبَتْ مِنْ كَنْزِ الرُّوح؛
قُلْ لِصُورَةِ البَدَنِ اذْهَبي أنا مَنْ أكُون،الصُّوْرَةُ سَوْفَ لَنْ تَنْقُصَ بِما أنَّني باقٍ؛
بِما أنِّي كانَتْ لِيَ النَّفْخَةُ مِنْ لُطْفِ الله، نَفْخُ الحَقِّ باقٍ لي وأنا ناءٍ عَنِ البَدَن؛
لِئلاّ يَقَعَ صَوْتُ نَفْخِهِ هذا الطَّرَفْ، لِيَتَحَرَّرَ ذلِكَ الجَوْهَرُ مِنْ ضِيْقِ الصَّدَف؛
قالَ *تَمَنَّوا المَوْتَ إنْ كُنْتُمْ صادِقين* ، سَوْفَ أنْثُرُ الرُّوحَ صادِقاً على هذا؛

ملامَةُ أهْلِ المَسْجِد لِذلِكَ الضَّيْفِ العاشِق على
نَوْمِ اللَّيْل في ذلِكَ المَكان وَتَخْويفُهُمْ إيَّاه

قالَ لَهُ القَوْمُ انْتَبِهْ لا تَنَمْ هُنا، حَتَّى لا يَعْتَصِرَكَ أَخْذُ رُوْحِكَ كالثِّقال؛
أَنْتَ غَريبٌ وَلا عِلْمَ لَكَ بالحال، وَأَنَّ كُلَّ مَنْ نامَ هُنا أتاهُ الزَّوال؛
هذا لَيْسَ مِنَ الإتِّفاقِ وَقَدْ رَأيْناه، وَجُمْلَةُ أَصْحابِ النُّهى رَأَوْهُ مِراراً؛
كُلُّ مَنْ صارَ ذلِكَ المَسْجِدُ مَسْكَنَهُ لَيْلَةً، جاءَهُ سُمُّ هلاهِلِ المَوْتِ وَسَطَ اللَّيْل؛
مَرَّةً مَرَّةً رأيْناهُ إلى مِئَةِ مَرَّةٍ، وَلَمْ نَكُنْ سَمِعْناهُ تَقْليداً مِنْ شَخْص؛
الدِّيْنُ النَّصيحَةُ قالَ ذاكَ الرَّسُول، تِلْكَ النَّصيحَةُ في اللُّغَةِ ضِدُّ الغُلُوْل؛
هذِهِ النَّصيحَةُ حَقُّ الصَّداقَة، وهِيَ للخائنِ والوَقِحِ خِيانَة؛
نَنْصَحُكَ النَّصيحَةَ بلا خِيانَةٍ مِنْ وِداد، فلا تَرْجِعْ عَنِ العَقْلِ والعَدْلِ والرَّشاد؛

جَوابُ العاشِقِ للعاذِلين

قالَ أَيْ ناصِحُونَ أنا بلا نَدَم، أنا شَبِعْتُ مِنَ الحَياةِ في الدُّنْيا؛

أنا مُشَرَّدٌ أَبْحَثُ عَنِ الجُرْحِ طالِباً، مِنْ مُشَرَّدِ الطَّريقِ أَقِلَّ طَلَبَ العافِيَة؛

لَيْسَ مُشَرَّداً مَنْ طَلَبَ طِيْبَ الحَياة، أنا مُشَرَّدٌ لا مُبالٍ باحِثٌ عَنِ المَمات؛

المُشَرَّدُ لَيْسَ مَنْ مَدَّ الكَفَّ للمال، المُشَرَّدُ ذاكَ الجَميلُ الَّذي تَرَكَ المال؛

المُشَرَّدُ لَيْسَ ذاكَ الَّذي قَصَدَ كُلَّ دُكّان، بَلْ ذاكَ الَّذي فَرَّ مِنَ الكَوْنِ والكِيان؛

صارَ نَقْلي مِنْ هذا المَنْزِلِ جَميلاً وَمَوتي،كَتَرْكِ الطَّائرِ للقَفَصِ وَطَيَرانِهِ مِنْه؛

ذلِكَ القَفَصُ الَّذي ترى العَيْنُ مِنْهُ الرَّوض،يَرى الطَّائرُ مِنْهُ البُسْتانَ والشَّجَر؛

وَجَوْقَةَ الطُّيُورِ في الخارِجِ حَوْلَ القَفَص،تَقْرَأُ مَسْرُوْرَةً عَنِ الحُرِّيَّةِ القِصَص؛

وما للطَّائرِ في ذلِكَ القَفَصِ مِنَ المَرْج، مِنْ طعامٍ باقٍ ولا صَبْرٍ ولا قَرار؛

فَهُوَ يَمُدُّ الرَّأْسَ مِنْ كُلِّ فُتْحَةٍ لِلخارِج، يَطْمَعُ في أنْ يَنْزِعَ عَنْ قَدَمِهِ القَيْد؛

قَلْبُهُ وَرُوحُهُ يكونانِ خارِجَ القَفَص، ويَكُونُ فِكْرُهُ بِفَتْحِ بابِ ذلِكَ القَفَص؛

لا كَمِثْلِ طائِرِ قَفَصٍ كانَ في قَلَق، تَدُورُ حَوْلَهُ القِطَطُ دائِرَةً في حَلَق؛

إذا كانَ في هذا الخَوْفِ والحَزَن، متى تَكُونُ لَهُ رَغْبَةٌ بالخُروجِ مِنَ القَفَص؛

إنَّهُ يَتَمَنَّى مِنْ سُوءِ هذا الحِصار، أنْ يَكُونَ حَوْلَهُ مِئَةُ قَفَصٍ فَوْقَ هذا القَفَص؛

عِشْقُ جالينوس لِهذِهِ الحَياةِ الدُّنيا كانَ مِنْ كَوْنِ فَنِّهِ كانَ فاعِلاً هُنا وَلَمْ يَكُنْ يَمْتَلِكُ فَنَّاً يَكُونُ فَاعِلاً في ذلِكَ السُّوق، هُناكَ يرى نَفْسَهُ مُساوِياً للعَوام

مِنْ مِثْلِ ذلِكَ ما قالَ جالينوس الحكيم، عَنْ حُبِّ هذِهِ الدُّنيا وَعَنِ الرَّغْبَةِ بِها؛

:أنا راضٍ بِأَنْ أَكُوْنَ بِنِصْفِ روحٍ، وَأَنْ أرى العالَم مِنْ وُجُوْدِ بَغْلٍ؛

هُوَ رأى مِنْ حَوْلِهِ القِطَطَ في قَطار، طائرُهُ صارَ يائِساً مِنَ المَطار؛
أوْ رأى غَيْرَ هذا العالَمِ مِنَ العَدَم، وَلَمْ يَرَ الحَشْرَ الخَفِيَّ في العَدم؛
مِثْلَ الجَنينِ الَّذي يَشُدُّهُ الكَرَمُ للخارِجِ، ثُمَّ يَفِرُّ مِنْهُ هارِباً جِهَةَ البَطْن؛
اللُّطْفُ يُديرُ وَجْهَهُ إلى جِهَةِ المَصْدَر، وهُوَ يَتَّخِذُ لِنَفْسِهِ المَقَرَّ في بَطْنِ الأُمّ؛
أَنْ عَجَباً إنْ سَقَطْتُ مِنْ مَدينَةِ المُرام، أَأَقْدِرُ أنْ أرى هذا المَقامَ رَأْيَ العَيْن؛
لَيْتَ أنَّ باباً كانَ في تِلْكَ المَدينَةِ الوَبيئة، لأقُومَ بالنَّظَرِ مِنْهُ إلى داخِلِ الرَّحِم؛
أوْ لَيْتَ أنَّ فُتْحَةً كَثُقْبِ إبْرَةٍ كانَت، كي تَكُوْنَ مِنَ الخارِجِ مَنْظُوْرَةً لِيَ الرَّحِم؛
ذاكَ الجَنينُ أيضاً غافِلٌ عَنْ عالَمٍ، هُوَ مِثْلَ جالينوس غَيْرُ مُحْرِمٍ؛
الجَنينُ لا يَعْلَمُ أنَّ تِلْكَ الرُّطُوباتِ المَوْجُودَة،كانَ لَها مَدَدٌ مِنَ العالَمِ الخَارِجِيّ؛
كَذلِكَ هذِهِ العَناصِرُ الأرْبَعَةُ في العالَم، كانَ لها مِئَةُ مَدَدٍ مِنْ مَدينَةِ اللّامَكان؛
الماءُ والحَبُّ إنْ وُجِدا في الأقفاص، فَمَطْلَعُهُما مِنْ تِلْكَ الرِّياضِ والعِراص؛
أرواحُ الأنبياءِ أَبْصَرَتِ البُسْتان، وَقْتَ الفَراغِ والإنْتِقالِ مِنْ هذا القَفَص؛
هُمْ مِنْ جالينوسَ والعالَمِ فارِغُون، مِثْلَ القَمَرِ في الأفْلاكِ بازِغُون؛
إنْ كانَ هذا القَوْلُ افْتِراءً على جالينوس، فَجَوابي هذا لَمْ يَكُنْ لِأجْلِ جالينوس؛
هذا الجَوابُ جاءَ لِشَخْصٍ قالَ هذا، لَمْ يَكُنْ شَفيعاً لَهُ القَلْبُ المَليءُ بالنُّور؛
طائرُ قَلْبِهِ صارَ فَأْراً باحِثاً عَنِ الجُحْر، لَمَّا سَمِعَ مِنْ تِلْكَ القِطَطِ أنْ عَرِّجُوا؛
رُوحُهُ مِنْ ذلِكَ السَّبَبِ كَأَنَّها الفَأْرُ، رَأَتْ في جُحْرِ الدُّنيا الوَطَنَ والقَرار؛
فَهُوَ آخِذٌ في البِناءِ في هذا الجُحْر، وَحَصَّلَ عِلْماً كانَ لائقاً بِهذا الجُحْر؛
الحِرَفُ الَّتي كانَ لَهُ المَزيدُ مِنْها، تَخَيَّرَها مُلائِمَةً لِهذا الجُحْر؛
ذلِكَ لأنَّهُ قامَ بِمَنَعِ القَلْبِ مِنَ الخُروج، فَصارَ طَريقُ نَجاتِهِ مِنَ البَدَنِ مَسْدُوداً؛
لَوْ كانَ العَنْكَبُوتُ يَمْلِكُ طَبْعَ العَنْقاء، مَتى كانَ يَقُوْمُ بِبِناءِ خَيْمَةٍ مِنَ اللُّعاب؛
القِطَّةُ مَدَّتْ قَبْضَةَ يَدِها داخِلَ القَفَص، اِسْمُ قَبْضَتِها الألَمُ والسِّرْسامُ والمَغْص؛

قَبْضَةُ القِطَّةِ المَوْتُ والمَرَضُ، تَضْرِبُ بِها الطَّائِرَ والرِّيْشَ والجَناحَ؛
يَفِرُّ المَريضُ مِنْ رُكْنٍ إلى رُكْنٍ للدَّواء، والمَوْتُ كالقاضي والمَرَضُ شاهِدٌ؛
بِما أنَّ الشَّاهِدَ مُرْسَلٌ مِنَ القاضي، هُوَ دَوْماً يَدْعُوكَ للمُثولِ أمامَ المَحْكَمَة؛
وأنتَ تَطْلُبُ مِنْهُ المُهْلَةَ في الهُرُوب، فإنْ قَبِلَ كانَ وإلاَّ قالَ انْهَضْ؛
تَطْلُبُ المُهْلَةَ مِنَ الدَّواءِ ومِنَ العِلاجِ، تَرْقَعُ بِها خِرْقَةَ البَدَنِ بالرِّقاعِ؛
ثُمَّ يأتيكَ في الآخِرِ على هَيْئَةِ المُغْضَبِ، إلامَ تَكونُ لَكَ المُهْلَةُ اخْجَلْ أخيراً؛
أُطْلُبْ عُذْرَكَ مِنَ الشَّاهِ أيْ مُمْتَلِئاً بالحَسَد، قَبْلَ أنْ يَصِلَ إلَيْكَ مِثْلُ ذلِكَ اليَوم؛
وذلِكَ الَّذي ساقَ الفَرَسَ في الظُّلْمَةِ، رَفَعَ نُوْرَ القَلْبِ مِنْ ذلِكَ دُفْعَةً واحِدَة؛
يَهْرُبُ مِنَ الشَّاهِدِ وَمَقْصَدِه، إذْ كانَ ذلِكَ الشَّاهِدُ يَدْعُوْهُ إلى جِهَةِ القَضاء؛

المَلامَةُ مِنْ أهْلِ المَسْجِدِ للضَّيْف مَرَّةً أُخْرى على نَوْمِ اللَّيْلِ في ذلِكَ المَسْجِدِ

قالَ لَهُ القَوْمُ لا تُظْهِرِ الشَّجاعَةَ اذْهَبْ، لِئَلاَّ تَكونَ رَهينَةً للمَوْتِ روحاً وَبَدَناً؛
ذاكَ ظَهَرَ مِنَ السَّماءِ البَعيدَةِ أحْسِنِ النَّظَر، فَفي الآخِرِ سَيَصيرُ صَعْباً المَمَرُّ؛
فَكَمْ رَجُلاً عَرَّضَ النَّفْسَ جُرْأَةً فانْقَطَع، وَصارَ في الوَرْطَةِ يَبْحَثُ عَنْ المُنْقِذ؛
خَيالُ السَّيِّئِ وَالحَسَنِ مِنْ قَبْلِ الواقِعَةِ، كَمْ كانَ سَهْلاً في قُلُوبِ الخَلْق؛
عِنْدَما يَدْخُلُ الشَّخْصُ وَسَطَ المُعْتَرَك، يصيرُ عَسيراً لَهُ الأمْرُ ذلِكَ الزَّمان؛
ألا لا تَخْطُ خُطْوَةً للأمامِ ما دُمْتَ لَسْتَ أسَداً، فَإنَّ الأجَلَ ذِئْبٌ ورُوْحُكَ شاة؛
إنْ كُنْتَ مِنْ أبْدالٍ وَشاتُكَ غَدَتْ أَسَداً،ادْخُلْ آمِناً فَقَدْ طَأْطَأَ المَوْتُ لَكَ الرَّأْسَ؛
مَنْ هُمُ الأبْدالُ؟ أولئكَ مَنْ غَدَوا مُبَدَّلين، خَمْرُهُم تَصيرُ خَلاًّ مِنْ تَبْديلِ الله؛
لكِنَّكَ سَكْرانُ صَيْدِ الأُسُودِ لَسْتَ أسَداً، بَلْ تَوَهَّمْتَ نَفْسَكَ أَسَداً ألا لا تَتَقَدَّمْ؛
قالَ الحَقُّ عَنْ أهْلِ النِّفاقِ مِنْ كُلِّ غَيْرِ سَديد، *بَأْسُهُمْ ما بَيْنَهُمْ بَأْسٌ شَديد*؛

لَهُمْ شَجاعَةُ الرِّجالِ في المَحافِلِ وفي الغَزاةِ كالعَوْراتِ في المَنازِلِ
قالَ النَّبِيُّ قائِدُ جَيْشِ الغُيوب، لا شَجاعَةَ أي فَتى قَبْلَ الحُروب؛
وَقْتَ تَجْييشِ الغَزْوِ يُصَفِّقُونَ مِنْ سَكَر،وَقْتَ تَجيشُ الحَرْبُ بلا فَضْلٍ كالزَّبَد؛
وَقْتَ ذِكْرِ الغَزْوِ طَويلُ السَّيْفِ كالبَطَل، وَوَقْتَ الكَرِّ والفَرِّ كأنَّ سَيْفَهُ البَصَل؛
وَقْتَ فِكْرِ القَلْبِ باحِثٌ عَنِ الجُرْح، لكِنْ بإبْرَةٍ واحِدَةٍ تَصيرُ قِرْبَتُهُ فارِغَة؛
إنّي لأَعْجَبُ مِنْ باحِثٍ عَنِ الصَّفاء، يَفِرُّ في وَقْتِ الصَّيْقَلِ مِنْ الجَفاء؛
العِشْقُ كالدَّعْوى ومُعاناةُ الأذى شاهِد، دَعْواك باطِلَة إذا لَمْ يَكُنْ مَعَكَ شاهِد؛
إذا طَلَبَ القاضي مِنْكَ الشّاهِدَ لا تَأْلَمْ، قُمْ بِتَقْبيلِ الحَيَّةِ قُبْلَةً لِتَجِدَ الكَنْز؛
إنَّ ذاكَ الجَفاءَ لَيْسَ لَكَ أيْ وَلَد، بَلْ لِلوَصْفِ السَّيِّئِ المَوجُودِ في داخِلِك؛
إنَّ ضَرْبَ ذلِكَ الرَّجُلِ اللُّبّادَ بالعَصا،كانَ لِنَفْضِ الغُبار عَنْه لا لِضَرْبِ اللُّبّاد؛
ذاكَ الغاضِبُ إذا ضَرَبَ الجَواد، الضَّرْبُ كانَ لِسُوءِ سَيْرِ الجَوادِ لا للجواد؛
لِيَنْجُوَ مِنَ العِثارِ وَيَصيرَ حَسَنَ السَّيْر، وَعَصيرُ الفَواكِهِ يُحْبَسُ لَيَصيرَ خَمْراً؛
قالَ واحِدٌ كَمْ تَضْرِبُ ذاكَ اليَتيمَ الصَّغير، كَيْفَ لا تَخافُ مِنْ قَهْرِ الله؛
قالَ أنا مَتى ضَرَبْتُهُ أي حَبيبُ وَرَفيق، أنا كُنْتُ أَضْرِبُ ذاكَ الشَّيْطانَ داخِلَه؛
إذا كانَتْ قالَتْ لَكَ الأُمُّ لَكَ المَوت، فَقَدْ عَنَتْ مَوْتَ ذاكَ الطَّبْعِ وَمَوْتَ الفَساد؛
تِلْكَ الجَماعَةُ الهارِبَةُ مِنَ الأَدَب، هَرَقَتْ ماءَ الرُّجُولَةِ وماءَ المُروءَةِ بالهَرَب؛
رَدَّهُمُ العاذِلُونَ عَنِ الوَغى، فَبَقُوا هكذا مُخَنَّثينَ مَقْبُوحين؛
لا تَسْتَمِعْ لِلَّغْوِ وَجَلَبَةِ اللّاغين، لا تَذْهَبْ إلى صَفِّ الهَيْجاءِ مَعَ أمثالِ هؤلاء؛
قَالَ الحَقُّ *زادُوكُم خَبالاً*، مِنَ الرِّفاقِ الواهِينَ اقْلِبِ الوَرَق؛
فإنَّهُمْ إنْ يكونوا مَعَكَ رِفاقاً، يكُونُوا غُزاةً فارِغِيْنَ كَأَنَّهُمْ القَشّ؛
إنَّهُمْ يَجْعَلُوْنَ أنْفُسَهُمْ مَعَكَ في الصَّفّ، لكِنَّهُمْ يَهْرَبُونَ وَيَكْسِرونَ قَلْبَ الصَّفّ؛
فَجَيْشٌ قَليلٌ خالٍ مِنْ هؤلاءِ النَّفَر، خَيْرٌ مِنْ جَيْشٍ عَرَمْرَمٍ فِيْهِ أَهْلُ النِّفاق؛

وَلَوْزٌ قَليلٌ عَذْبُ المَذاقِ مُنَقًّى، خَيْرٌ مِنْ لَوْزٍ كَثيرٍ مُخالَطٍ بالمُرّ؛
الحُلْوُ والمُرُّ عِنْدَ الكَسْرِ شَيْءٌ واحِد، بَعْدَ ذاكَ وَقَعَ النَّقْصُ فالقَلْبُ ليسَ بِواحِد؛
كانَ المَجُوسِيُّ وَجِلَ القَلْبِ لأنَّهُ مِنَ الظَّنّ، وُلِدَ في الشَّكِّ مِنْ حالِ ذلِكَ العالَم؛
يَسيرُ في الطَّريقِ لا يَعْرِفُ مَنْزِلاً، يَسيرُ خائفَ الخُطى أعْمى القَلْب؛
كَيْفَ يَسيرُ مُسافِرٌ لا يَعْرِفُ الطَّريق، إنَّهُ يَسِيْرُ مُتَرَدِّداً وَبِقَلْبٍ مَليءٍ بالجِراح؛
كُلُّ مَنْ قالَ لَهُ انْتَبِهْ لا طَرِيقَ هُنا، قامَ مِنَ الخَوْفِ بالتَّوَقُّفِ وَوَقَفَ هُناك؛
لَوْ كانَ قَلْبُهُ الواعي عالِماً بالطَّريق، مَتى كانَتْ كُلُّ صَيْحَةٍ تَدْخُلُ إلى أُذُنِه؛
لا تَسِرْ في الطَّريقِ بِرِفْقَةِ خوَّارِين، يكونونَ في وَقْتِ الضِّيْقِ والخَوْفِ آفِلين؛
فَسَوْفَ يَتْرُكُونَكَ وَحيداً وَيَهْرَبون، رَغْمَ أنَّهُمْ في التَّباهي ساحِرُوْنَ بابِلِيُّون؛
لا تَطْلُبْ صِعابَ الأمورِ مِنَ الحَمْقى،لا تَطْلُبِ الصَّيْدَ والغارَةَ مِنَ الطَّواويس؛
الطَّبْعُ طاووسٌ يُوَسْوِسُ لَكَ الوَسْواسَ، ويَظَلُّ يُناجِيْكَ حَتَّى يَقْتَلِعَكَ مِنَ المَقام؛

قَوْلُ الشَّيْطانِ لِقُرَيْشٍ تَعالَوا لِقِتالِ أحْمَدَ وأنا مَعَكُمْ وَمُعينٌ لَكُمُ وَداعٍ قَبيلَتَكُمْ لِعَوْنِكُمْ، وَهَرَبُهُ وَقْتَ التِقاءِ الصَّفَّيْن

مِثْلَ الشَّيْطانِ في الجَيْشِ راحَ صَارِخاً بِكُم، يُنادِيْكُمْ مِنَ الخِداعِ إنّيْ جارٌ لَكُمْ؛
لَمَّا صارَتْ قُرَيْشُ عَنْ قَوْلِهِ حاضِرَة، وكلا الجَيْشَيْنِ دَخَلا في المُلاقاة؛
وَرَأى الشَّيْطانُ جَيْشاً مِنَ المَلائِكَة، مُتَّجِهاً في الطَّريقِ جِهَةَ صَفِّ المُؤمِنين؛
كانَ أولئكَ *جُنُوداً لَمْ تَرَوْها* مَصْفُوفَةً، فَصارَتْ رُوحُهُ مِنَ الرُّعْبِ في أتُون؛
فَسَحَبَ القَدَمَ راجِعاً إلى الخَلْفِ، أنْ إنّي أرى جَيْشاً مِنَ الجُيُوشِ عَجَباً؛
إنّي أخافُ اللهَ مَا لِيْ مِنْهُ عَوْنْ اِذْهَبُوا إنّي أَرَى مَا لا تَرَوْنْ
قالَ الحارِثُ أيْ سُراقَةُ بالشَّكْلِ انْتَبِهْ، لِماذا لَمْ تَكُنْ تَقُولُ هذا القَوْلَ لَيْلَةَ أمْس؛
قالَ هذا الوَقْتَ أنا أُبْصِرُ الحَرَب، قالَ أنْتَ تُبْصِرُ شَحاذَةَ العَرَب؛

أنتَ لا تَرى غَيْرَ هذا وَلَكِنْ أيْ قَبيح، ذاكَ كانَ وَقْتَ تَباهٍ وهذا وَقْتُ الحَرْب؛
لَيْلَةَ الأمْسِ قُلْتَ سَأكُونُ ثابِتاً مَعَكُم، وَيَكُونُ الفَتْحُ وَالنَّصْرُ كُلَّ لَحْظَةٍ مَعَكُمْ؛
لَيْلَةَ الأمْسِ كُنْتَ زَعِيْمَ الجَيْشِ أَيْ لَعين، والآنَ أنْتَ لئيمٌ وَحَقيرٌ وَمَهين؛
جَعَلْتَنا نَشْرَبَ خَداعِكَ ذاكَ وَأَتَيْنا، فَمَضَيْتَ بِنا إلى الأتُونِ وَصِرْنا حَطَباً؛
عِنْدَما كانَ الحارِثُ يَقُوْلُ هذا لِسُراقَةَ، صارَ ذلِكَ اللَّعينُ غاضِباً مِنْ عِتابِه؛
سَحَبَ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ في غَضَب، بِما أنَّ الألَمَ وَصَلَ إلى قَلْبِهِ مِنْ قَوْلِه؛
قامَ الشَّيْطانُ مُدْبِراً بِوَكْزِهِ في الصَّدْر، وَسالَ دَمُ المَساكينِ مِنْ هذا المَكْر؛
مِثْلَما جَعَلَ خَراباً عَوالِمَ كَثيرَةً، ثُمَّ قالَ *إنِّي بَريءٌ مِنْكُم*؛
وَكَزَهُ في الصَّدْرِ فَأَوْقَعَهُ على الأرْض، ثُمَّ فَرَّ هارِباً فَقَدْ أصابَتْهُ رَهْبَة؛
النَّفْسُ والشَّيْطانُ كلاهُما بَدَنٌ واحِدٌ، لكِنَّهُما أظْهَرا نَفْسَهُما في صُوْرَتَيْن؛
مِثْلَما المَلَكُ والعَقْلُ لَهُما بَدَنٌ واحِدٌ، وَصارَا لأَجْلِ حِكَمٍ مِنْهُ صُوْرَتَيْن؛
عِنْدَكَ في سِرِّ النَّفْس مِثْلُ هذا العَدُوّ، المانِعِ لِلْعَقْلِ وَالخَصْمُ للرُّوحِ والمَذْهَب؛
يَحْمِلُ عَلَيْكَ لَحْظَةً حَمْلَةَ الضَّبّ، ثُمَّ يَلُوذُ بالفِرارِ وَيَدْخُلُ في الجُحْر؛
إنَّ لَهُ في القَلْبِ جُحُوراً الآن، يُخْرِجُ مِنْ كُلِّ جُحْرٍ الرَّأْسَ للخارِج؛
اسْمُهُ الخَفِيُّ صارَ شَيْطانَ النُّفُوس، وإذا دَخَلَ في ذاكَ الجُحْرِ صارَ الخَنُوس؛
خُنُوسُهُ مِثْلَ خُنُوسِ القُنْفُذ، يَجيءُ وَيَذْهَبُ كَرَأْسِ القُنْفُذ؛
اللهُ دعا ذلِكَ الشَّيْطانَ خَنَّاسا، فَقَدْ أَشْبَهَ رأْسَ القُنْفُذِ ذي الشَّوْكِ على الظَّهْر؛
يَصيرُ مَخْتَفِيَ الرَّأْسِ ذلِكَ القُنْفُذ، لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ مِنْ خَوفِ الصَّيَّادِ المُخيف؛
حَتَّى إذا ما وَجَدَ الفُرْصَةَ أخْرَجَ الرَّأْسَ، مِنْ مَكْرِهِ هذا جَبُنَتْ أمامَهُ الحَيَّة؛
لَوْ لَمْ تَكُنِ النَّفْسُ قَطَعَتْ طَريقَكَ مِنَ الدَّاخِل، مَا كانَ لِقُطَّاعِ الطُّرُقِ يَدٌ عَلَيْك؛
مِنْ ذلِكَ اللِّصِّ بالمُقْتَضى الشَّهْوَةِ، صارَ القَلْبُ أَسيرَ الحِرْصِ والطَّمَعِ والآفَةِ؛
مِنْ لِصِّ السِّرِّ ذاكَ صِرْتَ لِصَّاً وَضائعاً، وَأَخَذَتِ الشَّياطينُ لِقَهْرِكَ الطَّريق؛

اِسْمَعْ في الخَبَرِ هذا النُّصْحَ الجَميل، *بَيْنَ جَنْبَيْكُمْ لَكُمْ أعْدى عَدُوّ*؛
لا تَسْمَعْ طَرْقَ هذا العَدُوِّ واهْرَبْ، فإنَّهُ مِثْلَ إبليسَ في اللَّجاجَةِ والخِصام؛
إنَّهُ مِنْ أجْلِ الدُّنيا والجِدال، سَهَّلَ لَكَ ذلِكَ العَذابَ السَّرْمَدِيّ؛
ما العَجَبُ إنْ جَعَلَ لَكَ المَوْتَ سَهْلاً، إنَّهُ فَعَلَ مِنْ سِحْرِهِ مِئاتِ أمْثالِ ذلِك؛
السِّحْرُ بالصَّنْعَةِ يَجْعَلُ القَشَّةَ جَبَلاً، ثُمَّ يُعيدُ الجَبَلَ كالقَشَّةِ مِنْ جَديدٍ خِداعاً؛
يَجْعَلُ القَبائحَ مَحاسِنَ بِفَنّ، يجْعَلُ المَحاسِنَ قَبائحَ بِظَنّ؛
إنَّهُ يَتَنَفَّسُ شُغْلَ السِّحْرِ هذا، وَفي كُلِّ نَفَسٍ مِنْهُ يَقْلِبُ الحَقائق؛
أظْهَرَ الآدَمِيَّ حِماراً ساعَةً، وَجَعَلَ مِنَ الحِمارِ آدَمِيّاً وآيَةً؛
مِثْلُ هذا السّاحِرِ داخِلَكَ سِرّاً، إنَّ في الوَسْواسِ سِحْراً مُسْتَتِراً؛
وفي ذلِكَ العالَمِ تُوْجَدُ هذِهِ السُّحُور، لكِنْ هُناكَ ساحِرونَ مُبْطِلُونَ للسِّحْر؛
تِلْكَ الصَّحْراءُ الَّتي نَبَتَ بِها السُّمُّ الشَّديد، نَبَتَ بِها التِّرياقُ أيْضاً أيْ وَلَد؛
التِّرياقُ قالَ لَكَ اطْلُبْ مِنِّي الوَقَاء، أنا أَقْرَبُ لَكَ مِنَ السُّمِّ أنا دَواء؛
كلامي سِحْرٌ دافِعٌ للسِّحْر، كلامُ السُّمِّ سِحْرٌ مِنْهُ لَكَ الخَراب؛

تِكْرارُ العاذِلينَ النَّصيحَةَ لِضَيْفِ ذلِكَ المَسْجِدِ قاتِلِ الضَّيْف

قالَ النَّبِيُّ إنَّ مِنَ البيانِ لَسِحْراً، صَدَقَ ذلِكَ الجَميلُ العَظيمُ الشَّأن؛
لا تُظْهِرِ الجُرْأَةَ اذْهَبْ أيْ أبا الكَرَم،لا تَجْعَلْنا مُتَّهَمينَ وَتَجْعَلَ مَسْجِدَنا مُتَّهَماً؛
فَيَنْقُلَ عَدُوٌّ القَوْلَ عَنْ عَدُوّ، وَيُشْعِلَ النّارَ بِنا غَداً دَنِيّ؛
أنْ هُوَ كانَ سالِماً وَخَنَقَهُ ظالِمٌ، تَذَرَّعَ بالمَسْجِدِ جَعَلَ مِنَ المَسْجِدِ ذَريْعَةً؛
حَتَّى يُلْقِيَ تُهْمَةَ القَتْلِ على المَسْجِدِ، وَيَنْجُوَ هُوَ بِما أنَّ المَسْجِدَ سَيِّئُ السُّمْعَة؛
لا تَضَعِ التُّهْمَةَ عَلَيْنا أيْ قاسِيَ القَلْب، نَحْنُ لَسْنا في أمْنٍ مِنْ مَكْرِ الأعْداء؛
اِذْهَبْ لا تُظْهِرِ الجُرْأَةَ دَعْ هذهِ التِّجارَة، إنَّ عُطارِدَ لا يُمْكِنُ أنْ يُقاسَ بِذِراع؛

إنَّ كَثيرينَ مِثْلَكَ تَباهوا بالإقْبال، اقْتُلِعَتْ لِحاهُمْ لِحْيَةً لِحْيَةً شَعْرَةً شَعْرَةً؛
ألا فاذْهَبْ وَأَقْصِرْ هذا القيلَ والقال ، لا تُلْقِ بِنَفْسِكَ وَلا تُلْقِ بِنا في الوَبال؛

جَوابُ الضَّيْفِ لَهُمْ وإيرادُهُ المَثَلَ بِدَفْعِ حارِثِ مَزْرَعَةٍ جَمَلاً كانَ يُقْرَعُ عَلَيْهِ طَبْلُ مَحْمود

قالَ أيْ أصْدِقاءُ أنا لَسْتُ مِنْ ذلِكَ الدِّيْوان، كَيْ تَهِنَ خُطايَ مِنْ انعِدامِ الحَول؛
إنَّ طِفْلاً كانَ حارِساً لِمَزْرَعَةٍ، كانَ يَقْرَعُ طَبْلاً صَغيراً لِدَفْعِ الطُّيُور؛
يُبْعِدُ الطُّيُورَ عَنِ الزَّرْعِ مِنْ ذلِكَ الطُّبَيل، لِتَصيرَ المَزْرَعَةُ آمِنَةً مِنَ الطُّيُور؛
السُّلْطانُ الشَّاهُ مَحْمودُ الكَريمُ في مُرورِهِ، أقامَ مُعَسْكَراً عَظيماً ذلِكَ الطَّرَف؛
بِجَيْشٍ كَأَنَّ أفْرادَهُ نُجُومُ الأثير، مُتَراكِمٍ مُنْتَصِرٍ كاسِرٍ للصُّفُوفِ آسِرٍ لِلمُلوك؛
كانَ لَهُ جَمَلٌ قَوِيٌّ مُحَمَّلٌ عَلَيْهِ طَبْلٌ، كانَ ذا سِنامَيْنِ يَمشي قُدُماً كَأَنَّهُ الدِّيْك؛
صَوتُ الكُوْسِ والطَّبْلِ في الرُّجُوعِ والطَّلَب، كانَ يُسْمَعُ عَلَيْهِ اللَّيْلَ والنَّهار؛
دَخَلَ ذلِكَ الجَمَلُ داخِلَ تِلْكَ المَزْرَعَة، فَقَرَعَ الطِّفْلُ ذاكَ الطُّبَيْلَ لِحِفْظِ البُرّ؛
قالَ لَهُ عاقِلٌ لا تَقْرَعْ طَبْلَكَ الصَّغير،هُوَ مُعْتادٌ على الطُّبُولِ صارَتْ طَبْعاً له؛
ما يَكُونُ دَقُّكَ عِنْدَهُ أيُّها الطِّفْل، وَهُوَ الَّذي يَحْمِلُ طَبْلَ السُّلْطانِ بِعِشْرينَ كِفْل؛
أنا عاشِقٌ أنا قَتيلٌ قُرْبانَ ***لا***، رُوحي مَوْضِعُ نَوْبَةِ طَبْلِ البَلا؛
دَقُّ الصَّغيرِ هُوَ هذِهِ التَّهْديدات، أمامَ ذاكَ الَّذي رَأَتْ عَينايَ مِنْ قَبْل؛
أي حَريفُونَ أنا لَسْتُ مِنْ أولئكَ القَوم، الَّذينَ يَقِفُونَ في الطَّريقِ مِنَ الخَيالات؛
أنا مِثْلَ الإسماعيلِيّيْنَ بِلا حَذَر، بَلْ مِثْلَ إسْماعِيْلَ حُرٌّ مِنَ الرَّأْس؛
أنا فارِغٌ مِنَ الدَّعاوى وَمِنَ الرِّياء، نِداءُ *قُلْ تَعالَوا* قالَ لِرُوحي تَعالَي؛
قالَ النَّبِيُّ في ما سَلَفْ، جادَ مَنْ أَيْقَنَ بالخَلَفْ؛
كُلُّ مَنْ رأى في العَطاءَ مِئَةَ عِوَض، قامَرَ بالعَطاءِ مُسْرِعاً لِهذا الغَرَض؛

مِنْ ذلِكَ صارَ الجَميعُ مُقَيَّدينَ في البازار، يَدْفَعُوْنَ أمْوالَهُمْ ما دامَ هُناكَ نَفْع؛
يَجْلِسُونَ مُنْتَظِرينَ الذَّهَبُ في الأكياس، مُصِرّيْنَ على البَذْلِ لِيَنالوا النَّفْع؛
حِيْنَ رَأى سِلْعَةً ذاتَ رِبْحٍ أَكْثَر، صارَ عِشْقُهُ لِسِلْعَةِ نَفْسِهِ بارِداً؛
يَظَلُّ تَعَلُّقُهُ بِبِضاعَةِ نَفْسِهِ باقِياً، ما لَمْ يَرَ على تِلْكَ البِضاعَةِ رِبْحاً وَمَزيداً؛
كذلِكَ يَكُونُ مَعَ العِلْمِ والفُنُونِ والحِرَف، إذا لَمْ يَرَ زيادَةً عَلَيْها في الشَّرَف؛
ما لَمْ يَكُنْ أَفْضَلُ مِنَ الرُوحِ فالرُّوحُ عَزيزَةٌ، وَلَمَّا جاءَ أَفْضَلُ مِنْها هانَت؛
اللُّعْبَةُ المَيْتَةُ تَظَلُّ غالِيَةً على الطِّفْل، حَتَّى يَصيرَ كَبيراً وَوَالِدَ أطْفال؛
هذا التَّصَوُّرُ وَهَذا التَّخَيُّلُ لُعْبَةٌ، ما دُمْتَ طِفْلاً أنْتَ لِذاكَ بِحاجَة؛
المُتَحَرِّرُ مِنَ طُفُوْلَةٍ ورُوْحُهُ في وِصال، فارِغٌ مِنَ الحِسِّ والتَّصْويرِ والخَيال؛
ما مُحْرِمٌ حَتَّى أَقُوْلَ بِلا نِفاقْ   أَمْسَكْتُ إنَّ اللهَ أَعْلَمُ بالْوِفاقْ
المالُ والبَدَنُ ثَلْجٌ تَساقَطَ للفَنا، الحَقُّ اشْتَراهُما مِنْ إنَّ *اللَّهَ اشْتَرَىٰ*؛
تَرى الثَّلْجَ أولى بِكَ مِنَ الثَّمَنِ الثَّمين، لأنَّكَ واقِعٌ في الشَّكِّ وبلا يَقِيْن؛
عَجَباً فيكَ هذا الظَّنُّ أيْ مَهين، ولا يَطيرُ في بُسْتانِ اليَقين؛
كُلُّ ظَنٍّ ظامِئٌ للیَقینِ أيْ وَلَد، یَضْرِبُ في تَزایُدٍ الجَناحَ والقَوادِم؛
فإذا وَصَلَ إلى العِلْمِ وَقَفَ على القَدَم، فَقَدْ وَجَدَ مِنَ العِلْمِ رائِحَةَ اليَقين؛
ذلِكَ لأنَّهُ في الطَّريقِ مُفْتَتَن، العِلْمُ فَوْقَ الظَّنِّ وَأَقَلُّ مِنَ اليَقين؛
اِعْلَمْ أنَّ العِلْمَ باحِثٌ عَنِ اليَقين، وَأَنَّ اليقينَ باحِثٌ عَنِ الرُّؤيَةَ والعِيان؛
في *أَلْهَىٰكُمُ* ابْحَثِ الآنَ عَنْ هذا، ثُمَّ بَعْدَها في *كَلَّا* ثُمَّ في *لَوْ تَعْلَمُونَ*؛
العِلْمُ يَشُدُّ إلى الرُّؤيَةِ أيْ عَليم، لَوْ صِرْتَ ذا يَقينٍ رَأَيْتَ الجَحيم؛
الرُّؤيَةُ تُوْلَدُ مِنَ اليَقينِ بلا إمْهال، هكذا كما وُلِدَ مِنَ الظَّنِّ الخَيال؛
في *أَلْهَىٰكُمُ* انْظُرْ إلى بَيانِ هذا، فَإنَّ عِلْمَ اليَقِيْنِ صارَ عَيْنَ اليَقين؛
أنا أعْلى مِنَ الظَّنِّ وَمِنَ اليقين، أنا لَنْ أرْجِعَ بِالرَّأْس مِنَ المَلامَة؛

حينَ فَمِيْ طَعِمَ الطَّعامَ مِنْ حَلْواه، صارَتْ عَيْني مُضيْئَةً وَتَراه؛
أنقُلُ القَدَمَ في جُرْأَةٍ كذاهِبٍ إلى البَيْت، لا تَرْتَجِفُ قَدَمايَ ولا أَسيرُ أعْمى؛
ذاكَ الَّذي قالَ الحَقُّ لِلْوَرْدِ فَجَعَلَهُ ضاحِكاً، قالَهُ في قَلْبي وَأَعْطاني مِئةً مِنْه؛
وَذاكَ الَّذي وَضَعَ على السَّرْوِ فَقَوَّمَ قَدَّهُ،وذاكَ الَّذي أطْعَمَ للنَّرْجِسِ والنِّسْرين؛
وَما جَعَلَ بِهِ النَّايَ عَذْبَ قَلْبٍ ورُوح، وَما أَعْطى مِنَ التُّرابِ لِحِسانِ چكل؛
وما جَعَلَ بِهِ الفِتْنَةَ للحاجِبِ الطَّرَّار، وَجَعَلَ بِهِ الوَجْهَ بِلَوْنِ الوَرْدِ والجُلَّنار؛
وَأَعْطى بِهِ مِئاتِ فُنُونِ السِّحْرِ لِلِّسان، وَأَعْطى بِهِ الذَّهَبَ الجَعْفَرِيَّ لِلْمَنْجَمْ؛
عِنْدَما بابُ خانَةِ الزُّرَّادِ صارَ مَفْتُوحاً، كانَتْ غَمَزاتُ العُيُونِ رامِياتُ السِّهام؛
رَمَتْ على قَلْبِيَ السَّهْمَ فَأصابَني الجُنُون، جَعَلَتْني عاشِقاً للسُّكَّرِ وَآكِلاً للسُّكَّر؛
أنا عاشِقٌ لِلَّذي لَهُ ذاكَ كُلَّ آن، العَقْلُ والرُّوحُ لِحَبَّةٍ مِنْ مَرْجانِهِ حارِسان؛
أنا لا أدَّعي وإنْ ادَّعَيْتُ أنا كالماء، لا أَضْطَرِبُ مِنْ إلقائي بالنَّار؛
كَيْفَ أَكُونُ سارِقاً وَهُوَ لِلمَخْزَنِ حَفيظٌ، كَيْفَ لا أكُونُ ثابِتاً وَهُوَ خَلْفي ظَهير؛
كُلُّ مَنْ كانَتْ لَهُ الشَّمْسُ ظَهيراً كانَ حارَّاً، يسيرُ بلا وَجَلٍ ولا خَجَلٍ وَعَنيداً؛
فَهُوَ مِثْلَ وَجْهِ الشَّمْسِ بِلا حَذَرٍ، وَجْهُهُ صارَ حارِقاً لِلخَصْمِ وَمُمَزِّقاً لِلحُجُب؛
كُلُّ رَسُولٍ في هذِهِ الدُّنيا كانَ ثابِتاً، وفارِساً بِلا نَظيرٍ سَحَقَ جُيُوشَ المُلوك؛
لَمْ يَرْجِعْ بالوَجْهِ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ غَمّ، وَقَدْ ضَرَبَ العالَمَ وحيداً بِمُفْرَدِه؛
الصَّخْرُ صَلْبٌ عَنيدٌ جَريءُ عَيْن، لا يَخافُ مِنَ عالَمٍ مَليءٍ بالطُّوب؛
الطُّوبُ صارَ قِطْعَاً مِنْ ضارِبِ الآجُرّ، والصَّخْرُ صارَ صُلْباً مِنْ صُنْعِ الله؛
الخِرافُ وَلَوْ كانَتْ لا تُحْصى بالحِساب،مَتى خافَ مِنْ عَديدِها ذلِكَ القَصّاب؛
كُلُّكُمْ راعٍ والنَّبِيُّ كالرَّاعي، الخَلْقُ مِثْلَ القَطيعِ وَهُوَ السَّاعي؛
الرَّاعي لا يَخافُ مِنَ القَطيعِ في القِتال، لكِنَّهُ حافِظٌ لَهُ مِنَ الحَرّ والبَرْد؛
إذا أَطْلَقَ صَيْحَةً مِنَ القَهْرِ على القَطيع، اِعْرِفْ ذلِكَ مِنَ المَحَبَّةِ مِنْهُ للقَطيع؛

كُلَّ زَمانٍ يَقُولُ الْبَخْتُ الجَديدُ في أُذُني، أنا الَّذي أجْعَلُكَ مَغْمُوماً فلا تَغْتَمّ؛
اعْلَمْ أنّي أجْعَلُكَ مَغْمُوماً وَشَجِيًّا، حَتَّى أَجْعَلَكَ عَنِ العَيْنِ مَخْفِيًّا؛
جَعَلْتُ طَبْعَكَ مُرَّاً مِنَ الغُمُومِ، حَتَّى أطْرُدَ عَنْ وَجْهِكَ عَيْنَ السُّوء؛
أَلَسْتَ صَيَّاداً وَباحِثاً عَنّي، كُنْ عَبْداً لِيْ وكُنْ خاضِعاً لِرَأْيي؛
إنَّكَ تُفَكِّرُ بالحِيْلَةِ للوُصُولِ إِلَيّ، في فِراقي وَفي البَحْثِ عَنّي أنْتَ بِلا شَخْص؛
أَلَمُكَ باحِثٌ عَنِ الوَسيلَةِ في طَلَبي، قَدْ سَمِعْتُ لَيْلَةَ الأمْسِ آهَكَ الحَزيْنَة؛
أنا كُنْتُ أَسْتَطيعُ بلا مُهْلَةٍ، أَنْ أُرِيَكَ طَريقَ المَخْرَجِ وأفْتَحَ لَكَ الطَّريق؛
لأُنْجِيَكَ مِنْ هذا الإعْصارِ الدَّوَّار، وَتَضَعَ القَدَمَ على رَأْسِ كَنْزِ وِصالي؛
لكِنَّ حَلاوَةَ وَلَذائِذَ المَقَرّ، تَكُونُ على قَدْرِ آلامِ السَّفَر؛
ما أنْتَ تَنْعُمُ بِهِ مِنَ الأَهْلِ والوَطَنْ، حَصَلْتَ عَلَيْهِ مِنَ الغُرْبَةِ والآلامِ والمِحَنْ؛

تَمْثيلُ هُروْبِ المُؤمِنِ وَعَدَمُ صَبْرِهِ في البَلاءِ بالإضْطِرابِ وَعَدَمِ الإسْتِقْرارِ مِنَ الحِمَّصِ والحَوائِجِ الأُخْرى في القِدْرِ الَّتي تَغْلي وَجَرَيانِها لِلْخُروجِ خارِجاً

أُنْظُرْ إلى الحِمَّصَةِ في القِدْرِ كَيْفَ أنَّها، تَثِبُ إلى أعْلى مِنْ تَعَرُّضِها للنَّار؛
كُلَّ لَحْظَةٍ وَقْتَ الغَلَيانِ يَصْعَدُ الحِمَّصُ، إلى أعْلى القِدْرِ وَيُطْلِقُ مِئَةَ صَرْخَة؛
أنْ أيْ سَيِّدَةَ البَيْتِ لِمَ تُشْعِلينَ بِيَ النَّار، كَيْفَ اشْتَرَيْتِني وَكَيْفَ تَغْليني؛
وَتَمُدُّ سَيِّدَةُ البَيْتِ المَغْرَفَةَ أنْ لا، اِغْلِ جَيِّداً ولا تَفِرَّ مِنْ مُوْقِدِ النَّار؛
أنا لا أَقُومُ بِغَلْيِكَ لأنَّكَ مَكْرُوهٌ مِنّي، بَلْ لِتَحْصَلَ على طِيْبِ المَذاقِ والطَّعْم؛
حَتَّى تَصيرَ غِذاءً وَتُخالِطَ الرُّوْحَ، هذا الإمْتِحانُ لَكَ لَيْسَ مِنْ أجْلِ الإذلال؛
ساقي الماءِ في البُسْتانِ الأخْضَرِ النَّضير، مِنْ أجْلِ هذِهِ النَّارِ سَقاكَ الماء؛
رَحْمَتُهُ سابِقَةٌ على القَهْرِ مِنْ ذاك، لِكَيْ يَجْعَلَهُمْ مِنَ الرَّحْمَةِ أَهْلَ امْتِحان؛

رَحْمَتُهُ مِنْ ذاكَ صارَتْ سابِقَةً على القَهْرِ، حَتَّى يَجيءَ رَأْسُمالِ الوُجُودِ باليَد؛
ذلِكَ أَنَّ اللَّحْمَ والجِلْدَ لا يَنْمُوانِ بلا لَذَّةٍ، إذا لَمْ يَنْمُوَا ماذا يُذِيْبُ عِشْقُ الحَبيب؛
كَيْ تَقُومَ بالإيثارِ بِرَأْسِمالِكَ ذاك، إذا جاءَتْ أنواعُ القَهْرِ مِنْ ذلِكَ الاِسْتِدْعاء؛
وَعادَ اللُّطْفُ مِنْ جَديدٍ لأجْلِ عُذْرِه، أنْ قَدِ اغْتَسَلْتَ وَقَفَزْتَ خارِجَ الجَدْوَل؛
تَقُولُ أيْ حِمَّصُ اغْتَذَيْتَ في الرَّبيع، وَصارَ الأَلَمُ ضَيْفاً عَلَيْكَ أَحْسِنْ ضِيافَتَه؛
لِيَعُوْدَ الضَّيْفُ عَنْكَ وَهُوَ شاكِرٌ لَكَ، وَيَذْكُرَ أمامَ المَلِكِ ما كانَ مِنْ إيْثارِكَ لَه؛
حَتَّى يَجِيْئَكَ المُنْعِمُ عِوَضَ نِعْمَتِكَ بالنِّعَمْ، لَقَدْ حَمَلَ لَكَ الحَسَدُ جُمْلَةَ النِّعَم؛
أنا لَكَ الخَليلُ أَنْتَ الوَلَدُ على المَحَك، قَدِّمِ الرَّأْسَ *إِنِّي أراني أَذْبَحُك*؛
قَدِّمِ الرَّأْسَ أمامَ القَهْرِ قَريرَ قَلْبٍ، حَتَّى أَقُومَ بِقَطْعِ حَلْقِكَ كاِسْماعيل؛
أَقْطَعُ الرَّأْسَ لكِنَّ هذا الرَّأْسَ هُوَ الرَّأْسُ، الَّذي هُوَ بَرِيءٌ مِنَ القَطْعِ والمَوت؛
إِنَّ مَقْصُودَ الأزَلِ مِنْكَ هُوَ التَّسْليم، أيْ مُسْلِمُ لازِمٌ عَلَيْكَ طَلَبُ التَّسْليم؛
أَيُّها الحِمَّصُ اغْلِ في الاِبْتِلاء، حَتَّى لا يَعُوْدَ لِوُجُودِكَ ولا لِنَفْسِكَ بَقاء؛
إنْ كُنْتَ ضاحِكاً في ذلِكَ البُسْتان، فأنتَ وَرْدُ بُسْتانِ الرُّوحِ والنَّظَر؛
إذا انْفَصَلْتَ عَنْ بُسْتانِ الوَرْدِ والماء، صِرْتَ لُقْمَةً وَدَخَلْتَ في الأَحْياء؛
صِرْ غَذاءً وَقُوَّةً وَأَفْكارا، كُنْتَ نُسْغاً فَصِرْ أَسَدَ آجام؛
الأَوَّلُ اللهُ وَطَلَعْتَ مِنْ صِفاتِه، عُدْ قاصِداً مُسْرِعاً إلى صِفاتِه؛
جِئْتَ مِنَ الغَيْمِ والشَّمْسِ والفَلَك، فَصِرْتَ أَوْصافاً وَصَعَدْتَ على الفَلَك؛
جِئْتَ في صُوْرَةِ المَطَرِ والضِّياء، وَتَذْهَبُ في مُسْتَطابِ الصِّفات؛
جُزْءَ شَمْسٍ وغَيْمٍ وأَنْجُمٍ كُنْتَ، نَفَساً وَفِعْلاً وَقَوْلاً وَأَفْكاراً صِرْت؛
وُجُوْدُ الحَيَوانِ مِنْ مَوْتِ النَّبات، جاءَ صِدْقاً *اُقْتُلُوني يا ثِقات*؛
ما دامَ لَنا مِثْلُ هذا الرِّبْحِ بَعْدَ المَمات، جاءَ صِدْقاً *إِنَّ في قَتْلي حَياة*؛
صارَ الفِعْلُ والقَوْلُ والصِّدْقُ قُوْتَ المَلَك، فَصارَ لَهُ مِنْ هذا مِعْراجٌ لِلفَلَك؛

لَمَّا صارَ ذلِكَ الطَّعامُ قُوْتَ البَشَر، خَرَجَ عَنِ الجَمادِ وَصارَ ذا رُوْح؛
إنَّ لِهذا الحَديثِ تَرْجَمَةً واسِعَةً، سَوْفَ يَكُونُ لَها ذِكْرٌ في مقامٍ آخَر؛
القافِلَةُ دائماً تَصِلُ مِنَ الفَلَك، لِتَقُومَ بالتِّجارَةِ وَتَعُوْدَ مِنْ حَيْثُ أَتَتْ؛
فاذْهَبْ جَميلاً عَذْباً عَنِ اخْتيار، لا عَنْ مَرارَةٍ وَكَراهَةٍ كاللِّصّ؛
أنا أُحَدِّثُكَ مِنَ الحَديثِ المُرّ، حتَّى أَغْسِلَكَ غَسْلاً مِنَ المَرارات؛
العِنَبُ الجامِدُ تَخَلَّصَ مِنَ الماءِ البارِدِ، طَرَحَ خارِجاً البُرُوْدَةَ والجُمُود؛
أنتَ عِنْدَما يَمْتَلِئُ قَلْبُكَ دَماً مِنَ المَرارَة، كَمْ مِنْ مَراراتٍ تَطْرَحُ إلى الخارِج؛

تَمْثيلُ صَبْرِ المُؤمِنِ عِنْدَما يَصيرُ واقِفاً على سِرِّ وَخَيْرِ البلاء

لَيْسَ كَلْبَ صَيْدٍ كَلْبٌ بِلا طَوْق، لَيْسَ خاماً وَفَجّاً غَيْرَ مَنْ هُوَ بِلا ذَوْق؛
قالَ الحِمَّصُ مادامَ الأمْرُ هكذا أيْ سَيِّدَة، اغْليني جَيِّداً كُوني لي مُساعِدَة؛
أنْتِ بِهذا الغَلْيِ لي كأنَّكِ المِعْماريّ،اضْرِبيني بالمَغْرَفَةِ فَضَرْبُكِ زائِدُ الجَمال؛
أنا كالفِيْلِ سِميني على الرَّأْسِ واجْرَحيني، لِئلَّا أرى الحُلُمَ عَنِ الهِنْدِ والبُسْتان؛
حَتَّى أَتَخَلَّى عَنِ الوُجُودِ في الغَلَيان، حَتَّى أجِدَ الطَّريقَ إلى ذلِكَ الحِضْن؛
فإنَّ الإنسانَ في الغِنى يَصيرُ طاغِياً، مِثْلَ الفِيْلِ الحالِمِ يَصيرُ عاصِياً؛
الفِيْلُ عِنْدَما يَكُونُ حالِماً بِبِلادَ الهِنْد ، لا يَسْمَعُ كلامَ الفيَّالِ وَيصيرُ مُتَمَرِّداً؛

اعْتِذار السَّيِّدَة لِلْحِمَّص والحِكْمَةُ مِنْ جَعْلِ السَّيِّدَةِ الحِمَّصَ يَغْلي

تِلْكَ السَّيِّدَةُ قالَتْ لَهُ أنْ مِنْ قَبْلِ هذا، أنا كُنْتُ مِثْلَكَ مِنْ أجزاءِ الأرْض؛
شَرِبْتُ الشَّرابَ مِنْ جِهادِ النَّار، فَصِرْتُ مَقْبُولَةً بَعْدَ ذلِكَ وَصِرْتُ في الطَّعام؛
كُنْتُ أَغْلي لِمُدَّةٍ مِنَ الزَّمَن، وَمُدَّةً أُخْرى في قِدْرِ البَدَن؛
مِنْ هاتَيْنِ الغَلْيَتَيْنِ صارَ لي قُوى الحِسّ، صِرْتُ رُوحاً ثُمَّ صِرْتُ أُسْتاذَةً لَك؛

أَقُوْلُ لَكَ اعْبُرْ مِنْ كَوْنِكَ في الجَماد، لِتَصيرَ عِلْماً وَصِفاتٍ مَعْنَوِيَّةً؛
فإذا صِرْتَ رُوحاً فَقُمْ مَرَّةً أُخْرى، بالغَلَيانِ وَاعْبُرْ مِنَ الحَيَوانِيَّة؛
كُنْ طالِباً مِنَ اللهِ حَتَّى لا تَزِلَّ، مِنْ هذِهِ المَعارِفِ وَتَصِلَ إلى المُنْتَهى؛
إنَّ كَثيرينَ صارُوا ضالِّيْنَ مِنَ القُرْآن، مِنْ ذلِكَ الرَّسَنِ صارَ قَوْمي في البِئر؛
ما للرَّسَنِ مِنْ جُرْمٍ أي عَنُود ، إذا لَمْ تَقُمْ بِرَفْعِ الرَّأْسِ والصُّعُود؛

بقِيَّةُ قِصَّةِ ضَيْفِ ذلِكَ المَسْجِدِ القاتِلِ للضَّيْفِ وثَباتُهُ وَصِدْقُه

غَريبُ البِلادِ ذاكَ رَفَعَ الرَّأْسَ في الطَّلَب، قالَ سَأنامُ اللَّيْلَةَ في هذا المَسْجِد؛
أي مِسْجِدُ إذا صِرْتَ لي كَرْبلاء، صِرْتَ لي كَعْبَةَ حاجَتي المُتاحَة؛
هَيَّا عَلِّقْني عَلَيْكَ أيْ عُوْدِيَ المُخْتار، لأَلْعَبَ لُعْبَةَ الرَّسَنِ كمَنْصُورٍ الحَلَّاج؛
لا يَطْلُبُ الغَوْثَ مِنَ النَّارِ الخَليل، وَلَوْ صِرْتُم في النَّصيحَةِ جَبْرَئيل؛
جَبْرَئيلُ اذْهَبْ أنا اشْتَعَلْت، الاِحْتِراقُ كالعُوْدِ والعَنْبَر لِيْ خَيْر؛
جَبْرَئيلُ رَغْمَ أنَّكَ تَمُدُّ العَوْن، وأنَّكَ تُقَدِّمُ الحِمايَةَ مِثْلَ أخ؛
أنا مُسْرِعٌ إلى النَّارِ أيْ أخي، لَيْسَ أنا بَلْ رُوْحِيَ الَّتي صارَتْ تَنْقُصُ وَتَزيد؛
الرُّوحُ الحَيَوانِيُّ زادَ مِنَ العَلَف، صارَ كالحَطَبِ عُرْضَةَ النَّارِ والتَّلَف؛
إذا لَمْ تَصِرْ حَطَباً لَها كُنْتَ مُثْمِراً، وَكُنْتَ إلى الأَبَدِ مَعْمُوراً وَكُنْتَ عامِراً؛
هذِهِ النَّارُ اعرِفْها ريحاً حارِقَة، ضِياءُ النَّارِ لَيْسَ عَيْنَ تِلْكَ النَّار؛
عَيْنُ النَّارِ يَقيناً في الأثير، وَضِياؤها وَظِلُّها في الأرْض؛
لا جَرَمَ الضِّياءُ لا يَكِفُّ عَنِ الاِضْطِراب، وَيَعُوْدُ راجِعاً مُسْرِعاً إلى مَعْدَنِه؛
قامَتُكَ جاءَتْ مُسْتَقِرَّةً على قِياسِك، ظِلُّكَ يَكُونُ حِيْناً قَصيراً وَحِيناً طَويلاً؛
في الضِّياءِ ما وَجَدَ شَخْصٌ الثَّبات، فالصُّوَرُ راجِعَةٌ إلى الأُمَّهات؛
أغْلِقِ الفَمَ انْفَتَحَتْ فِتْنَةُ الشَّفَة ، اِخْلَصَنْ *واللهُ أَعْلَمُ بالسَّداد*؛

ذِكْرُ التَّفْكيرِ بِخَيالِ السُّوءِ مِنْ قِبَلِ قاصِرِي الفَهْم

مِنْ قَبْلِ أَنْ تَصِلَ هذِهِ القِصَّةُ إلى المَخْلَص، جاءَ مِنْ أَهْلِ الحَسَدِ دُخانٌ مُنْتِن؛

وَلَسْتُ آلَمُ مِنْ هذا لَكِنَّ هذِهِ الرَّفْسَةَ، تُؤَثِّرُ في خاطِرِ ساذَجِ القَلْبِ وَتَقْطَعُه؛

جاءَ بِبَيانِ ذاكَ حَسَناً الحَكيمُ الغَزْنَوِيّ، بِشَأْنِ المَحْجُوبينَ بالمِثالِ المَعْنَوي؛

أَنَّهُمْ لَمْ يَرَوا مِنَ القُرْآنِ غَيْرَ القال، هذا لَيْسَ عَجَباً مِنْ أَصْحابِ الضَّلال؛

فَمِنْ شُعاعِ الشَّمْسِ المَليءِ بالنُّور، لا تَجِدُ غَيْرَ الحَرارَةِ العُيُونُ العُور؛

إوَزَّةٌ أَخْرَجَتْ رَأْسَها فَجْأَةً، مِنْ اِصْطَبْلِ الحَميرِ كالطَّعّانَة؛

أَنْ هذا الحَديثُ وَضِيْعٌ يَعْني المَثْنَوِيّ، إنَّهُ قِصَّةُ النَّبِيِّ وهُوَ تَقْلِيْدِيّ؛

لَيْسَ ذِكْرَ بَحْثٍ وأَسْرارٍ عالِيات، لِيَجْرِيَ الأَوْلِياءُ إلى تِلْكَ الجِهَةِ كالصَّافِنات؛

مِنْ *تَبَتُّلَ* إلى *الفَناءِ* في المَقامات، دَرَجَةً دَرَجَةً نَحْوَ اللهِ حَتَّى المُلاقاة؛

لَيْسَ فِيْهِ شَرْحُ وَحَدُّ كُلِّ مَقامٍ وَمَنْزِلٍ، لِيُرَفْرِفَ صاحِبُ القَلْبِ بالجَناحِ مِنْه؛

مِثْلَما قامَ أولئكَ الكافِرُونَ المُنْكِرُون، عِنْدَما جاءَ كِتابُ اللهِ بالطَّعَنِ فِيْه؛

أَنْ هُوَ أساطِيْرُ وَخُرافاتُ الغابِرين، لَيْسَ فِيْهِ تَعَمُّقُ وَتَحْقِيْقُ العالِين؛

حتَّى صِغارُ الأَطْفالِ يَفْهَمُونَه، لَيْسَ فِيْهِ غَيْرُ الأَمْرِ وَالنَّهْي؛

ذِكْرُ يُوسُفَ وَجِعادِ جَديلَتِهِ، ذِكْرُ يَعْقُوبَ وَزَلِيخا وَغَمِّهِما؛

إنَّهُ ظاهِرٌ وَكُلُّ شَخْصٍ لَهُ إلَيْه طَريق، أَيْنَ مِنْهُ البيانُ الَّذي يَضيعُ فيهِ العَقْل؛

قالَ إذا كانَ قَدْ بَدا لَكَ سَهْلاً، قُلْ سُوْرَةً واحِدَةً مِثْلَ هذا السَّهْل؛

قُولوا لِجِنِّكُمْ وَإِنْسِكُمْ وَأَهْلِ فَنِّكُم، آتُوا بِآيَةٍ واحِدَةٍ مِنْ مِثْلِ هذا السَّهْل؛

تَفْسيرُ هذا الخَبَرِ مِنَ المُصْطَفى عَلَيْهِ الصَّلوةُ والسَّلامُ أنْ لِلْقُرآنِ ظَهْرٌ وَبَطْنٌ وَلِبَطْنِهِ بَطْنٌ إلى سَبْعَةِ أَبْطُنٍ

حَرْفُ القُرْآنِ اعْلَمْ أَنَّهُ ظاهِرٌ، تَحْتَ الظَّاهِرِ باطِنٌ كَمْ هُوَ قاهِر؛
تَحْتَ ذاكَ الباطِنِ بَطْنٌ ثالِثٌ، فيهِ تَصيرُ العُقُوْلُ جُمْلَةً تائِهَة؛
البَطْنَ الرَّابِعَ لَمْ يَرَ شَخْصٌ مِنَ النَّبِيّ، إلّا اللهُ بلا نَظيرٍ ولا نَديد؛
أيْ وَلَدُ لا تَنْظُرْ مِنَ القُرآنِ للظَّاهِرِ، الشَّيْطانُ ما رَأَى مِنْ آدَمَ غَيْرَ الطِّيْن؛
ظاهِرُ القُرْآنِ مِثْلَ الشَّخْصِ الآدَمِيّ، نُقُوشُهُ ظاهِرَةٌ وَرُوْحُهُ خَفِيّ؛
يكُونُ للرَّجُلِ عَمٌّ وَخالٌ لِمِئَةِ سَنَةٍ ، ولا يَرَيانِ مِنْ حالِهِ مِقْدارَ طَرَفِ شَعْرَةٍ؛

بَيَانُ أَنَّ ذَهابَ الأنبياءِ والأولياءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ في الجِبالِ والغِيْرانِ لَمْ يَكُنْ لِجِهَةِ إخْفاءِ أَنْفُسِهِمْ ولا لِجِهَةِ خَوْفِ الخَلْقِ وَتَشْويشِهِم بَلْ لِجِهَةِ الإرْشادِ لِلخَلْقِ وتَحْريضِهِمْ عَلى الإنْقِطاعِ عَنِ الدُّنيا بالقَدْرِ المُمْكِن

قالَ قائِلُونَ أَنَّ الأَوْلياءَ صارُوا لِلجِبال، لِيَصيروا مُخْتَفينَ عَنْ عُيُونِ الخَلْق؛
إنَّهُمْ أمامَ الخَلْقِ أعْلى مِنْ مِئَةِ جَبَلٍ، إنَّهُمْ على الفَلَكِ السَّابِعِ يَضَعُونَ القَدَم؛
إذَنْ لِمَ صارَ مُخْتَفِياً وَقَدْ كانَ مَطْلُوباً، وَدُوْنَهُ مِئَةُ بَحْرٍ وَجَبَلٍ مِنْ تِلْكَ الجِهَة؛
حاجَتُهُ لَمْ تَكُنْ بالفِرارِ إلى جِهَةِ الجَبَل، وَفي إثْرِهِ كُرَةُ الفَلَكِ أَبْلَتْ مِئَةَ نَعْل؛
لَقَدْ دارَ الفَلَكُ وَلَمْ يَرَ غُبارَ الحَبيب، وَلَبِسَتِ السَّماءُ لِباسَ العَزاء؛
إذا كانَ ذلِكَ الجِنِّيُّ مُخْتَفِياً في الظَّاهِر، فإنَّ الآدَمِيَّ أَكْثَرُ خَفاءً مِنَ الجِنّ؛
مِنْ ذلِكَ الجِنِّيِّ الَّذي كانَ مُضْمَراً عِنْدَ العاقِل، الآدَمِيُّ أكْثَرُ خَفاءً مِئَةَ مَرَّةٍ؛
إذا كانَ الآدَمِيُّ عِنْدَ العاقِلِ خَفِيًّا ، فَما بالُكَ بِآدَمَ الَّذي كانَ في الغَيْبِ صَفِيًّا؛

تَشْبيهُ الأَوْلِياءِ وَكلامِ الأولياءِ بِصُوْرَةِ عَصا مُوسى
وَصُوْرَةِ رُقْيَةِ عِيسى عَلَيْهِما السَّلام

الآدَمِيُّ مِثْلَ عَصا مُوسى، الآدَمِيُّ مِثْلَ رُقى عِيسى؛
قَلْبُ المُؤْمِنِ بَيْنَ إِصْبَعَيْن، مِنْ كَفِّ الحَقِّ للعَطاءِ والزَّيْن؛
ظاهِرُهُ عُوْدٌ لَكِنْ أمامَهُ الكَوْنُ، إذا ما فَتَحَ الحَلْقَ لُقْمَةٌ واحِدَة؛
لا تَنْظُرْ مِنْ رُقى عِيسى للحَرْفِ والصَّوْت، أُنْظُرْ لِذاكَ الَّذي فَرَّ مِنْهُ المَوْت؛
لا تَرَ مِنْ رُقاهُ تِلْكَ اللَّهَجاتِ الوَضِيْعَة، لِتَرَ ذاكَ الَّذي قامَ مِنْهُ المَيْتُ وَجَلَس؛
لا تَرَ السَّهْلَ مِنْ أَمْرِ تِلْكَ العَصا، وَلْتَرَ مِنْها ذلِكَ الَّذي شَقَّ البَحْر؛
أَنْتَ مِنْ بَعيدٍ رَأَيْتَ خَيْمَةً سَوْداء، تَقَدَّمْ لِلأمامِ قَدَماً وانْظُرِ الجَيْش؛
أنتَ مِنْ بَعيدٍ لَمْ تَرَ غَيْرَ الغُبار، تَقَدَّمْ قَليلاً وانْظُرِ الرَّجُلَ في الغُبار؛
غُبارُهُ أَضاءَ العُيُون، رُجُولَتُهُ اقْتَلَعَتِ الجِبال؛
حِيْنَ جاءَ مُوسى مِنْ أَقْصى المَفازَة ، جاءَ رَقْصاً جَبَلُ الطُّوْرِ مِنْ مَقْدَمِه؛

تَفْسيرُ يا جِبالُ أَوِّبي مَعَهُ والطَّيْر

وَجْهُ داؤودَ كانَ مُضيئاً مِنَ الفَرْش، الجِبالُ صارَتْ على خُطاهُ في أنين؛
الجَبَلُ صارَ رَفيقَ سَيْرِ داؤود، كِلا المُطْرِبَيْنِ مِنْ عِشْقِ المَلِكِ في سُكْر؛
يا جِبالُ أَوِّبي جاءَتْ أَمْراً، صارَ الإِثْنانِ على لَحْنٍ واحِدٍ وَعَزْفٍ واحِد؛
قالَ يا داؤودُ أَنْتَ رَأَيْتَ الهِجْرَة، انْقَطَعْتَ مِنْ أَجْلي عَنِ الرِّفْقَة؛
أَيْ غَريباً وَحيداً صِرْتَ بلا مُؤنِسٍ، واشْتَعَلَتْ نارُ الشَّوْقِ مِنْ قَلْبِك؛
طَلَبْتَ المُطْرِبَ والقَوّالَ والنَّديم، فَجاءَكَ بالجِبالِ ذاكَ القَديم؛
مِنْ مُطْرِبٍ وَقَوّالٍ وَعازِف، مُرَجِّعٍ بالأَصْواتِ مُرَدِّدٍ مَعَك؛

اِعْلَمْ وقَدْ أُتيْحَ لِلْجِبَال صَوْتُ الأنين، أنَّ لِلْوَلِيّ أصْواتَ أنينٍ بلا شَفَاهٍ وَأَسْنان؛
نَغْمَةُ أجْزاءِ ذلِكَ الصَّافي الجَسَد، تَصِلُ في كُلِّ لَحْظَةٍ إلى أُذُنِ حِسِّه؛
الجُلَساءُ لَمْ يَسْمَعُوا وَهُوَ قَدْ سَمِع، أيْ ما أسْعَدَ الرُّوحَ الَّتي تُؤْمِنُ بِغَيْبِه؛
نَظَرَ في نَفْسِهِ إلى مِئَةِ قِيْلٍ وَقال، وَلَمْ يَجِدْ جَليسُهُ مِنْ ذاكَ أيَّ عَبير؛
مِئَةُ سُؤالٍ وَمِئَةُ جَوابٍ في قَلْبِك، تَصِلُ مِنَ اللّامكانَ إلى مَنْزِلِك؛
سَمِعْتَ ذاكَ الَّذي لَمْ تَسْمَعِ الآذانُ، شَيئاً مِنْهُ وَقَدْ كانَتْ إلى جِوارِك؛
وافْرِضْ أيُّها الأَصَمُّ أنَّكَ ما سَمِعَتَ ذاك، ما دُمْتَ رَأَيْتَ مِثالَهُ كَيْفَ لا تُؤْمِن؛

جَوابُ الطَّاعِنِ في المَثْنَوي مِنْ قُصُورِ فَهْمِ نَفْسِه

أيُّها الكَلْبُ الطَّاعِنُ أَنْتَ تَقُومُ بالعُواء، كُنْ مَطْروداً أَنْتَ تَقُومُ بالطَّعْنِ بالقُرآن؛
هذا لَيْسَ ذاكَ الأَسَدَ الَّذي تَأْخُذُ مِنْهُ الحَياة، أو تَأْخُذُ مِنْ قَبْضَةِ قَهْرِهِ الإيمان؛
إلى القِيامَةِ القُرْآنُ يُنادي، أيْ فِئَةً صارَتْ ضَحِيَّةً لِلْجَهْل؛
أَنْتُمْ إذْ تَظُنُّونَني مِنَ الأساطير، تَزْرَعُونَ بِذْرَةَ الكُفْرِ والطَّعْن؛
أَنْتَ كُنْتَ فانِياً وَكُنْتَ مِنَ الأساطير، وَقْتَ كُنْتَ تَطْعَنُ كُنْتَ تَنْظُرُ للنَّفْس؛
أنا كلامُ الحَقِّ وَقائِمٌ بالذَّات، قُوْتُ رُوْحِ الرُّوْحِ وَياقُوْتُ الزَّكاة؛
أنا نُوْرُ الشَّمْسِ الَّذي وَقَعَ عَلَيْكُمْ، مِنْ دُوْنِ أنْ يَصيْرَ مُنْفَصِلاً عَنِ الشَّمْس؛
أنا يَنْبُوْعُ ذاكَ الماءِ لِلحَياة، مُخَلِّصٌ لِلعاشِقينَ مِنَ المَمات؛
لَوْ لَمْ تَجْعَلُوا حِرْصَكُمْ هكذا آجِناً، لَصَبَّ اللهُ جُرْعَةً مِنْهُ على قُبُورِكُمْ؛
قُلْ سآخُذُ بِنُصْحِ وَقَوْلِ ذاكَ الحَكيم، لَنْ أصِيْرَ مِنْ كُلِّ طَعْنٍ بِقَلْبٍ سَقيم؛

ضَرْبُ المَثَلِ مِنْ جُفُولِ المُهْرَةِ مِنْ
شُرْبِ الماءِ بِسَبَبِ نَعْرِ السَّائِسين

ذاكَ الَّذي قامَ بِتَقْريرِهِ في الخِطاب، هُوَ أنَّ مُهْرَةً وَأُمَّها كانَتا تَشْرَبانِ الماء؛
كانَ أولئِكَ النَّفَرُ يُصْدِرُونَ الأصْواتِ،كُلَّ لَحْظَةٍ لِلْفَرَسَيْنِ أنْ هَيَّا اشْرَبا الماء؛
وإِذْ كانَتْ تِلْكَ الأصْواتُ تَصِلُ المُهْرَةَ، كانَتْ تَرْفَعُ الرَّأْسَ وَتَنْفِرُ مِنَ الشُّرْب؛
فَسَأَلَتْها الأُمُّ أنْ أَيْ مُهْرَةُ لِماذا، تَنْفِرينَ كُلَّ ساعَةٍ مِنْ هذا الإسْتِقاء؛
قالَتِ المُهْرَةُ هؤلاءِ يُصْدِرُونَ أصْواتاً، فَيُلِمُّ بي مِنْ اتِّفاقِ أَصْواتِهِمُ الخَوْف؛
فَيَرْتَجِفُ قَلْبي وَيَخْرُجُ مِنَ المَكان، وَيَصِلُني مِنْ اتِّفاقِ نَعَراتِهِمْ الخَوْف؛
قالَتِ الأُمُّ مُذْ كانَتِ الدُّنيا، كانَ المُرابُونَ في الأَعْمالِ مَوْجُودينَ في الأرْض؛
هَيَّا كُوني بِشُغْلِ النَّفْسِ أَيْ نَجيبَةُ، فإِنَّهُمْ سَريعاً سَوْفَ يَقْتَلِعُونَ اللِّحى؛
الوَقْتُ ضَيِّقٌ والماءُ يَجْري في النَّهْر، قَبْلَ أنْ تَصيري مُقَطَّعَةً مِنَ الهَجْر؛
مِنْ مَجْرى الماءِ المَمْلُوءِ بِماءِ الحَياة، اِشْرَبِي الماءَ لِيَنْمُوَ مِنْكِ النَّبات؛
ماءَ الخِضْرِ مِنْ جَدْوَلِ نُطْقِ الأوْلياء، نَحْنُ نَشْرَبُ أيُّها الظَّامِئُ الغافِلُ تَعال؛
إن كُنْتَ لا تَرى الماءَ مِنْ عَمىً جِئْ بِفَنّ، اِحْمِلْ جَرَّةً وَضَعْها في الجَدْوَل؛
بِما أنَّكَ سَمِعْتَ أنَّ في الجَدْوَلِ ماءً، يَجِبُ على الأَعْمى التَّقْليدُ والقِيامُ بالعَمَل؛
ضَعْ قِرْبَةَ ماءِ الفِكْرِ مِنْكَ في الجَدْوَلِ، حَتَّى إذا رَأَيْتَ قِرْبَتَكَ صارَتْ ثَقيلَةً؛
إذا رَأَيْتَها صارَتْ ثَقِيْلَةً كُنْتَ مُسْتَدِلاًّ، القَلْبُ آنَذاكَ تَخَلَّصَ مِنَ التَّقْليدِ الجافِّ؛
الأَعْمى وإنْ لَمْ يَرَ ماءَ الجَدْوَلِ عِياناً، عَلِمَ بِهِ حِيْنَ رأى الجَرَّةَ صارَتْ ثَقِيْلَةً؛
فَقَدْ دَخَلَ ماءٌ مِنَ الجَدْوَلِ إلى الجَرَّة، كانَتْ خَفيفَةً وَصارَتْ ثَقيْلَةً مِنَ الماء؛
مِنْ ذلِكَ لَمْ تَعُدْ تَخْطَفُني كُلُّ ريح، لَمْ تَعُدْ تَخْطَفُني الرِّيْحُ صارَ زائِداً ثِقْلي؛
السُّفَهاءُ اخْتَطَفَهُمْ كُلُّ هَوى، لَمَّا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ الثِّقْلُ في القُوى؛

رَجُلُ الشَّرِّ جاءَ سَفينَةً بِلا مَرْساة، هُوَ مِنَ الرِّيْحِ المائِلَةِ لا يَجِدُ الحَذَر؛
المَرْساةُ العَقْلُ إنَّهُ لِلْعاقِلِ أَمان، فَقُمْ باسْتِجْداءِ المَرْساةِ مِنَ العاقِلين؛
هُوَ اخْتَطَفَ العَقْلَ كَأَنَّهُ دُرُّ الوُجُود، مِنْ خَزينَةِ دُرِّ ذلِكَ البَحْرِ للجُود؛
يَمْتَلِئُ القَلْبُ بالفَنّ مِنْ هكذا إمْدادٍ، يَثِبُ مِنَ القَلْبِ وَتُضيءُ مِنْهُ أيضاً العَيْن؛
ذَلِكَ أنَّ النُّوْرَ مِنَ القَلْبِ يَصِلُ العَيْن، فإذا ذَهَبَ القَلْبُ صارَتْ عيْنُكَ عاطِلَة؛
القَلْبُ إذا وَجَدَ أَيْضاً الأنْوارَ العَقْلِيَّةَ، يُعْطي مِنْ ذلِكَ نَصيباً إلى العَيْنَيْنِ أَيْضاً؛
فاعْلَمْ إذَنْ أنَّ الماءَ المُبارَكَ مِنَ السَّماء، إنَّما هُوَ وَحْيُ القُلُوبِ وَصِدْقُ البَيان؛
نَحْنُ شَرِبْنا ماءَ الجَدْوَل كتِلْكَ المُهْرَة، ولم نَنْظُرُ جِهَةَ ذلِكَ الوَسْواسِ الطَّاعِن؛
سِرْ في الطَّرِيقِ تابِعاً للأنبياء، عُدَّ طَعْنَ الخَلْقِ كُلَّهُ كالهَواء؛
أولئكَ الإلهِيُّونَ الَّذينَ قامُوا بِطَيِّ الطَّريق ، مَتى أَعْطَوا الآذانَ لِعُواءِ الكِلاب؛

بَقِيَّةُ ذِكْرِ ذلِكَ الضَّيْفِ على المَسْجِدِ قاتِلِ الضَّيْف

أعِدْ حَدِيْثَ ذلِكَ الرَّجُلِ الشُّجاعِ الطَّاهِرِ، ما رأى في ذلِكَ المِسْجِدِ وَما فَعَل؛
نامَ في ذلِكَ المَسْجِدِ وَأَيْنَ لَهُ النَّوم، كَيْفَ ينامُ رَجُلٌ صارَ غَريقاً في النَّهْر؛
هكذا كانَ النَّوْمُ للطُّيُورِ والأسْماكِ، العاشِقُونَ مَغْمُومُونَ تَحْتَ لُجَجِ الماء؛
وَسَطَ اللَّيْلِ جاءَ صَوْتٌ مَهُولٌ شَديد، أنْ أنا آتٍ آتٍ إلى رَأْسِكَ أيْ مُسْتَفيد؛
خَمْسَ مَرَّاتٍ يَصِلُ هَذا الصَّوْتُ الشَّديدُ، والقَلْبُ مِنْهُ كانَ يَصيرُ مُقَطَّعاً قِطَعاً؛

تَفْسيرُ آيَةِ *وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ*

أَنْتَ إذْ تَعْزِمُ عَزْمَ الدِّيْنِ باجْتِهاد، يَصْرُخُ بِكَ الشَّيْطانُ في الدَّاخِلِ الصُّراخ؛
أنْ لا تَذْهَبْ مِنْ تِلْكَ الجِهَةِ فَكِّرْ أيْ غَوِيّ، لِئَلَّا تَصيرَ أسيرَ الأَلَمِ والمَسْكَنَة؛
صِرْتَ عاجِزاً مَقْطُوعاً مِنَ الأَصْدِقاء، صِرْتَ مَهِيناً وَصِرْتَ تَتَجَرَّعُ النَّدامَة؛

وَأنْتَ مِنْ خَوْفِ ذلِكَ الشَّيْطانِ اللَّعين، تَفِرُّ إلى الضَّلالَةِ مِنَ اليَقين؛

أنْ دَعْكَ مِنْ هذا عِنْدَكَ غَدٌ وَبَعْدَ غَدٍ، سَوْفَ أَجِدُ طَريقَ الدِّيْنِ فالمُهْلَةُ أمامَنا؛

وَتَرى المَوتَ ثانِيَةً فَهُوَ عَنِ اليَمينِ واليَسار، إلى نِداءِ النُّشُورِ يَسْحَبُ الجَار؛

وَتَعْزِمُ عَزْمَ الدِّيْنِ مِنْ خَوْفِ الرُّوح، وَتَجْعَلُ مِنَ النَّفْسِ رَجُلاً لَحْظَةً واحِدَة؛

وَتَتَحَزَّمُ بالسِّلاحِ مِنَ العِلْمِ والحِكَم، أنْ أنا مِنَ الخَوْفِ لَنْ أرْجِعَ بالقَدَمْ؛

وَيُنادِيْكَ مِنْ جَديدٍ مِنَ المَكْر، أنْ خَفْ وارْجِعْ عَنْ سَيْفِ الفَقْر؛

وَتَهْرَبُ مِنْ طَريقِ الضِّياءِ مَرَّةً أُخْرى، وَتُلْقي بِذلِكَ السِّلاحِ مِنَ العِلْمِ والفَنّ؛

وَتَظَلُّ سِنينَ في العُبُوْدِيَّةِ لَهُ على النِّداء، وَتَرْمي باللُّبَّادِ في هكذا ظُلْمَة؛

هَيْبَةُ صَوْتِ الشَّياطينِ عِنْدَ الخَلْق، قَيَّدَتْهُمْ بالقُيُودِ وَأَمْسَكَتْ بِهِمْ بِالحَلْق؛

صارَتْ أرْواحُهُمْ يائِسَةً مِنَ النُّوْر، كما يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ أَصْحابِ القُبُور؛

إذا كانَ هكذا خَوْفُ صَوْتِ ذاكَ المَلْعُون، هَيْبَةُ صَوْتِ اللهِ كَيْفَ تَكُون؛

الخَوْفُ مِنَ البازِ كانَ لِلْحَجَلِ النَّجيب، ما للذُّبابَةِ مِنْ تِلْكَ الهَيْبَةِ مِنْ نَصيب؛

ذلِكَ لأَنَّهُ ما مِنْ بازٍ كانَ صَيَّادَ ذُباب، العَناكِبُ فَقَطْ هِيَ الَّتي تَصيدُ الذُباب؛

عَنْكَبُوتُ الشَّيْطانِ مُكِرٌّ مُفِرٌّ على الذُّباب، مِنْ أمْثالِكَ لا على الحَجَلِ والعُقاب؛

نِداءُ الشَّيْطانِ راعي الأَشْقِياء، نِداءُ السُّلْطانِ حارِسُ الأَوْلِياء؛

حَتَّى لا تَخْلِطَ ما بَيْنَ هذَيْنِ النِّداءِيْن، شَتانَ بَيْنَ قَطْرَتَي البَحْرِ العَذْبِ والمالِح؛

وَصُوْلُ صَوْتٍ طَلْسَمِيٍّ إلى ضَيْفِ المَسْجِدِ مُنْتَصَفَ اللَّيْل

اِسْمَعِ الآنَ قِصَّةَ ذاكَ الصَّوْتِ القَوِيّ، الَّذي ما اهْتَزَّ مِنْهُ ذاكَ الحَسَنُ البَخْت؛

قالَ كَيْفَ أخافُ وَهذا طَبْلُ عِيْد، الطَّبْلُ هُوَ مَنْ يَخافُ فالضَّرْبُ يَصِلُ إِلَيْه؛

أَيْ طُبُولاً فارِغَةً بِلا قَلْب، قِسْمَتُكُمْ مِنْ عِيْدِ الرُّوْحِ الضَّرْب؛

القِيامَةُ عِيْدٌ وغَيْرُ أولي الدِّيْنِ طَبْل، وَنَحْنُ مِثْلَ أَهْلِ العِيْدِ ضاحِكُونَ كالوَرد؛

اعْلَمِ الآنَ أنَّ الطَّبْلَ لَمَّا أَصْدَرَ الصَّوت، كانَ الطَّبْخُ يَتِمُّ في قِدْرِ دَوْلَةِ البَخْت؛
لَمَّا سَمِعَ ذلِكَ الطَّبْلَ ذاكَ الرَّجُلُ السَّديد، قالَ كَيْفَ يَخافُ قَلْبي مِنْ طَبْلِ عِيْد؛
قالَ لِلنَّفْسِ لا يَرْتَعِدْ قَلْبُكَ فَمِنَ الرَّعْدَةِ، ماتَتْ أرواحُ فاسِدي القُلُوْبِ بلا يَقين؛
جاءَ ذلِكَ الوَقْتُ الَّذي أَكُوْنُ بِهِ مِثْلَ حَيْدَر، أَحْصَلُ على المُلْكِ أَوْ أَتْرُكُ البَدَن؛
وَثَبَ واقِفاً وَقالَ إنْ كُنْتَ رَجُلاً، هاأنَذا حاضِرٌ تَعال أيْ بَطَلاً؛
في الحالِ انْكَسَرَ صَوْتُ ذاكَ الطِّلَسم، وَتَساقَطَ الذَّهَبُ قِسْماً قِسْماً لِكُلِّ جِهَة؛
سَقَطَ ذَهَبٌ كَثيرٌ حَتَّى أنَّ ذلِكَ الفَتى، خافَ مِنْ أنْ يَسُدَّ الذَّهَبُ الطَّرِيْقَ للباب؛
بَعْدَ ذلِكَ نَهَضَ ذاكَ الرَّجُلُ العَتيد، وَظَلَّ إلى وَقْتِ السَّحَرِ يَسْحَبُ الذَّهَب؛
كانَ يَدْفِنُ الذَّهَبَ ثُمَّ يَعُودُ مِنْ جِديدٍ، بالكِيْسِ والخَرْجِ مِنَ الذَّهَبِ مَرَّةً أُخْرى؛
ذاكَ المُقامِرُ بالرُّوحِ كَنَزَ الكُنُوزَ، مِنْ عَمى وَخَوْفِ المُتَقَهْقِرِينَ المُتَساقِطين؛
هذا الذَّهَبُ الظَّاهِرُ خَطَرَ في الخاطِرِ، مِنْ كُلِّ أَعْمىً مُبْعَدٍ عابِدٍ للذَّهَب؛
الأطْفالُ كَسَروا أوْعِيَةَ الخَزَف، وَسَمُّوا القِطَعَ ذَهَباً وَوَضَعُوها في الجُيُوب؛
عِنْدَما تَذْكُرُ اسْمَ الذَّهَبِ في ذلِكَ اللَّعِب، يَجِيءُ ذاكَ الخَزَفُ في خاطِرِ الطِّفْل؛
بَلِ الذَّهَبُ المَسْكُوكُ بالسَّكِّ الإلهِيّ، الَّذي لا كَسادَ لَهُ الأَبَدِيُّ السَّرْمَدِيّ؛
ذَهَبٌ وَجَدَ مِنْهُ هذا الذَّهَبُ البَريق، وَوَجَدَ مِنْهُ الجَوْهَرُ اللَّمَعانَ والرَّوْنَق؛
ذاكَ ذَهَبٌ يَجِدُ مِنْهُ القَلْبُ الغِنى، ذاكَ كانَ غالِباً على القَمَرِ في السَّنا؛
كانَ ذاكَ المَسْجِدُ شَمْعَةً وَهُوْ فَراشَة، قامَرَ بالنَّفْسِ ذاكَ الَّذي لَهُ طَبْعُ الفَراشَة؛
أَحْرَقَ الجَناحَ رَماهُ وَعادَ فَبَناه، كَمْ جاءَ مُبارَكاً ذاكَ الرَّمْيُ مِنْه؛
لَقَدْ كانَ ذاكَ المَسْعُودُ البَخْتِ كَموسى، إذْ رأى ناراً مِنْ جِهَةِ تِلْكَ الشَّجَرَة؛
بِما أَنَّ اللُّطْفَ فَيْهِ كانَ مَوْفُوْرَا، ظَنَّها ناراً وَقَدْ كانَتْ نُوْرا؛
عِنْدَما رَأَيْتَ رَجُلَ الحَقِّ أيْ وَلَد، ظَنَنْتَ أنَّهُ كانَتْ لَهُ نارَ البَشَر؛
أنْتَ تَأْتي مِنْ نَفْسِكَ فَذاكَ فِيْك، النَّارُ والشَّوْكُ ظَنٌّ باطِلٌ هذِهِ الجِهَة؛

كانَ شَجَرَةَ مُوسى وَمُمْتَلِئاً بالضِّياء، سَمِّها نُوراً لا تُسَمِّها ناراً وَأَقْبِلْ مَرَّةً؛
أَلَيْسَ الفِطامُ عَنْ هذِهِ الدُّنيا يُظْهِرُ نارَاً، وَقَدْ ذَهَبَ السَّالِكُونَ وَكانَ ذلِكَ نُوراً؛
إذَنْ فاعْلَمْ أَنَّ شَمْعَةَ الدِّيْنِ في عُلُوّ، إنَّها لَمْ تَكُنْ مِثْلَ شَمْعَةِ النِّيْران؛
هذِهِ أَظْهَرَتِ النُّوْرَ وَأَحْرَقَتِ المُحِبّ، وَتِلْكَ نارٌ بالصُّوْرَةِ وَوَرْدٌ للزُّوَّار؛
هذِهِ تَبْدُو لائِقَةً لكِنَّها مُحْرِقَةٌ، وَتِلْكَ مَكانُ وَصْلِكَ وَمُضِيْئَةٌ قَلْبِك؛
شَكْلُ شُعْلَةِ النُّوْرِ الطَّاهِرِ المُتَّسِق ، للحاضِرِيْنَ نُوْرٌ وَلِلْمُبْعَدِيْنَ كالنَّار؛

مُلاقاةُ ذاكَ العاشِقِ لِصَدْرِ العالَم

ذاكَ البُخارِيُّ أَيْضاً رَمى نَفْسَهُ للشَّمْع، صارَتْ كَبِدُهُ مِنْ عِشْقِهِ سَهْلَةً عَلَيْه؛
آهُ احْتِراقِهِ صارَتْ إلى جِهَةِ الفَلَك، جاءَتِ الرَّحْمَةُ إلى قَلْبِ صَدْرِ العالَم؛
قالَ في حَديثٍ إلى النَّفْسِ وَقْتَ السَّحَر، كَيْفَ هُوَ حالُ مُشَرَّدِنا ذاكَ أيْ أَحَد؛
لَقَدْ عَمِلَ ذَنْباً وَنَحْنُ رَأَيْناهُ لكِنْ، هُوَ لَمْ يَكُنْ عالِماً بِرَحْمَتِنا جَيِّداً؛
خاطِرُ المُجْرِمِ كانَ خائفاً مِنَّا، وكانَتْ مِئاتُ الآمالِ في خَوْفِهِ ذاك؛
أنا أُخيفُ كُلَّ وَقِحٍ بلا أَدَبٍ، ذاكَ الَّذي يَخافُني كَيْفَ لي أنْ أُخِيْفَه؛
تَذْهَبُ النَّارُ إلى القِدْرِ البارِدَة، لا إلى قِدْرٍ تَغْلي إلى الحافَّة؛
إنِّي أَخَفْتُ الآمِنينَ بالعِلْم، وَرَفَعْتُ الخَوْفَ عَنِ الخائِفينَ بالحِلْم؛
إنِّيْ أخيطُ الرِّقاعَ كُلَّ رِقْعَةٍ بالمَوْضَع، أُعْطي كُلَّ شَخْصٍ الشُّرْبَةَ المُلائِمَة؛
إنَّ سِرَّ الرَّجُلِ مِثْلَ جَذْرِ شَجَرَةٍ، تَنْمُو مِنْهُ الأوراقُ مِنْ خَشَبٍ قاسٍ؛
تَنْمُو الأَوْراقُ مُوافِقَةً لِذلِكَ الجَذْر، في الأَشْجارِ وفي النُّفُوْسِ وَفي النُّهى؛
على الفَلَكِ الثِّمارُ مِنْ أَشْجارِ الوَفاء، *أَصْلُها ثابِتٌ وَفَرْعُها في السَّماء*؛
ما دامَ ثَمَرُ العِشْقِ نَما على السَّماء، كَيْفَ لا يَنْمُو في قَلْبِ صَدْرِ العالَم؛
المَوْجُ يَقْذِفُ في قَلْبِهِ العَفْوَ عَنِ الذَّنْب، النَّافِذَةُ مَفْتُوحَةٌ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ لِقَلْب؛

فَمِنَ القَلْبِ إلى القَلْبِ يَقيناً كانَتْ نافِذَة، وَلَيْسا مُنْفَصِلَيْنِ وَبَعِيْدَيْنِ كَبَدَنَيْن؛
لَمْ يَكُنْ وِعاءُ السِّراجَيْنِ مُتَّصِلاً، وَكانَ نُوْرُهُما في المَعْبَرِ مُمْتَزِجاً؛
ولا يُوْجَدُ عاقِلٌ يَكُوْنُ باحِثاً عَنِ الوَصْل، إلَّا وَكانَ مَعْشُوْقُهُ باحِثاً عَنْه؛
لكِنَّ عِشْقَ العاشِقينَ نُحُولٌ لِلبَدَن، وَعِشْقُ المَعْشُوْقِيْنَ طِيْبٌ وَسِمَن؛
إذا لَمَعَ بَرْقُ مَحَبَّةِ الحَبيبِ بهذا القَلْب، اِعْلَمْ المَحَبَّةُ مَوْجُودَةً في ذاكَ القَلْب؛
إذا صارَ حُبُّ الحَقِّ في قَلْبِكَ شَفيعاً، كانَتْ لَكَ المَحَبَّةُ بلا شَكٍّ عِنْدَ الحَقّ؛
لا يَجِيءُ صَوْتُ تَصْفيقِ الكَفِّ أبَداً، مِنْ يَدٍ واحِدَةٍ مِنْ دُونِ اليَدِ الأُخْرى؛
الظَّامِئُ يَشْكُوْ أنْ أَيْنَ الماءُ السَّائِغ، والماءُ أَيْضاً يَشْكُوْ أَنْ أَيْنَ شارِبُ الماء؛
جَاذِبٌ للماءِ هذا العَطَشُ في أرواحِنا، نَحْنُ لَهُ مِنْ ذاكَ وَهُوَ مِنْ ذاكَ لَنا؛
حِكْمَةُ الحَقِّ في القَضاءِ وَفي القَدَر، جَعَلَتْنا عاشِقينَ الواحِدُ للآخَر؛
أجْزاءُ العالَمِ مِنْ ذلِكَ الحُكْمِ الماضي، صارَتْ أَزْواجاً يَعْشَقُ الزَّوجُ زَوْجَه؛
كُلُّ جُزْءٍ مِنَ العالَمِ كانَ طالِبَ جُزْءِه، تَماماً كما يَفْعَلُ الكَهْرَباءُ وَوَرَقُ القَشّ؛
السَّماءُ تَقُولُ للأَرْضِ أنْ مَرْحَباً، أنا تَوْأَمُكِ مِثْلَ الحَديدِ والمَغْناطيس؛
السَّماءُ في العَقْلِ الرَّجُلُ والمَرْأَةُ الأَرْض، كُلُّ ما تُلْقِيْهِ السَّماءُ تُرَبِّيْهِ الأرْض؛
إذا لَمْ تَبْقَ لَها حَرارَةٌ أَرْسَلَتْها لَها، إذا لَمْ تَبْقَ بِها رُطُوبَةٌ وَنَدىً أَرْسَلَتْهُما لَها؛
البُرْجُ التُّرابِيُّ لِتُرابِ الأَرْضِ مَدَد، البُرْجُ المائيُّ لِرُطُوْبَتِها مَدَد؛
البُرْجُ الهَوائِيُّ حَمَلَ لَها الغُيوم، لِيَرْفَعَ عَنْها الأَبْخِرَةَ والأَوْبِئَة؛
البُرْجُ النَّارِيُّ مِنْهُ حَرارَةُ الشَّمْسِ، كَالمِقْلاةِ الحَمْراءَ وَجْهاً وَظَهْراً مِنَ النَّار؛
الفَلَكُ مُضْطَرِبٌ دائرٌ في الزَّمَن، مِثْلَ رَجُلٍ يَدُوْرُ في المَكْسَبِ لأَجْلِ المَرْأَة؛
وَهَذِهِ الأَرْضُ تَعْمَلُ عَمَلَ السَّيِّدات، العامِلاتِ بالوِلاداتِ والرَّضاعات؛
فاعْرِفِ الأَرْضَ والفَلَكَ عاقِلَيْنِ، ما داما يَعْمَلانِ عَمَلَ العُقَلاء؛
هذانِ الحَبيبانِ لَوْ لَمْ يَكُونا يَسْتَمْتِعان، لِماذا هُما إذَنْ هكذا يَتَزاوَجان؛

لَوْلا الأرْضُ مَتى طَلَعَ الوَرْدُ والأرجُوان، المَولُوْدانِ مِنْ ماءِ وَضِياءِ السَّماء؛
لِأَجْلِ ذلِكَ كانَ المَيْلُ في الأُنْثى للذَّكَر، لِكَيْ يُكْمِلَ كُلٌّ مِنْهُما عَمَلَ الآخَر؛
لِذا وَضَعَ الحَقُّ المَيْلَ في الرَّجُلِ والمَرْأَة، لِيَجِدَ العالَمُ البَقاءَ مِنْ هذا الاِتِّحاد؛
وَوَضَعَ في كُلِّ جُزْءٍ المَيْلَ لِجُزْئِه، مِنْ اتِّحادِ الاِثْنَيْنِ تَنْتُجُ الوِلادَة؛
واللَّيْلُ مَعَ النَّهارِ هَكَذا باعْتِناق، مُخْتَلِفانِ بالصُّوْرَةِ لكِنَّهُما باتِّفاق؛
اللَّيْلُ والنَّهارُ في الظَّاهِرِ ضِدَّانِ وَعَدُوَّان، والاِثْنَانِ مَعاً حَقيقَةً واحِدَةً يَنْسُجان؛
وَكُلٌّ مِنْهُما طالِبٌ للآخَرِ كَنَفْسِه، كُلٌّ في طَلَبِ تَكْميلِ فِعْلِهِ وَأَمْرِه؛
فإنَّهُ مِنْ دُوْنِ اللَّيْلِ لَيْسَ للطَّبْعِ دَخْل ، وكَمْ يَكُونُ لَهُ في النَّهاراتِ مِنْ خَرْج؛

جَذْبُ كُلِّ عُنْصُرٍ لِجِنْسِ نَفْسِهِ الَّذي صارَ مُحْتَبَساً في تَرْكِيْبِ الآدَمِيِّ مِنْ غَيْرِ جِنْسِه

قالَ التُّرابُ لِتُرابِ البَدَنِ عُدْ راجِعاً، قُمْ بِتَرْكِ الرُّوْحِ وارْجِعْ إلَيَّ مِثْلَ الغُبار؛
أنتَ مِنْ جِنْسِنا وأَولى بِكَ أنْ تَصِيْرَ لَنا، خَيْرٌ أنْ تَتَحَرَّرَ مِنَ البَدَنِ وَالرُّطُوبَة؛
قالَ حَقّاً وَلكِنَّني مُقَيَّدُ القَدَم، مَعَ أَنِّي مِثْلَكَ أُعاني الهِجْران؛
وَرُطُوبَةُ البَدَنِ تَطْلُبُها المِياه، أنْ أَيَّتُها الرُّطُوْبَةُ عُوْدي مِنَ الغُرْبَةِ إِلَيْنا؛
وَحَرارَةُ البَدَنِ يَطْلُبُها الأثير، أنْ أنْتِ مِنَ النَّارِ فخُذي الطَّريقَ إلى أَصْلِكِ؛
وَهُناكَ اثْنَتانِ وَسَبْعُوْنَ عِلَّةً في البَدَن، لَها جَذْبٌ مِنَ العَناصِرِ بلا رَسَن؛
جاءَتِ العِلَّةُ حَتَّى تُمْسِكَ البَدَن، وَحتَّى تَتْرُكَ العَناصِرُ بَعْضُها بَعْضاً؛
هَذِهِ العَناصِرُ أَرْبَعَةُ طُيُورٍ مُقَيَّدَةُ القَدَم، المَوْتُ والأَلَمُ والعِلَّةُ تَفُكُّ قَيْدَ القَدَم؛
عِنْدَما تَتَحَرَّرُ أَقْدامُها مِنْ بَعْضِها، طائِرُ كُلِّ عُنْصُرٍ يَطيرُ يَقيناً؛
جَذْبُ هذِهِ الأُصُولِ والفُرُوع، يَضَعُ كُلَّ لَحْظَةٍ أَلَماً في جِسْمِنا؛
حَتَّى يُفَكِّكَ هذِهِ التَّراكيب، ويَطيرَ طائرُ كُلِّ جُزْءٍ إلى أَصْلِه؛

حِكْمَةُ الحَقِّ جاءَتْ مانِعَاً مِنْ هذا العَجَل، جَعَلَتْها مُجْتَمِعَةً بِصِحَّةٍ حَتَّى الأجَل؛
تَقُولُ أَيْ أجْزاءُ لَيْسَ الأَجَلُ مَشْهُوداً، طَيَرانُكِ قَبْلَ أجَلِكِ لا نَفْعَ فيه؛
إذا كانَ كُلُّ جُزْءٍ يَبْحَثُ عَنِ الاِرْتِفاق، فَكَيْفَ تَكُوْنُ حالُ الغَريبِ في الفِراق؛

انْجِذابُ الرُّوْحِ أَيْضاً إلى عالَمِ الأرْواحِ وَطَلَبُها مَقَرَّها وَمَيْلُها إلَيْهِ وانْقِطاعُها عَنْ أجْزاءِ الأجْسامِ الَّتي هِيَ كَقِطَعِ الخَشَبِ في قَدَمِ بازِ الرُّوح

تَقُولُ الرُّوْحُ أَيْ أَجْزاءَ فَرْشِيَ الدَّنِيَّة، غُرْبَتِيْ صارَتْ مَريرَةً أنا عَرْشِيَّة؛
البَدَنُ يَمِيْلُ لِلْخُضْرَةِ والماءِ الجاري، لأنَّ أَصْلَهُ كانَ قَدْ جاءَ مِنْ ذاك؛
والرُّوْحُ تَمِيْلُ إلى الحَياةِ والحَيّ، لأنَّ أَصْلَها كانَ مِنْ رُوْحِ اللَّامَكان؛
الرُّوْحُ تَمِيْلُ إلى الحِكْمَةِ وإلى العُلُوم، والبَدَنُ يَميلُ للبُسْتانِ والمَرْجِ والكُرُوم؛
مَيْلُ الرُّوْحِ إلى التَّرَقِّيْ والشَّرَف، وَمَيْلُ البَدَنِ لِلْكَسْبِ وَأَسْبابِ العَلَف؛
مَيْلُ وَعِشْقُ ذاكَ الشَّرَفِ أَيْضاً للرُّوْح، اعْرِفْ مِنْ هذا القَبيل *يُحِبُّ* وَ *يُحِبُّونَ*؛
وَلَوْ قُمْتُ بِشَرْحِ هذا لَكانَ بِلا حَدّ، وَلَوَصَلَ المَثْنَوِيُّ إلى ثَمانينَ قِرْطاساً؛
الخُلاصَةُ أنَّهُ كُلُّ مَنْ كانَ طالِباً، فإنَّ رُوْحَ مَطْلُوْبِهِ كانَ بِهِ راغِباً؛
وَكُلُّ آدَمِيٍّ وَحَيَوانٍ وَنَباتٍ وَجَماد، وَكُلُّ مُرادٍ عاشِقٌ وَكُلُّ غَيْرِ مُراد؛
كُلُّ غَيْرِ مُرادٍ يَبْني على مُراد، وَتِلْكَ المُراداتُ تَقُوْمُ بِجَذْبِهِم؛
لكِنَّ مَيْلَ العاشِقينَ يُنْحِلُ، وَمَيْلُ المَعْشُوْقِيْنَ يُسْعِدُ كَثيراً وَيُسْمِنُ؛
عِشْقُ المَعْشُوقِينَ أَشْعَلَ الخَدَّيْن، عِشْقُ العاشِقِ أَحْرَقَ رُوْحَه؛
كَهْرَباءُ العاشِقِ بالشَّكْلِ غَيْرُ مُحْتاجَةٍ، والقَشُّ يَسْعى في ذلِكَ الطَّريقِ الطَّويل؛
دَعْ هذا فَعِشْقُ ذاكَ الظَّامِئِ الشِّفاه، شَعَّ في صَدْرِ صَدْرِ العالَم؛
دُخانُ ذلِكَ العِشْقِ وَغَمُّ نارِهِ المُتَّقِدَة، ذَهَبا إلى مَخْدُوْمِهِ فَصارَ مُشْفِقاً؛

لكِنَّهُ مِنَ النَّامُوسِ والمَكانَةِ والمَجْد، كانَ يَخْجَلُ مِنَ القِيامِ بالبَحْثِ عَنْه؛
رَحْمَتُهُ صارَتْ مُشْتاقَةً لِذَلِكَ المِسْكين، سَلْطَنَتُهُ جاءَتْ مانِعَةً مِنْ ذلِكَ اللُّطْف؛
العَقْلُ حَيْرانُ عَجَباً أَهُوَ جَذَبَهُ، أَمْ وَصَلَ الجَذْبُ مِنْ ذلِكَ الجانِبِ لِهذا الجانِب؛
أُتْرُكِ الجَلَدَ لَنْ تَصيرَ على هذا واقِفا، أَغْلِقِ الشَّفَةَ اللهُ أَعْلَمُ بالخَفا؛
سَأَجْعَلُ هذا الحَديثَ بَعْدَ هذا مَدْفُوناً، ذاكَ الجاذِبُ يَجْذُبُني أنا ما أَفْعَل؛
مَنْ ذلِكَ الَّذي يَقُومُ بِجَذْبِكَ أَيْ مُعْتَني، إنَّهُ ذلِكَ الَّذي لا يَدَعُكَ تَتَحَدَّثُ بِهذا؛
تَقُومُ بِمِئَةَ عَزِيْمَةٍ على السَّفَر، وَيَقُومُ بِشَدِّكَ إلى مَكانٍ آخَر؛
لِيَجِدَ الخَبَرَ مِنْ فارِسِهِ الفَرَسُ الخام، أدارَ إلى كُلِّ جِهَةٍ ذلِكَ الزِّمام؛
الجَوادُ الذَّكِيُّ سارَ مُبارَكَ الخُطى، فَهُوَ ظَلَّ على عِلْمٍ بالفارِسِ عَلَيْه؛
لَقَدْ رَبَطَ قَلْبَكَ بِمائَتَيْ مَنْفَعَة، جَعَلَكَ بلا مُرادٍ ثُمَّ كَسَرَ القَلْب؛
إذا كَسَرَ جَناحَ ذاكَ الرَّأْيِ الأوَّل، كَيْفَ لَمْ يَصِرْ وُجُودُ كاسِرِ الجَناحِ ثابِتاً؛
بِما أنَّ قَضاءَهُ قَطَعَ حَبْلَ تَدْبيرِك ، كَيْفَ لَمْ يَصِرْ قَضاؤهُ ذاكَ جارِياً عَلَيْكَ؛

فَسْخُ العَزائِمِ وَنَقْضُها لإخْبارِ الآدَمِيِّ أَنَّهُ مالِكٌ وَقاهِرٌ، وَعَدَمُ فَسْخِ عَزْمِهِ وَجَعْلُهُ نافِذاً مِنْ حِيْنٍ لِحِينٍ لِيَجْعَلَهُ طامِعاً بالعَزْمِ لِيَكْسِرَ عَزْمَهُ مِنْ جَديدٍ وَلِيَكُوْنَ تَنْبيهاً على تَنْبيه

إنَّ العَزائِمَ والمَقاصِدَ فيما يَجْري، تَجِيئُكَ صَحيحَةً مِنْ حِيْنٍ إلى حِيْن؛
حَتَّى نَوى قَلْبُكَ النِيَّةَ مِنَ الطَّمَع، فَقامَ بِكَسْرِ نِيَّتِكَ مَرَّةً أُخْرى؛
وَلَو جَعَلَكَ بالكُلِّيَّةِ بِلا مُراد، صِرْتَ يائِسَ القَلْبِ فَمَتى تَزْرَعُ الأَمَل؛
ولَوْ لَمْ تَزْرَعِ الأَمَلَ مِنْ تَغاضِيْه، مَتى كانَ صارَ ظاهِراً لَهُ قَهْرُه؛
العاشِقُونَ مِنْ عَدَمِ نَيْلِ مُرادِهِم، صارُوا على خَبَرٍ بِمَوْلاهُم؛

عَدَمُ نَيْلِ المُرادِ صارَ الدَّلِيْلَ لِلجَنَّة، اِسْتَمِعْ أيْ حَسَنَ الطِّيْنَةِ إلى *حُفَّتِ الجَنَّة*؛
فَمُراداتُكَ كُلُّها مَكْسُوْرَةُ القَدَم، وَيَلْزِمُ شَخْصٌ يَكُونُ مُرادُهُ مُتاحاً؛
أولئِكَ الصَّادِقُونَ صارُوا لَهُ مَكْسُورين، لكِنْ أَيْنَ ذاكَ مِنْ انكِسارِ العاشِقين؛
العاقِلُوْنَ مَكْسُورونَ لَهُ مِنَ الاِضْطِرار،العاشِقُونُ مَكْسُورُوْنَ عَنْ مِئَةِ اخْتِيار؛
العاقِلُوْن عَبيدٌ لَهُ مُقَيَّدُون، العاشِقُونَ للسُّكَّرِ والقَنْدِ آكِلُوْن؛
ائتِيا كَرْهاً زِمامُ العاقِلين ، ائتِيا طَوْعاً رَبيعُ الوالِهِيْن؛

نَظَرُ النَّبِيّ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ إلى الأسْرى وَتَبَسُّمُهُ وَقَوْلُهُ أَنْ عَجِبْتُ مِنْ قَوْمٍ يُساقُوْنَ إلى الجَنَّةِ بالسَّلاسِلِ والأَغْلال

رَأى النَّبِيُّ جَوْقَةَ أَسْرى، يُحْمَلُوْنَ وَهُمْ في أَنين؛
رَآهُمْ في القَيْدِ ذاكَ الأَسَدُ الخَبيرُ، كانُوا يَقُومُونَ بالنَّظَرِ إِلَيْهِ مُسْتَخْفين؛
وَكُلُّ واحِدٍ مِنْهُمْ يَمْضَغُ مِنَ الغَضَبِ، على رَسُوْلِ الصِّدْقِ الشِّفاهَ والأَسْنان؛
لا جُرْأَةَ لَهُمْ مَعَ ذلِكَ الغَضَبِ للنُّطْقِ، كانُوا في زَنْجِيْرِ قَهْرٍ مِنْ عَشْرَةِ أمْنان؛
يَسْحَبُهُمْ إلى جِهَةِ المَدِيْنَةِ مُوَكَّلٌ، يَأْخُذُهُمْ قَهْراً مِنْ مَدِيْنَةِ الكُفْر؛
لا فِداءً يَقْبَلُ ولا ذَهَباً، ولا شَفاعَةَ تَصِلُ إِلَيْهِ مِنْ رَئيس؛
يَقُولُونَ أنْ هُوَ رَحْمَةُ العالَم، وَيَقْطَعُ حَلْقَ وَعُنُقَ العالَم؛
يَمْضُونَ في الطَّرِيقِ بِأَلْفِ إنْكار، طاعِنينَ منْ تَحْتِ الشِّفاهِ بِفِعْلِ الشَّاه؛
أنْ جِئْنا بالوَسائِلِ ولا وَسِيْلَةَ هُنا، قَلْبُ هذا الرَّجُلِ لَيْسَ أَقَلَّ مِنْ صَخْر؛
نَحْنُ أَلْفُ رَجُلٍ أَسَدٍ كَأَلْبْ أَرْسَلان،مَعَ واهِيَيْنِ عارِيَيْنِ نِصْفِ حَيَّيْنِ أو ثلاثَة؛
نَحْنُ عاجِزُونَ هكذا مِنْ مَسيْرٍ أَعْوَجٍ، أوْ مِنَ النُّجُومِ أو هُوَ السِّحْر؛
تَمَزَّقَ بَخْتُنا مِنْ بَخْتِه، انْقَلَبَ تَخْتُنا مِنْ تَخْتِه؛
إنْ كانَ أمْرُهُ صارَ عَظيماً مِنَ السِّحْر،نَحْنُ أَيْضاً عَمِلْنا السِّحْرَ كَيْفَ لَمْ يَفْعَلْ؛

تَفْسيرُ هذِهِ الآيَةِ أنْ *إِن تَسۡتَفۡتِحُوا۟ فَقَدۡ جَاۤءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُ* الآيَة، أَيْ طاعِنُونَ تَقُولُون بِشَأنِنا وَشَأْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلام أعْطِ النَّصْرَ والفَتْحَ لِذاكَ الَّذي هُوَ على الحَقّ، تَقُولُونَ ذاكَ لِيُظَنَّ أنَّكُمْ طالِبُو حَقٍّ بِلا غَرَض، الآنَ أعْطَيْنا النَّصْرَ لِمُحَمَّدٍ(ص) لِتَرَوا صاحِبَ الحَقّ

لَقَدْ طَلَبْنا مِنَ الأَصْنامِ وَطَلَبْنا مِنَ الله، أنْ دَمِّرْنا إنْ لَمْ نَكُنْ على حَقّ؛
نَحْنُ أو هُوَ مَنْ كانَ عَلى الحَقِّ والصِّدْق، كُنْ لَهُ ناصِراً أعْطِهِ النَّصْر؛
كَمْ قُمْنا بِهذا الدُّعاءِ والصَّلاة، أَمامَ اللَّاتِ والعُزَّى وأَمامَ مَناة؛
أنْ إنْ كانَ على الحَقِّ اجْعَلْهُ ظاهِراً،وإنْ لَمْ يَكُنْ على الحَقّ اجْعَلْهُ لَنا مَغْلُوباً؛
لَمَّا نَظَرْنا حَسَناً رَأَيْناهُ مَنْصُوراً، وَكُنَّا جَميعاً ظُلْمَةً وَكانَ هُوَ نُوْراً؛
هذا جَوابٌ لَنا أنْ ذاكَ الَّذي طَلَبْتُمْ، صارَ ظاهِراً وَلَسْتُمْ على حَقّ؛
وعادُوا يَطْرُدُونَ هذا التَّفَكِيْرَ مِنْ جَديدٍ، مِنْ فِكْرِهِم وَيَمْتَنِعُونَ عَنْ ذِكْرِهِ؛
أنْ هذا التَّفَكُّرُ مِنَّا طَلَعَ مِنَ الإدْبار، بِحَيْثُ صارَ صَوابُهُ راسِخاً في القَلْب؛
الدَّهْرُ يَجْعَلُ كُلَّ شَخْصٍ غالِباً، وماذا يَكُونُ إنْ جاءَ غالِباً بِضْعَ مَرَّات؛
نَحْنُ أَيْضاً كُنَّا مِنَ الأَيَّام في بَخْت، وَجِئنا مُظَفَّرِيْنَ عَلَيْهِ مَرَّات؛
وَعادوا وَقالُوا رَغْمَ أنَّهُ انْكَسَرَ، انْكِسارُهُ لَمْ يَكُنْ كانْكِسارِنا قَبيحاً ذَميماً؛
ذلِكَ لأنَّ بَخْتَهُ الجَمِيْلَ في الانْكِسار، أعْطاهُ مِئَةَ سُرُوْرٍ خَفِيّ تَحْتَ اليَد؛
إنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُشْبِهُ المَكْسُورَ في شَيءٍ،لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ غَمٌّ مِنْ ذاكَ ولا اضْطِراب؛
رَغْمَ أنَّ هَدَفَ المُؤمِنينَ الغَلَبَةُ، إلَّا أنَّ المُؤمِنَ حَسَنُ الحالِ في الاِنْكِسار؛
إذا كَسَرْتَ قارُوْرَةَ مِسْكٍ وعَنْبَرٍ، مَلأْتَ عالَماً مِنْ عَبيرِ العِطْر؛

وإنْ أَنْتَ كَسَرْتَ فَجْأَةً بَعْرَ حِمار، صارَتِ البُيُوتُ مَمْلُوءَةً بالنَّتَنِ إلى السَّقْف؛
وَقْتَ العَوْدَةِ مِنَ الحُدَيْبِيَّةِ بِذُلّ، *دَوْلَةُ إِنَّا فَتَحْنا* قَرَعَتِ الطَّبْل؛

السِّرُّ في أنَّ الحَقَّ تَعالى أعْطى لِعَوْدَةَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مِنَ الحُدَيْبِيَّة دُوْنَ تَحْقيقِ مُرادِهِ لَقَبَ الفَتْحِ أنْ *إِنَّا فَتَحْنَا* وَكانَتْ بالصُّوْرَةِ غَلْقَاً وبالمَعْنى فَتْحَاً كَكَسْرِ وِعاءِ المِسْكِ فإنَّهُ في الظَّاهِرِ كَسْرٌ وفي المَعْنى جَبْرٌ لِلْمِسْكِ وَتَكْمِيْلٌ لِفَوائِدِه

أَتَتْهُ الرِّسالَةُ مِنَ الدَّوْلَةِ أنِ اذْهَبْ، لا تَكُنْ مِنْ مَنْعِ هذا الظَّفَرِ عَنْكَ مَغْمُوماً؛
فإِنَّ لَكَ في هذا الكَسْرِ فُتُوحاً، وَتَكُوْنُ لَك القَلْعَةُ الفُلانِيَّةُ والبُقْعَةُ الفُلانِيَّةُ؛
أُنْظُرْ أخيراً عِنْدَما عادَ كَيْفَ أَسْرَعَ، لِقُرَيْظَةَ والنُّضَيرِ وَما جَرى مِنْهُ عَلَيْهِما؛
قِلاعٌ مِنْ حَوْلِ تِلْكُما البُقْعَتَيْن، صارَتْ مُسَلَّمَةً لَهُ وَغَنائِمُ كَثيرة؛
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ ذاكَ انْظُرْ لهذا الفَريق، ما بَيْنَ مَفْتُونٍ في الغَمّ والأَلَمِ وَعَشيق؛
يَجْرَعُوْنَ سُمَّ الحِرْمانِ كَأَنَّهُ السُّكَّرُ، وَيَرْعَوْنَ أَشْواكَ الغُمُومِ كَأَنَّهُمُ الجِمال؛
مِنْ أَجْلِ عَيْنِ الغَمّ لا مِنْ أَجْلِ الفَرَج، هذا السُّفُولُ عِنْدَهُمْ كَأَنَّهُ دَرَج؛
سُعَداءُ هكذا في قَعْرِ الجُبّ، حَتَّى أَنَّهُمْ لَيَخافُوْنَ مِنَ التَّخْتِ والتَّاج؛
حَيْثُما كانَ الحَبيبُ جَلِيْسَهُمْ مِنْ مكانٍ ، فَهُوَ لَهُمْ فَوْقَ الفَلَكِ لا تَحْتَ الأَرْض؛

تَفْسيرُ هذا الخَبَرِ مِنْ أنَّ المُصْطَفى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ قال *لا تُفَضِّلُوْنِيْ عَلى يُوْنُسَ بْنَ مَتَّى*

قالَ النَّبِيُّ إنَّ مِعْراجِيَ هذا، لَيْسَ لَهُ على مِعْراجِ يُوْنُس اجْتِباء؛
مِعراجِيْ على الفَلَكِ وَمِعْراجُهُ هُبُوط،ذلِكَ أنَّ قُرْبَ الحَقّ خارِجٌ عَنِ الحِساب؛
القُرْبُ لَيْسَ ذَهاباً لِأَعْلى ولا لِأَسْفَل، قُرْبُ الحَقّ التَّحَرُّرُ مِنْ حَبْسِ الوُجُود؛

ما مَحَلُّ الأعْلى والأَسْفَلِ مِنَ الْعَدَم، لا سَرِيْعَ ولا قَرِيْبَ ولا بَعِيْدَ عِنْدَ الْعَدَم؛
مَعْمَلُ وَكَنْزُ الحَقِّ كائِنانِ في العَدَم، أنْتَ مَغْرُوْرُ الوُجُوْدِ ما تَعْرِفُ عَنِ العَدَمْ؛
الحاصِلُ أنَّ كَسْرَهُمْ هذا أَيْ عَظِيْم، لَيْسَ شَبيهاً على الإطلاقِ بِكَسْرِنا نَحْن؛
إنَّهُمْ هكذا سُعَداءُ في الذُّلِّ والتَّلَف، مِثْلَما نَحْنُ في وَقْتِ الإقْبالِ والشَّرَف؛
السُّرُوْرُ بلا أَسْبابِ السُّرُوْرِ عَطاءٌ لَهُ، الفَقْرُ والمَسْكَنَةُ افْتِخارٌ لَهُ وَعُلُوٌّ لَه؛
قالَ واحِدٌ والأمْرُ هكذا لِمَ ذاكَ الفَريد، كانَ يَضْحَكُ وَهُوَ يَرانا في القُيُود؛
ما دامَ صارَ مُبْدَلاً وَسَعادَتُه، لَيْسَتْ مِنْ سَجْنِنا ولا مِنْ حُرِّيَّتِه؛
كَيْفَ صارَ سَعِيْداً بِقَهْرِ الأَعْداء،وَصارَ مِنْ هذا الفَتْحِ والظَّفَرِ مَليئاً بالكِبرياء؛
صارَ سَعِيْدَ الرُّوْحِ مِنْ كَوْنِهِ انْتَصَر،على الأُسُودِ الصِّيْدِ وَوَجَدَ الغَلَبَةَ والظَّفَر؛
فَقَدْ عَلِمْنا بِأَنَّهُ لَيْسَ حُرَّاً، وَأنَّ سُرورَ قَلْبِهِ وَسَعادَةَ قَلْبِهِ لَيْسَا لِغَيْرِ الدُّنْيا؛
وإلَّا فَكَيْفَ يَضْحَكُ وَأَهْلُ ذاكَ العالَم، على السَّيِّئِ والحَسَنِ شُفَقَاءُ وَرُحَماء؛
كانُوا يَهْمِسُونَ لِبَعْضِهِم بِهذا هَمْساً، تَحْتَ اللِّسانِ في البَحْثِ أولئكَ الأُسَراء؛
حَتَّى لا يَسْمَعَنا المُوَكَّلُ فَيَقُوْمَ مُسْرِعاً، بِحَمْلِ الحَدِيْثِ إلى أُذُنِ ذلِكَ السُّلْطان؛

إدْراكُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلامُ لِطَعْنِهِمْ على شَماتَتِه

رَغْمَ أنَّ ذاكَ الحَدِيْث لَمْ يَصِلْ أُذُنَ المُوَكَّل،فَقَدْ وَصَلَ إلى أُذُنٍ كانَتْ مِنْ *لَدُن*؛
يَعْقُوبُ ذاكَ كانَ يَجِدُ رِيْحَ قَمِيصَ يُوْسُف، والَّذي كانَ يَحْمِلُهُ لَمْ يَكُنْ يَجِدُها؛
أولئكَ الشَّياطِيْنُ في عِنانِ السَّماء، لَمْ يَسْمَعُوا ذلِكَ السِّرَّ مِنْ لَوْحِ عالِمِ الغَيْب؛
وَذاكَ مُحَمَّدٌ وَهُوَ نائِمٌ وَمُتَّكِئٌ، جاءَهُ السِّرُّ وَصارَ حَوْلَه يَدُوْر؛
هُوَ أَكَلَ الحَلْوى لأنَّها كانَتْ لَهُ الرِّزْق، ذاكَ لَمْ يَكُنْ لأنَّ يَدَهُ كانَتْ طَوِيْلَةً؛
النَّجْمُ الثَّاقِبُ غدا حارِساً طرَدَ الشَّيْطانَ، أنْ دَعِ الإسْتِراقَ خُذِ السِّرَّ مِنْ أَحْمَد؛
أيْ جارِياً مَعَ الفَجْرِ جِهَةَ الدُّكَّان، هَيَّا اذْهَبْ إلى المَسْجِدِ واطْلُبْ رِزْقَ الإله؛

لَقَدْ فَهِمَ الرَّسُوْلُ قَوْلَهُمْ ذاك، قالَ إنَّ تِلْكَ الضُّحْكَةَ لَمْ تَكُنْ مِنَ الحَرْب؛
إنَّهُمْ مَوْتى وَتَعَفَّنُوا مِنَ الفَناء، قَتْلُ المَيِّتِ لَيْسَ شَهامَةً عِنْدَنا؛
هؤلاءِ مَنْ يَكُونُونَ وَعِنْدَما أَضَعُ القَدَمَ، في مَصافِّ الحَرْبِ يَنْفَطِرُ القَمَر؛
ذلِكَ الوَقْتُ الَّذي كُنْتُمْ بِهِ أحْراراً وَمُكَناء،كُنْتُ أراكُمْ بِهِ مُقَيَّدِيْنَ كَما أَنْتُمْ الآن؛
أيْ مَنْ أنْتَ في دَلالٍ مِنَ المُلْكِ والحَسَب، أنْتَ عِنْدَ العاقِلِ جَمَلٌ فَوْقَ مِيْزاب؛
نَقْشُ البَدَنِ مُنذُ وَقَعَ مِنْ قُبَّةِ السَّماء، صارَ أمامَ عَيْني *كُلٌّ آتٍ آت*؛
نَظَرْتُ في الحِصْرَمِ رَأَيْتُ الخَمْرَ عِياناً،نَظَرْتُ في العَدَمِ رَأَيْتُ الشَّيْءَ عِياناً؛
نَظَرْتُ في السِّرِّ فَرَأَيْتُ عالَماً خَفِيَّاً، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَطْلَعَ مِنَ العالَمِ آدَمُ وَحَوَّاء؛
بَلْ رَأَيْتُكُمْ *وَقْتَ ذَرَّاتِ أَلَسْتُ*، مُقَيَّدي الأَقْدامِ ناكِسي الرُّؤوسِ أَذِلَّاء؛
ما كانَ مَعْلُوْماً لي لَمْ يَزِدْ، مُنْذُ خَلْقِ السَّماءِ بلا عَمَد؛
رَأَيْتُكُمْ وَكُنْتُم ناكِسين، مِنْ قَبْلِ أنْ أطْلَعَ مِنَ الماءِ والطِّيْن؛
لَمْ أرَ جَديداً لأكُوْنَ مِنْ ذلِكَ سَعِيْداً، كُنْتُ أرى هذا وأنْتُمْ في إقْبالِكُمْ ذاك؛
مُقَيَّدِيْنَ بالقَيْدِ الخَفِيِّ آنَذاكَ وأَيُّ قَهْر، تَأكُلُوْنَ الشَّهْدَ وَقَدْ أُدْرِجَ فيهِ السُّمّ؛
لَوْ تَلَذَّذَ بِمِثْلِ هذا الشَّهْدِ المَليءِ بالسُّمِّ، عَدُوٌّ لَكَ أَيُّ حَسَدٍ يَجيئُكَ لَه؛
وأنتُمْ تَقُومُونَ بِأَكْلِ ذلِكَ السُّمِّ بِنَشاط، وَمَوْتُكُمْ أمْسَكَ بِكُمْ خِفْيَةً بِكِلْتا الأُذُنَيْن؛
أنا لَمْ أَقُمْ بالغَزاةِ مِنْ أَجْلِ ذلِك، كَيْ أجِدَ الظَّفَرَ وأَسْتَوْلِيَ على العالَم؛
هَذا العالَمُ كانَ جِيْفَةً وَرَخيصاً، كَيْفَ أَكُونُ على مِثْلِ هذِهِ الجِيْفَةِ حَريصاً؛
لَسْتُ هُنا لِكَيْ أُمَزِّقَ المَوتى، جِئْتُ كَعيسى لأُحْيِيَ المَوْتى؛
شَقَقْتُ صُفُوفَ الحَرْبِ مِنْ أجْلِ ذاك، حَتَّى أَقُومَ بِتَخْلِيْصِكُم مِنَ الهلاك؛
وَلَسْتُ أَقْطَعُ حُلُوقَ البَشَر، لِيَكُوْنَ لِي حَشْر وَكَرٌّ وَفَرّ؛
إذا كُنْتُ أَقْطَعُ بِضْعَ حُلُوْقٍ فذلِكَ، لِيَجِدَ عالَمٌ النَّجاةَ مِنْ تِلْكَ الحُلُوق؛
أَنْتُمْ كالفَراشاتِ وَمِنْ جَهْلِ أَنْفُسِكُم، جِئتُمْ للحَرْبِ بِهذِهِ الحَمْلَةِ إلى أمامِ النَّار؛

وأنا كُنْتُ دافِعاً لَكُمْ بِكِلْتا يَدَيَّ، وَمانِعاً لَكُمْ مِنَ السُّقُوطِ في النَّار كالسَّكْران؛
ذاكَ الَّذي ظَنَنْتُمُوْهُ فُتُوحاً، كانَ بِذْرَةَ النَّحْسِ تَزْرَعُونها؛
تَتَنادَوْنَ بَيْنَكُمُ الجِدَّ الجِدَ، تَسُوقُونَ الفَرَسَ جِهَةَ الأفاعي؛
قاهِرُونَ وَأَنْتُمْ في عَيْنِ القَهْر ، مَقْهُورُونَ بِقَهْرِ أَسَدِ الدَّهْر؛

بَيانُ أنَّ الطَّاغي مَقْهُورٌ في عَيْنِ قَهْرِهِ، وَمَأْسُورٌ في عَيْنِ نَصْرِهِ

غَلَبَ لِصٌّ سَيِّداً وَسَرَقَ مِنْهُ الذَّهَب، وَبَيْنَما كانَ مَشْغُولاً بِذلِكَ وَصَلَ الوالي؛
وَلَوْ قامَ اللِّصُّ بالهَرَبِ مِنَ السَّيِّدِ آنَذاك، لَقامَ الوالي بِإرْسالِ قَوْمٍ في طَلَبِه؛
قَهْرُ اللِّصِّ الغَيْرَ كانَ قَهْراً لِنَفْسِه، ذلِكَ لأنَّ قَهْرَهُ اخْتَطَفَ رَأْسَه؛
نَصْرُهُ على السَّيِّدِ صارَ شِباكاً لَه، لِكَيْ يَصِلَ الوالي وَيُجْرِيَ عَلَيْهِ القَوَد؛
أَيْ مَنْ صِرْتَ مُسَلَّطاً على الخَلْق، غالِباً في الحَرْبِ وَمُكَلَّلاً بالنَّصْر؛
إنَّهُ جَعَلَهُمْ مَهْزومينَ لَكَ عَنْ قَصْد، حَتَّى يَقُوْمَ بِسَحْبِكَ وإدْخالِكَ في الحَلَقَة؛
شُدَّ العِنانَ لا تَجْرِ إِثْرَ ذلِكَ المَهْزُوم، لا تَرْكُضْ حَتَّى لا تَصِيْرَ المَخْزُوم؛
بِما أَنَّهُمْ سَحَبُوكَ بِهذا الأُسْلُوبِ للشِّباك، فَسَتَرى الحَمْلَةَ بَعْدَ ذلِكَ في الزِّحام؛
مَتى صارَ سَعِيْداً العَقْلُ مِنْ هذِهِ الغَلَبَة، ما دامَ قَدْ رأى في هذِهِ الغَلَبَةِ الفَساد؛
العَقْلُ كانَ حادَّ النَّظَرِ نَظَرَ إلى أمام، لأنَّ إلهَهُ كَحَلَهُ بالكُحْلِ مِنْه؛
قالَ الرَّسُولُ أَهْلُ الجَنَّةِ مِنَ الفَضائِل، يكُونونَ مَغْلُوبينَ في الخُصُومات؛
مِنْ كمالِ الحَزْمِ وَسُوءِ الظَّنِّ بالنَّفْس، لا مِنَ النَّقْصِ وَالخَوْفِ وَضَعْفِ الدِّيْن؛
إذْ أُعْطُوا النَّصْرَ كانُوا في السِّرِّ يَسْمَعُون، حِكْمَةَ *لَوْلا رِجالٌ مُؤمِنُون*؛
قَصْرُ اليَدِ عَنْ كُلِّ كافِرٍ لَعِيْن، صارَ فَرْضاً لأجْلِ خلاصِ المُؤمِنين؛
قِصَّةَ عَهْدِ الحُدَيْبِيَّة اِقْرَأْ، اعْرِفْ مِنْها مَعْنى *كَفَّ أَيْدِيَكُمْ* تَماماً؛
هُوَ مَعَ الغَلَبَةِ رَأى النَّفْسَ، مَغْلُوْبَةَ شِباكِ الكِبْرياءِ أيْضاً؛

أنا لا أَضْحَكُ مِنْ قُيُودِكُم الَّتي، قَيَّدْتُكُم بِها سَريعاً في السَّحَر؛
أنا أَضْحَكُ لأنّي بالغِلِّ والقَيْد، أَجُرُّكُمْ إلى بُسْتانِ سَرْوٍ وَوَرْد؛
آتي بِكُمْ مُقَيَّدِيْنَ عَجَباً، مِنْ نارٍ بلا أَمانٍ إلى المَرْج؛
أَجُرُّكُمْ بِسلاسِلَ ثِقالٍ، مِنْ جِهَةَ النَّارِ إلى جَنَّةِ الخُلْد؛
كُلُّ مُقَلَّدٍ في هذا الطَّريقِ الحَسَنِ والسَّيِّئ، يُجَرُّ هكَذا مُقَيَّداً إلى جِهَةِ الحَضْرَة؛
الجَميعُ في زَنْجيرِ الخَوْفِ والاِبْتِلاء، يَسيرُونَ على هذِهِ الشَّاكِلَةِ إلَّا الأولياء؛
يَقْطَعُوْنَ هذِهِ الطَّريقَ كَأَنَّها الحَرْب، إلاَّ شَخْصاً كانَ واقِفاً على أَسْرارِ العَمَل؛
ابْذِلِ الجُهْدَ لِيَصِيْرَ نُوْرُكَ مُشِعَّاً، لِيَصيرَ سهْلاً لَكَ السُّلُوكُ والخِدْمَة؛
تَأْخُذُ الأَطْفالَ مُرْغَمِيْنَ إلى المَدْرَسَة، لأَنَّهُمْ كانُوا عَنِ الفَوائِدِ عَمِيْن؛
لَمَّا صارَ الوَلَدُ واقِفاً على الفَوائِدِ جَرى، للمَدْرَسَةِ سَعيدَ الرُّوحِ مِنَ الذَّهاب؛
يَذْهَبُ الوَلَدُ إلى المَدْرَسَةِ مُلْتَوِيَ السَّير،لأَنَّهُ لا يَرى مِنْ أَجْرِ عَمَلِهِ أيَّ شَيْء؛
عِنْدَما نَضَعُ لَهُ في الكِيْسِ أجْراً الدَّانِق، يَصيرُ بلا نَوْمٍ في اللَّيْلِ كالسَّارِق؛
اِجْتَهِدْ لِكَيْ يَصِلَ إِلَيْكَ أَجْرُ الطَّاعَة، وَآنَذاكَ يَجِيْئَكَ الحَسَدُ مِنَ المُطيعِيْن؛
ائْتِيا كَرْهاً لِمَنْ صارَ مُقَلَّداً، ائتِيا طَوْعاً لِمَنْ صارَ مُخَمَّراً بالصَّفاء؛
هذا مُحِبٌّ لِلْحَقِّ مِنْ أَجْلِ عِلَّة، وَذاكَ الأخَرُ بِلا غَرَضٍ مِنْ خِلَّة؛
هذا مُحِبٌّ للمُرْضِعِ مِنْ أَجْلِ اللَّبَن، وَذاكَ الآخَرُ يَدْفَعُ القَلْبَ لأَجْلِ هذِهِ السَّيِّدَة؛
الطِّفْلُ غَيْرُ ذي عِلْمٍ بِحُسْنِ المُرْضِعِ، وَلَيْسَ راغِباً بِشَيْءٍ مِنْها غَيْرَ اللَّبَن؛
وَذاكَ الآخَرُ كانَ عاشِقاً لِلْمُرْضِع، ثابِتاً في العِشْقِ على عِشْقِهِ بلا غَرَض؛
فَمُحِبُّ الحَقِّ عَنْ طَمَعٍ وَعَنْ خَوْف، يَقْرَأُ في الدَّرْسِ دَفْتَرَ التَّقْليد؛
أَيْنَ ذاكَ المُحِبُّ لِلْحَقِّ مِنْ أَجْلِ الحَقّ،فَهُوَ مُنْفَصِلُ عَنِ الأَغْراضِ وعَنِ العِلَل؛
إذا كانَ على هذا الشَّكْلِ أَمْ ذاكَ طالِباً، كانَ جَذْبُ الحَقِّ لِجِهَةِ الحَقّ لَهُ جاذِباً؛
أكانَ مُحِبَّاً لِلحَقِّ لِغَيْرِهِ، كَيْ ينالَ دائماً مِنْ خَيْرِهِ؛

أَمْ كانَ مُحِبَّاً لِلْحَقِّ لِعَيْنِه، لا سِواهُ خائِفاً مِنْ بَيْنِهِ؛
هذا البَحْثُ والطَّلَبُ مِنَ الاِثْنَيْنِ كانَ ، مِنْ هذا الجَذْبِ للقَلْبِ مِنْ ذلِكَ الحَبيب؛

جَذْبُ المَعْشُوقِ للعاشِقِ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُهُ العاشِقُ ولا يَرْجُوْهُ ولا يَخْطُرُ ببالِهِ، ولا يَظْهَرُ مِنْ ذلِكَ الجَذْبِ أَثَرٌ في العاشِقِ إلّا الخَوْفُ المَمْزُوجُ باليَأْسِ مَعَ دَوامِ الطَّلَبْ

متى كُنَّا جِئنا إلى هُنا لَوْ لَمْ يَكُنْ، في صَدْرِ العالَمِ جَذْبٌ لِذاكَ العاشِقِ خَفِيٌّ؛
وَلَوْ كانَ لَهُ قُدْرَةُ صَبْرٍ على الفِراق،مَتى كانَ عادَ مُسْرِعاً يَجْري إلى الوَثاق؛
مَيْلُ المَعْشُوْقِيْنَ خَفِيٌّ وَسَتِيْر، مَيْلُ العاشِقِ بِمائَتَيْ طَبْلٍ وَنَفير؛
وَهْناكَ حِكايَةٌ ها هُنا مِنَ الاِعْتِبار، لكِنَّ البُخارِيَّ صارَ عاجِزاً عَنِ الاِنْتِظار؛
فَتَرَكْنا ذاكَ لأَنَّهُ في طَلَبٍ وَبَحْثٍ، حَتَّى يَرى وَجْهَ المَعْشُوقِ مِنْ قَبْلِ المَوْت؛
حَتَّى يَنْجُوَ مِنَ المَوْتِ وَيَجِدَ الحَياة، ذلِكَ لأَنَّ رُؤْيَةَ الحَبيبِ ماءُ الحَياة؛
كُلُّ مَنْ رُؤيَتُهُ لَيْسَتْ لِلْمَوْتِ دافِعا، لَيْسَ حَبيباً وَلَيْسَ مُثْمِراً وَلَيْسَ مُوْرِقا؛
شَأنُ ذاكَ العَمَلِ أَيُّها المُشْتاقُ السَّكْرانُ، أنْ يَصِيْرَ مَوْتُكَ عَذْباً في ذاكَ العَمَل؛
صارَ علامَةَ صِدْقِ الإيمانِ أَيُّها الشَّابّ، أَنَّ المَوْتَ يجيءُ عَذْباً لَكَ في ذاك؛
إنْ لَمْ يَكُنْ إيْمانُكَ هكذا أَي عَزيز، فَلَيْسَ بالكامِلِ فاذْهَبْ واطْلُبْ إكْمالَ الدِّيْن؛
طالَما أنَّ المَوْتَ صارَ عَذْباً لَكَ، فَهُوَ على قَلْبِكَ مَحْبُوبٌ بِلا كَراهَة؛
إذا ذَهَبَتِ الكَراهَةُ فَلَيْسَ ذاكَ بالمَوْت، إنَّهُ صُوْرَةُ مَوْتٍ وَهُوَ بالفِعْلِ نَقْل؛
إذا ذَهَبَتِ الكَراهَةُ صارَ المَوْتُ نَفْعاً، جاءَ صَحِيحاً أَنَّ المَوْتَ صارَ دَفْعاً؛
الحَبيبُ الحَقُّ وَشَخْصٌ قالَ لَهُ الحَقُّ، أنْتَ كُنْتَ لي وأنا كُنْتُ لَك؛
أعْطِنا السَّمْعَ الآنَ فالعاشِقُ يَصِل، صارَ مَرْبُوطاً بالعِشْقِ بِحَبْلٍ مِنْ مَسَد؛
عِنْدَما رأى وَجْهَ صَدْرِ العالَم، كادَ طائِرَ رُوْحِهِ يَطِيْرُ مِنْ البَدَن؛

وَقَعَ بَدَنُهُ ذاكَ كَالخَشَبِ اليابِسِ، وَصارَ بارِداً مِنْ فَرَقِ الرُّوْحِ حَتَّى الأَظْفار؛
وَكُلَّ ما فَعَلُوا مِنْ بُخُوْرٍ وَمِنْ ماءِ وَرْدٍ،لَمْ يَقُمْ بالحِراكِ وَلَمْ يَجِئْ مِنْهُ خِطاب؛
الشَّاهُ عِنْدَما رَأى وَجْهَهُ المُزَعْفَرَ ذاكَ، تَرَجَّلَ عَنِ المَرْكَبِ وَجاءَ إِلَيْه؛
قالَ العاشِقُ يَبْحَثُ مُجِدّاً عَنِ المَعْشُوق، لَمَّا جاءَ المَعْشُوقُ ذَهَبَ ذلِكَ العاشِق؛
أَنْتَ عاشِقٌ للحَقّ والحَقُّ هُوَ ذاكَ الَّذي، إذا جاءَ لا يَبْقى مِنْكَ خَيْطُ شَعْرَة؛
مِئَةٌ مِثْلَكَ فانُونَ أمامَ ذاكَ النَّظَر، أنْتَ عاشِقُ نَفيِ الذَّاتِ أَيُّها السَّيّد؛
أَنْتَ ظِلٌّ لِلشَّمْسِ وَعاشِقٌ للشَّمْس ، إذا جاءَتِ الشَّمْسُ يَخْتَفِيْ سَريعاً الظِّلّ؛

تَظَلُّمُ البَعُوضَةِ مِنَ الرِّيحِ في حَضْرَةِ سُلَيْمانَ عَلَيْهِ السَّلام

جاءَتِ البَعُوْضَةُ مِنَ الحَدِيْقَةِ والعُشْب، مُتَظَلِّمَةً إلى سُلَيْمانَ تَطْلُبُ الإنْصاف؛
أنْ أَيْ سُلَيْمانُ نَشَرْتَ العَدْلَ، على الشَّياطِيْنِ وَبَني آدَمَ والجِنّ؛
الطَّيْرُ والأسْماكُ في حِمى عَدْلِك، أَيْنَ تائِهٌ غَيْرُ مَطْلُوبٍ لِفَضْلِك؛
أَعْطِنا العَدْلَ فَنَحْنُ جِدّاً ضِعاف، نَحْنُ مِنَ البُسْتانِ والرَّوْضِ بلا نَصيب؛
مُشْكِلاتُ كُلِّ ضَعِيْفٍ تَجْدُ مِنْكَ حَلّاً، والبَعُوْضَةُ في الضَّعْفِ كانَتْ مَثَلاً؛
شُهْرَتُنا بالضَّعْفِ والجَناحِ المَهِيْضِ، كشُهْرَتِكَ في اللُّطْفِ ورِعايَةِ المَساكين؛
أيْ أَنْتَ في أَطْباقِ القُدْرَةِ مُنْتَهى، نَحْنُ في النَّقْصِ والعَجْزِ في الدَّرْبِ مُنْتَهى؛
أعْطِنا الإنْصافَ أبْعِدْنا عَنْ هذا الغَمّ، خُذْ بِيَدِنا أي مَنْ يَدُكَ يَدُ الله؛
فَقالَ سُلَيْمانُ أَيْ طالِبَةَ الإنْصافِ، مِمَّنْ تَطْلُبينَ الإنْصافَ قُولي؛
مَنْ ذلِكَ الظَّالِمُ الَّذي مِنْ نَخْوَةٍ وَكِبْر، عَمِلَ لَكِ الظُّلْمَ وَخَدَشَ مِنْكِ الوَجْه؛
أيْ عَجَباً أَيْنَ هُوَ الظَّالِمُ في عَهْدِنا، وَلَيْسَ واقِعاً في حَبْسِنا وَمُقَيَّداً بِزَنْجِيْرِنا؛
الظُّلْمُ ماتَ في ذلِكَ اليَوْمِ الَّذي بِهِ وُلِدْنا، فَمَنْ ذلِكَ الَّذي قامَ بالظُّلْمِ في عَهْدِنا؛
عِنْدَما أَشْرَقَ النُّوْرُ صارَتِ الظُّلْمَةُ عَدَماً، الظُّلْمَةُ للظُّلْمِ كانَتْ أَصْلاً وَعَضُداً؛

الشَّياطِيْنُ فيها يَقُوْمُونَ بالكَسْبِ والعَمَل،والآخَرُوْنَ مُقَيَّدُون بالأصْفادِ والقُيُود؛
أَصْلُ ظُلْمِ الظَّالِمِيْنَ كانَ مِنَ الشَّيْطان، الشَّيْطانُ مُقَيَّدٌ فَكَيْفَ يَظْهَرُ الظُّلْمُ؛
المُلْكُ أُعْطِيَ لَنا مِنْ أَمْرِ كُنْ فكان، حَتَّى لا يَقُومَ الخَلْقُ بالأنينِ نَحْوَ السَّماء؛
حَتَّى لا يَصْعَدَ الدُّخانُ صاعِداً للأَعْلى،حَتَّى لا يَصيرَ مُضْطَرِباً الفَلَكُ والسُّها؛
حَتَّى لا يَهْتَزَّ العَرْشُ مِنْ أنينِ يَتيم، حَتَّى لا تصيرَ رُوْحٌ سَقيمَةً مِنَ الظُّلْم؛
مِنْ ذلِكَ جَعَلْنا في المَمالِكِ المَذْهَب، كَيْ لا يَرْتَفِعَ إلى الأفْلاكِ *يا رَبّ*؛
لا تَنْظُرْ أَيْ مَظْلُوْمُ نَحْوَ السَّماء، فإنَّ لَكَ في الوَقْتِ مَلِكاً مِنَ السَّماء؛
قالَتِ البَعُوْضَةُ أَشْتَكي مِنْ يَدِ الرِّيْح، فَقَدْ قامَتْ بِظُلْمِنا بِكِلْتا اليَدَيْن؛
نَحْنُ مِنْ ظُلْمِها واقِعُوْنَ في الضِّيْق، نَحْنُ ساكِتُوْنَ وَنَجْرَعُ مِنْ ظُلْمِها الدِّماء؛

أَمْرُ سُلَيْمانَ عَلَيْهِ السَّلامُ البَعُوْضَةَ المُتَظَلِّمَةَ بإحْضارِ الخَصْمِ إلى دِيْوانِ الحُكْم

فَقالَ سُلَيْمانُ أَيْ جَمِيْلَةَ الدَّوِيّ، عَلَيْكِ أَنْ تَسْمَعي أَمْرَ الحَقِّ بالرُّوْح؛
الحَقُّ قالَ لِلْحَكَمِ أنْ أَيْ حَكَمُ، لا تَسْمَعْ مِنْ خَصْمٍ دُوْنَ خَصْمِهِ الآخَر؛
ما لَمْ يَأْتِ كِلا الخَصْمَينِ في الحُضُور، لَنْ يَكُوْنَ للحَقِّ أمامَ الحاكِمِ ظُهُور؛
الخَصْمُ مُفْرَداً وَلَوْ جاءَ بِمِئَةِ عَويل، لا تَأْخُذْ بِقَوْلِهِ ما لَمْ يَكُنْ خَصْمُه مَعَه؛
أنا اليَومَ لَنْ أَقُوْمَ بِعِصْيانَ الأَمْرِ، فاذْهَبي وَأَحْضِري خَصْمَكِ إِلَيّ؛
قالَتْ قَوْلُكَ البُرْهانُ وَالصِّدْق، خَصْمي هُوَ الرِّيْحُ والرِّيْحُ في حُكْمِك؛
فَنادى ذلِكَ الشَّاهُ أنْ أَيْ رِيْحَ الصَّبا، البَعُوْضَةُ اشْتَكَتْ مِنْ ظُلْمِكِ أَقْبِلي؛
كُوني في قِبالَةِ الخَصْمِ وَتَكَلَّمي، وَأَعْطي جَوابَ الخَصْمِ وادْفَعي العَدُوّ؛
لَمَّا سَمِعَتْ الرِّيْحُ أَتَتْ مُسْرِعَةً، فَأَخَذَتِ البَعُوْضَةُ تِلْكَ اللَّحْظَةَ الدَّرْبَ للهَرَب؛
فقالَ سُلَيْمانُ أَيْ بَعُوْضَةُ إلى أَيْن، اِنْتَظِري حَتَّى أَقُوْمَ بالقَضاءِ بَيْنَكُما؛

قالَتْ أيْ مَلِكُ مَوْتي مِنْ كِيانِها، سَوادُ يَومي هذا مِنْ دُخانِها؛
إذا هِيَ أَتَتْ أَيْنَ أجِدُ القَرار، إنَّها تَمُرُّ على بُنْياني بالدَّمار؛
وهكذا يَكُونُ البَاحِثُ عَنْ عَتَبَةِ الله، إذا تَجَلَّى اللهُ صارَ الباحِثُ عَدَماً؛
رَغْمَ أنَّ ذلِكَ الوَصْلَ بَقاءٌ في بَقاء، فإنَّ ذاكَ البقاءَ يَكُوْنُ أوَّلاً في الفَناء؛
الظِّلالُ الَّتي كانَتْ باحِثَةً عَنِ النُّور، عِنْدَما ظَهَرَ لها النُّوْرُ صارَتْ عَدَماً؛
العَقْلُ مَتى بَقِيَ إذا كانَ حُكْمُهُ، كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إلَّا وجْهُهُ؛
هالِكٌ أمامَ وَجْهِهِ الوُجُوْدُ والعَدَم، الوُجُودُ في العَدَمِ بِذاتِهِ طُرْفَةٌ؛
العُقُولُ ضاعَتْ مِنَ اليَدِ في هذا المَحْضَر،لَمَّا وَصَلَ القَلَمُ لهذا المَكانِ انكَسَر؛

مُلاطَفَةُ المَعْشُوْقِ للعاشِقِ الغائِبِ عَنِ الوَعْيِ لَيَعُوْدَ لِلْوَعْي

راحَ صَدْرُ العالَمِ مِنَ الكَرَم قَليلاً قَليلاً، يَسْحَبُهُ مِنْ الذُّهُوْلِ وَالفَقْدِ بالبَيان؛
قالَ لَهُ الشَّاهُ في الأُذُنِ أنْ أيُّها الشَّحَّاذُ،جِئتُكَ بالذَّهَبِ أَنْثُرُهُ عَلَيْكَ افْتَحِ الثَّوْب؛
رُوْحُكَ الَّتي كانَتْ تَخْفِقُ في فِراقي، عِنْدَما أَتَيْتُ لإغاثَتِها كَيْفَ جَفِلَتْ؛
أيْ مَنْ عانَيْتَ في فِراقِيَ الحَرَّ والبَرْد،عُدْ لِلوَعْيِ مِنْ فَقْدِ الوَعْيِ وارْجِعْ إلَيّ؛
طائرُ المَنْزِلِ الَّذي دَعا جَمَلاً إلى البَيْتِ، وَجاءَ بِهِ ضَيْفاً عَلَيْهِ طائرٌ بِلا عَقْل؛
حِيْنَ يَضَعُ الجَمَلُ القَدَمَ في مَنْزِلِ الطَّائِرِ،يَصيرُ المَنْزِلُ خَراباً وَيَسْقُطُ السَّقْف؛
مَنْزِلُ الطَّائِرِ وَعْيُنا وَعَقْلُنا، وَعْيُ صالِحٍ كانَ طالِبَ ناقَةِ الله؛
عِنْدَما شَرَعَتِ النَّاقَةُ في مائِهِ وَطِيْنِه،لَمْ يَبْقَ لَهُ هُناكَ طِيْنٌ ولا رُوْحٌ ولا قَلْب؛
فَضْلُ العِشْقِ جَعَلَ الإنْسانَ فُضُولِيَّاً، مِنْ زِيادَةِ طَلَبِهِ صارَ ظَلُوماً وجَهُولا؛
إنَّهُ جاهِلٌ وَفي هذا الصَّيْدِ المُشْكِلِ، يَحْضِنُ الأرْنَبُ الأَسَدَ وَيَشُدُّهُ إلَيْه؛
مَتى كانَ لِيَجْذِبَ وَيَحْتَضِنَ أَسَداً، لَوْ كانَ قَدْ رَآهُ وَعَرِفَهُ أَسَداً؛
يَكُوْنُ ظالِماً لِنَفْسِهِ وَظالِماً لِرُوْحِهِ، فانْظُرْ إلى ظُلْمٍ خَطَفَ الكُرَةَ مِنَ العَدْل؛

جَهْلُهُ أُسْتاذٌ للعِلْم، ظُلْمُهُ رَشادٌ للعَدْلِ؛

أَخَذَ بِيَدِهِ أنْ فَاقِدُ النَّفَس هذا، أتى وَقْتٌ أهَبُهُ بِهِ النَّفَس؛

بِما أنَّ مَيِّتَ البَدَنِ هذا يَحْيا مِنِّي، فإنَّهُ رُوْحي الَّتي تُوَجِّهُ الوَجْهَ إِلَيَّ؛

أنا أجْعَلُهُ عَظيمَ الجاهِ مِنْ هذهِ الرُّوْحِ، الرُّوْحُ الَّتي أعْطَيْتُ تَعْرِفُ عَطائي؛

الرُّوْحُ غَيْرُ المُحْرِمِ لا تَرى وَجْهَ الحَبيب، تَراهُ الرُّوْحُ الَّتي أَصْلُها مِنْ حِماه؛

أنْفِخُ النَّفَسَ كالقَصَّابِ في المُحِبّ، حَتَّى أفْصِلَ لُبَّهُ الجَمِيْلَ ذاكَ عَنِ الجِلْد؛

قالَ أيَّتُها الرُّوْحُ الَّتي جَفَلَتْ مِنَ البلاء، قَدْ فَتَحْنا البابَ لِلْوَصْلِ أَقْبِلي للِّقاء؛

أيْ مَنْ أَنْتَ نَحْنُ في ذُهُوْلِكَ وَسُكْرِكَ، أيْ مَنْ وُجُوْدُكَ دائِماً مِنْ وُجُوْدِنا؛

هذا الزَّمانَ مِنْ جَديدٍ بِلا شَفَةٍ، أَقُوْلُ لَكَ الأَسْرارَ القَدِيْمَةَ فاسْمَعْ؛

ذلِكَ أنَّ تِلْكَ الشِّفاهَ تَفِرُّ مِنْ هذا الحَديث، الَّذي يَطْلَعُ مِنْ شَفَةِ جَدْوَلٍ خَفِيّ؛

اِفْتَحِ الأُذُنَ الآنَ مِنْ دُوْنِ أُذُنٍ، مِنْ أَجْلِ سِرّ *يَفْعَلُ اللهُ ما يشاء*؛

عِنْدَما وَصَلَ نِداءُ الوَصْلِ إلى سَمْعِه، أَخَذَ المَيّتُ يَتَحَرَّكُ شيئاً فَشَيْئاً؛

لَيْسَ أَقَلَّ مِنْ تُرابٍ لاطَفَتْهُ الصَّبا، فَلَبِسَ الخُضْرَةَ وَرَفَعَ الرَّأْسَ مِنَ الفَناء؛

لَيْسَ أَقَلَّ مِنْ ماءِ نُطْفَةٍ مِنْ خِطابٍ، وَلَدَ اليُوسُفِيّيْنَ بِوُجُوهٍ كالشُّمُوس؛

أَو أَقَلَّ مِنْ رِيْحٍ صارَ مِنْ أَمْرِ كُنْ،طاووساً وَطائراً عَذْبَ الحَديثِ في الرَّحِمِ؛

وَلا أقَلَّ مِنْ جَبَلِ الصَّخْرِ الَّذي مِنَ الوِلاد، وَلَدَ ناقَةً وَتِلْكَ النَّاقَةُ تَلِدُ ناقَةً فَناقَة؛

وَدَعْ كُلَّ هذا أَلَيْسَ مِنْ أَصْلِ العَدَم، وُلِدَ عالَمٌ وَيُوْلَدُ لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ؛

انْتَفَضَ وَنَهَضَ وفي سَعادَةٍ وَسُرُورٍ، دارَ دَوْرَةً وَدَوْرَتَيْنِ وَوَقَعَ في سُجُود؛

عَوْدَةُ العاشِقِ الغائِبِ عَنِ الوَعْيِ لِلْوَعْيِ وَتَوَجُّهُهُ بالثَّناءِ والشُّكْرِ لِلمَعْشُوق

قالَ أَيْ عَنْقاءَ الحَقِّ أَيْ مَطاف الرُّوْحِ، الشُّكْرُ للهِ أنَّكَ عُدْتَ مِنْ جَبَلِ قاف؛
أيْ إسْرافيلَ وَقْتِ قِيامَةِ العِشْق، أَيْ أنتَ عِشْقُ العِشْقِ وَأَنْتَ مُنْيَةُ العِشْق؛
أَوَّلَ خِلْعَةٍ أُرِيدُكَ تُعْطِيني إيَّاها، هِيَ أنْ تَقُومَ بِوضْعِ الأُذُنَ على النَّافِذَةِ مِنِّي؛
رَغْمَ أنَّكَ تَعْرِفُ مِنَ الصَّفاءِ حالي، أيْ راعِيَ العَبْدِ اسْتَمِعْ إلى أَقْوالي؛
مِئاتِ أُلُوْفِ المَرَّاتِ أَيُّها الصَّدْرُ الفَريد، طارَ وَعْيِي على أَمَلِ سَماعِكَ لي؛
سَماعُكَ ذاكَ وإِصْغاؤكَ ذاكَ، وَتِلْكَ الْبَسَماتُ مِنْكَ واهِبَةُ الرُّوْح؛
ذلِكَ الإِسْتِماعُ للقَليلِ والكَثيرِ مِنِّي، سِحْرٌ لِرُوْحِيَ سَيِّئَةِ الظَّنّ؛
نَقْدِيَ الزَّائِفُ وَكانَ لَكَ مَعْلُوماً، كَمْ قَبِلْتَهُ مِنِّي كأنَّهُ النَّقْدُ الصَّحيح؛
تُراعي مُتَهَتِّكاً مُتَجَرِّئاً مَغْرُوراً، الأَحْلامُ كُلُّها أمامَ حِلْمِكَ ذَرَّة؛
اعْلَمْ أَوَّلاً أنَّني عِنْدَما صِرْتُ خارِجَ شِباكِكَ، فَرَّ مِنْ أمامِيَ الأَوَّلُ والآخِر؛
ثانِياً اِسْمَعْ أَيُّها الصَّدْرُ الوَدُوْد، أنَّني بَحَثْتُ كَثيراً فَلَمْ أعْثَرْ لَكَ على ثانٍ؛
ثالِثاً مُنْذُ أنْ ذَهَبْتُ خارِجاً عَنْك، صِرْتُ كَأَنِّي كما قُلْتَ ثالِثَ ثلاثَة؛
رابِعاً عِنْدَما احْتَرَقَتْ لَنا المَزْرَعَة، لَمْ أعُدْ أَعْرِفُ الخامِسَةَ مِنَ الرَّابِعَة؛
حَيْثُما وَجَدْتَ على التُّرابِ دَماً، اِعْلَمْ يَقيناً أنَّهُ مِنْ عُيُونِنا؛
مَقالِيَ رَعْدٌ وَهذا الصَّوْتُ والحَنين، يَطْلُبُ الغَيْمَ كَيْ يُمْطِرَ على الأَرْض؛
أنا بَيْنَ الكلامِ والنَّحِيب مُتَرَدِّدٌ، أَأَبْكي تُرى أمْ أقُولُ ما أفْعَل؛
إنْ تَكَلَّمْتُ فاتَني البُكاء، وإنْ بَكَيْتُ كَيْفَ أَقُومُ بالشُّكْرِ والثَّناء؛
دَمُ قَلْبي يَسْقُطُ مِنَ العَيْنِ أَيْ مَلِكي، أُنْظُرْ لِما جَرى مِنَ العَينِ مِنِّي؛
قالَ هذا وَراحَ في البُكاءِ ذاكَ النَّحِيْف، حَتَّى بَكى عَلَيْهِ الدُّوْنُ وَبَكى الشَّريف؛

كَمْ خَرَجَ مِنْ قَلْبِهِ مِنَ الآهات، وأَهْلُ بُخارى مُتَحَلِّقُون مِنْ حَوْلِه؛
قائلٌ بِوَلَهٍ باكٍ بِوَلَهٍ ضاحِكٌ بِوَلَهٍ،حارَ مِنْهُ الرِّجالُ والنِّساءُ والصَّغِيْرُ والكَبير؛
المَدِيْنَةُ صارَتْ تَسْكُبُ الدَّمْعَ أَلَماً لَه، كما في القِيامَةِ ازْدَحَمَ الرِّجالُ والنِّساء؛
والسَّماءُ تَقُوْلُ للأرْضِ في ذلِكَ الوَقْت، إنْ لَمْ تَكُوني رَأَيْتِ القِيامَةَ انْظُري؛
العَقْلُ حَيْرانُ أنْ أَيُّ عِشْقٍ هذا وَأَيَّةُ حالٍ، أَيُّهُما الأَعْجَبُ فِراقُهُ أمِ الوِصال؛
الفَلَكُ يَقْرَأُ مِنَ القِيامَةِ الكِتاب، حَتَّى أَنَّ المَجَرَّةَ مَزَّقَتِ الثِّياب؛
العِشْقُ غُرْبَةٌ عَنْ كِلا العالَمَيْن، اثْنانِ وَسَبْعُونَ مِنْ أنْواعِ الجُنُونِ فِيْه؛
خَفِيٌّ بِشِدَّةٍ وَحَيْرَتُهُ ظاهِرَة، أرْواحُ سلاطِيْنِ الرُّوْحِ في حَسْرَتِه؛
مَذْهَبُهُ غَيْرُ الاثْنَتَيْنِ وَسَبْعِيْنَ مِلَّةً، عُرُوْشُ السَّلاطينِ أمامَهُ كالجَبيرَة؛
غَنَّى مُطْرِبُ العِشْقِ وَقْتَ السَّماع، العُبُوْدِيَّةُ قَيْدٌ والسِّيادَةُ صُداع؛
ما يَكُوْنُ العِشْقُ بَحْرُ العَدَم، وَهُناكَ العَقْلُ مَكْسُوْرُ القَدَم؛
العُبُوْدِيَّةُ والسَّلْطَنَةُ كِلاهُما مَعْلُوم، العِشْقُ عَنْ كِلا هذينِ المَسْلَكَيْنِ مَكْتُوم؛
لَيْتَ أنَّ الوُجُوْدَ يَمْلِكُ اللِّسانْ، لِيَرْفَعَ الحُجُبَ عَنِ المَوْجُودات؛
كُلَّ ما قُلْتَ عَنْ ذاك أَيْ نَفَسَ الوُجُوْد، اعْلَمْ أَنَّهُ حِجابٌ آخَرُ عَلَيْهِ مَعْقُود؛
آفَةُ الإدراكِ ذاكَ القالُ والحال، غَسْلُ الدَّمِ بالدَّمِ مُسْتَحيلٌ وَمُحال؛
أنا بِما أَنَّني مَحْرَمُ الوالِهِيْنَ فِيْه، أُطْلِقُ الآهاتِ اللَّيْلَ والنَّهارَ في القَفَص؛
شَديدَةُ سُكْرٍ وَوالِهَةٌ وَمُضْطَرِبَةٌ، أَيْ رُوْحُ على أَيِّ جَنْبٍ نُمْتِ لَيْلَةَ الأَمْس؛
ألا فَكُنْ يَقِظاً ولا تَفُهْ بِحَرْفٍ، أَوَّلاً انْهَضْ واطْلُبِ المُحْرِم؛
عاشِقٌ وَسَكْرانٌ وَمُطْلَقُ لِسان، اللهَ اللهَ أَيُّ جَمَلٍ على مِيْزاب؛
عِنْدما تَحَدَّثَ عَنْ سِرِّهِ وَدَلالِهِ اللِّسان، نادَتِ السَّماءُ *يا جَمِيْلَ السِّتْر*؛
أَيُّ سِتْرٍ مِنَ القِطْنِ والصُّوْفِ للنَّار، كُلَّما غَطَّيْتَها بِهِ صارَتْ أَكْثَرَ ظُهُوراً؛
كَيْفَ أَسْعى لِأَجْعَلَ سِرَّهُ مَخْفِيَّاً، وَهُوَ يَرْفَعُ الرَّأْسَ كالعَلَمِ أَنْ هاأَنَذا؛

أمْسَكَ رَغْمَ أَنْفي بِكِلْتا أُذُنَيَّ، أنْ أَيْ مُدَمَّغُ كَيْفَ تُخْفِيْهِ أَخْفِ إذَنْ؛
قُلْتُ لَهُ اذْهَبْ فَرَغْمَ أنَّكَ تَغْلي، أَنْتَ كالرُّوْحِ ظاهِرٌ وَخَفِيّ؛
قالَ بَدَني هذا مَحْبُوسٌ في الدَّنِّ، وأنا كالخَمْرِ في المَحْفَلِ أُطْلِقُ الصَّفير؛
قُلْتُ لَهُ اذْهَبْ قَبْلَ أنْ تَصِيْرَ في الأَسْر، اِذْهَبْ حَتَّى لا تَجِيْءَ آفَةُ السُّكْر؛
قالَ شُرْبي مِنَ الجامِ اللَّطيفِ ذي الصَّفاء، رَفيقُ يَوْمي إلى صَلاةِ العِشاء؛
عِنْدَما يَجيءُ وَيَسْرُقُ كَأْسي المَساء، أَقُولُ أرْجِعْهُ فَلَمْ يَجِئْ بَعْدُ لي العِشاء؛
مِنْ ذلِكَ العَرَبُ سَمُّوا الخَمْرَ المُدام، فَلا رِيَّ لِشارِبِ الخَمْرِ على الدَّوام؛
العِشْقُ جَعَلَ تَغْلي خَمْرَةَ التَّحْقيق، لَقَدْ كانَ السَّاقِيْ الخَفِيَّ للصِّدِّيْق؛
عِنْدَما تَبْحَثُ بالتَّوْفيقِ الحَسَن، ماءُ الخَمْرِ هُوَ الرُّوْحُ والإبْريقُ البَدَن؛
إذا زِدْتَ مِنْ خَمْرِ التَّوْفيق، كَسَرَتْ قُوَّةُ الخَمْرِ الإبْريق؛
صارَ الماءُ السَّاقِي وَصارَ سَكْراناً الماء، كَيْفَ لا تَقُلْ، واللهُ أَعْلَمُ بالصَّواب؛
شُعاعُ السَّاقي وَقَعَ في النَّبيذِ، فَصارَ النَّبيذُ يَغْلي وَبَدَأَ بالرَّقْصِ وَصارَ مُرّاً؛
فاسْأَلْ في هذا المَعْنى ذلِكَ المُتَحَيِّر، أَنْ كَيْفَ وَمَتى كُنْتَ قَدْ رَأَيْتَ النَّبيذ؛
جَلِيٌّ أمامَ كُلِّ عالِمٍ بلا رَوِيَّةِ فِكْرٍ،أنَّ كُلَّ مُضْطَرِبٍ هُناكَ مَنْ أثارَ اضْطِرابَهُ؛

حِكايَةُ عاشِقٍ طالَ هِجْرانُهُ وَكَثُرَ امْتِحانُهُ

شابٌّ كانَ مَجْنُوناً بامْرَأَة، لَمْ يُعْطِهِ الدَّهْرُ مِنْها يَدَ الوَصْل؛
كَمْ كانَ لَهُ فَوْقَ الأَرْض مِنْ عِشْقِهِ عذاب، لِمَ كانَ العِشْقُ أَوَّلاً يَمْلِكُ الحِقْد؛
لِمَ كانَ العِشْقُ في الأَوَّلِ دَمَوِيَّاً؟، لِكَيْ يَهْرَبَ مِنْهُ الَّذي كانَ خارِجاً عَنْه؛
لَمَّا أَرْسَلَ الرَّسُولَ إلى تِلْكَ المَرْأَة، الرَّسُولُ صارَ مِنَ الحَسَدِ قاطِعَ طَرِيق؛
لَمَّا كَتَبَ الكِتابَ لِلمَرْأَةِ كاتِبُه، قَرَأَ الرِّسالَةَ بالتَّصْحِيفِ نائِبُه؛
لَوْ أَرْسَلَ الصَّبا رَسُولاً في الوَفاء، لَصارَتْ كَدِرَةً مِنَ الغُبارِ تِلْكَ الصَّبا؛

وَلَوْ عَلَّقَ رُقْعَةً على جَناحِ طائِرٍ، لأَحْرَقَ جَناحُ الطَّائِرِ مِنَ الحَرارَةِ الرُّقْعَة؛
لَقَدْ سَدَّتِ الغَيْرَةُ طُرُقَ الحِيْلَة، وَكَسَرَتْ مِنْ عَسْكَرِ الفِكْرِ الرَّايَة؛
كانَ أَوَّلَ مُؤنِسٍ لَهُ غَمُّ الاِنْتِظار، وَالَّذي كَسَرَهُ آخِراً هَمُّ الاِنْتِظار؛
يَقُوْلُ هذا بَلاءٌ بِلا دَواءٍ حِيْناً، وَيَقُوْلُ لا هذا حَياةُ رُوْحِنا حِيْناً؛
كانَ وُجُوْدُهُ يَرْفَعُ الرَّأْسَ مِنْهُ حِيْناً، وَكانَ يَأْكُلُ الثَّمَرَةَ مِنَ العَدَمِ حِيناً؛
عِنْدَما صارَتِ الطَّبِيْعَةُ عَلَيْهِ بارِدةً، جاشَتْ مِنْهُ عَيْنُ الاِتِّحادِ حارَّةً؛
عِنْدَما بَنى بِناءَ الغُرْبَةِ عَنِ العَيْش، أتاهُ العَيْشُ مُسْرِعاً بلا أَسْباب؛
صارَتْ عَناقِيْدُ فِكْرِهِ بِلا نَقْص، صارَ دَليلاً للسَّائِرينَ في اللَّيْلِ كالقَمَر؛
أيْ كَمْ مِنْ بَبَّغاءَ ناطِقٍ تَراهُ صامِتاً، أَيْ كَمِ مْنْ عَذْبِ رُوْحٍ تَراهُ عابِسا؛
اِذْهَبْ إلى المَقْبَرَةِ واجلِسْ بِها نَفَساً صامِتا،انْظُرْ بها إلى الصَّامِتينَ المُتَكَلِّمين؛
لكِنَّهُمْ وإِنْ رَأَيْتَ تُرابَهُمْ لَوْناً واحِداً، فإنَّ حالَةَ مَقاماتِهِمْ لَيْسَتْ واحِدَةً؛
شَحْمُ وَلَحْمُ الأَحْياء واحِدٌ، وَذاكَ واحِدٌ مَغْمُومٌ وذاكَ واحِدٌ مَسْرُوْر؛
أنْتَ لا تَعْلَمُ عَنْهُمْ ما لَمْ يَصِلْكَ قَالُهُم، ذلِكَ لأَنَّهُ كانَ مَخْفِيّاً عَنْكَ حالُهُم؛
سَمِعْتَ مِنَ القالِ حَدِيْثَ الغَوْغاء، مَتى تَرى حالَةَ مِئَةِ باطِنٍ؛
صُوْرَتُنا واحِدَةٌ وبالأَضْدادِ تَتَّصِف، القَبْرُ واحِدٌ والأرواحُ تَخْتَلِف؛
وَكَذا الأَصْواتُ فَهِيَ واحِدَةٌ، وَذاكَ واحِدٌ مِلؤُهُ الأَمَلُ وَذاكَ واحِدٌ مِلْؤُهُ الدِّلال؛
اِسْمَعْ هَمْهَمَةَ الخَيْلِ في المَصافّ، واسْمَعْ تَغْرِيْدَ الطُّيُوْرِ في الطَّواف؛
ذاكَ واحِدٌ مِنَ الحِقْدِ وآخَرُ مِنَ الاِرْتِباط، ذَاكَ واحِدٌ مِنَ أَلَمٍ وَآخَرُ مِنَ النَّشاط؛
كُلُّ مَنْ كانَ عَنْ حالَتِهِمْ بَعِيْداً، تَكُوْنُ عِنْدَهُ تِلْكَ الأَصْواتُ واحِدَةً؛
تِلْكَ الشَّجَرَةُ تَهْتَزُّ مِنْ ضَرَباتِ الفَأْس، وَتِلْكَ شَجَرَةٌ تَهْتَزُّ مِنْ رِيْحِ السَّحَر؛
كَمْ غَلَطْتُ في قِدْرٍ وَضِيعَةِ المُحْتَوى، كانَ فَوْقَها الغِطاءُ وَكانَتِ القِدْرُ تَغْلي؛
كُلِّ شَخْصٍ يَقُولُ لَكَ تَعالَ لِلْعَسَل، وحَديثُ صِدْقٍ وحَديثُ تَزْويرٍ وَرِياء؛

إذا كُنْتَ لا تَمْلِكُ رُوْحاً عارِفَةً بالعَبير، اِذْهَبْ وامْتَلِكْ أَنْفاً عارِفاً بالعَبير؛
ذاكَ الأَنْفُ الَّذي طافَ حَوْلَ رَوْضَةِ الوَرْدِ تِلْك، أَضاءَ أَيْضاً عَيْنَ اليَعْقُوبِيِّيْن؛
هَيَّا قُلْ أَحْوالَ ذاكَ الواهِنِ الكَبِد، فَقَدْ صِرْنا بَعيدِيْنَ عَنْ بُخارى أَيْ وَلَد؛

عُثُوْرُ العاشِقِ على المَعْشُوْقِ وَبَيانُ أَنَّ مَنْ كانَ طالِباً كانَ واجِداً

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ

سَبْعَ سِنينَ وَذاكَ الشَّابُّ في البَحْثِ والطَّلَب،مِنْ خَيالِ الوَصْلِ صارَ كَالخَيال؛
ظِلُّ الحَقِّ كائِنٌ فَوْقَ رَأْسِ العَبْد، الطَّالِبُ لا بُدَّ أَنْ يَكُوْنَ واجِداً في العاقِبَة؛
قالَ النَّبِيُّ أَنْ عِنْدَما تَقْرَعُ باباً، لا بُدَّ يَخْرُجُ في العاقِبَةِ رَأْسٌ مِنْ ذلِكَ البابِ؛
عِنْدَما تَجْلِسُ في حِمى شَخْص، لا بُدَّ أَنْ تَرى في العاقِبَةِ وَجْهَ ذلِكَ الشَّخْص؛
وَعِنْدَما تَرْفَعُ مِنَ البِئْرِ كُلَّ يَوْمٍ تُراباً، عاقِبَتُكَ أَنْ تَصِلَ لِلماءِ الطَّاهِرِ أَخِيْراً؛
الجَمِيْعُ عَلِمُوا هذا فإِنْ كُنْتَ لا تُصَدِّق، فَإِنَّ كُلَّ ما تَزْرَعُهُ يَوماً سَتَحْصِدُهُ؛
ضَرَبْتَ صَخْراً على الحَديدِ فَلَمْ يَطْلَعِ الشَّرَر، ذا لا يَكُونُ وإِنْ كانَ فَهُوَ نادِر؛
ذاكَ الَّذي لَيْسَ رِزْقاً لَهُ البَخْتُ والنَّجاة، ما نَظَرَ عَقْلُهُ إِلَّا في النَّادِرات؛
أَنْ ذاكَ فُلانٌ زَرَعَ وَما حَصَدَ، وذاكَ وَجَدَ الصَّدَفَ وَلَمْ يَجِدْ فيهِ جَوْهَراً؛
بَلْعَمُ باعُوْرا وإِبْلِيْسُ اللَّعين، ما وَجَدا نَفْعاً مِنَ العِباداتِ والدِّيْن؛
لَمْ يَخْطُرْ بِخاطِرِ ذَلِكَ السَّيِّئِ الظَّنّ، مِئاتُ أُلُوْفِ الأَنْبياءِ والسَّالِكِيْن؛
أَخَذَ هَذَيْنِ اللَّذَيْنِ يُعْطِيانِ ظُلْمَةً، مَتى يَجْلِبُ الإِدْبارُ لِقَلْبِهِ غَيْرَ هذا؛
كَمْ شَخْصاً أَكَلَ الخُبْزَ وَهُوَ سَعِيْدُ قَلْبٍ، فَسَدَّ لَهُ الحَلْق وَسَبَّبَ لَهُ المَوْتَ؛
إِذَنْ لا تَأْكُلِ الخُبْزَ أَيْ مُدْبِرُ واذْهَبْ، حَتَّى لا تَقَعَ مِثْلَهُ في المَشاكِلِ والشَّرّ؛
مِئاتُ أُلُوْفِ الخَلْقِ يَأْكُلونَ الخُبْز، يَجِدُوْنَ مِنْهُ القُوَّةَ وَيُرَبُّوْنَ مِنْهُ الرُّوح؛
مِنْ أَيْنَ كُنْتَ وَقَعْتَ على ذَلِكَ النَّادِرِ، لَوْ لَمْ تَكُنْ مَحْرُوماً وَمَوْلُوْداً أَبْلَهاً؛

هذِهِ الدُّنيا مَمْلُوءَةٌ بالشَّمْسِ وَنُوْرِ القَمَر، هُوَ تَرَكَ هذا وَنكَّسَ الرَّأْسَ في البِئْر؛
أنْ أَيْنَ هُوَ الضِّياءُ إنْ كانَ حَقّاً، اِرْفَعِ الرَّأْسَ مِنَ البِئْرِ ثُمَّ انْظُرْ أَيْ دَنِيّ؛
جُمْلَةُ العالَمِ شَرْقاً وَغَرْباً وَجَدَ النُّوْر، الَّذي لَنْ يُشِعَّ عَلَيْكَ ما دُمْتَ في البِئْر؛
دَعِ البِئْرَ واذْهَبْ إلى الإيْوانِ والكُرُوْم، أَقِلَّ العِنادَ هُنا واعْلَمْ أنَّ اللَّجاجَ شُؤم؛
ألا لا تَقُلْ فُلانٌ قامَ بالزَّرْعِ، في العامِ الفُلانِيِّ وَأَكَلَ زَرْعَهُ الجَراد؛
فَلِماذا أَقُوْمُ بالزَّرْعِ وَهاهُنا خَوْف، لِماذا أَقُوْمُ بِنَثْرِ هذا القَمْحِ مِنَ اليَد؛
وَذاكَ الَّذي لَمْ يَتْرُكِ الزَّرْعَ والعَمَل، جَعَلَ المَخْزَنَ مَمْلُوءاً على عَمىً مِنْك؛
ما دامَ كانَ يَقْرَعُ البابَ فَهُوَ مِنَ السَّلْوَة، في العاقِبَةِ حَصَلَ يَوْماً على خَلْوَة؛
قَفَزَ مِنْ خَوْفِ العَسَسِ لَيْلاً إلى البُسْتان،فَوَجَدَ حَبيبَ النَّفْسِ كالشَّمْعِ والسِّراج؛
فَقالَ تِلْكَ اللَّحْظَةَ لِمُسَبِّبِ السَّبَب، أيْ اللهُ اجْعَلِ الرَّحْمَةَ على العَسَس؛
أَنْتَ سَبَّبْتَ الأَسْبابَ عَنْ جَهْلٍ، وَحَمَلْتَني مِنْ جَهَنَّمَ إلى الجَنَّة؛
مِنْ أجْلِ ذلِكَ جَعَلْتَ هذا العَمَلَ سَبَباً، حَتَّى لا أحْتَقِرَ الشَّوْكَةَ الواحِدَة؛
لِمَكْسُوْرِ القَدَمِ وَهَبَ الحَقُّ الجَناح، كما فَتَحَ في قَعْرِ البِئْرِ باباً أَيْضاً؛
لا تَنْظُرْ لِكَوْنِكَ على شَجَرَةٍ أوْ في بِئْر، وَلْتَكُنْ ناظِراً إلَيَّ فَأَنا مِفْتاحُ الطَّريق؛
إنْ كُنْتَ تُرِيْدُ بَقِيَّةَ هذا الحَدِيث، أَيْ أخِيْ فَلْتَبْحَثْ في الكِتابِ الرَّابِع؛

تَمَّ المُجَلَّدُ الثَّالِثُ مِنَ المَثْنَوِيّ المَعْنَوِيّ

المَثْنَوِيّ المَعْنَوِيّ

تأليف

جلال الدّين الرُّوميّ

ترجمة

د. علي عبَّاس زليخة

الكتاب الرَّابع

نسخة رينولد نيكلسون